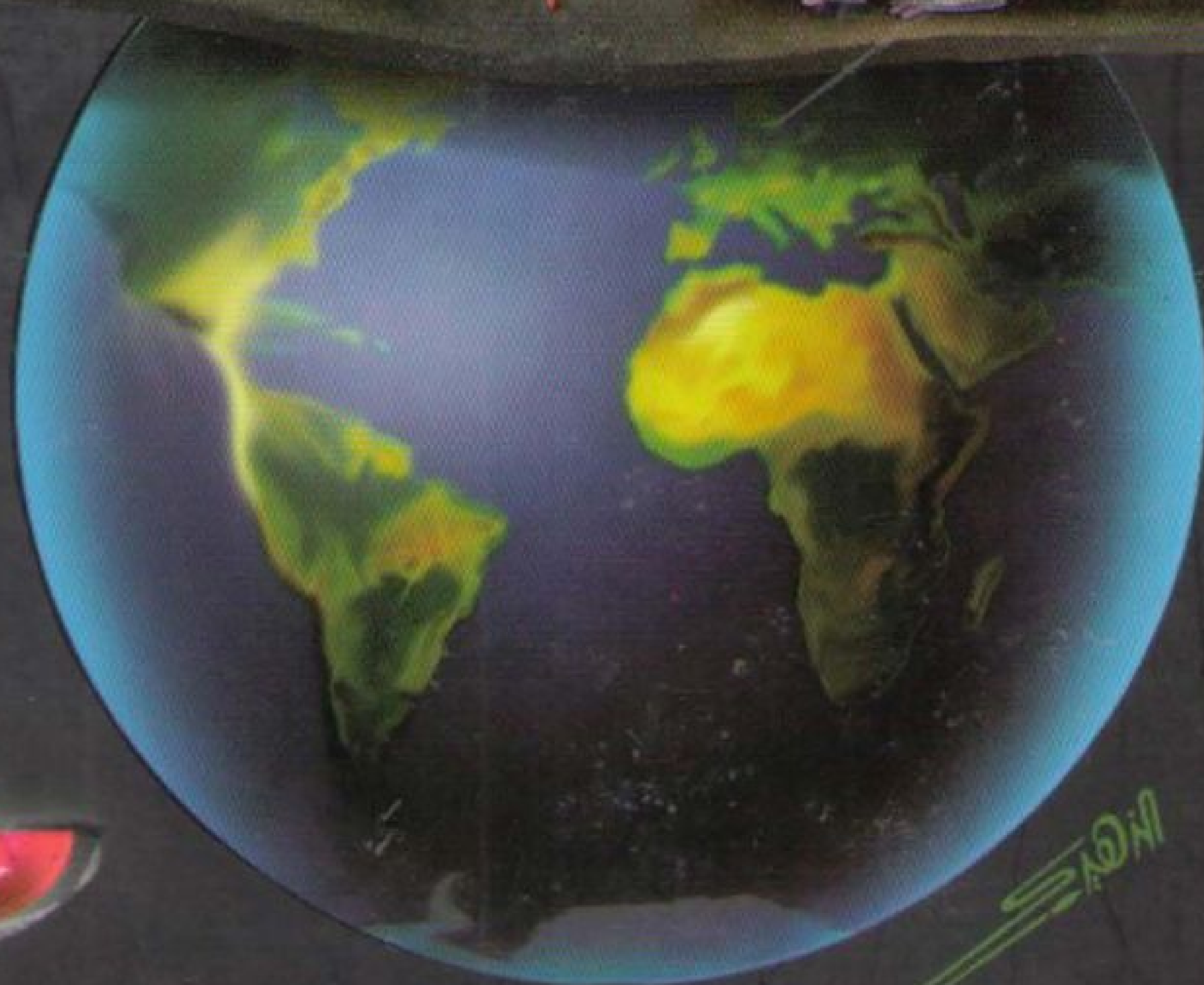
المفسدون فى الأرض

س . ناجى







المفسدون في الأرض

جرائم اليهود
السياسية والاجتماعية عبر التاريخ

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بطاقة فهرسـة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة
لدار الكتب المصرية - إدارة الشئون الفنية

ناجى، س.
المفسدون فى الأرض:
جرائم اليهود والسياسية والاجتماعية عبر التاريخ
س، ناجى، علق عليه محمد عبد السلام محمد.
ط ١ - القاهرة: دار البشير، ٢٠٠٨
٤٠٠ ص؛ ٢٤ سم
تدمك: ٣ - ١١٩ - ٢٦٢ - ٩٧٧
١ - الجرائم الدولية
٢ - الجرائم السياسية ٣٦٤,١٣٥
٣ - اليهود - تاريخ
أ - محمد، محمد عبد السلام (معلق)
ب- العنوان

رقم الإيداع: ١٠٧٣٦ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-262-119-3

دار البشير القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٤٥ طريق المعادى الزراعى ص.ب ١٦٩ ت: ٢٥٢٤٢٦٨٧ - ٢٥٢٥٢٣٩٠

المفسدون فى الأرض

جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ

س . ناجي

علق عليه
محمد عبد السلام محمد

دار البشير القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾

[إبراهيم: ٤١]

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾

[نوح: ٢٨]

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى مَنْ اهتدى بهديهم إلَى يوم الدين.

وبعد،،،،،

فإن الكتاب الذي بين أيدينا يتضمن تاريخ اليهودية والصهيونية العالمية وفكرة الوطن القومي على طوال التاريخ قديمًا وحديثًا في عقول اليهود، ويتضمن أيضًا جرائم اليهود في العالم شرقه وغربه، ليؤكد لنا إفساد اليهود في العالم أجمع بصفة عامة، ويعرفنا مخططاتهم وأهدافهم الماسونية لنكون على بينة من التيارات الفكرية الخاصة بهم والتي تجتاح العالم المعاصر، فمؤتمرات السلام الدولية التي ننساق وراء سرابها، ما هي إلا لعبة صهيونية تلعب في الوقت الضائع.

ويخبرنا أيضًا بمخططات اليهود تجاه الحضارات العالمية عامة وسعيها في تحطيمها وهدمها، فمثلاً المشكلة الفلسطينية صراع أجيال فهي تعمل على هدم هذه الأجيال قبل بنائها وذلك عن طريق إفسادهم الفكري والعلمي والعملي، وتنشيط الانحلال واللاأخلاقية فيهم، وذلك في العالم أجمع وليس في دنيا العرب فقط، وذلك حتى ينساق وراءهم العالم كالحيوانات التي تجري وراء الشهوات والملذات الجسدية الحيوانية.

وأخيرًا، سنطالع في هذا الكتاب ما يكشف لنا قذارة هذا الشعب اليهودي، وإفساده للقيم والأخلاق، فهم يقولون ما لا يفعلون، فنراهم يتكلمون في مؤتمراتهم واجتماعاتهم عن السلام والعمل به، لكن هيهات هيهات فأقوالهم غير أفعالهم وظاهرهم خلاف بواطنهم، فاللهم جنب أمتنا مؤامراتهم وألهمها الرشد والرشاد.

الناشر

مقدمة المعلق

الحمد لله عظيم السلطان عظيم الإحسان، الأول قبل كل مكان وزمان، القدوس فلا يوصف بعوارض الأجسام، ولا يعتريه تغير الحدثان، الواحد الأحد فمَن ادعى معه إلهًا آخر فقد ادعى ما ليس له عليه برهان، الحي العليم السميع البصير سواء عنده السر والإعلان، قسم عطاءه بين خلقه فكتب في قلوب السعداء الإيمان، ونوَّر قلوب العارفين شمس العرفان، وأحمده وهو أهل الحمد والامتنان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله تعرَّف إلى قلوب عباده برحمته ولطفه، وهو المهيمن الرحمن، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان.

أما بعد،،،،،

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة: ٨٢]

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤]

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المائدة: ٦٠- ٦٢]

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة: ٧٠]

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَاءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٧٨- ٨١]

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠]

إن ما سبق من الآيات لهو أكبر دليل على فساد اليهود، سواء في عقيدتهم وفي عبادتهم، وفي معاملتهم، وسيبين لنا تاريخهم ذلك على مر العصور، إن سير اليهود في الضلال مع غضب الله عليهم، يبين لنا أنهم يخالفون كتابهم، ويلقونه وراء ظهورهم، ويتغنون بتمجيد أنفسهم، وذلك حسب معتقداتهم الفاسدة، وأفعالهم القذرة، وسيتبين لنا ذلك الآن.

إن اليهود ليسوا شعبًا ينتمي إلى قومية واحدة ولا بلد واحد ولا حضارة واحدة، فهم مختلفو القلوب والأجناس والألوان والألسنة والبلدان، فمنهم العربي والفرنسي والأمريكي والبريطاني والهولندي والروماني واليوناني وغير ذلك من الأجناس، وهذا أكبر دليل على تشردهم وغضب الله عليهم.

إن الكتاب الذي بين أيدينا يخبرنا بتاريخ اليهود القديم والحديث، وتشردهم في جميع الأوطان، ويخبرنا ببعض الجرائم التي ارتكبها اليهود قديمًا وحديثًا، فيخبرنا بالجرائم اليهودية فيما بينهم وقتلهم الأنبياء، وجرائمهم في الإمبراطورية اليونانية والرومانية، وجرائمهم في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره، ومؤامراتهم ضد الرسول ﷺ، وجرائمهم في أوربا، في فرنسا وبريطانيا

وأمريكا والمجر وروسيا وألمانيا وأسبانيا ورومانيا وتركيا، ومؤامراتهم ضد الإسلام والمسيحية.

إن لليهود كتابهم المقدس وهو التوراة -الذين يلقونه وراء ظهورهم-، ومعه أيضًا كتاب آخر وهو التلمود، الذي يعد أساس عقيدتهم، فهو يحتوي على أساطير وخرافات وفجور وأفكار عنصرية، ومع ذلك يتخذه اليهود مصدرًا للفكر والعقيدة والإيمان، فهذا الكتاب يوضح لنا العقيدة الباطلة لليهود، فهم يعتقدون أن لكل شعب دينًا قوميًا خاصًا وربًا قوميًا خاصًا، وأن ربهم اسمه يهوه، وأن ربهم خاضع لهم ولآرائهم، وهو عندهم لا يتنزه عن الكذب.

فالتلمود هذا يقول: «اليهود أبناء الله، أما غيرهم فحيوانات نجسة». ولهذا فهم يحتقرون غيرهم من الشعوب ويعتبرون أنفسهم أفضل وأعظم الشعوب، وعلى رأيهم هم شعب الله المختار، لا بل هم شعب الإفساد والدمار، وقال القرآن الكريم يوضح فساد عقيدتهم وينصحهم للرشد: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾. [المائدة: ١٨]

وقال القرآن ينصح المؤمنين: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١]

ويقول التلمود أيضًا: «تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده، ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح؛ لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية».

ويقول أيضًا: «إذا لم يُخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض».

ويقول: «الإسرائيلي أفضل عند الله من الملائكة، فإذا ضرب أمي إسرائيليًا، فكأنه ضرب القوة الإلهية».

قال الرابي كروز اليهودي: «إن التلمود يصرح للإنسان -يقصد اليهودي-

أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكن أن يقاومها، ولكنه يلزم أن يفعل ذلك سرًّا لعدم الضرر بالديانة».

يتبين لنا مما سبق أن اليهود قوم غير طاهرين، وليسوا على عقيدة صحيحة؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم مساوين للعزة الإلهية، ولذلك يجب أن تكون الدنيا بما فيها ملكًا لهم، ولهم حق التسلط عليها، ولهم مطلق التصرف في كل شيء فيها، وأنهم مصرح لهم بأن يضروا غير اليهود، ولهذا قاموا بارتكاب المئات من الجرائم في العالم أجمع قديمًا وحديثًا غربًا وشرقًا شمالاً وجنوبًا.

ومن هذه الجرائم التي قام اليهود بارتكابها القتل والسب واللعن والاغتصاب، حتى لآبائهم وأمهاتهم إذا استدعى الأمر ذلك.

إن اليهود أهل المؤامرات والدسائس، فمن مخططاتهم القذرة التي يضعونها دائمًا، والتي غايتها الاستيلاء على العالم أجمع:

- السعي الدائم لهدم الحكومات في كل الأقطار، وإقامة حكومات يهودية استبدادية.

- إلقاء بذور الخلاف والشغب في كل الدول، وذلك عن طريق الجمعيات السرية والسياسية والدينية.

- وضع مخططاتهم هذه في سرية تامة.

- احتكار وسائل الطبع والنشر والصحافة والمدارس والجامعات وشركات السينما في العالم أجمع، لتنشر أفكارهم من خلالها، وسيتضح لنا ذلك من خلال الكتاب الذي بين أيدينا.

- وضع أسس الاقتصاد التي تناسبهم، وذلك من خلال احتكارهم للإنتاج والثروات التي بين أيديهم.

- الاستعانة ببعض الدول على بعض.

وهنا يخطر على بالنا سؤال: أين الدولة اليهودية هذه؟ وأين حدودها وما خطرها؟

والإجابة على هذا السؤال هي: إن الدولة اليهودية هذه قائمة بلا شك،

لكن أين؟ إنها من وجهة نظرنا المحدودة ليست في فلسطين بعينها ولا في غيرها، إنما هي قائمة في العالم أجمع، في آسيا وأوربا وأفريقيا، فليست لها حدود جغرافية تأويها ولا لغة محددة تقتنيها، وهذا هو مبتغاهم ومقصدهم، وإنما اتجاههم لتكوين دولة في فلسطين، فذلك لتتحكم في تجارة العالم أجمع بين المشرق والمغرب.

إن نفوذ الدولة اليهودية قائم في كل مكان وذلك عن طريق جمعياتهم الدينية والسياسية والماسونية السرية والعلنية ونسائهم، وإشرافهم على الصحافة ودور النشر ووكالات الأنباء والبنوك الدولية والشركات الصناعية والتجارية الكبرى.

إن من سمات اليهود أن خيرًا لهم أن لا يجتمعوا في مكان واحد عن بكرة أبيهم؛ لأن ذلك يثير الكُره والشر الكامن في نفوسهم بين بعضهم البعض، فإنهم لا تجمعهم إلا المصالح المادية التي تملأ خزائنهم بالذهب وتمكنهم من التسلط على خيرات العالم، فإنهم كالجراثيم يعيشون متطفلين على أجساد الناس.

إن من أخطاء الشعب العربي أنه يقول: إن اليهود يقصرون جهودهم وآمالهم في الاستيلاء على هذه البقعة المقدسة فلسطين.

بينما آمالهم الكبرى هي الاستيلاء على العالم أجمع، وذلك عن طريق السيطرة على حكومات الدول واقتصادياتهم وأعمال الصناعة والتجارة فيها، وهذا أحد مخططاتهم السرية التي يشغلون العالم بجهة ويعملون بجدية في جهة أخرى لا يعرفها العالم.

ونلمس ذلك في سيطرتهم على اقتصاديات الدول الكبرى مثل روسيا وأمريكا وفرنسا والدول الصغرى أيضًا؛ فمثلاً أمريكا فنفوذهم فيها لا يعدله نفوذ، فهم الذين مكنوا لبريطانيا حتى أخرجوا أمريكا من الحرب العالمية الأولى، وذلك مقابل عدة أمور خاصة بهم، مثل وعد بلفور الوزير اليهودي البريطاني، وهو وعدهم بإنشاء وطن قومي في فلسطين، وسيتضح لك هذا عزيزي القارئ من خلال مطالعتك الكتاب إن شاء الله ﷻ.

ومن جرائم اليهود أيضًا ومخططاتهم، عبثهم بالأديان، وذلك لمصلحتهم الخاصة، فهو يُسْلِم ويتنصَّر نفاقًا، وذلك ليفسد الإسلام والمسيحية، مثل إسلام عبد الله بن سبأ، ونشره للبدع والنزاعات بين المسلمين، وذلك للمصلحة اليهودية ويثير النقمة والخلافات بينهم ويقسمهم إلى أحزاب فيضعفون في مواجهة اليهود.

ومن ذلك أيضًا ما فعله اليهود في أسبانيا، وستعرف ذلك إن شاء الله من خلال هذا الكتاب إن شاء الله.

مما سبق ومما سيأتي، يتبين لنا أن اليهود أهل إفساد في كل الأرض وعلى مر العصور، بل هم أصل الإفساد.

وأخيرًا نرجو من الله أن يجمعنا -نحن العرب- على رأي واحد، ويوفقنا إلى النصر على اليهود ومَن والاهم، ويُثبتنا على الحق.

الراجي عفو ربه/

محمد عبد السلام محمد

القاهرة ٢٠ مارس ٢٠٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي كتابي هذا...

إلى الرفاق الأبرار الذين سقطوا في معارك الشرف

دفاعاً عن عروبة فلسطين

وإلى كل شهيد ضحّى بدمه في سبيل تحرير أرضنا

المقدسة من الطغاة الأنذال، وبذل روحه الطاهرة

راضياً مرضياً في إنقاذ وطننا المفدى من كل معتدٍ

أثيم، وذلك تقديراً لبطولاتهم الفذة وتخليداً

لذكراهم المجيدة...

س. ناجي

الغاية من التأليف

لقد أسهب الكُتّاب والمفكرون في تعليل أسباب نكبة عام ١٩٤٨ المفجعة، فذهب بعضهم إلى النقص في الإدراك السياسي، وزعم غيرهم أنها كانت نتيجة التقصير في التأهب الحربي، وراح آخرون يدّعون أنها كانت وليدة ظروف خاصة أحاطت بالشعب العربي، الذي كان في طور التكون والنضوج.

أمّا أنا الذي شاءت الأقدار أن يكون لي شرف الجهاد في خوض معاركها، وأشاهد عيانًا أكثر أحداثها المريرة وتطوراتها المفاجئة، وأن أكتوي بلظى نتائجها الأليمة، التي أسفرت عن فقدي أعز رفاقي في السلاح، وأصلبهم عودًا وأشدهم بأسًا، وأني وإن كنتُ لا أقلل من أهمية ما قيل في تعليل أسباب هذه النكسة المشئومة، إلا أنني أعتقد جازمًا أن أهم أسبابها يرجع إلى النقص الفاضح في توعيتنا القومية والوطنية، الذي كَان يسود ربوعنا العربية قبل الكارثة؛ إذ كنا متفرقين إلى شيع ومذاهب، دون أن ندرك أهداف هذه المذاهب التي كنا نتشيع لها، ودون أن يكون لها نصيب من صلابة العقيدة القومية والوطنية، وبدون أن نبحث عن خفاياها، وعمّن يكمن وراءها(١)

فكان منّا المنتسب للماسونية بحجة أنها جمعية ذات أهداف إنسانية نبيلة، ومنا مَن يظاهر الدول الغربية المهوّدة عن جهلٍ في كنه نواياها، اعتقادًا منا بأنها دول حرة لا تبغي للإنسانية سوى الخير والحرية، وكانت في صفوفنا فئة افتقدت مزية التفكير الصحيح، والتي كانت تنظر إلى اليهود نظرة الرثاء والشفقة، بزعم أنهم أفراد شعب مضطهد، وأصحاب شريعة سماوية، وأحفاد أصحاب الرسالات والمعجزات، وحتى أن بعض حملة الأقلام لم يحجموا أحيانًا عن الدفاع عنهم، وترديد ما روته المصادر اليهودية عن الكرامات والمعجزات المنسوبة إلى أسلافهم الأولين، بغية استدرار الشفقة والعطف على القضايا اليهودية، التي كانت تعترضها بعض العقبات أحيانًا في أكثر البلدان الأوربية.

---

(١) وهذا أحد أسباب هزيمة العرب وعدم قدرتهم على أخذ حقوقهم، حيث كل منهم ينتمي إلى مذهب معين، دون أن يعلم غرض وهدف هذا المذهب، وهذا أحد خطط اليهود في العالم أجمع، والعالم العربي بصفة خاصة (دار البشير).

فهذه النوازع المتباينة هي التي أسدلت ستار الغشاوة على الأعين الأمينة لقضايانا القومية والوطنية، وحالت دون قيام المخلصين بالتوعية القومية الصحيحة، التي كانت تفرضها الظروف السائدة ما قبل الكارثة، وبالتالي أدت إلى عدم إطلاع المواطن العربي على خفايا الأمور، ومعرفة الحقائق التاريخية المرعبة، التي كانت اليهود أبطالها عبر القرون في كل زمان ومكان، وهكذا ظل المواطن العربي نهبًا للدعايات الماسونية(١) المضللة، وللتصريحات الفكرية الخاطئة التي كانت تصدر عن المغرر بهم ممّن كانوا يثقون بالغرب ودوله المهودة، ومطية سهلة للأساطير والخرافات التي كانت تطلق من قِبَل ذوي العقول المريضة، الذين جعلوا من أنفسهم داعية لهذه الأساطير والخرافات التي أغرق اليهود في خضمها، ليس أقطار الشرق العربي فحسب، بل العالم أجمع، حتى انزلقت في متاهاتها أكثر الشعوب الأوربية، وانطلت ألاعيبها على الأكثرية الساحقة من بني الإنسان.

رغم أن أكثر شعوب العالم سبق لها أن ذاقت الأمرين على أيدي اليهود، قلَّ أن نجد في التاريخ شعبًا لم يكتوِ بنار الحقد اليهودي الأسود، ولكن عبقرية اليهود الشيطانية كانت دائمًا وأبدًا تعمل بمختلف الأساليب على محو آثار الطعنات التي تسددها، من ذاكرة ضحاياها، فتارة تشتري الضمائر الرخيصة لتبرير جرائمها، وأخرى تبتاع الأقلام القذرة لتنبري للدفاع عنها، وإسدال الستار على مخازيها، ومرة ثانية توعز إلى أنصارها من الماسون والمهودين للعمل على إخفاء عواقب آثامها، وأحيانا تعمد إلى تشويه الحقائق وتزوير التاريخ؛ لتطمس معالم ما ارتكبته من الجرائم ضد الآخرين، وبفضل هذه الأساليب الجهنمية، عاش اليهود عبر القرون بأمان، يعملون بسرية وهدوء ليصلوا إلى أهدافهم البعيدة، وفي مقدمتها السيطرة على العالم أجمع، ولقد جعلوا نقطة الانطلاق لهذا الهدف، احتلال فلسطين للمرة الثانية في التاريخ، بغية الاندفاع منها إلى مراحل أخرى خططت لها منذ أجيال عديدة.

---

(١) الماسونية: هي أحد الجمعيات أو المؤسسات اليهودية التي أقامها اليهود للانتقام من العالم. وأصل كلمة ماسون: عامل البناء الذي يعمل بالفأس والمطرقة والإزميل في عمليات البناء والتشييد. ويقال: إن بداية الماسونية قديم من العصور الوسطى، وقيل: إن أصلها منذ عهد سليمان. انظر المؤامرات الخفية للدكتور أحمد محمد عوف ص ٢١ (دار البشير).

وبينما كان اليهود يعملون ويخططون دون هوادة لتأسيس دولتهم، وتحقيق أحلامهم، كنا نحن العرب في غفلة منهم، وكأن الأمر لا يهمنا، وانهمكنا في معارك جانبية، تاركين لهم الحبل على غاربه، وحتى داهمتنا النكسة المفجعة، وأيقظتنا من رقادنا العميق، فلو أن الأجيال الغابرة ورجال الفكر والقلم لعهود ما قبل النكسة تنبهوا لِمَا كان يدور حولنا منذ عدة قرون، وسارعوا إلى البحث عن الأسرار الخفية لسلوك اليهود، وتنبهوا إلى تصريحات ومساعي زعمائهم منذ مستهل القرن التاسع عشر؛ لكانوا أدركوا مراميهم الخفية بكل يسر وسهولة، وعندئذ كان بإمكانهم أن يوقظوا شعبهم من سباته العميق، ويعدوا إلى توعيته بصورة جدية، وذلك عن طريق فضح أسرار اليهود السياسية والإجرامية، وكشف الستار عن خيانة مَن يعملون في خدمتهم من الماسون والمغرر بهم، وبالتالي تطهير صفوف الأمة من هؤلاء، وممن يدور في فلكهم من العملاء والانهزاميين، ومن ثم تقوية الوحدة القومية والوطنية في أرجاء الوطن العربي، للحيلولة دون النكسة التي أَلَمَّت بنا، أما وقد فاتهم الأوان، فوقعت الكارثة، وصدمنا بالأمر الواقع، ولم يعد لنا مناص إلا بمجابهة العدو بكل طاقتنا وامكانياتنا، وسد ما في صفوفنا من الثغرات، وفي مقدمتها ثغرة التوعية القومية والوطنية والخلقية، ونبذ الدعوات الباطلة المستمدة من المصادر اليهودية، والعمل صفًا واحدًا بكل تصميم وحزم؛ لنكشف للعالم أجمع ما ارتكبه اليهود من جرائم وآثام بحق الإنسانية، ولنوضح لأبناء قومنا حقيقة الرواسب الباطلة العالقة في أذهانهم عن اليهود واليهودية، ونشمر عن ساعد الجِد؛ لإرغام التاريخ على أن يعيد نفسه، ونرمي مرة أخرى بالأقزام الدخلاء المعتدين خارج أرض كنعان المقدسة، كما فعل بهم أسلافنا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا خلت؛ لنُطَهِّر الأرض المقدسة من رجسهم، ونزيل وصمة العار التي لصقت بنا، ونعيد للعالم ثقته بأمتنا المجيدة.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل الذي ينشده كل عربي مخلص، وإسهامًا في توعية النضال القومي والوطني والخلقي، أضع مجهودي المتواضع هذا بين يدي القارئ العربي الكريم، بغية إطلاع الرأي العام على جرائم اليهود، وكشف حقائقها، وفضح أسرارها، وإزالة كل غموض والتباس في خفاياها، وأرجو الله ﷻ أن أكون بهذا، قد وُفِّقْتُ إلى ما فيه خير أمتي ووطني الكبير، والله ولي التوفيق.

س . ناجي

العهد القديم

العهد القديم هو الكتاب المعروف بالتوراة(١)، ولقد تُرجم إلى أكثر اللغات الحية، وأشهر تراجمه هي الكاثوليكية والبروتستانتية، وهو مُقَسَّم إلى أسفار (أجزاء أو كتب) وتنسب أسفاره الخمسة الأولى إلى موسى، وهي: التكوين والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية. وفيه تسعة عشر سِفرًا غلب عليها الطابع التاريخي، وإن كانت لا تخلو من الأبحاث الدينية والتشريعية والأخلاقية، أما أسفاره الباقية، فتتسم بالطابع الديني والأخلاقي والتشريعي بصورة أبرز.

وتتكون الترجمة البروتستانتية من تسعة وثلاثين سفرًا، أما الترجمة الكاثوليكية، فيزيد عدد أسفارها عن الأولى بستة أسفار، هي: طوبيا، ويهوديت، والحكمة، ويسوع بن سيراخ، وباروك، وسفر المكابيين الأول، والثاني. وأول أسفار التوراة هو التكوين، ويبحث عن قصة الخليقة، ونوح، وعن السلالات البشرية بصورة مقتضبة جدًا، حتى يصل بها إلى إبرام (إبراهيم) بن تارح حفيد سام، فيفرد له ولذريته أربعة أخماس حجمه، حيث يروي فيها نشأته، ونزوحه إلى بلاد كنعان، وما وقع له من الأحداث، ومن ثم ينتقل إلى أحفاده، ويروي عن كل فرد منهم بشكل مفصل، وينتهي بسرد قصة يوسف بن يعقوب.

ويليه سفر الخروج، الذي يروي لنا قصة نشأة موسى، وظهوره على مسرح الأحداث، وما وقع له في مصر، وخروجه منها على رأس بني إسرائيل، وما رافق ذلك من أحداث، إلى أن يصل بنا لاحتلال فلسطين وارتحال موسى.

أما الأسفار الثلاثة الباقية، والمنسوبة إليه أيضًا، فتبحث عن أمور دينية واجتماعية ومواعظ ووصايا وتشريعات، وما تبقَّى من أسفار العهد القديم، فهو خليط عجيب من الروايات، والقصص التاريخية، والاجتماعية، والأخلاقية، والسياسية، تفتقر بمجملها للأمانة والجدية(٢).

---

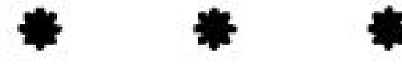
(١) العهد القديم: هو الاسم العلمي للأسفار المقدسة لليهود، والتوراة لا تمثل إلا الجزء الأول من الكتاب المقدس، وهي الجزء الذي أنزله الله على موسى ﷺ، والعهد القديم كتاب مقدس لدى اليهود والمسيحيين. انظر «بنو إسرائيل شعب الله الذي كان مختارًا» عبد العزيز عامر ص ٨٨. (دار البشير).

(٢) يقول مارتن لوثر عن تحريف اليهود للكتاب المقدس في كتابه «اليهود وأكاذيبهم»: «قصدني

العهد القديم عبر التاريخ

منذ ظهور التوراة وغاية علماء التاريخ هو البحث عن مصدره، وتقصي حقيقة ما ورد فيه، وكان الحافز بهم لذلك، ما يزخر به هذا الكتاب من قصص وروايات بلغت من الغرابة حد الأساطير، غير أن مساعي علماء العصور القديمة لم يكتب لها النجاح، لافتقار أصحابها آنذاك لوسائل البحث والتنقيب، فلم يكن لهم بُد من التسليم بالأمر الواقع، والذي زاد في الطين بلة فيما بعد: هو احتضان الكنيسة للتوراة ككتاب مقدس، يمنع المس به ومناقشة محتوياته، وموقف الكنيسة هذا، عصم التوراة عدة قرون من نقد علماء التاريخ، ورسخ أقدامه في العالم المسيحي(١).

وعندما كثرت المكتشفات العلمية الحديثة، وظهرت للوجود حقائق تاريخية كانت مجهولة في الماضي، كالمكتشفات المصرية والآشورية والكلدانية، لم يعد في إمكان جهابذة التاريخ السكوت عن المتناقضات العلمية، مما دفع فئة خيرة منهم لتضع النقاط على الحروف، وتنير ما كان مظلمًا منها، فانكشف الستار عن كثير من الأحداث التاريخية، التي كانت في نظر الناس منزهة عن كل شك أو شبهة، فانهارت تلك القصور المشيدة على الرمال، التي شيد اليهود أكثرها عبر الأزمان.



ثلاثة من أحبار اليهود علماء في الناموس الموسوي، يحدوهم الأمل أن يجدوا فيّ يهوديًا جديدًا يُضاف إلى قافلتهم، ولعل ما بعث فيهم هذا الأمل، أننا هنا في وتنبرغ كنا ندرس اللسان العبري، ومما ادعوه أن الأمور ستفضي إلى الخير بعد قليل؛ لأننا نحن المسيحيين نعتقد في كتبهم، ولما عارضتهم في هذا الباب -أي باب التحريف- انقلبوا إلى الروغان، وراحوا يوردون تأويلاتهم مسقطين دلالة النص، فحملتهم على التزام النص وعدم الخروج عنه، فإذا بهم يثورون على نصوص التوراة ويتحللون منها وقالوا: إنهم لا بد أن يتبعوا أقوال أحبارهم، كما نتبع نحن أساقفتنا وفقهاء الدين المسيحي» اهـ يقول الله تعالى بيانًا لهذا: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. اليهود وأكاذيبهم ٩٥. (دار البشير).

(١) إن التوراة وما فيها يختلف عليها اليهود فيما بينهم، ويختلف عليها أيضًا المسيحيون فيما بينهم، وهذا حيث أن التوراة كتبت خلال ٦٠٠ عام تقريبًا من ٣٠٠ - ٩٠٠ قبل الميلاد، وأن بعض الأسفار وجد فيها اختلافًا كثيرًا، وذلك من خلال الاكتشافات الحديثة. (دار البشير).

منشأ اليهود في نظر علماء التاريخ

تزعم المصادر اليهودية أن منشأ بني إسرائيل هو في بلاد الكلدان، باعتبار أن مسقط رأس جدهم إبرام هو «أور» إحدى المدن الكلدانية (أور كلدان) ويعتمد اليهود في زعمهم هذا على ما جاء في سفر التكوين، ولكن هذا الادعاء يفتقر إلى أدلة تاريخية وبراهين علمية، وعلماء التاريخ ينفونه بصورة تكاد تكون جازمة، وآراؤهم في هذا الموضوع تختلف كليًا عما ذهبت إليه المصادر اليهودية؛ إذ لكل عالم منهم رأيه الخاص في هذا المنشأ.

وبغية اطلاع القارئ على هذا البحث، ندون فيما يلي آراء واجتهادات بعض علماء التاريخ، الذين تطرقوا لهذا الموضوع، ومن بين هؤلاء العلماء يحدثنا العالم الأمريكي جورج بارتون[١] عن اليهود، فيقول: إنهم من القبائل السامية الرُّحَّل، التي كانت تتجول في صحاري شبه الجزيرة العربية منذ أقدم العصور، ولقد عرفت باحتراف تربية المواشي والتنقل الدائم، ولم يُعرف لها قط بلد أو وطن، حتى ظهرت في فلسطين قبل مولد المسيح بعدة قرون...[٢]. ولقد أيده في هذا الرأي كل من المؤرخين روجر[٣] وبورني[٤].

أما العالم الفرنسي موره[٥] فيقول: إن منشأ السامية هو في البلاد الواقعة شمالي شرقي أرمينيا، وليس في شبه الجزيرة العربية. ولكنه يجاري جورج بارتون فيما يتعلق باليهود أو الهابيرو (Habiru) ويقر معه بكونهم من القبائل الرُّحَّل التي عاشت دومًا في صحاري شبه الجزيرة العربية.

وهناك بعض العلماء كالسيد كلاي[٦]، يصرون على أن منشأ السامية هو في سوريا بالذات، ولهذه الفئة عدد كبير من الأنصار والمؤيدين كالسادة درومند وبلات.

ولقد تطرق أبو التاريخ هيرودوت لبحث الهابيرو، ولكن دون أن يذكر شيئًا عن منحدرهم الأصلي، وبين علماء التاريخ القدماء ندر من تناول البحث عنهم قبل احتلال فلسطين، اللهم إلا مانيتون (Manethon) كاهن هليوبوليس، الذي ذكر أن

(1) G.A. Barton (Asketch of Simitic Origines) New – York 1902.

(٢) وجاء في كتاب الأغاني أن اليهود سكنوا المدينة، وذلك عندما قتلوا العماليق. (دار البشير).

(3) R.N. Rogers (A. History of Babilonia and Assiria) Oxford 1915.

(4) Burney (The Book of Judges II Edtion) London 1920.

(5) A Moret (Des Clans aux Empires)paris 1922.

(6)A Caly (The Empire of the Amonites) Yale 1919.

بعض القبائل الرُّحَّل سبق أن غزت تخوم فلسطين في عهد الفراعنة، وكانت تدعى بقبائل الهابيرو (Habiru) ويفترض أنها ربما كانت أسلاف القبائل التي اجتاحت فيما بعد بلاد فلسطين.

ومن العلماء الذين توسعوا في هذا البحث، نذكر العالم الفرنسي المعاصر أدولف لودس(١)، الذي اعتمدنا على مؤلفاته في أكثر أبحاثنا المتعلقة بالتاريخ اليهودي القديم، لما فيها من معلومات قيمة دقيقة، جمعها من مصادر مختلفة، ولقد اشتهر لودس بتجرده في جميع أبحاثه؛ ولذا ندون فيما يلي بعض ما قاله في هذا الموضوع؛ رغبة في توضيح قضية منشأ اليهود أن لودس عند بحثه عن اليهود لا يعترض على أنهم كانوا قبائل رحل تجوب الصحاري العربية، ولكنه يشك كثيرًا في نسبتهم إلى السامية، ويحبذ انتمائهم للآرامية، ويدعم نظريته هذه بدلالة ما بين اليهود والآراميين من تقاليد مشتركة، كتطبيق كل من الشعبين نظام الضريبة العشرية التي تقدم للآلهة، أو على ما في التراتيل اليهودية القديمة من الإشارة إلى قرابة اليهود من الآراميين، ويستشهد لذلك بالترتيل اليهودي الشهير القائل (كان أبو آراميا تائهًا) ويضيف إلى ما سبق دليلاً آخر هو التقارب الوثيق الكائن ما بين اللغتين. ويستخلص من كل هذا فكرة نفي السامية عن اليهود.

وفي مكان آخر من كتابه(٢) يقول: إن اللغة الأصلية التي كان يستعملها اليهود قبل غزوهم فلسطين، كانت إحدى اللغات أو اللهجات الآرامية أو الكلدانية حتمًا، أما اللغة العبرانية فكانت لغة أهل فلسطين، تعلمها اليهود منهم وتبنوها مع هجائها، واتخذوها لسانًا لهم بعد أن تمركزوا في فلسطين. ويدلل على صحة قوله بما جاء في المخطوطات الأثرية التي اُكتشفت في فلسطين مؤخرًا؛ لهذا يطلق عليهم لودس اسم العبروآراميان (Habiru – Arameen) خلافًا لكل التسميات السابقة(٣).

---

(1) A. lods (Evolution de l·humanite) Israel des origines au milieu du viii Siecle page 187 et 188.
(2) A lods (E.H.I) Page 184 – 185.

(٣) إن اللغة العبرية ليست لغة اليهود، وإنما هي لغة الفلسطينين، وهي اللغة التي دُونت بها معظم أسفار الكتاب المقدس، وهي فرع من فروع اللغات السامية، مثل الفينيقية والآشورية والبابلية والعربية. ومن الأخطاء الشائعة أن العبرية واليهودية كلمتان لمعنى واحد، بل العبرية كانت تطلق على القبائل الرُّحَّل في الصحراء. (دار البشير).

وفي غمار البحث عن أصل اليهود تناول بعضهم البحث عن مدينة «أور» التي قيل: إنها كانت مسقط رأس إبرام، وقد تعددت الآراء في تحديد موقعها الجغرافي، فقال بعضهم: إنها كانت في منتصف البلاد السورية. وقال آخرون: إنها كانت في أقصى الجزيرة. وقال إفرام السرياني(١): إنها أورفا التي كانت على حد زعمه تسمى بأورهي، ومن ثم حُرِّفَتْ وأصبحت رها، وأخيرًا أورفا. أما أودلف لودس(٢) فيقول: إنها على الغالب أم قير المسماة حاليًا بالمغائر، والواقعة في منتصف الطريق ما بين بابل ومصب نهر الفرات(٣).

وقصة هجرة إبرام أيضًا موضع خلاف ليس بين المؤرخين المعاصرين فحسب، بل بين مختلف تراجم التوراة، وأنصارها من الكهنة ورجال الدين، وعلى سبيل الإيضاح نذكر أن الترجمة السبعينية تقول: إن الهجرة حصلت عام ١٠١٧ بعد الطوفان، بينما تروي الترجمة العبرانية حدوثها عام ٣٦٧ بعد الطوفان.

ويقول الأب مور(٤): إنها كانت عام ٢١٤٥ قبل الميلاد، أي عندما احتل العيلاميون بلاد الكلدان.

وبالمر يقول: إن أبرام هاجر من أور عام ٢٠٥٥ قبل الميلاد.

أما المؤرخ اليهودي «يوسف» فلم يكتفِ بما ورد في الأسفار عن هذه الهجرة، ولا بما قاله عنها أنصار التوراة، بل أضاف إليه شيئًا جديدًا، زاعمًا أن إبرام لم يذهب مباشرة إلى شكيم (نابلس) بل عرج في طريقه إلى دمشق، واحتلها وحكمها حقبة من الزمن.

ويدلل على صدق فريته بما ورد في كتاب نقولا الدمشقي -أحد معاصري القرن الأخير لما قبل مولد السيد المسيح-، نقلاً عن أحد معاصري القرن الرومان، الذي أورد اسمًا مشابهًا لاسم إبرام، وهو إبراموس، بين ملوك دمشق عند بحثه عنهم، فاتخذ «يوسيفوس» هذا الاسم حجة ليثبت احتلال جده الأكبر دمشق. وكتاب التوراة نفسه، وكل المصادر اليهودية القديمة، خالية من الإشارة إلى قصة مماثلة، فلا نرى

(1) Joeseph Debes (Histoire de Syrie) page 7.
(2) A Lods (Evolution de lhumanite) Page 189.

(٣) وهذا من أصح الأقوال. (دار البشير).
(٤) المطران دبس: تاريخ سورية ١/ ٤. (دار البشير).

حاجة لدحض هذه الفرية؛ لأنها صادرة عن مسيلمة اليهود يوسيفوس.

الأسفار السداسية وعلماء التاريخ (Hexateuque)

يبدو أن علماء التاريخ ونقاده لم يأخذوا بوجهة النظر اليهودية، القائلة بنزول الأسفار على موسى، أو كتابته إياها؛ إذ نرى أكثر العلماء المعاصرين متفقين على القول بأنها كتبت بعد قرون عديدة من عهد موسى، ولإيضاح مذهبهم هذا نورد فيما يلي رأي السيد لودس في منشأ الأسفار السداسية، الذي كوّنه على ضوء آراء الكثير من العلماء، وتحرياته الخاصة[(١)] يقول لودس: اعتاد بعض علماء الآثار النظر باحتقار لكل مصدر يبحث عن أحداث سبقت عصر مؤلفه، ولو كان البحث بقصد التقريظ أو الجدل؛ وذلك لاعتقادهم بأن ما يكتب عن الحدث بعد مرور الزمن على حدوثه تحوم الشكوك حول صدق ما كتب عنه، وفي أكثر الأحيان تكون الكتابة محرفة لا تستحق البحث، ولا يجوز الاعتماد عليها.

وعملاً بنظريتهم هذه جنح أكثر العلماء إلى عدم الأخذ بما ورد في التوراة عن الأحداث التاريخية التي يرويها، وأنا وإن كنت لا أتعصب كليًا لهذه النظرية، إلا أنني لا أقر بتاتًا ما أولي هذا الكتاب من الثقة العمياء طويلاً. فعليه أرى عند التحقيق في أجزاء التوراة أخذ كل قسم منه على حدة والتدقيق فيه، مع مراعاة ظروف تأليفه وزمن صدوره؛ لأن بعض هذه الأجزاء تبحث عن أمور قريبة الشبه ببعض أحداث التاريخ، وأخرى مطابقة تمامًا لأحداث معينة[(٢)].

(1) A Lods (Evolution de L'humanite) Page 10-11-12-13.

(٢) التوراة والإنجيل كتب نزلت على نبي الله موسى ونبي الله عيسى بصورة تختلف عن نزول القرآن منجمًا مفرقًا على مدى ثلاث وعشرين سنة، وكان النبي ﷺ يحفظ القرآن من جبريل بمجرد سماعه كما قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝﴾ [القيامة] وبعد ذلك يقرأه على صحابته فيكتبه الأمناء ويحفظه الحفاظ ويعملون به، وهكذا صار القرآن محفوظًا في الصدور والسطور وصار كتابًا شعبيًا يحفظه القارئ ويقتنيه كل مسلم ويستنبط منه العلماء الأحكام إلى الآن، أما التوراة والإنجيل فقد نزلا جملة واحدة فالتوراة نزلت على موسى عليه السلام ولم تكن كتابًا متداولاً ولا ينسخه النساخ ويحفظه القراء بل كان كتابًا نبويًا يحفظه نبي الزمان بوحي الله وكانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي قام نبي، وكان نبي الزمان يأخذ من التوراة ما يلائم عصره فإن كان في عصر القتال أخذ بأحكام أسفار القتال وإن كان النصر أو الهزيمة ذكر

ومن هنا يتضح لنا استحالة نبذه كليًا، وضرورة إخضاع أقسامه للتدقيق التقليدي المعمول به عند التحري عن كنه المصادر القديمة، أي أخذ مضمون النص المراد تدقيقه، ومقارنته مع مضمون كل نص مماثل، وليس في الترجمة العبرانية فحسب، بل في التراجم الأخرى، وعلى الأخص التراجم اليونانية، واللاتينية، والسريانية، التي نقلت عن المخطوطات اليدوية القديمة، التي تختلف نسبيًا عن الترجمة العبرانية التي كتبها الماسورت (ماسورت: ناقل نصوص التوراة) وفي نتيجة هذه المقارنة تظهر للناقد نقاط الاختلاف بين التراجم، ويتضح له أمر هذا الكتاب ووضعه الراهن، مما يشير بجلاء إلى أن جميع فقراته التاريخية مكونة من قصص قديمة، اختارها محررو الأسفار، ودونت تقريبًا بصيغتها الحرفية، متبعين الطريقة المبسطة المجردة من كل زخرف أدبي وتحقيق تاريخي، وهذه الطريقة اعتمادها مؤرخو الآشور والعرب وبعضَ كتاب

أحكامهما، أما في عصر السبي فكان نبي الزمان يأخذ ما يلائم وهذا بعض معاني قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥] أي ما يلائم ظروفهم ففي التوراة أحكام تناسب مدة اصطفاء بني إسرائيل، يؤكد هذا أن عيسى عليه السلام علمه الله التوراة والإنجيل، والمعروف أن عيسى لم يذهب إلى محفظ حفظه التوراة ولا استعار او اشترى نسخة من التوراة وإنما أوحى الله له بها وبالإنجيل.

واعلم أن نبي الزمان كان يحكم بالتوراة، وكان الأحبار والربانيون هم الواسطة بين نبي الزمان وأقوامهم، فكان نبي الزمان يذكر الأمور المطلوبة لهؤلاء الأحبار والربانيين ويستأمنهم عليها ليبلغوها إلى إقوامهم قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤] فالنبي هنا يصدر الأحكام إلى بني إسرائيل ولكن من الذي يبلغها؟ حيث إن النبي لم يكن يستطيع أن يوصل الأوامر إلى العائلات والجماعات المختلفة من بني إسرائيل، وهنا يأتي دور الأحبار والربانيين قال تعالى في نفس الأية السابقة ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ فهم قد استحفظوا من كتاب الله؛ أي استحفظهم النبي واستأمنهم ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أي يشهدون بجملتهم أن ما بلغوه هو عن نبي الزمان.

وقد كان هؤلاء الأحبار يسجلون الأحكام والأوامر عن نبي الزمان فصار الواصل إلى بني إسرائيل مجرد شروح وتسجيل لما فهمه هؤلاء الأحبار والربانيون، واجتمع من هذا تراث كثير ولهذا ترى اختلافات واستطرادات يظنها الكثير أنها من صلب التوراة والصواب أنها شروح، وقد ترتب على ذلك أن استمر هؤلاء الأحبار يكتبون حتى ألفوا لتلمون (المشنا والجمارا) واعتبروه أهم من التوراة حيث لم يقرءوها وإنما حكموا بها أيام الأنبياء ثم انقطع الأمر. هذا والله أعلم. (دار البشير).

القرون الوسطى. ويبدو أن همَّ كل منهم كان محصورًا في حشر أكبر عدد ممكن من هذه القصص في مجموعة واحدة. ومن ثم نقلها كتبة التوراة (Les scribes) بدورهم بأمانة مشبعة بالتعصب الديني، دون الاهتمام لما في هذه المجموعات من تناقض بين بعضها أو لما في مفرداتها من ازدواجية النصوص، أو التكرار والإعادة للحدث الواحد، وازدواجية نص قصة الخليقة، الوارد في مطلع الفصل الأول من سفر التكوين (ف- ١- فقرة ١- ٢- ٤ أ) والمكرر في فصله الثاني (ف٢ - فقرة ٤ ب) الذي اكتشفه الناقد فيترينكا (Vetringa) عام ١٦٨٣، ومن بعده الناقد فيتر (Vitter) عام ١٧١١، والذي أثبته أخيرًا الناقد أستروك (Astruc) عام ١٧٥٣، يؤيد ما ذهبنا إليه في وصفنا للطريقة التي اتبعت في تكوين التوراة، وهذه الازدواجية في النص ليست الوحيدة في أقسام التوراة؛ إذ يلاحظ أن حادثة اقتياد زوجة أحد الأباء إلى حريم أمير أجنبي تتكرر ثلاث مرات في سفر التكوين (فصل ١٢- ٢٠- ٢٦) مع اختلاف شكلي بسيط في سردها. وحادثة عفو داود عن اغتيال شاوول أيضًا تتكرر مرتين دون تغير ملحوظ في تفاصيلها، أو في الكلمات التي تبادلها الغريمان (سفر صموئيل فصل ١- فقرة ٢٤- ٢٦) كما أننا نلاحظ كثيرًا من التناقض في وصف عمليات الاحتلال، وحوادث الفتح في مختلف الأسفار.

وإذا أضفنا إلى ما سبق ما تميز به الأسفار من تعدد أساليب الكتابة، وطرق الإنشاء، حتى في السفر الواحد، وتكرر المفردات في مختلف الأسفار، آثار التنقيح والتصحيح الظاهرة في أكثرها؛ لظهر لنا جليًا مشاركة الأيدي العديدة في كتابة مجموعات التوراة، والأخذ بما أجمع عليه جميع النقاد منذ عهد أستروك، وهو أن هذه الأسفار كتبت من قبل أربع فئات معينة، لكل منها مدرستها وعصرها، ولقد أطلق النقاد على كل منها تسمية خاصة تميزها عن سواها.

فالفئة الأولى منها سميت باليهوائية (Yahvistes) لاصطلاحها على تسمية الخالق بـ (يهوى)، وزعمها أنه كان يدعى كذلك منذ القدم، ويوافق ظهورها للقرن التاسع قبل الميلاد، وينسب إليها كتابة سير الآباء، ويرمز لها بحرف (J).

والثانية هي المسماة بالألوهمية (Elohistes) لزعمها أن الخالق كان يدعى قبل عهد موسى بألوهيم. وظهرت للوجود بعد زمن قصير من ظهور اليهويست،

واختصت أيضًا بسير الآباء، ويرمز إليها بحرف (E).

والفئة الثالثة هي التثنوية (Deuteronomistes) نسبة لسفر التثنية الذي اختصت بكتابته، ولها آثار ظاهرة في عمليات التصليح والتنقيح في الأسفار الأخرى. وساهم أفرادها في الإصلاحات التي أدخلت على الديانة اليهودية في عهد يوشيا، وظهرت للوجود نحو عام ٦٢٢ قبل الميلاد ويرمز إليها بحرف (D).

والفئة الرابعة هي التي ظهرت في عهد المنفى واختصت في كتابة الشرائع والقوانين، وسميت بمدرسة الكهنوت (Ecole Sacerdotale) ويرمز إليها* بحرف (p) وهي التي أوجدت ما يسمى بقوانين الكهنوت (Code Sacerdotal) تحت إشراف النبي حزقيال.

وهذه الفئات الأربع هي التي كتبت جميع الأسفار الباحثة عن العهود السابقة لعهد المنفى، فسفر القضاة يحمل طابع فئتي (E – J) مثل الأسفار الأخرى تمامًا، كما يحتوي سفر صمويل على قصص تحمل طابع كتاب (E – J) أيضًا رغم كونه منسوبًا لمَن يحمل اسمه، والجدير بالذكر عن هذا السفر هو ذكره لاستعمال الكتابة والوثائق الخطية لأول مرة في التوراة.

يضاف إلى ما سبق ما يلاحظ تقريبًا في تكوين أكثر الأسفار مَن تعدد أساليب الإنشاء، وتجانس مفردات بعضها مع البعض الآخر، وما فيها من أخطاء تكشف عن زيف مزاعم نسبتها لأشخاص أو عهود معينة، مثل خلو سفر التكوين الذي نسب إلى موسى، حتى من عبارة واحدة تشير إلى علاقته به أو تدوينه إياه، كما تزخر الأسفار الأربعة الأخرى بعبارات توحي بأنها لم تكتب من قبل موسى، خلافًا لما زعمته المصادر اليهودية، أما مظاهر الزيادات والنواقص الغزيرة في نصوص الأسفار المكررة لبعض التشاريع، فهي تدل صراحة على تعددِ الأيدي التي عملت فيها، وما يصح القول في هذه الأسفار الخمسة، يصح أيضًا في كافة الأسفار الأخرى.

ومن هنا يتضح بجلاء أن أكثرها كُتِبَتْ في عهود متأخرة عما تبحث عنه، ومن قبل الفئات التي سبق ذكرها، وتجنبًا لوقوع الباحث في الالتباس عن مصدر الأسفار، ننصح له بضرورة الإمعان في تحديد المسافة الزمنية الفاصلة بين عهد الحدث المروى وعصر المؤلف وميوله الشخصية؛ إذ ثبت لجميع النقاد ما لهذه النواحي من أهمية عند

تقصي الحقائق التاريخية من خلال قصص الأسفار.

أما فيما يتعلق بأهمية الأسفار في التطور الديني والاجتماعي والسياسي لهذا الشعب، فلا مجال لإنكارها، وعلى الأخص أهمية ما كتب منها في العهود اللاحقة لجلاء اليهود عن فلسطين.

رأي العلماء في أهمية الأسفار التاريخية

يقول لودس: يخال على المرء وهو يتصفح سفر التكوين، أنه يملك عن اليهود من المصادر التاريخية أكثر مما يملكه عن أي شعب آخر، ومرد هذا الوهم إلى ما يجد القارئ فيه من القصص العديدة التي تبحث عمَّن أسماهم اليهودُ بآبائهم الأولين، ولكن بعد التدقيق في محتوياته، والتحقيق عن مصدره وعهد ظهوره، يتضح لنا أنه من المجموعة السداسية التي كتبت من قبل الفئة اليهوائية (Yahvistes) والتي ظهرت للوجود نحو فترة ٨٥٠ - ٧٦٠ قبل الميلاد، بينما نراه يبحث عن أحداث يزعم وقوعها قبل ألفي عام من مولد المسيح، أي ألف ومائتي عام قبل ظهور كتابه للوجود. وهذا إذا اعتبرنا أن مَن كتبه كان من أقدم كُتَّاب فئة (j) وهذه المسافة الزمنية التي تفصل الكاتب عن زمن الأحداث التي يرويها دون أي برهان أو مصدر سابق، تعادل الزمن الذي يفصل عهد فرانسوا الأول عن عهد المسيح، أو الزمن الذي يفصلنا عن زمن الميروفنجيان (Merovingiens).

فلو فرضنا أن أحد كتاب عهد فرانسوا أقدم على الكتابة عن عهد المسيح دون الاعتماد على مصادر خطية سابقة، فهل كان يصدقه أحد من معاصري فرانسوا الأول؟ أو لو أقدم أحد معاصرينا اليوم للبحث عن الميروفنجيان دون أن يمتلك مصادر قديمة يعتمدها في بحثه، فهل يفكر أحدنا مجرد التفكير في تصديق ما يكتبه، فإذا جاز لنا أخذ ما كتبه معاصر فرانسوا أو معاصرنا محمل الصدق؛ لجاز عندئذ فقط أخذ ما ورد في سفر التكوين من قصص مأخذ الصدق.

المعروف عن القصص الشفهية أنها تفقد أصالتها بمجرد مرور جيل واحد على قصها لأول مرة، وذلك لما يطرأ عليها من تعديلات كلما انتقلت من راوٍ إلى آخر؛ إذ المعروف عن القصاصين أن يزيفوا ويحرفوا كل ما يسمعونه، إما سهوًا أو عمدًا، وكلما طال الزمن على انتشار القصة، زاد انحرافها عن أصلها، حتى تصبح في غضون

بضعة أجيال قصة أخرى، وكأنها لا علاقة لها بتلك القصة القديمة. فإذا كانت هذه هي حالة القصة التي تمر عليها بضعة أجيال، فما بالنا بحالة القصص التي مرت عليها مئات الأجيال قبل أن تصل إلى كُتَّاب الأسفار؟

والجواب على ذلك هو أن هذه القصص كانت قد خرجت منذ أمد بعيد عن محاورها الأصلية، ولم تعد على ما كانت عليه في مستهل قصها، فكيف يمكننا في هذه الحالة أن ننظر إليها نظرة الجد طالما عرفنا منشأها وعهد كتابتها، وعلى الأخص ونحن نرى اليوم التناقض البين بين ما كتبه حكماء الميشنا (Dr. de la Michna) عن الحروب اليهودية التي وقعت في منتصف القرن الثاني الميلادي، وبين ما كتبه عنها المؤرخون من غير اليهود.

وهذا التناقض وحده يكفينا لتحديد مدى الثقة التي يمكننا أن نوليها قصص سفر التكوين ومؤلفيها، والتي تنعدم تمامًا عندما تفاجأ في آخر سفر التكوين بسكوت كتاب الأسفار المطبق عن أحداث شعبهم في المدة الفاصلة بين نهاية قصة يوسف وبداية قصة الخروج، والبالغة أربع مائة وثلاثين عامًا، وهذا السكوت إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على جهل مؤلفي الأسفار لكل ما يتعلق بتاريخ قومهم، ليس في هذه الحقبة من الزمن فحسب، بل لكل العصور السابقة لعهد تمركزهم في فلسطين، كما أنه يؤيد ما ذهب إليه النقاد في وصف تصرفهم لبناء الأسفار، وهي أنهم التقطوا من أفواه الرواة ما تيسر لهم من القصص، واحتكروها باسم شعبهم دون التقيد بأي اعتبار تاريخي أو أدبي، فلو لم تكن هذه هي الحقيقة؛ لكان الأحرى بهم أن يبحثوا عمَّا جرى لشعبهم في تلك الحقبة القريبة من عصرهم، بدلاً من البحث عن معجزات خيالية زعموا وقوعها لآبائهم قبل عشرات القرون.

وهكذا نرى أن هذه الثغرة الزمنية الواسعة في تسلسلهم القصصي، تدينهم صراحة بالاستنباط، وتفقد أسفارهم كل قيمة علمية وتاريخية[١].

ولكن بعض أنصار الأسفار كاليد شامبولت[٢] (Champault) من تلامذة مدرسة

---

(١) إن من هذا يتبين لنا أن ما بين أيدينا ليس هي التوراة الصحيحة التي كتبها موسى بيده، ولذلك فإن التوراة الموجودة الآن لا تتعدى إلا أن تكون اجتهادًا يخلو من القدرة الإلهية. (دار البشير).

(2) La Science Sociale Les 5 Premiers Numeros. Paris 1945.

بلاي (Ecole de la blay) يرفضون المنطق السليم ويحاولون من وقت لآخر إثبات أصالة قصص العهد القديم عن طريق الاعتماد على بعض ما جاء فيها من الروايات الوصفية، مثل وصف حياة الآباء الأولين الوارد في الأسفار، ذلك الوصف الذي يندهش السيد شامبولت من دقة مطابقته لأوصاف الحياة البدوية اليوم، ويعتبره كافيًا لإثبات أمانة مؤلفي الأسفار، وصدق ما ورد في قصصهم، ويبدو أن السيد شامبولت فاته أن نظريته هذه تحمل في طياتها تفسيرًا يخالف ما أراد إثباته، ويؤيد نظرية النقاد القائلة بأن هذه القصص لم تكتب ولم تأخذ شكلها النهائي إلا بعد أن تمركز اليهود في فلسطين، لما فيها من دقة الوصف للنواحي الاجتماعية والجغرافية المطابق للحقيقة الراهنة، والتي تثبت أنهم كانوا يكتبون ما يشاهدونه وما يسمعونه، ويضفون على ذلك أوصاف الحياة التي كانوا يعيشونها، وعلى الأخص حياة البداوة الممثلة لحياة الرجل البدائي، التي تخيلوا أن آباءهم لا بد أن عاشوها، هذه الحياة التي لم تتبدل منذ الخليقة إلى يومنا هذا، والتي كان بإمكانهم أن يروها كل يوم كما نراها نحن اليوم، ومن ثم يصفوها على حقيقتها دون أن يحتاجوا لأكثر من أن ينسحبوا مع ما يكتبونه؛ ولهذا نرى أن أمانتهم في وصف حياة البدو الأبدية والوصف الجغرافي للبلاد، لا تبرهن قطعًا عن صدق قصصهم الأسطورية، بل العكس هو الصحيح؛ إذ أنها تدينهم بالاستنباط كما سبق وقلنا، وتؤكد نظرية كونهم كتبوا أسفارهم بعد أن تم تمركزهم نهائيًا في فلسطين.

ويعود لودس للبحث عن هذه القصص، ويؤكد أنها كانت في الأصل قصصًا صغيرة مستقلة، لكل منها لونها ومآلها ومغزاها التثقيفي أو التحذيري الخاص بها، ثم جمعت كلها وضمت لبعضها في سلسلة من النسب الاصطناعي، ومن ثم أخرجت وكأنها قصة واحدة، وللتحري عن أصلها وتحديد مغزاها ننصح بأن يجرد كل منها مما اصطنع لها من أنساب وروابط، وأن نتخلص مما كون عنها من الأفكار القديمة، ومن ثم المبادرة للتنقيب عما قصد منها رواتها الأولون، وما رمى إليه ناقلوها فيما بعد، عندها سيتبين للباحث أن أكثر هذه القصص كان الغرض منها تثقيف وتوجيه الشعب أو السامع، فلما حطت رحالها في أسماع كتاب الأسفار، سارع هؤلاء إلى تثبيتها ضمن نطاق معين واتجاه قومي محدود.

وعلى سبيل المثال لنأخذ مثلاً قصة يعقوب وعيسو التي ربما كانت في الأصل قد رويت لتحذير القوي المعتمد على قواه البدنية، والمستخف بالعقل والذكاء من الأريب الضعيف المخادع، فأخذها كتاب الأسفار وجعلوا من يعقوب الأريب المتمسك بتقاليد قومه، ومن عيسو القوي الخارج عليها، فأظهروه وقد أضحى فريسة لخداع أخيه الأريب رغم قوته، وأهالوا على يعقوب أنبل الصفات، وقالوا عنه: إنه تحمل المشاق والعذاب الطويل ومخاطر الطريق ليتفادى الوقوع في الخطيئة التي وقع فيها شقيقه عيسو، وهي الاقتران بامرأة أجنبية هذه الخطيئة التي أغضبت يهوى، وأدت إلى انتصاره ليعقوب، كما كانت الحافزة لأمه على التخلي عنه ومساعدة أخيه عليه، مع العلم أن قضية زواج عيسو من أجنبية لم يشر إليها إلا بعد أن أتم يعقوب كل خدعه، وذلك بغية تغطية تحيز أمه وتبرير مسلك يعقوب، وتسلط نسله على الأدوميين نسل عيسو ذلك التسلط الذي حدث بعد قرون عديدة من أحداث القصة المزعومة، وكل ذلك بقصد الإيحاء إلى اليهود بفداحة جرم التزوج من أجنبية، هذا الجرم الذي يغضب الرب والوالدين، ويجعل مَن يقدم عليه فريسة لأضعف الناس، ويذل نسله حتى بعد أجيال.

والقصة الطويلة التي تروي ما حدث للأخوين إسماعيل وإسحاق، وما كان من عداء بينهما، وتحيز إبرام وزوجته وانتصارهما لإسحاق، ومؤازرة القوى العلوية لسارة ضد إسماعيل وأمه هاجر، لم ترو هي أيضًا مع كل ما فيها من سخف وأمور غريبة إلا للإيحاء بما لليهودي الأصيل من أفضلية وميزات على المولد وسواه[١].

أما إصرار الكُتَّاب على تدوين أتفه الأعمال والأقوال التي نسبت للآباء الأولين، فلقد قصد منه الإيحاء بأن كل كلمة أو حركة أو سكنة صدرت عن أحدهم، لها مدلولها وأهميتها، ليس على صاحبها أو ذريته فحسب، بل على مستقبل ومصير القبيلة التي تنحدر وتتناسل منه. وعلى سبيل المثال نذكر أن زعامة قبيلة إفرائيم التي سادت الأسباط الأخرى بعد موت سليمان تعزو المصادر اليهودية تحققها إلى رؤيا جدها يوسف الواردة في سفر التكوين (فصل ٣٧ - فقرة ٥ - ١١).

وقصة الآبار السبعة التي زعم حفرها من قبل إسحاق لم ترد إلا للإشارة إلى حق

(١) وهذا دليل على العنصرية والكراهية اليهودية لغيرهم من الأجناس. (دار البشير).

إسرائيل بملكية هذه الآبار اعتمادًا على نص اعتراف بيملك صاحبها الأسبق بشرعية هذه الملكية، كما أن مرد زعم سكنى الآباء أو مقابلاتهم للرب في بعض الأمكنة، كشكيم، وبيت إيل، وحبرون، وبئر السبع وسواها، هو تغطية لقيام اليهود بإنشاء المذابح والمعابد في هذه المراكز، التي كانوا يمارسون فيها طقوسهم الدينية، خلافًا لتعاليم الثنية (Deuteronome) التي صدرت في القرن السادس قبل الميلاد، وحرمت العبادة وتقديم القرابين إلا في (خباء المحضر) وذلك لنفي تهمة تعدد المعابد المخالفة عن اليهود، وتعليل سبب إقامتها بحجة تخليد ذكرى الآباء الأولين، حتى لا يقال: إن اليهود كانوا يخالفون تعاليم الثنية المنسوبة إلى موسى.

بقي علينا أن الدافع الأساسي لكُتّاب الأسفار لإيجاد كل هذا العدد الوفير من القصص، يكمن في صلب مواضيع القصص ذاتها؛ إذ نلاحظ دورانها حول محاور قبلية واجتماعية معينة، ومن هنا نستنتج أنها عصارة مخيلة الأدباء والقصاصين التي تبحث عادة عمّا يهم الناس معرفته، ويستسيغه كل فرد من أفراد الشعب، ولما كان الإنسان منذ أقدم العصور توّاقًا لسماع ومعرفة ما تعلق بالماضي المجهول، وعلاقته بحاضره، وعلى الأخص في الأمور الباحثة عن أصله ونشأته، فمن البديهي أن يستثمر كتاب الأسفار هذه النوازع، فانكبوا على ما توفر لهم من القصص القديمة يحورونها ويطورونها؛ ليشبعوا فضول ونهم أفراد الشعب اليهودي الذي كان يجهل كل شيء عن ماضيه السحيق، دون أن يفوتهم إيجاد الروابط بين الماضي والحاضر؛ لتبرير ما كان عليه وضع اليهود آنذاك، أو لإثبات صحة ما أوردوه في قصصهم.

وعلى سبيل المثال نذكر أن الغاية من استنباط قصة غضب سام على ابنه كنعان الواردة في الفقرات ٢٠ و ٢٧ من سفر التكوين (والقائلة: إن سام دعا على ذرية كنعان بأن تذل من قبل ذرية أخيه أبرام) جاءت لتبرير تسلط إسرائيل على كنعان واحتلال بلاده، وإيهام الطرفين بقدسية الآباء الأولين، وسمو مكانتهم لدى يهوى، بدليل تحقيقه لرغباتهم حتى بعد عشرين قرنًا، أو مهما طال الزمن عليها.

ويثابر لودس على بحثه عن منشأ هذه القصص، ويضيف قائلاً: إن نظريات النقاد فيما يتعلق بها هي أكثر من أن تحصى بسهولة، ومع هذا سنعمد فيما يلي إلى ذكر أقربها للمنطق، بغية تنوير القارئ قدر المستطاع -من جملة هذه النظريات التي اعتمدها

السادة بورني (Burney) وستوارأنجل (Steurangel)- والقائلة: إن هذه القصص هي أصلاً وصف لتنقلات وتحركات بعض القبائل العبرانية الرحل، وكانت تدعى بالأسماء التي زعم كُتّاب الأسفار أنها لأفراد من أسلافهم الأولين، وقد أضفوا على مَن أسموهم هالات من الإكبار والتقديس، ونسبوا لكل منهم أعمالاً ومناقب ومغامرات خيالية لتحقيق أغراض معينة من ورائها.

وأصحاب هذه النظرية يعتمدون في مذهبهم هذا على ما لهؤلاء الأشخاص أو الأبطال في تلك القصص من الأسماء والألقاب المزدوجة، والتي ترمز أكثرها إلى قبائل وشعوب أو بلاد ومناطق، كإسرائيل وآدوم مثلاً، اللذين يعني أولهما شعب إسرائيل وثانيهما بلاد آدوم. ويقولون: إن أسماء: لية، وراشيل، وروبيكا، هي أيضًا أسماء قبائل آرامية نزحت من بلادها والتحقت بالقبائل العبرانية.

وبهذا الصدد يؤكد السيد بورني أن روبيكا (رفقه) كانت قبيلة آرامية التحقت بقبيلة إسحاق العبرانية واندمجت معها، وخرج من هذا الاندماج قبيلتا يدوم ويعقوب، فوقع خلاف بينهما، فهربت قبيلة يعقوب من جور آدوم إلى البلاد الآرامية، حيث اصطدمت بقبيلة لابان الآرامية، فكرَّت راجعة إلى فلسطين تبحث لنفسها عن مقام جديد، ولدعم نظريته هذه يقول: إن هذه الحقيقة تظهر للعيان بكل وضوح عندما يجرد الناقد هذه القصص مما أضافه كتاب الأسفار إليها من مغامرات فردية وحوادث عائلية، لم تكن أصلاً منه.

وهناك نظرية أخرى، يُقِرُّها الكثير من النقاد، تقول: إن هذه القصص ليست سوى تحريف لبعض القصص القديمة المعروفة كانت تروى منذ أجيال عديدة. ويدللون على صحة نظريتهم هذه بما في قصة عيسو ويعقوب من أحداث ومعان مشتركة مع قصة الصياد العنيف والراعي المخادع (Ulysse et polyohemi) وبما في قصة يوسف من وحدة المعنى والمآل مع القصة المصرية الواردة في بردوس أوربيني (Papyrusw Orbiney) وما في حادثة الملائكة وإبرام من التوافق والانسجام مع محتويات قصة فليمون وبوسي (Philemon et baucis) الشهيرة.

والنظرية الثالثة هي نظرية السيد كونكل (M. Gunkel) القائلة: إن هذه القصص كانت في الأصل لقبائل وثنية انقرض أصحابها قبل القرن الخامس عشر (قبل الميلاد)،

رواها رواة الوثنية (Ethnologues) وتناقلها الناس إلى أن وصلت إلى كتاب الأسفار، فاحتضنوها لحسابهم الخاص.

والنظرية الرابعة هي التي يعتمد عليها كل من السادة إدوار ماير (Edouard Mayer) وريمون واي (Rymond Weille) وبيرنهارد لوثر (Berngard Luther) والقائلة: إن أكثر الأسماء التي أطلقها كتاب الأسفار على إبطال قصصهم هي في الأصل أسماء بعول (آلهة أسطورية) كنعانية عرف كل منهم بإقامته في إحدى الأمكنة التي أقام اليهود فيها معابدهم فيما بعد، تكريمًا لأصحابها الذين اتخذهم كتاب الأسفار أسلافًا لهم... لتأكيد نظريتهم هذه يزعمون أن بعل حبرن كان يدعى بإبرام، كما أن بعل بئر السبع كان يدعى إسحاق وبعل شكيم بيعقوب، ويختتمون نظريتهم بالقول: إن اليهود حاكوا حول هذه الآلهة وأمكنة سكناها ما شاءت لهم أهواؤهم من القصص والأساطير، واحتكروها باسم أسلافهم المزعومين. ومن خلال آراء هؤلاء العلماء يتضح لنا بجلاء استحالة الاعتماد من الوجهة التاريخية على كل ما ورد في الأسفار من القصص والروايات عن العهود السابقة للقرن السادس قبل الميلاد، مما يهدم كل مزاعم المصادر اليهودية المتعلقة بمحتدهم القومي أو العرقي.

علماء التاريخ وقصة إقامة اليهود في مصر

ذكرت الأسفار أنه على أثر مجاعة حدثت في أرض كنعان، نزح عنها يعقوب وأبناء عشيرته إلى البلاد المصرية، حيث أقاموا مدة أربع مائة وثلاثين عامًا، ومن ثم هربوا منها تحت زعامة موسى، على أعقاب ما أصابهم من ظلم وجور فرعونها، وحطوا رحالهم في صحراء سيناء وأقاموا فيها قرابة أربعين عامًا، ومن ثم أقدموا على احتلال فلسطين، وتمركزوا فيها في عهد يشوع خليفة النبي موسى، وهذا الوصف التاريخي المقتضب لأحداث أربعة قرون ونيف من حياة الشعب الإسرائيلي، دفع بعلماء التاريخ إلى التحري عما كانت عليه حياة هذا الشعب في غضون تلك الأزمنة، وما لهذا الزعم من نصيب في دنيا الحقائق التاريخية، ولقد أدلى أكثرهم بدلوه في هذا الموضوع، وأطالوا البحث والتنقيب، ولكنهم فشلوا جميعًا في سبر حقيقة هذه الإقامة، فذهبوا في تعليل ما ورد عنها في الأسفار شتى المذاهب.

فمن قائل كالسيد موره[(١)] الفرنسي: إن ما عثر عليه من المخطوطات واللوائح الأثرية المصرية، وإن كان بعضها يشير أو يرمز إلى أن الفراعنة كانوا يقبلون في بلادهم بعض مَن يلجأ إليها من الآسيويين، إلا أنها لا تؤكد قطعًا وجود اليهود بين هؤلاء الأغراب.

وآخر يقول[(٢)]: إن حرفي (P-R) الواردين في بعض أوراق البردي والرامزين إلى هوية أناس كانوا يقومون بأعمال السخرة في مصر، ليسا سوى إشارة إلى أن هؤلاء المسخرين كانوا من اليهود باعتبار حرف (P) وحرف (R) يمثلان كلمة أبيريو (APiriu) التي كانت تعني لدى المصريين العبرانيين (Habiriu ou Hebreux) ومترجمو هذين الحرفين إلى كلمة آبيريو، التي استخلصوا منها البرهان على إقامة اليهود في مصر، هم السادة شاباس (Chabas) وهومل (Hommel) وسكينر (Skinner) وكريكلنجر (Kreglinger).

ولكن لودس يعترض على مذهبهم هذا، ويقول: إنه وإن كان ما ورد في هذه المكتشفات ينسجم بعض الشيء مع ما جاء عن إقامة اليهود في مصر والمذكورة في الأسفار إلا أن الاستعاضة بحرف (P) اللاتيني بدلاً عن حرف (B) الكائن في كلمة

---

(1) A Moret (des clans aux Empires) 6eme Livres page 283 paris 1926.

(2) R Krglinger (La Religion d Israel) page 48 Bruxelles 1922.

هبرو (Hebereux) هو أمر صعب القبول لما بين الحرفين من فرق كبير في اللفظ؛ ولهذا نرى قبول كلمة آبيريو (APiriu) بدلاً عن كلمة (Hebreux) هبرو يكاد يكون مستحيلاً... هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإننا نلاحظ أن تاريخ أوراق البردي التي أشارت إلى قيام الأبيريو بأعمال السخرة يعود إلى عهد رعميس الرابع، أي لزمن متأخر عن العصر الذي زعمت المصادر اليهودية حدوث الخروج، وهذا الاختلاف البين في تاريخ يطيح كليًا بادعاء السيد شاباس وزملائه.

كما أنه لا يمكن الاعتماد على القصة التي رواها مانتون (Manethon) كاهن هيليوبوليس في القرن الثالث قبل الميلاد، والقائلة أن العبرانيين هم أحفاد المصابين بالجزام وذوي العاهات الأخرى من سكان مصر، والذين كان فرعون مصر أمينوفيس (AmenoPhis) قد عزلهم عن الناس، وأرغمهم على الإقامة في مقالع خاصة حفظًا للصحة العامة، وأن موسى لم يكن سوى كاهن مصري أصيب بالجذام، فعزل في المقلع مع الآخرين، ولما طالت عليه العلة يئس من الشفاء، فتمرد على آلهة مصر واتصل بالهيكسوس سرًا، وطلب مساعدتهم، ومن ثم حرض رفاقه المرضى على التمرد، فعلم فرعون مصر بأمره، وقرر تأديبه، فلما شعر موسى بالخطر لاذ وأنصاره بالفرار ليلاً، واعتصموا في صحراء سيناء.

نقول: إن هذه القصة أيضًا لا يمكن اعتبارها دليلاً على إقامة اليهود في مصر؛ لأن مانيتون ختمها بالاعتراف بأنها من القصص المنقولة عن طريق التواتر، كما أن سكوت المصادر المصرية المطبق عن هذه الإقامة يدل صراحة على أن قصتها ملفقة تلفيقًا يهوديًا محضًا، دون أن يكون لها أي مستند تاريخي.

وينهي لودس هذا البحث من كتابه بالموافقة المبدئية على نظرية العالم (Hugo WinckLer) هوكو فنكلير[1] القائلة: إن ادعاء الأسفار بإقامة اليهود في مصر ما هو إلا نتيجة خطأ جغرافي.

ويظن السيد هوكو أن كتاب الأسفار استعملوا كلمة مصر أو ميشرائم (Mesraim) للتدليل على صحراء سيناء وما جاورها من تخوم البلاد الواقعة في شمال شبه الجزيرة العربية، أسوة بالبابليين الذين كانوا يطلقون على المناطق الواقعة في

(1) H. Winckler (Der Keilinschrifton Das Altr Testament) Berlin 1902.

جنوب غزة اسم مشرائيم أو ميشر، كما كانوا يسمون الوادي الكائن في غرب مدينة بوادي مشرائيم (Torrant Mesraim) رغم قربه من مدينة غزة.

وانطلاقًا من هذا الرأي يقول هوكو: ربما أقامت بعض القبائل اليهودية في هذه المنطقة وتكاثر أفرادها مع الزمن، فزحفت منها إلى فلسطين في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ويعلل سكوت المصادر المصرية عن هذه الإقامة بعدم علاقتها بهذا القطاع من البلاد المتاخمة لبلادها، وإن كانت تحمل نفس الاسم، فلو كان لها بعض العلاقة به أو بالإقامة المزعومة في مصر لا يعقل سكوتها عن ذلك مهما كان التعليل.

وفيما يتعلق بقصة مولد موسى ونشأته، فان لودس يشبهها بقصة الملك ساركون داكاده (sargon d´Agade) التي أثبتت المكتشفات الحديثة صحتها، وأن صاحبها كان يحكم مدينة آكاد (Akkad) نحو عام ٢٨٥٠ قبل الميلاد؛ أي قبل عشرة قرون من مولد موسى.

أما عن المعجزات التي نُسبت إلى موسى، فيقول عنها: إنها من مبتكرات كُتَّاب القرن الثامن قبل الميلاد، الذين كانوا يعرفون الشيء الكثير عن أحوال مصر الطبيعية والجغرافية، فلم يصعب عليهم أن يختلقوا المزاعم القريبة مما يحدث عادة في مصر. فهم يعرفون مثلاً أن أهل مصر يتعرضون في بعض الأحيان للإصابات بالقروح من جراء كثرة الحشرات، ورداءة المناخ في أيام الصيف، كما كانوا يعرفون أن مياه النيل تصطبغ باللون الأحمر كلما فاض النهر، من جراء ما تجرفه المياه من الأتربة، ويعرفون أن الضفادع تتكاثر على أثر انحسار المياه بعد الفيضان في الربيع، حيث يكون موسم توالد الضفادع. كما يتكاثر البعوض في نفس الوقت في المستنقعات التي يخلفها الفيضان.

وهذه الظواهر الطبيعية معروفة في مصر، ولا تزال تحدث حتى اليوم، فاتخذها كُتَّاب اليهود متكأ ليبنوا عليها قصصهم الأسطورية، وأظهروها وكأنها أشياء خارقة للطبيعة. وهي فعلاً كانت تعتبر خارقة في نظر اليهود الذين كانوا يقطنون في القرن التاسع قبل الميلاد في أعالي الجبال الفلسطينية، حيث لا فيضانات ولا بعوض ولا ضفادع؛ ولهذا كان من البديهي أن يعتبروها من المعجزات طالما كانوا يجهلون كل شيء عن البلاد المصرية.

ولإنهاء موضوع الإقامة يقول لودس: بعد فشل الجهود الكثيرة التي بذلت للعثور

على أدلة تثبت صحة هذا الموضوع، نرى ضرورة اللجوء إلى ما نملكه من المصادر المصرية التي تشير إلى قبول الفراعنة لقبائل الرحل في ضيافتهم ضمن شروط معينة، ومن هذه المصادر بردي بتيرسبورغ (apyrus Petersbourg) الذي يعود تاريخه لعهد موك هيراكلوبوليس (heracopolis) أي لما بين ٢٣٦٠-٢١٦٠ قبل الميلاد، وهو يبحث عن عشائر رحل التمست الدخول إلى مصر لتأمين الماء لمواشيها، ولوحة بني حسن ولوحة حار محب (haremheb) (مؤسس الدولة التاسعة عشر نحو عام (١٣٤٥-١٣٢١قبل الميلاد) اللتان عثر عليهما عام ١٩٠٠، تشيران إلى أناس طردوا من بلادهم وأتوا لمصر يطلبون حق اللجوء إليها، عملاً بما اعتادوا عليه منذ أيام أباء الآباء (الجملة الحرفية لترجمة المخطوط) كما أن بعض التقارير التي كان يرفعها عسس الحدود إلى الفراعنة عن أحوال مناطقهم تشير أيضًا إلى قبولهم القبائل الرحل في تخوم قطاعاتهم، مثل التقرير المرفوع إلى الفرعون ميرنبتاح (Merneptah) نحو عام ١٢٣٣-١٢٢٤، والذي يشير فيه كاتبه إلى سماحه لقبيلة من الساسو (Sasou) (أي الرحل) بالدخول إلى وادي ثوميلات (toumilat) بغية رعي مواشيها فيه.

ومن هذه الوثائق نستدل على أن القبائل الرحل كانت ترتاد التخوم المصرية منذ أقدم العصور، فلا يستبعد أن تكون بعض العشائر العبرانية كمنس وإفرائيم وبنيامين هجرت مرابعها القديمة على أثر حدوث قحط أو وقوع غزو والتجأت إلى منطقه كوشان (Gochan) الواقعة قرب وادي ثوميلات، ومن ثم التحقت بها عشائر أخرى وتمركزت كلها في تلك المنطقة الواقعة على الحدود، تعيش فيها بمنجى عن الاختلاط مع الأغراب. ولكن عندما طلب منها القيام ببعض الأعمال مقابل هذه الإقامة، بادرت إلى التمرد ونزحت عنها بقيادة موسى، وحطت رحالها في صحراء سيناء التي اعتادت الإقامة فيها، ويبدو أن هذه الإقامة المؤقتة (إن صحت) هي التي تسميها المصادر اليهودية بالإقامة في مصر، وهي في الواقع إقامة على حدود مصر لا فيها(١).

---

(١) يثبت الكاتب هنا أن اليهود لم يستوطنوا في مصر ولا يوافق الصواب، بل الصحيح هو أن اليهود استوطنوا مصر، وذلك من خلال استضافة يوسف إخوته وقبيلته في مصر بسبب الجدب والقحط الذي كان في أرضهم، فأقطعهم عزيز مصر أو ملك الهكسوس جزءًا من أرض جاسان ليسكنوا فيها، ومع بداية قيام الأسرة الرابعة عشر استطاع الفرعون أحمس القضاء على الهكسوس

اليهود في فلسطين

والآن وبعد أن أسهبنا في شرح آراء العلماء حول منشأ الأسفار السداسية، وما تزخر به من أمور خارقة للطبيعة، التي لا يرجى من الخوض في تفاصيل أكثر موضوعاتها أية فائدة علمية أو تاريخية، نرى الأجدر بنا أن نأخذ القسم الأخير منها، وهو الباحث عما سُمّي بغزو فلسطين، باعتباره الجزء الفريد بين أجزاء هذه الأسفار، الذي يمكننا اعتباره بحثًا تاريخيًا إن صحت التسمية، وهو القسم المسمى بسفر يشوع، وإليه يعود الفضل في الاعتقاد الذي ساد طويلاً، بأن اليهود احتلوا فلسطين في غضون جيل واحد، وقضوا على سكانها الأصليين وامتلكوها لأكثر من عشرة قرون.

ويبدو أن هذا الاعتقاد ما هو إلا وليد جهل العامة لتفاصيل ما سمي بالغزو اليهودي، أو بسبب إحجام الناس عن التمعن في مختلف أقسام الأسفار الباحثة عن هذا الغزو، فلو أن الناس دققوا في محتويات سفري التثنية والعدد (وهما أقدم من سفري الخروج ويشوع) وفي سفر القضاة، لاتضح لهم ما في سفر اليشوع من مغالاة في وصف سرعة الغزو وأهميته، وبينما نرى سفر يشوع يصف هذا الغزو بأنه كان عامًا شاملاً لكل فلسطين وفي آن واحد، ويبحث عن تقسيم البلاد بين الأسباط، دون أن يترك أي جزء منها بلا توزيع، نلاحظ أن بعض فقرات التثنية والعدد تقول: «إن اليهود بعد أن اجتازوا نهر الأردن واحتلوا أريحا وجلجال، حيث أقاموا فيهما مدة من الزمن، شرعت كل عشيرة منهم بعد ذلك بالبحث عن أرض لها، فأغارت يهودا وشمعون على مدينة القدس، وتمكنتا من احتلالها والتمثيل بملكها. كما أغارت قبيلة كالب على حبرون واحتلتها واستوطنت فيها».

وهذه الأقوال تناقض كليًا ما جاء في سفر يشوع (فصل ١٠- فقرة ١٢) من القول بأن احتلال القدس وحبرون ويرموك ولاكش وعجلون، حدث في عهد صاحب السفر، إذ لو كان حقًا أن يشوع احتل هذه المدن، لما كانت الأسفار الأخرى

وطردهم من البلاد، فقامت قبائل اليهود بالجهر بالولاء للفراعنة وعدم التعاون مع الهكسوس، وقام أحمس بمصادرة الأراضي الزراعية، وأخضع اليهود عبيدًا وأرقاء يعملون في الأرض الزراعية، وأشار سفر الخروج في الأصحاح الأول فقرة ١٣، ١٤ إلى ذلك حيث قال: «فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف، ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين». (دار البشير).

ذكرت احتلالها مجددًا، وعلى الأخص سفر القضاة الذي يروي الأحداث التي وقعت لليهود بعد عهد يشوع، ومن هنا يتضح أن نسب احتلال فلسطين عامة إلى يـ شوع في سفره، ما هو إلا تلفيق أراد الكاتب منه تعظيم شأن صاحب السفر لغرض في نفسه.

ويبدو أن كُتَّاب الأسفار تجاهلوا التاريخ والترتيب في هذا الغزو إما عمدًا أو جهلاً؛ حتى يلتبس الأمر على القارئ، ويعجز عن تفريق مراحله وكيفية سيره.

ولكن المذكرة الإيضاحية لسفر القضاة الواردة في الترجمة اللاتينية، تفضح هذا الالتباس وتلقي الضوء على حقيقة سير الغزو عندما تقول: إن القبائل اليهودية بعد احتلالها أريحا وجلجال عمدت إلى اقتسام فلسطين فيما بينها عن طريق القرعة.

ومن هذا يتضح أن اليهود اعتمدوا طريقة القرعة لتحديد منطقة العمل لكل قبيلة قبل البدء في عمليات الغزو، أي عادوا إلى العمل ضمن نطاق القبيلة، فتكونت منهم مجموعات من العشائر لتتعاون فيما بينها في المعارك، مثل المجموعة الأولى من الغزاة التي تكونت من شمعون ويهودا، والمجموعة الثانية التي كان قوامها عشائر إفرائيم ومنسى وبنيامين، التي أغارت بدورها على بيت إيل وما جاورها من دساكر وقرى، ومن مجموعات الغزو الأخرى المذكورة في الأسفار والتي توالت حتى عهد سليمان.

ورغم أن عمليات الغزو دامت عدة قرون، فإن اليهود لم يتمكنوا من احتلال سوى أربع مقاطعات جبلية في أرض فلسطين، وهي المرتفعات الواقعة في شرق الأردن، ومنطقة الجليل، وجبل إفرائيم، وجبل يهودا.

أما أسباب عجزهم عن احتلال جميع البلاد، فتعود إلى المقاومة الضارية التي كانت يلقونها من سكان السهول، وعلى جهلهم بأساليب القتال في النهار، وافتقارهم لأسلحة معارك السهول كالعربات والخيول، وعجزهم عن القيام بعمليات الحصار؛ إذ أنهم كانوا يعتمدون في حروبهم على المباغتة، التي تسهل ليلاً، حيث يقل المدافعون، ولما كانت المناطق الجبلية وقراها أقل سكانًا من المناطق الساحلية أو السهلية، فقد هان على اليهود مهاجمتها، لاستحالة التعاون فيما بين سكان قراها من جراء وعورة المسالك وبعد القرى عن بعضها البعض؛ ولهذا تمكنوا من احتلال المرتفعات وفرضوا سيطرتهم عليها.

وحتى هذه السيطرة في الجبال لم تكن كاملة؛ لأن مناطقهم الأربع كانت مفصولة

عن بعضها بواسطة القلاع الكنعانية، التي عجز اليهود طويلاً عن احتلالها، والتي ظلت تحول دون اتصالهم ببعضهم البعض حتى عهد داود.

وفي الأسفار ظاهرة أخرى تكذب زعم احتلال اليهود بالقوة للمناطق التي أقاموا فيها: وهي أن سفر القضاة يذكر في فصله الثالث (فقرة ٥ – ٦) أن قبيلتي آشير ونفتالي كانتا تقيمان بين الكنعانيين. وهذا القول يعني صراحة أن بعض القبائل اليهودية كانت تخضع للكنعانيين، وتقطن بينهم كلاجئين أو أتباع، ولقد ذهب أكثر النقاد إلى الأخذ بهذه النظرية اعتمادًا على المخطوطات الأثرية التي عثر عليها في تل العمارنة[1]، والتي تشير إلى أن بعض حكام فلسطين كانوا يستخدمون العبرانيين لمصالحهم الخاصة؛ أي أنهم كانوا يستأجرونهم للاستعانة بهم، سواء في حروبهم مع جيرانهم أو لأعمال أخرى.

ويقول لودس: إنه ربما كانت قبيلتا آشير ونفتالي من القبائل التي سبق لأحد أمراء فلسطين استئجارهما، ومن ثم استساغتا العيش في كنفه، وظلتنا تحت حمايته.

ومما سبق توضيحه، يتبين أن قصة الغزو العام لا تستند على أي أساس متين، كما أن زعم كون الغزو كان من جهة الشرق ودفعة واحدة الذي يدعيه سفر اليشوع، ينهار بطبيعة الحال عندما نلاحظ ما يقوله سفر القضاة عن احتلال كالب لمدينة حبرون، والمعروف عن كالب أنها إحدى القبائل التي كانت تقطن في جنوب حبرونة مباشرة، فلا يعقل أن تقدم على دورة كاملة، وتقطع مسافات شاسعة لتأتي وتهاجم حبرون من الشمال بمفردها، طالما كانت بمتناول يدها من أقصر الطرق وأسهلها، ومن هنا يتضح أن الغزو كان على مراحل، وعلى نطاق قبلي أو عشائري ومن جهات مختلفة.

وزعم التمركز النهائي في عهد يشوع، تدحضه الفقرة الثامنة عشرة من الفصل السابع عشر من سفر القضاة، التي تروي لنا حادثة فرار قبيلة دان من منطقتها إلى المناطق الشمالية، كما تدحضه الفقرة الرابعة عشر من نفس الفصل والسفر، التي تحدثنا عن نزوح سبط منسى من غرب الأرض إلى شرقها، ومن فحوى هذه القصص يُفْهَم أن اليهود لم يتمكنوا من تثبيت أقدامهم في المناطق التي زعموا احتلالها، وكانوا

(1) A Lods (Evolution de Ihumanite) Israel des origins au milieu de VIII Siecle page 57.

دائمًا معرضين لخطر الطرد والتهجير منها.

أما ادعاء سفر القضاة (فصل ٣ - فقرة ٢) بأن بطء سير الغزو نتج عن رغبة يهوى في إطالة أمد الحروب حتى يوفر للأجيال اليهودية المتعاقبة فرص التمرس على أساليب القتال، ومزاعم سفري الخروج والتثنية (س - خ فصل ٢٣ فقرة ٢٩ -٣٠ - و س ت. فصل ٧ - فقرة ٢٢) القائلة بأن يهوى أطال أمد الفتح، حتى يحول دون تفريغ البلاد من سكانها قبل أن يتكاثر عدد اليهود ليملئوا الفراغ، أو حتى لا تتكاثر الوحوش الكاسرة وتصبح خطرًا على اليهود، أو ليحول دون أن تصبح البلاد صحراء قاحلة بعد خلوها من السكان، فذلك كله ليس إلا من قبيل الاستدراك لتغطية فشل اليهود في فتح البلاد.

أراد كُتَّاب الأسفار من استنباطها التمويه على شطط سفر يشوع في وصفه المغلوط لهذا الغزو المزعوم.

عهد القضاة أو سفر القضاة

أطلق كُتَّاب الأسفار على الزمن الفاصل بين موت يشوع (إن صح ووجد يومًا) وقيام المملكة اليهودية، اسم عهد القضاة، وتُقَدَّر هذه المرحلة الزمنية من تاريخ الشعب اليهودي بثلاثة قرون ونصف أو نيف، عاش اليهود خلالها في المقاطعات الأربع التي سبق البحث عنها، دون أن يكون بين مقاطعاتهم أي ارتباط سياسي أو اجتماعي من جراء بقاء السيطرة الكنعانية في المناطق التي كانت تفصلها عن بعضها، وهذا الوضع أعادهم إلى القبلية الضيقة، فأصبحت كل عشيرة من عشائرهم مستقلة في شئونها، تعيش على هواها، وتختار آلهتها بنفسها، خصوصًا بعد أن اختلط اليهود مع سكان البلاد الأصليين، واقتبسوا الكثير من عادتهم عبادتهم، فطاب لهم عيش الاستقرار وتعاطي الزراعة، وهذه التفرقة والاستكانة لرغد العيش، أحيتا آمال الكنعانيين في إمكان التخلص منهم، فشرعوا تدريجيًا بمناوأتهم، ولما شعر اليهود بالخطر الذي يهددهم عمدوا إلى توحيد قيادتهم في كل منطقة؛ ليتمكنوا من مجابهة أعدائهم، فكانوا يختارون واحدًا من بينهم، ويسلمونه قيادتهم، ويطلقون عليه لقب قاض أو حاكم (Juge).

ولكن كُتَّاب الأسفار أبوا أن يكون أمر اختيار القضاة بهذه البساطة المجردة من

المعجزات والأساطير، ودون تدخل يهوى به، فزعموا أن هـؤلاء القـضاة كـانوا ممـن اختارهم الرب يهوى وسخرهم لقيادة شعبه وإنقاذه مـن أعدائـه، وإعادتـه لمعتقداتـه الأصلية؛ ولتحقيق بغيتهم هذه استنبطوا لكل منهم قصة مليئة بـالمعجزات الـتي أدت إلى انتقائه، وفنَّدوا أسباب اختياره، وعددوا أعماله ومناقبه، ولكـن جـوهر القـصص ظل تقريبًا واحدًا؛ لأنها جميعًا تبدأ بالبحث عن تمرد اليهود لأوامر يهـوى، واعتنـاقهم أديان الغرباء ومصاهرتهم الأجانب، وتقاعسهم عن إكمال تحقيق وعود يهوى، وهذه الأشياء كانت تؤدي على حد زعمهم إلى غضب يهوى عليهم، فكـان يـسلط علـيهم بعض ملوكِ وأمـراء المنطقـة، فيـذلونهم ويخـضعونهم للجزيـة أو لعقوبـات أخـرى، فيسارع اليهود بإعلان التوبة ويستنجدون بيهوى، ليعود فيرضـى عـنهم، ويختـار لهـم منقذًا من بينهم، فيَهُب المختار إلى قيادة اليهود، ويقود معـاركهم الـتي تنتهـي في كـل القصص بانتصارهم على أعدائهم، واستتباب الأمر لهم لمدة معينة، يعود بعدها اليهود إلى التمرد والعصيان، وتتجدد الأحداث على نفس الوتيرة، دون أي جديد في الأمر.

ويذكر سفر القضاة أن عدد مَن تعاقب على حكم بني إسرائيل في هذه الفترة مـن الزمن، يبلغ الأربعة عشر قاضيًا، كان أكثـرهم مـن الخـارجين علـى القـانون وقطـاع الطرق والمنبوذين.

ويقول لودس[(١)] عن قصص القضاة: إنها عبارة عن قـصص خياليـة لا تمـت إلى الحقيقة بصلة، وهي من بناتِ أفكار كتاب الأسفار، ولا يمكن الاعتماد على مـا جـاء فيها، باستثناء قصة دبورة التي تتميز بعض الشيء بطـابع الجـد، بفـضل مـا تزخـر بـه قصيدتها الشهيرة التي تبحث عن أمور اجتماعية توحي بعض الثقة في كنه القصة.

وضع اليهود السياسي في عهد القضاة

من المعلوم أن مصر وآشور كانتا تتنازعان السيطرة على بلاد كنعان منذ أمد بعيد، وكانت كل منها تعمل لطرد الأخرى منها كلما شعرت في نفسها القدرة علـى ذلـك، ولكن موقفهما السلبي من غزو اليهود لها ينبئ أنهما كانتا أضعف مـن أن تحـولا دون هذا الغزو، والدليل على ذلك هو سكوت الأطراف المعنية الثلاثة عن كل ما يشير إلى حدوث صدام بينهم، كما أن السهولة الـتي سـارت بهـا العمليـات الحربيـة تؤكـد أن

(1) A lods (Evolution de Ihumanite) page 387 - 388.

اليهود لم يصطدموا في غزوهم إلا بالكنعانيين وحدهم، مع العلم أن المصادر المصرية تبحث في هذه الفترة عن قيام مرنبتاح (Merneptah) بحملة عسكرية على عسقلون لقمع الاضطرابات التي حدثت فيها نحو عام ١٢٣٥ - ١٢٢٤ قبل الميلاد[١]، كما أنها تذكر قيام رعمسيس الثالث (Ramses III) بحملة مماثلة لصد هجمات القبائل الفلسطينية نحو عام ١١١٩ قبل الميلاد[٢]، والمصادر الآشورية أيضًا تحدثنا عن قيام الملك تيكلات بليثر الأول (Tiglat Pileser) باحتلال بعض المناطق السورية.

ومع كل هذا سكتت المصادر المصرية والآشورية عن كل ما يتعلق بغزو اليهود لفلسطين، ومن هنا يتضح لنا عدم تدخل كل من مصر وآشور فيما جرى بين الكنعانيين واليهود، أما زعم بعض المفسرين بأن كوشان ملك آرام النهرين (Couchan Aram) هو أحد ملوك مصر، فلا يستند على أي دليل مادي، وهو قول باطل، والشيء الأكيد هو أن مصر كانت قد فقدت سيطرتها على أكثر البلاد الواقعة خارج حدودها في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وأصح دليل على ذلك هو نص التقرير الذي رفعه أون عمون (Ouon - Amoun) ممثل رعمسيس الرابع (Ramses Iv) إثر عودته من جبيل، وفيه يوضح للملك ما أصابه من الإهانة، وعن كيفية طرده من قبل الملك اللبناني، الذي كان يومًا من أتباع مصر، فلو أن مصر كانت على قوتها السابقة لَمَا تجرأ عميلها ملك جبيل على إهانة ممثلها، ولما كانت مصر سكتت عن هذه الإهانة التي حدثت فعلا[٣]. ومن خلال موقف مصر من هذه الحادثة يظهر لنا جليًا أنها كانت في شغل شاغل عما يجري خارج بلادها.

وهكذا نرى أن اليهود استفادوا من ضعف كل من مصر وآشور، وباغتوا أهل كنعان الضعفاء، فاحتلوا بعض أجزاء من وطنهم، ولكن كما سبق وقلنا دب الفساد والتفرقة فيما بعد بينهم، وانفرط عقد تجمعهم المصطنع، وعادا إلى العيش على الأساليب القبلية الضيقة بعد أن ظنوا أن الأمر استتب لهم، واكتفوا بما أحرزوه من نصر في بعض المناطق الفلسطينية، كما قامت المنازعات فيما بينهم، فتمزق شملهم ولم يعد لهم ما يسمى بالوحدة القومية أو وحدة الهدف، فلما لاحظ الآراميون ضعف

---

(1) Monument Epigraphique ou stele que M.F Petrie a decouvert en 1896 Egypte.
(2) (R. Moret (Des clans aux empires) E.H. No 6 Page 295.
(3) (R Moret (Des clans aux empires) E.H. No 6 Page 398.

اليهود بادر أحد أمرائهم المدعو كوشان إلى احتلال منطقة يهودا، وأخضع أهلها للجزية، وكانوا يرسلونها له في كل عام. ولقد دام هذا الاحتلال باعتراف الأسفار مدة تسعة عشر سنة، ثم تخلصوا منه على يد القاضي عيتنائيل (أن صحت الرواية). ولكن آثار هذا الاحتلال كانت أخطر مما تصورها اليهود إذ أنها أيقظت الكنعانيين من سباتهم العميق، ودفعتهم إلى النضال مجددًا، فتنادوا فيما بينهم وأقاموا تحالفًا عسكريًا قويًا لمقاتلة اليهود، وأسندوا قيادته لسيسرا أحد قواد الملك يابين (Yabin)[١]، ومن ثم غزوا منطقة الجليل وإفرائيم حيث كانت تقطن أقوى الأسباط اليهودية، وتغلبوا على أهلها وأخضعوهم لحكم يابين لمدة عشرين عامًا، ولم يتخلص اليهود من الاستعباد الكنعاني إلا عندما ظهرت دبورة لميدان، واستلمت قيادة اليهود وثارت في وجه يابين وحررت بني قومها من حكمه.

والجدير بالذكر في قصة دابورة هو اعترافها الصريح في قصائدها بتقاعس الأسباط عن مساعدة بعضها البعض، وإحجام أكثرها عن مقاتلة الكنعانيين، وهذا الاعتراف يوضح بحد ذاته ما كان عليه اليهود من التمزق وعدم التعاون، وبالتالي يفسر لنا خضوع الأسباط لحكم القبائل الكنعانية وسواها بعد أن كان اليهود غزاة البلاد.

وتخبرنا الأسفار أيضًا أن الملك عجلون المؤآبي احتل المنطقة اليهودية في شرقي الأردن وأخضع أهلها لمدة أربع قرن تقريبًا، ولولا أن اغتاله القاضي اليهودي أهود بن جير[٢] لظلت المنطقة خاضعة له إلى النهاية، ولما تيقنت القبائل الرحل كالمدينين والعرب من ضعف اليهود بادرت هي أيضًا إلى الإغارة على المنطقة الشرقية، وأرغمت أهلها على اللجوء إلى الجبال والمرتفعات، كما أن العمونيين أنقضوا أيضًا على منطقة يهودا وبنيامين، وأخضعوا سكانها لمدة ثمانية عشر عامًا. ومن فحوى هذه الاعترافات اليهودية يتبين لنا أن سكان فلسطين ثابروا على مقاومة اليهود طيلة قرون عديدة، وأذلوهم أكثر من مرة. ولولا تعنت قضاة اليهود وسعيهم الدائم إلى تحريض

---

(١) يابين هو أحد الملوك الذي ذكر سفر يشوع أن صاحب السفر انتصر عليه واحتل بلاده وإذ به يعود في سفر القضاة مُجَدًّا لمسرح الأحداث كملك له دولته وجيشه. (دار البشير).

(٢) إن القصة اغتيال أهود لعجلون، تشابه في تفاصيلها قصة مسيوس إسكافولا الروماني الذي أقدم على اغتيال برسينا البربرى الذي حاصر روما. (دار البشير).

أبناء قومهم على متابعة القتال بغية تحقيق وعود يهوى المزعومة، التي كان اليهود يؤمنون بصحتها لكثرة ما كان زعماؤهم وقضاتهم يرددونها على أسماعهم، لكان اليهود ذابوا في البوتقة الكنعانية منذ القرن الأول لدخولهم إلى فلسطين ولكن مثابرة القضاة على حثهم لمتابعة القتال كانت تجدد عزائمهم وتحيي في نفوسهم أحلام الأسلاف، وتدفعهم لمتابعة العراك بأبشع الأساليب من غدر وحيلة، وتطبيق شريعة القتل العام على مَن يتتصرون عليه بغية إرهاب مَن ينوي مناوأتهم من الأعداء، بيد أن هذا الأسلوب لم ينجح مع سكان فلسطين، ولم ترهبهم همجية اليهود، فظلوا يقارعونهم حتى أواخر القرن السادس قبل الميلاد.

. **اليهود والقبائل الفلسطينية أو الفلسطيو** (Poulestious)

تعرضت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد سواحل أوربا الجنوبية إلى الغزو الآري الرهيب، فارتاعت القبائل التي كانت تقطن تلك السواحل، وفرَّت من وجه الغزو الآري، واتجهت إلى سواحل إفريقيا الشمالية وسوريا، وكانت القبائل الفلسطينية من جملة القبائل المهاجرة التي اتجهت نحو الساحل الفلسطيني، حيث حطّت رحالها ولم تتمكن مصر من طردها، فتمركزت في بداية الأمر في مرفأ دور (Dor) ومن ثم توسعت تدريجيًا، وأنشأت خمسة مراكز جديدة لعشائرها هي: عسقلون، وأشدود، وعقرون، وغزة، وجث. ونصّبت على كل منها أميرًا يدير شئونها، ويخضع بدوره إلى أمير (جث) الذي كانت جميع القبائل الفلسطينية تدين له بالولاء (حتى أن المصادر اليهودية تطلق عليه لقب ملك جث أو ملك الفلسطينيين) وبعد أن سيطر الفلسطينيون على الساحل وازداد عددهم بادروا إلى التوسع نحو الشرق، أي باتجاه المرتفعات التي كان اليهود قد سبقوهم لاحتلالها، فاصطدموا بهم واقتتلوا طويلاً، ولكنهم تمكنوا في النهاية من دحر اليهود وإخضاعهم لسلطانهم بعد أن احتلوا منطقة يهودا، ومن ثم شمعون، والجليل، وإفرائيم، والمنطقة الشرقية، ودمروا كثيرًا من مدنهم، مثل شيلو التي انتزعوا منها خباء المحضر وتابوت العهد. وأقاموا مكانها معبدًا خاصًا لآلهتهم، فأرغموا اليهود على تقديم الطاعة لها، كما أقاموا في كل مدينة يهودية مخفرًا عسكريًا لمراقبة أهلها ومنعهم من التمرد، وهكذا سيطروا على كل المقاطعات اليهودية قرابة قرن كامل، ولكن المصادر اليهودية تزعم أن هذه السيطرة لم تدم إلا

مدة عشرين عامًا، في الوقت الذي تعترف فيه بأن الصراع بين الطرفين دام من عهد القاضي يفتاح حتى عهد داود، وهذه المدة التي تعترف المصادر اليهودية بدوام الصراع فيها تربو على القرن.

ومن هنا يتبين لنا أن سيطرة الفلسطينيين دامت أكثر مما تعترف المصادر اليهودية بها، أما أسباب انهزام اليهود أمام الفلسطينيين، فتعزي إلى التفرقة التي كانت تسود صفوفهم وتقاعسهم عن معاونة بعضهم لبعض.

زعم قيام الملكية في فلسطين

اختلف كُتَّاب سفر القضاة في وصفهم قيام الملكية المزعومة في المناطق اليهودية، فقال رواة الفصول ٧ ـ ١٠ ـ ١٢: إن قيامها كان رغمًا عن اليهود وخلافًا لنصوص الشريعة الموسوية التي تحرم النظام الملكي.

بينما قال رواة الفصول ٩ ـ ١١ ـ ١٥ من نفس السفر: إن قيامها كان بناءً على رغبة اليهود ويهوى معًا، واختلاف الرواة هذا، أدى إلى اختلاف النقاد حول تحديد الظروف التي أحاطت بقيام هذا النظام الجديد. فمن قائل[1] أن انتصار شاوول غير المنتظر على الفلسطينيين كان السبب المباشر لالتفاف اليهود حوله، ومن ثم المناداة به ملكًا على المنطقة.

بينما قال الآخرون: إن قيام الملكية استلزم كثيرًا من الجهود، بذلها مفكرو اليهود لإقناع شعبهم بضرورة تأييدها لمجابهة الأخطار التي تحيط بهم من جراء تمزقهم وتفرق شملهم.

ونحن وإن كنا لا نختلف مع لودس على المبدأ، إلا أننا ننزع إلى الأخذ بالنظرية الأخيرة التي تنسجم مع منجزات القاضي صموئيل بن القانة (صاحب السفر) الذي اشتهر بتعصبه القومي، وتعلقه بالنظام والتنظيم، وإذا دققنا فيما حققه من الأمور، نجد أنه كان خلف عملية إقرار النظام الملكي بين اليهود. والدليل على ذلك هو كونه أول مَن بحث في الموضوع وخطط له، وأبرزه للشعب، ثم وضع له الدستور الذي حدد فيه علاقة الملك بالشعب وحقوق وواجبات كل منهما نحو الآخر. وهذه المنجزات وما أظهره من الاهتمام لأحداثها، تشير بوضوح إلى عظمة الدور الذي لعبه

(1) A Lods (Evolution de lhumanite) Israel des origines au milieux du 8 eme siecle Page 408.

في إحداث النظام الملكي، وبالتالي تكشف عن مدى علاقته به، ومن هنا ندرك أن صموئيل بذل جهودًا جبارة لترسيخ فكرة الملكية في عقول اليهود قبل أن يتنازل لشاوول وينصبه ملكًا على اليهود.

والآن وبعد أن أوضحنا ملابسات قصة النظام الملكي الزعوم، بقي أن نعرف إذا كانت الملكية قد قامت فعلاً بمجرد مسح شاوول ملكًا على اليهود، والجواب على هذا السؤال يكمن في طيات سفر الملوك الأول الذي يبحث عن شاوول، ويصفه بأنه كان شجاعًا مقدامًا تغلب على بعض رجال القوات الفلسطينية بمفرده، وأعلن عصيانه عليهم، وكون جيشًا من رجال قبيلته منسي ليقاتل الفلسطينيين، وكان يُداهم المخافر الفلسطينية ليلاً، ويلوذ مع رجاله نهارًا إلى الجبال المحيطة بمسقط رأسه جبعة، كما كان محبًا لليهود لا يحجم عن مساعدة كل مَن يستنجد به، فذاع صيته، وعظم شأنه لدى الأسباط، والتف حوله خيرة شباب اليهود أمثال داود.

انتصر على صويا وعلى الموآبيين، وطارد القبائل الرحل التي كانت تعتدي على اليهود، واشتبك مرارًا مع الفلسطينيين، لم يتخذ لنفسه قصرًا، ولم يعين لمملكته عاصمة، ولم يصك نقودًا، ولم يفرض قط ضرائب وإتاوات، عاش طيلة حياته في الجبال مع أنصاره، انتابه مرض خبيث في أواخر أيامه، فصار يشك في أقرب الناس إليه فانفض عنه أكثر رجاله، ولقد قتل وأولاده في موقعة جزرائيل، حيث اشتبك مع الفلسطينيين في قتال مرير أسفر عن هلاكه وأولاده، وانهزام جيشه وانقراض دولته.

ومن خلال هذه الأقوال نستنتج أن زعم قيام الملكية في فلسطين في عهد شاوول، ما هو إلا زعم باطل أراد كُتَّاب الأسفار إخراجه لتعظيم شأن شاوول، الذي أشتهر بورعه وانصياعه لرجال الدين، الذين ينتسب كتَّاب الأسفار إليهم. فعمدوا إلى مكافأته عن طريق تسميته ملكًا في الوقت الذي لم يكن فيه إلا رئيس عصابة صغيرة، تمردت على السلطات الفلسطينية، واعتصمت بالجبال، وكانت تقوم ببعض الغارات الليلية على المراكز الفلسطينية، بقصد مباغتتها وسلب ما تحويه من سلاح ومال.

أما ما زعمته فصول السفر من الانتصارات التي حققها على الموآبيين وملوك الآراميين وقبائل الرحل، فتدحضه نتائج الأحداث التي وقعت لليهود مع ملوك صويا والموآبيين، ليس في أيام شاوول فحسب، بل في العهود التي كان لليهود فيها ممالك

وجيوش، وأسفار الملوك المختلفة تروي صراحة حوادث اندحار اليهود أمام ملوك آراميا، وأمام ضربات المؤآبيين والقبائل الرحل؛ ولذا نعتقد أن هذه الانتصارات لم تحدث قط في عهد شاوول، وليس لها نصيب من الصحة وما هي إلا من مستنبطات كتاب الأسفار.

والأحداث التي أعقبت وفاته، والتي تحدثنا عن استيلاء داود الطريد على عرش شاوول المزعوم، رغم وجود وريثه الشرعي أشبوشت على قيد الحياة وفرار هذا الأخير من حبرون (التي زعم اليهود أنها كانت عاصمة شاوول الرمزية) لعجزه عن ردع داود من احتلال مركز أبيه، لهو أكبر دليل على كذب المصادر اليهودية القائلة بقيام الملكية في عهد شاوول، فلو كانت هناك مملكة ودولة وجيوش (تغلبت على عدة قبائل وشعوب) كما زعمت تلك المصادر، لوُجِدَ لأشبوشت على الأقل بعض الأنصار، ولعملوا معه على طرد داود المتعدي الذي لم يكن معه سوى ستين رجلاً، ومن كل هذا يتضح جليًا أنه لم يكن في ذاك العهد لدى اليهود لا ملك ولا مملكة، وأن كل ما قيل في هذا الصدد ما هو إلا تلفيق رخيص.

مملكة داود أو قيام الدويلة اليهودية

إمعانا في التركيز على زعم قيام الملكية قبل عهد داود، واستدراكًا للغموض الكائن في قصة شاوول، تعود المصادر اليهودية وتذكر لنا، أنه على إثر مقتل شاوول، انقسم اليهود إلى فئتين: الأولى تناصر داود، بينما الأخرى تدعم أشبوشت بن شاوول، وتنهي قصة هذا الانقسام بذكر انتصار داود وأنصاره على الفئة الثانية، وإقدام يهودا وكالب على مبايعة داود وإعلانه ملكًا على حبرون بدلاً من أشبوشت الوريث الشرعي لشاوول، الذي فرَّ على أثره إلى المنطقة الشرقية، وأعلن انفصالها عن حبرون، ونصَّب نفسه ملكًا عليها، واتخذ قرية محنائيم عاصمة لها.

وهكذا أصبح لليهود (على زعم الأسفار) دويلتان وعاصمتان، وهم ما زالوا تحت السيطرة الفلسطينية، ومن ثم تتابع الأسفار وتروي لنا قيام الحرب بين الدويلتين، وتذكر أنها دامت سبعة أعوام، وانتهت بانتصار داود (بفضل مساعدة الفلسطينيين، وحدوث الانشقاق والتمرد في صفوف معسكر أشبوشت، ومقتله على يد قواده الذين خانوه لحساب داود).

وتزعم الأسفار أن داود بمجرد انتصاره وانتهائه من توحيد الدويلتين اليهوديتين، عمد إلى التخلص من الفلسطينيين، وأعلن الحرب عليهم، وبعد صراع دام طويلاً، تمكن من تقليص ظلهم عن المقاطعات اليهودية، ثم بادر إلى تصفية القواعد الكنعانية التي ظلت أمدًا طويلاً تحول دون توحيد المناطق اليهودية، وبدأ بمهاجمتها على مراحل، وأزالها من الوجود وكانت القدس آخر هذه المعاقل، فاحتلها[1] ونقل إليها خباء المحضر وتابوت العهد، وأعلنها عاصمة لملكه.

ويعزو كتاب الأسفار اتخاذ داود مدينة القدس عاصمة لملكه، لرغبته في إبعاد شبهة التحيز ليهودا عن نفسه، ولهذا اختار إحدى المدن الكنعانية، ليكون لها هي أيضًا طابع الحياد والتجرد بوصفها عاصمة لملكه.

وتتابر الأسفار على سرد قصة داود وتقول: إنه بويع من قبل جميع الأسباط، وأصبح سيد اليهود دون منازع، ولما استتب الأمر باشر بتنظيم دولته، فعين لها الوزراء، ورؤساء الدواوين، وكون جيشًا من المتطوعة، وآخر من أفراد الشعب، ونصب عليها الأمراء والقادة، كما نظم الكهنوت ورجال الدين وحدد الطقوس الدينية.

ولقد اشتهر داود بالتقوى، واحترام رجال الدين، والعمل بسنن الشريعة، ومع هذا عُرِفَ بحبه للبذخ والترف، فذكرت المصادر اليهودية أنه بنى القصور والقلاع لزوجاته وقواد جيشه، واكتنز الأموال الطائلة، وفيما يتعلق بانتصاراته العسكرية تقول الأسفار: إنه أخضع العمونيين والموآبيين، وتحالف مع الفينيقيين والفلسطينيين، واجتاح الممالك والدول حتى أصبحت مملكته تشمل كافة الأقطار الواقعة ما بين النيل والفرات. في وصف مناقبه لم يدخر كُتَّاب الأسفار وسعًا في التحدث عنها، حتى أن القلم يعجز اليوم عن تسطير كل ما قيل عنه، ويزعم اليهود أن عهده كان أسعد عهد عرفوه؛ ولذا فهم يطلقون عليه اسم العهد الذهبي، ويحلمون بعودته حتى اليوم.

ومع كل هذا المديح الذي يكيله السفر لداود، يعود ليروي لنا في فقرات أخرى، تآمره مع الفلسطينيين على شاوول وقومه، وإقدامه على إعدام مَن بشَّره بوفاة غريمه

---

(١) هذه هي المرة الثالثة التي تذكر فيها الأسفار احتلال القدس من قبل اليهود (إذا صح واحتلوها سابقًا). (دار البشير).

شاوول، وقتله الذين ألحقوا به مملكة عدوه أشبوشت، واغتصابه نساء أتباعه، وتحريض سليمان على قتل أعدائه الذين سبق وأن عفا عنهم. ومن خلال هذه الأقوال يتضح لنا أن داود لم يكن ليحجم عن ارتكاب الخيانة القومية، ولا عن الغدر بمَن أخلصوا له، ولم يكن منزهًا عن الهوى والحقد، وهذه الخصال تناقض كل ما أضفي عليه من المناقب في الفقرات السابقة(١).

وهذا التناقض البارز في السفر فيما يتعلق بشخص داود، نلاحظ وجوده أيضًا في البحث عن مملكته؛ لأن السفر الذي وصف مملكته بأنها كانت تشمل جميع البلاد الواقعة بين النيل والفرات، يعود في بعض فصوله ليؤكد لنا تحالف داود مع الآراميين (أي مع الإمارات التي كانت تطوق الجبال الفلسطينية من الشرق وعلى طول نهر الأردن) ومع الفينيقيين (أي مع مملكة صور التي كانت حدودها تلامس حدود منطقة الجليل) ومع الفلسطينيين (أي سكان المناطق الساحلية) ومن فحوى البحث عن هذه المخالفات يتضح أن مملكته كانت واقعة في البقعة المحصورة ما بين لبنان من الشمال ونهر الأردن من الشرق، والسواحل الفلسطينية من الغرب والدولة المصرية من الجنوب، وبكلمة أوضح المنطقة الجبلية من فلسطين فقط.

ومن هنا ظهر بجلاء مدى ما توصل إليه كُتَّاب الأسفار من تعمد المغالاة والتلفيق، والاستخفاف بكل القيم الأخلاقية والأدبية والتاريخية فيما كتبوه عن شعبهم وماضيه، ومدى الثقة التي يمكن للقارئ أن يولي المصادر اليهودية عند بحثها عن تاريخ شعبها، فما أحوج اليهود إلى الرثاء ما دام هذه هي صفات كتابهم، وهذا هو تاريخهم؟

مملكة سليمان الأسطورية

على أثر تمرد أبشالوم، واحتلاله القدس، واعتدائه على سراري أبيه الذي هرب من عاصمة ملكه خشية بطشه، وما تعرض له من الذل أثناء فراره، فَقَدَ داود ثقته بأكثر أولاده، ووعد زوجته بتشايع التي كان قد اغتصبها من أوريا الحثي بأن سيُوَرِّث ابنها سلمان العرش من بعده، ولما عَلِمَ أولاده الآخرون بهذا الأمر، عمدوا إلى التآمر

---

(١) لا يمكن لأي خيال سقيم أن يتخيل أن نبي الله داود الذي كرمه الله تعالى وملكه الدين والدنيا يفعل هذه الجرائم القذرة من القتل والاغتصاب والخيانة، بل هذا خطأ وهذا أصح الأدلة على عدم صحة الكتاب المقدس، الذي يشوه صورة الأنبياء والرسل. (دار البشير).

عليه، وعلى الأخص آدونيا الذي كان يسعي لإزاحة سليمان ليحل مكانه، وعندما شاخ داود وقرب أجله، جزعت بتشايع من أن يفاجئه الموت، فيستولى آدونيا على العرش، ويحرم سليمان منه، فتقدمت برفقة ناتن النبي تطالب زوجها بتحقيق وعده لها، وتنصيب سليمان على العرش قبل فوات الأوان. فلبي داود طلبها، وأجلس سليمان على العرش، وهو لم يزل على قيد الحياة، ثم زوده بالإرشادات، وحذره من أعدائه، وأوصاه بأن يثأر من شمعي، وكل مَن أساء إليه في الماضي.

ويبدو أن سليمان كان حكيمًا وشجاعًا، فدشن أعماله بالإيعاز لقائد جيشه بانايا، بأن يقتل كل من آدونيا، ويوأب، وشمعي، ولم تم له ذلك، أمر بعزل أبياتار (الحبر الأعظم) من منصبه، وأبعد عن مراكز النفوذ كل مَن ناصر آدونيا في الماضي.

ولما تخلص من أعدائه، سارع إلى تجديد المحالفات مع جاراته، وأعاد تسليح وتنظيم جيشه، وأحدث قانون السخرة وفرضه على غير اليهود من أتباعه، وعملا بإرشادات صديقه حيرام، صنَّف العمال إلى أساتذة، ومعلمين، وأجراء (يقول بعض النقاد: إن حيرام هذا، هو أول مَن أوجد الفكرة الماسونية، وأن تنظيماتها الحالية انبثقت عن التصنيف المبحوث عنه في سيرة سليمان). ثم بني هيكله الشهير، وأحدث أسطولاً تجاريًا فخمًا، بيد أن اليهود لم يستسيغوا التجارة البحرية، ففشلت مساعي سليمان في الميدان التجاري وخابت آماله فيه.

وتذكر المصادر اليهودية أن سليمان كان مزواجًا، اتخذ لنفسه عشرات الزوجات من مختلف الشعوب، وبنى لكل منهن معبدًا خاصًا لآلهتها، لتمارسن فيه الطقوس الدينية، وبعض هذه المصادر اليهودية تزعم أن سليمان كان يشارك بعضهن عبادة الأوثان، وتتهمه بالوثنية، ويذكر عن سليمان أنه فرض ضرائب فادحة على أفراد الشعب؛ ليتمكن من تغطية نفقاته الكثيرة، مما أدى إلى تذمر الشعب واتهامه بالإسراف، وإنفاق أمواله على قبيلته يهودا وتحيزه لها.

وتذكر الأسفار أن قبيلة إفرائيم تمردت تحت زعامة ياربعام بن نياط على سليمان بسبب هذه التهم المنسوبة إليه، ولكن جنود سليمان تمكنوا من قمع الثورة بسرعة، ففر زعيمها إلى مصر.

ويبدو أن سليمان لم يكن مقدامًا مثل أبيه، فلم تحدث في عهده معارك هامة أو

فتوحات ذات بال، وجُلُّ ما تذكره الأسفار في هذا الصدد، لا يعدو قصة اصطدامه مع الأمير هدد الآدومي الذي عاد في عهده إلى البلاد، وأعلن انفصال بني قومه عن مملكة سليمان، بعد أن كانت قبائله تخضع لليهود منذ عهد داود، وتروي الأسفار أيضًا وقوع حرب بين سليمان وملك صويا، انتهت دون أن ينتصر أحد من الطرفين.

أما المزاعم اليهودية المتعلقة بسعة ملكه وعظمة سطوته، فلا أساس لها من الصحة، وقصة احتلاله لحماه وما جاورها من البلاد، وإقدامه على بناء تدمر وبعلبك، فهي أيضًا عارية عن الصحة؛ لأن كافة المصادر التاريخية أجمعت على أن سليمان لم يخض معارك حربية ضد الدول المتاخمة لحدوده، فكيف يمكنه أن يخوض معارك ضارية في البلاد الواقعة خلف حدود جاراته؟وعلى الأخص في منطقة حماه التي تفصله عنها مملكة صور وأمارات آرامية عديدة، وللوصول إليها عليه أن يجتاز بلاد صويا والإمارات الآرامية، والتي سبق وأن عجز عن إخضاعها تمامًا، كما عجز عن إخضاع الأدوميين الذين استردوا منه حريتهم دون أن يجسر على مقاتلتهم، فلو كان قادرًا على فتح حماه وما جاورها من البلاد، لكان الأجدر به أن يخضع أدوم وصويا القريبتين منه، بدلاً من أن يزج بجيشه في ميادين حربية بعيدة تفصله عنا دول عدوة عديدة. أما ما ذكرته الأسفار عن بنائه لتدمر وبعلبك، فلا يستحق حتى التعليق عليه؛ لأن الفرية يكذبها واقع المدينتين المذكورتين، وما يعلمه العالم أجمع عنهما.

أما شهرة سليمان الفلسفية والأدبية التي انبثقت عن سفره، الذي أتفق جميع النقاد على أنه كتب في القرن التاسع قبل الميلاد أي بمائة وثلاثين عامًا بعد وفاته بحاجة أيضًا إلى كثير من الأدلة والبراهين لدعم نسبتها إلى سليمان، الذي قضي نحبه قبل تلك المدة الطويلة التي سبقت عهد كتابة سفره.

ولقد قال النقاد[1] أيضًا عن هذا السفر بأنه كتب في القرن التاسع قبل الميلاد، وهو وإن كان لا يخلو من بعض الوقائع التاريخية الصحيحة، إلا أن أكثر ما جاء فيه يتألف من القصص الخيالية، والأحاديث، والأمثال الشعبية، التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة.

أما ما نُسِبَ فيه إلى سليمان من التعمق في الحكمة والتضلع في الأدب، فيبدو أنها

---

(1) A Lods Evolution de Ihumanite Israel des origines au milieu du 8eme siecle 341.

من بنات أفكار كتاب العهود التي أعقبت عهد سليمان ومملكته، ومن خلال هذه الآراء والأقوال يتضح للقارئ مدى ما وصل إليه كتاب الأسفار من حب التلفيق والتضليل، مما يؤدي بنا إلى الشك في كل ما قالوه وما كتبوه، وبالتالي إلى عدم الأخذ بكل أثر لهم.

أما فيما يتعلق بالتنظيمات الداخلية التي قيل أن سليمان حققها ضمن دولته، فقد أجمع النقاد على أنها كانت رائعة؛ إذ أظهرت اليهود لأول مرة في التاريخ بشكل شعب ذي كيان موحد، وأضفت على دولتهم صفات الدولة الحقيقية.

ومن العدل أن نعترف بأن عهد سليمان، كان العهد الوحيد الذي يحق لليهود أن يقولوا عنه: إنه كانت دولة فيه لهم، وإن لم تدم إلا أربعين عامًا، ثم هوت مثلما قامت.

انقسام المملكة اليهودية

سبق وقلنا: إن سفر الملوك اتهم سليمان بالإسراف والتحيز، وفرض الضرائب الفادحة على الشعب، وذكرنا أن إفرائيم ثارت عليه، ولكنه قمع ثورتها وأرغمها على الرضوخ لمشيئته، وهذه الحادثة أثارت ضده حفيظة أكثر القبائل اليهودية، فأضمرت له وليهودا الشر، وصارت تتحين الفرصة المواتية لتنقض عليهما.

ولما وافاه الأجل نحو عام ٩٣٥ قبل الميلاد، سارع ياربعام بن نباط زعيم ثورة إفرائيم، الذي كان لاجئًا لدي شيشنك فرعون مصر بالعودة إلى إفرائيم، وبادر بإثارة أهلها على ورثة سليمان، فلاقت دعوته هوى في نفوس أسباط اليهود، فتمنعت عن مبايعة رحبعام بن سليمان، إلا بعد أن يلغي الضرائب التي فرضها سلفه عليها، وأن ينشر المساواة بينها، ويعلن عدم تحيزه ليهودا، ولكن رحبعام أبى أن ينصاع لمطالب زعماء اليهود، فثار الشعب عليه في إفرائيم، فلم يسع رحبعام إلا الهرب إلى القدس، تاركًا أنصاره بين أفراد الشعب الذين فتكوا بهم بإيعاز من ياربعام، ومن ثم أعلن سكان إفرائيم انفصالهم عن القدس، واختيارهم ياربعام ملكًا على سبطهم، وتسمية مملكتهم الجديدة بإسرائيل.

ولما رأت الأسباط الأخرى ما قامت به إفرائيم، انضمت بدورها إليها، ولم يبق منها مع يهودا التي كانت تشايع ورثة سليمان إلا سبط بنيامين، وهكذا انقسمت مملكة

سليمان إلى دويلتين، ولقد تم الانشقاق بكل هدوء وسكينة، ولم يعقبه أي رد فعل من قبل رحبعام بن سليمان، الذي فضل السكوت وقنع بأن يصبح ملكًا على سبطين، بعد أن كان يملك الأسباط الاثنتي عشرة اليهودية.

وهذا التخاذل الذي بدر من رحبعام والذي تعترف الأسفار به، يدل على كذب كُتّاب الأسفار، الذين زعموا أن مملكة سليمان كانت تمتد حتى الفرات، وأنه كان يملك الجيوش الجرارة، وكان له العديد من الأنصار والولاة..... إلخ. فلو كان لسليمان قليل مما ذكره كتاب الأسفار لما كان رحبعام قبل بهذا المصير، ولكان استنجد بالقوات والجيوش، التي زعمت المصادر اليهودية أنها كانت تدين لسليمان بالولاء، ولأخمد بها ثورة إفرائيم وأخضعها إلى طاعته، ولكن عدم وجود تلك الجيوش الجرارة إلا في مخيلة كتاب الأسفار، أرغم رحبعام على قبول الإهانة والخضوع للأمر الواقع، وهذه النتيجة تدحض بكل بساطة أقوال المصادر اليهودية عن عظمة مملكة سليمان، وتظهر أنه لم يكن يملك إلا الأسباط اليهودية وحدها، وأن نفوذه لم يتعد قط القوقعة اليهودية الصغيرة.

ولقد علق لودس على هذا الانقسام(١) بقوله: إنها كانت بداية النهاية؛ إذ قضى على العهد الذهبي القصير الذي ما زال اليهود يتغنون بقيامه حتى اليوم، ويبدو أن لودس أصاب كبد الحقيقة في قوله هذا، باعتبار أن الأسفار تعترف بأن الفلسطينيين عادوا على أثر وقوع الانقسام إلى مهاجمة المناطق اليهودية وأعادوا نفوذهم حتى مشارف القدس والخليل، كما أنها تعترف أن الحرب كانت سجالاً بين دويلتين طيلة قرون عديدة، وكان زعماء الطرفين لا يتورعون عن الاستنجاد بالأغراب ليناصروا إحداها على الأخرى، كما كانت كل واحدة منهما تتآمر على شقيقتها مع الدول المجاورة، وتعمل للقضاء عليها، ومن هذا القبيل تحدثنا الأسفار أن ياربعام ملك إسرائيل حرض مضيفه السابق شيشنك على يهودا، فجاء شيشنك واحتل يهودا وإسرائيل معا وأخضعهما لنفوذه.

وتروي الأسفار أيضًا أن آسا ملك يهودا، استنجد بأمير دمشق على إسرائيل، فلبى الملك الآرامي دعوته، وجاء إلى إسرائيل ودمر عدة مدن فيها وقتل العديد من

---

(1) A. Lods Evolution de L,humanite – page 435.

سكانها، ثم عاد إلى قواعده غانمًا سالمًا.

ورغم اعتراف الأسفار بهذا التمزق القومي الشنيع الذي أصاب قومها، تـأبى إلا أن تختلق له الانتصارات، وإن كانت وهمية، فتزعم عند بحثها عن آسا ملك يهودا بأنه كان يملك جيشًا قويًا بلغ قوامة المليون رجلاً، وتضيف قائلة أنه انتصر على زيـراح ملك الآشوريين، وكأن كُتّابها لم يسبق لهم أن اعترفوا باستنجاده بأمير دمشق لينـصره على إسرائيل الصغيرة.

وفيما يتعلق بهذه المزاعم يقول النقاد[1]: إنها محـض تلفيـق، بـدليل عـدم وجـود ملك آشوري في التاريخ يحمل اسم «زيراح» ولعدم ذكر المصادر الآشـورية والمـصرية شيئًا عن حدوث حرب في عهد آسـا. والمكتـشفات والمخطوطـات الأثريـة الـتي عثـر عليها تخلو من كل ما يشير لزيراح أو لحرب وقعت في عهد آسا مع مـصر أو آشـور. ومن هنا ندرك أن قصة انتصار آسـا، ليـست سـوى فريـة يهوديـة تـضاف إلى قائمـة الفضائح اليهودية التاريخية.

كما أن اعتراف الأسفار باستنجاد آسا بملك دمـشق، ثـم اعترافهـا بغـزو القبائـل الرحل لمدينة القدس ولمنطقة يهـودا، وتخـاذل يهـودا أمـام صـويا وآدوم تكفـي كلـها لتوصم كتاب الأسفار بالتلفيق والكذب.

ومما سبق شرحه يتضح أن يهودا وإسرائيل، كانتا بعد الانقسام بمثابة ولايـة تابعـة للمنتصرة من الدولتين الكـبيرتين مـصر وآشـور (ومـن ثـم الكلـدان)، اللـتين كانتـا تتنازعان السيطرة على ربوع الشرق الوسط، أما الأوضاع الداخلية لكل مـن دويلـتي اليهود، فكانت على ما تقوله الأسفار متردية بصورة دائمة من جراء التطـاحن الـذي دام بينهما، وكثرة الانقلابات، وحوادث القتل والاغتيال؛ ولهذا كانت كل مـن مـصر وآشور تنظر إليها نظرة منبع الاضطراب والقلق في المنطقة، ولما احتلت آشور فلسطين بعد أن هزمت مصر، كانت تراقب الدويلات اليهودية بعـين الحـذر واليقظـة، ولكـن إسرائيل لم تركن إلى الهدوء، فتعمدت التمرد على آشور نحو عام ٧٢١، فما كـان مـن (تجلت فلاصر) ملك آشور إلا أن اجتاحها بجيوشه الجرارة، ودمر عاصمتها السامرة، وأجلى أهلها إلى بلاد ما بين النهرين، وقضى على أثارها إلى الأبد.

(1) A. Lods – Les prophetes d,israel et les debuts du judaisme page 168.

ولما رأت يهودا ما حل بصنوها، جنحت إلى الحذر واليقظة، حتى أن قامت دولة الكلدان التي خلفت آشور، فبادرت يهودا عام ٥٩٦ إلى إعلان عصيانها على الدولة الجديدة، فأذاقها (بختنصر) الكلداني من الكأس الذي شربت منه إسرائيل، فدمر القدس وأجلى أهلها إلى بابل، وهكذا قضى على إسرائيل بدورها.

المعتقدات اليهودية عبر التاريخ

منذ أقدم العصور والاعتقاد السائد، هو أن الديانة اليهودية كانت دائمًا وحدانية، وهذا الاعتقاد هو الذي أوهم الناس بأن كلاً من الديانتين النصرانية والإسلامية انبثقت عنها، والشيء الذي دعم هذه النظرية هو قول المسيح بأنه أتي ليكمل ما بدئ وليس ليهدمه، ومن ثم احتضان الكنيسة التوراة بوضعه الراهن أي بعد أن أدخلت عليه إصلاحات عهد يوشيا والمنفى وما أعقبهما من عهود، وكان من الطبيعي أن تتقبله الكنيسة بعد هذه الإصلاحات وأن تعتبره كتاب توحيد لا غبار عليه، وهكذا نجح أنبياء المنفى ومَن سبقهم من مصلحي القرن السادس قبل الميلاد في إبراز التوراة، وكأنه كتاب توحيد عام، ولكن إذا دققنا في نصوص الأسفار الباحثة عن العهود السابقة لعهد المنفى وتمعّنا جيدًا فيما تذكره عن الطقوس الدينية، التي كان يتبعها اليهود قبل القرن السادس، لاتضح لنا أن اليهود لم يكونوا موحدين (Monotheistes) قبل عهد يوشيا قطعًا؛ إذ المعروف هو أن فئة الثنيويين هي التي صاغت التوراة على شكله الراهن في عهد يوشيا أي فيما بين ٦٩٦ و ٦٢٢، وهي التي أظهرته للوجود لأول مرة، وزعمت أنها عثرت على نسخة الكلمة الأصلية في خباء المحضر، وراحت تروجه بين اليهود[1] وسلوكها هذا، أثار عليها بعض أنبياء اليهود أمثال أرميا، الذي أتهمها بتحريف الكلمة أي التوراة، وزعم أن الكلمة يجب أن تظل شفهية، وأن تصدر فقط عن الأنبياء، ولكن وقوع الكارثة وجلاء اليهود إلى المنفى أبدلا رأي أنبياء المهجر في الأمر، فاعتمدوا الكلمة المكتوبة، وأدخلوا على التوراة مفاهيم جديدة تفوق المفاهيم الثنيوية بكثير، وأضفوا على ألوهية يهوى العمومية والشمول، وبدءوا يعرفونه بأنه رب العالمين، وليس رب إسرائيل فقط.

ولقد تميز في سلوك هذا النهج الجديد النبي حزقيال، الذي كان يدعو أفراد شعبه

(1) A. Lods – Les prophetes d,israel et les debuts du judaisme page 168.

إلى التمسك بيهوى وعدم الخروج عن طاعته، يزعم أن المصائب التي نزلت بهم، ما كانت إلا عقابًا لهم لتمردهم في الماضي على يهوى الذي اختصهم بين الشعوب بحمايته، وأنه سوف يعفو عنهم بمجرد أن يعلنوا التوبة، ويحقق لهم جميع ما وعدهم به.

وهذه التوعية الجديدة التي بنيت على الوحدانية، هي التي صورت اليهود للناس، وكأنهم كانوا أبدًا وحدانيين، وهي نفسها التي حدت بالمسيح ليقول: إنه جاء ليكمل وليس ليهدم. ونحن وإن كنا نعترف بأن الشريعة اليهودية (Judaisme) القائمة حاليًا هي وحدانية، إلا أنه لا يسعنا التسليم بأنها كانت دائمًا كذلك؛ لأن نصوص سفر الخروج في هذا الموضوع هي أصرح من أن تكون موضع جدل؛ إذ أنها تقول: إن اليهود كانوا يعتبرون يهوى الرب الخاص بهم، ولهذا أطلقوا عليه لقب رب إسرائيل، كما أنها تشير إلى أنهم كانوا يعتقدون بوجود آلهة أخرى اختصت بالأقوام المختلفة، ويقولون: إن يهوى كان يناصرهم على الأقوام العدوة وآلهتها معًا.

وسفر القضاة يذكر هو الآخر أن اليهود كانوا يتخذون أسماء الآلهة الغريبة ليتباركوا بها تجنبًا لنقمتها وغضبها، كما أن يهود مصر (في العهد الفارسي) كانوا يشركون البعول، والآلهة المصرية مع يهوى في مذبحه، ويقدمون لها الذبائح والقرابين على قدم المساواة معه، وكل هذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على أن اليهود لم يكونوا قط موحدين، بل أنهم كانوا يعبدون يهوى في المرتبة الأولى، ويشركون به آلهة أخرى، أو على الأقل يعترفون بوجودها، وهذه العبادة تسمى بالعبادة التفضيلية، وهي نوع من الشرك أي (Polytheisme).

ولقد أجمع النقاد على أن اليهود كانوا يعتبرون يهوى الرب الخاص بهم، ولكن في نواح وأمور معينة كالحرب مثلاً؛ ولذا كانوا يلجئون إليه في الملمات الحربية والسياسية فقط، وفيما عدا ذلك كانوا يعتمدون على آلهة البلاد التي كانت بزعمهم ترعى شئونهم الأخرى، كالزراعة والمعيشة بصورة عامة، وهذه المعتقدات هي التي كانت تدفعهم إلى عبادتها وإقامة المذابح لها، كما رأيناها في أكثر قصص سفر القضاة، وفي عهد دويلة إسرائيل خاصة، ولقد ظل اليهود على معتقداتهم هذه إلى أن انقرضت دويلة إسرائيل، وجلا أهلها إلى المنفى، عندها فقد اليهود تمامًا ثقتهم بيهوى، فخرج أكثرهم عن طاعته، واتبعوا آلهة المنتصرين. وهذا الموقف الجديد هو الذي دفع

الثنيويون إلى الإسراع في إدخال الإصلاحات على المعتقدات القديمة، والإدعاء بعثورهم على التوراة المنسوب إلى موسى، والسعي لتعميمه بين أفراد الشعب أملاً بتقوية معنوياته، ومنعه من الخروج على يهوى، ولكن القدر أبى إلا أن يلحق يهودا بشقيقتها إسرائيل، فوقع ما كان يخشاه المصلحون، فانبرى أنبياء المهجر يتصدون للوضع الجديد، فأحدثوا المفاهيم العامة التي بحثنا عنها، واستنبطوا الحجج لتبرير فشلهم في فلسطين، ونسبوه إلى الأخطاء التي ارتكبها الشعب، ومن ثم عمدوا إلى تطمينه بإيهامه أن يهوى (رب العالمين) سيعود لحمايته وإخراجه من مأزقه، ومن ثم عمدوا إلى تلقينه المفاهيم التي أوجدوها، والمكونة مما تحتويه الشريعة اليهودية الحالية المسماة (Judaisme) وهكذا أصبح اليهود موحدين أي (Monotheistes).

ويا ليت اليهود ظلوا على ما كانوا عليه؛ لأن اعترافهم بأن يهوى هو الرب الأوحد العام مع الاحتفاظ بفكرة تخصصه بهم، جعلت مطامعهم السياسية موازية مع هذه الفكرة الجديدة، التي شرع زعماؤهم وكتابهم بتعميمها على أفراد شعبهم، وحثهم على الاعتقاد بأنهم سادة الشر وأحفاد مَن اختيروا لتوجيه وقيادة الشعوب الأخرى، ومن هنا تكونت لدى اليهود فكرة التفوق العنصري، ورسخت في أذهانهم نزعة السيادة اليهودية العالمية، ودأبوا على السعي لتحقيقها منذ ظهور شريعتهم الجديدة.

وهكذا نلاحظ أن أنبياء المهجر ومن ثم حكماء التلمود[1]، استمدوا القوة من

---

(١) التلمود هو أحد الكتب القليلة جدًا، التي يرد ذكرها كثيرًا، ولكن لا يعرفها إلا القليل. فما زال الكثير من الغموض يحيط بالتلمود في العديد من الدوائر، فكثيرون من الناس لا يريدون أن يتعرفوا عليه؛ خشية الصعوبة في فهمه أو الملل منه، كما يبتغي آخرون حجب ما فيه من معلومات لأهواء مختلفة، المعروف عمومًا هو أن التلمود عبارة عن مجموعة شرائع الناموس اليهودي، وبخاصة عند اليهود التقليديين أو الأرثوذكس. فالتلمود هو المرجع الذي يرجع إليه اليهود في كل ما يتعلق بناموسهم، فمن أراد أن يتبين رأي الناموس اليهودي بخصوص حالة معينة أو نقطة أو قضية، عليه أن يرجع أولاً إلى مختلف الكتب، ولكن غير مسموح له أن يصدر حكمًا حاسمًا في الموضوع استنادًا إلى التلمود وحده، ومن جهة أخرى لا يكون أي قرار صحيح إذا جاء مخالفًا لشيء في التلمود. أما اليهود المتحررون فيقولون: إنه رغم أن التلمود شيء ممتع وله قيمته كعمل يهودي عريق، إلا أنه في حد ذاته ليس مستندًا أو أساسًا للإيمان والحياة.

نكستهم التي أضعفتهم، وخرجوا على بني قومهم بفكرة السيادة العالمية، هذه التي يعمل اليهود اليوم على تحقيقها بكل ما أوتوا من قوة وقدرة.

(ملاحظة) إن ما أوردناه فيما سبق عن المعتقدات اليهودية نقلناه عن كتاب (تطور البشرية - إسرائيل من البداية حتى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد) للسيد أدولف لودس، ولقد أدرجناه حسبما ورد فيه بغية إعطاء فكرة سطحية للقارئ الكريم عن تطور المعتقدات اليهودية، ودون أي إضافة لعدم علاقته أصلاً في أغراض مؤلفنا هذا.

شهرة اليهود السياسية والاجتماعية قبل عهد المنفى

أجمع النقاد على أن المصادر اليهودية هي أفضل المصادر قاطبة للحكم على المسلك السياسي والاجتماعي، الذي كان يسلكه اليهود تجاه الشعوب الأخرى؛ لأنها تصف علاقاتهم مع الشعوب التي عايشوها بكل دقة وأمانة، وعلى صورة فريدة من نوعها، فهم تارة أناس طيبون، ينزعون للهدوء، ويحتكمون للحق ويتقبلون المنة (إشارة إلى مسلك إبراهيم في مستهل حياته وقبل أن يصبح مالك عبيد وأموال) وأخرى يظهرون وقد استأسدوا وتنكروا للفضل والمروءة (إشارة إلى موقفهم من شكيم وأهل نابلس وما ارتكبوه من وحشية) ثم يعودوا ليتظاهروا بالخضوع والخنوع (إشارة لمسلكهم مع أهل مصر وفرعونها) ليصلوا إلى مقاصدهم، ومرة أخرى وإذا بهم يصبحون جبابرة وعتاه لا يعترفون بالحق، ولا يعفون حتى عن الطفل الرضيع والحيوان الأعجم (أشارة لتطبيقهم سنة القتل العام في فلسطين) فهم دائما متقلبون يتفاعلون مع أوضاعهم السياسية، فعندما يشعرون القوة بأنفسهم لا يعترفون بأية قيمة خلقية، وفي حالة العجز والضعف، يتعلقون بكل المثل والقيم التي عرفت منذ الخليقة ليحتموا خلفها.

ومسلكهم هذا دفع نقاد التاريخ إلى وصفهم بأنهم، وحوش ضارية متعطشة للدماء ديدنها الحقد والغدر، لا تعترف بالحق، ولا تحفل بالوفاء[1].

وهذه الصفات الرذيلة فيهم أفقدت ثقة الشعوب بهم، وأرغمتها على التألب

وللتلمود أهميته عند المسيحيين؛ لأنه يحتوي على الكثير جدًا من الأمور التي تساعد على فهم العهد الجديد. انظر التلمود أصله وتسلسله وآدابه، تأليف الحاخام اليهودي شمعون يوسف. (دار البشير).

(1) A.Lods – (E. H. – Israel des origines au milieu de 8 eme siecle page 226.

عليهم، وتمزيق شملهم، وتشتيت مجتمعهم، لتتخلص من مؤامراتهم ودسائسهم، وتتجنب شرورهم.

أما ما زعمه المؤرخ اليهودي يوسفوس من أن اليهود كانوا على شيء من الحضارة الثقافية، كتضلعهم في علم الفلك أو سواه، فإنه يحتاج إلى براهين كثيرة؛ لأن النقاد[١] أجمعوا على القول بأن كل ما أوجده اليهود في التلمود من العلوم، اُقْتُبِسَ عن الآشوريين والكلدانيين في عهد المنفى، وجُل ما أورثه اليهود للإنسانية من مناقب، فيلخص بإحداثهم الإقطاعية (التي أوجدها يوسف في مصر) واستنباطهم الجاسوسية، وابتكارهم سنة القتل العام الشنيعة.

التحليل الخاص لقصص الأسفار

والآن وبعد أن أوجزت آراء علماء ونقاد التاريخ في المجموعة السداسية، وما يتبعها من الأسفار، أرى أن أدلي بدلوي معهم، وأشرح ما استنتجته بدوري من قصص هذه الأسفار بعد أن أطلعت على عدة تراجم للعهد القديم (الكاثوليكية والبروتستانتية والتركية) وتصفحت العشرات من كتب النقاد، وأجريت المقارنات العديدة بين ما قالته الأسفار عن إبطال قصصها (كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى) وما قالته عنهم الكتب الدينية الأخرى، وما لمسته من التوافق العجيب الكائن بين محتويات قصصها ومسلك اليهود السياسي والاجتماعي عبر التاريخ.

وقبل الخوض في صميم الموضوع، أعترف بأنني على وفاق تام مع النقاد في كل ما يتعلق بهذه الأسفار، اللهم إلا في نقطة واحدة: وهي أن النقاد أجمعوا على أن البدء بتأليفها كان في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، بينما نرى أن بعض قدماء مؤرخي التاريخ كالسيد سكردر مؤلف (التاريخ والعهد القديم صحيفة ٢٤٥) والأب مور (من كتاب مجلة الأبحاث الدينية) والأب فيكتور مؤلف (الكتاب المقدس والمكتشفات الحديثة) ويوسفوس مؤلف (التاريخ اليهودي) والمطران دبس مؤلف (تاريخ سوريا)[٢] يذكرون (دون أن يتطرقوا لبداية تأليف الأسفار) أن أول مَن كتب من

(1) A.Lods – (E. H. – Israel des origines au milieu de 8 eme siecle page 226.

(٢) راجع تاريخ سورية الجزء الثاني للمطران دبس، صحيفة ٢٩٦، حيث نجد بحثا مستفيضا عن اختلاف

أفراد الشعب اليهودي هو القاضي صموئيل، ينسبون إليه وضع الدستور الخطي لشاوول، وتأليف سفري الملوك الأول والثاني.

والأسفار بدورها تشير إليه بأنه أول مَن استعمل الكتابة بين رجالات اليهود، مع التمسك طبعًا بزعم نزول الأسفار السابقة لعهده على موسى (هذا الزعم الذي أوضحنا آراء العلماء فيه والذي تدحضه كل القرائن).

وبما أن الفارق الزمني بين العهد الذي حدده النقاد لبدء كتابة الأسفار وبين عهد صموئيل (الذي أجمع المؤرخون والأسفار على أنه أول مَن كتب بين اليهود) ليس له من الأهمية الزمنية بالقدر الذي يعرض التقديرات التاريخية للخلل، وخاصة بعد كل ما لاحظناه من الفوضى التاريخية (أي الفوضى في تحديد الزمن) في تحديد أحداث الأسفار، فإننا نرى أن اعتبار البدء بكتابة الأسفار في عهد صموئيل، هو أقرب للصواب، ليس أخذًا بما قاله سكردر وأنصاره أو ما ذكرته الأسفار فحسب، بل لأسباب عدة أخرى، ومنها انفراد صموئيل بين أترابه القضاة (إذ كان أحسن مَن فيهم جاهل غر، أو قاطع طريق أو طريد عدالة) بسعة العلم التي حصل عليها بفضل إقامته منذ طفولته في كنف الكاهن عالي الحبر الذي كان اليهود يعتبرونه حجتهم في العلم والمعرفة، وما أظهره صموئيل من الفطنة والذكاء إبان[1] مزاحمته لأستاذه على زعامة اليهود، وما بدر عنه من الحنكة الإدارية بعد أن أصبح قاضيًا عليهم، وما حققه من تنظيمات ذات أثر طويل الأمد على سير الحكم في إسرائيل، وما ابتدعه من أساليب التدريس، وما أوجده من المعاهد التي كانت تخرج القادة والأنبياء.

وهذه المنجزات الصموئيلية وما اختص به من المؤهلات هي التي تدفعني لاتخاذه منطلقًا لتحليلي الخاص، وتشجعني على الاعتقاد بأنه هو الذي استنبط قصص الأسفار الباحثة عن الأسلاف الأولين، وما يتبعها من روايات، بغية تحقيق أهداف معينة لصالح بني قومه، الذين كانوا بأمس الحاجة آنذاك لما يرفع من معنوياتهم، ويجعلهم قادرين على النهوض من الكبوة التي كادت تزيلهم من الوجود، بعد اندماجهم مع الشعوب الأخرى وخضوعهم لها، هذا الخضوع الذي ولدته التفرقة

العلماء حول هذه النقطة. (دار البشير).

(١) إبان: وقت. (دار البشير).

التي سادت صفوفهم، بعد أن تم تمركزهم في فلسطين، والتي أقامت كل عشيرة من عشائرهم في ناحية منها، وانقطع الاتصال فيما بينها وذلك، بعد أن زالت الأسباب التي حققت وحدتها المفتعلة في عهد موسى (البحث عن مجال حيوي للعيش) فعادت كل واحدة منها لما كانت عليه في سابق عهدها من الاستقلال في شئونها، والتنكر لشقيقاتها (على حد قول النقاد الذين قالوا بوجود قبائل أرامية ومدينية بين القبائل العبرانية) واحتقار بعضها للبعض الآخر، بزعم وجود تفاوت عنصري فيما بينها (مثل احتقار إفرائيم ليهودا وكالب بزعم أنهما أنصاف يهود) الشيء الذي أدى إلى قيام المنازعات العديدة وحتى إلى الاقتتال الوحشي بينها (مثل القتال الذي قام بين بنيامين والعشائر الأخرى).

وهذه العوامل هي التي حدت بأكثرها لأن تلوذ بالعزلة وتتناسى الأخريات، ومن ثم تنحدر رويدًا رويدًا نحو الانصهار مع الكنعانيين أو سواهم، ويبدو أن صموئيل لاحظ كل هذه المساوئ، وقدر المخاطر التي كانت تهدد بني قومه، ولما سنحت له الظروف أن يتزعم اليهود تخيل أن في قدرته جمع صفوفهم باستغلال الرابطة الدينية التي كانت ما زالت قائمة بينهم، فباشر يدعوهم للرجوع إلى يهوى، والكف عن معصيته، والامتناع عن مصاهرة الكنعانيين، ونبذ ما اقتبسوه عنهم من المعتقدات والتقاليد، ولكن سرعان ما تبين له أن دعوته لا تلقى الترحيب الكافي، فتجاوزها واتجه إلى تحقيق فكرته عن طريق أحداث النظام الملكي بين اليهود (أسوة بالشعوب المجاورة) ولكنه خشي معارضة الشعب لقيام هذا النظام المحرم من قبل الشريعة الموسوية، وتجنبًا لهذه العقبة باشر سرًا في التمهيد له، بينما كان يتظاهر بمناهضته، ويقول علنًا: إنه يؤدي بالحاكم إلى الغطرسة والاستبداد بالشعب إلى الذل والخضوع. وفي نفس الوقت يصرح بأن الفلسطينيين والكنعانيين يدينون بانتصاراتهم العديدة للنظام الملكي السائد عندهم، ويعزو هزائم اليهود المتكررة لافتقارهم إلى وحدة القيادة والتفرقة التي كانت تسود عشائرهم.

وإزاء هذه الأقوال المتضاربة التي كانت تصدر عن صموئيل، احتار اليهود في تفسير الحكمة من تحريم الشريعة الموسوية لقيام الملكية التي كانت على زعم صموئيل ملاذهم الوحيد للتخلص من أعدائهم.

وبعد أن طال الجدل حول هذا الموضوع، قرر اليهود قبول النظام الملكي على أن يحتاطوا لشروره التي تكهن بها صموئيل، بأن يكلفوه بوضع الترتيبات الكفيلة للحيلولة دون حدوثها.

وهكذا نجح صموئيل في جر الشعب إلى المطالبة بإقامة النظام الملكي (المحرم بموجب الشريعة الموسوية) وحصل على التفويض لوضع الشروط والالتزامات اللازمة لقيامه.

فسارع بوضع دستوره الذي حدد فيه علاقة كل من الملك والشعب بالآخر، ثم أخضعها لمراقبة رجال الدين الذين كان يعتبرهم صموئيل خير مَن يمكنهم تسيير أمور اليهود ضمن إطار الدين (الرابطة الوحيدة التي كانت تجمعهم) ولما أتم هذه الإجراءات، تبين له أن نظامه الجديد ما زال ناقصًا لافتقاره إلى المقومات الأساسية التي يتطلبها كيان كل أمة، وهي وحدة المنشأ والتراث والماضي واللغة.

ولما كانت العشائر اليهودية تنحدر أصلاً من أصول مختلفة، وتنتسب إلى أقوام عِدة، لا تربطها ببعضها البعض أيًا من هذه المقومات، استعصى الأمر على صموئيل، فالتجأ إلى التلفيق والاستنباط[(١)]، وانهال على أشهر القصص التي كانت الألسن تتداولها منذ أقدم العصور، واختار منها أباقة معينة، وحوَّرها بما يتناسب مع التقاليد والعادات الاجتماعية اليهودية، ثم ضمها إلى بعضها، وجعلها قصة مسلسلة، وباشر بتلقينها لتلاميذه، زاعمًا أنها سيرة أسلافه التي أنزلت على موسى، ومن بعده تكفل تلاميذه بنشرها، ويبدو أنها ظلت طويلاً تلقن للشعب، رغم ما تحويه من أمور مخجلة نسبت إلى أناس زعم اليهود بأنهم أسلافهم (كإبراهيم وأحفاده) والذين نزهتهم الكتب الدينية الأخرى حتى عن أتفه الشوائب، وأضفت عليهم آيات التقديس والإكبار، بينما راحت المصادر اليهودية تتهمهم بأبشع التهم، وتعزو إليهم أحط الأعمال، حتى أنها ذكرت عن إبراهيم أنه هاجر حران تنفيذًا لأمر الرب[(٢)]، الذي وعده بأن يمنحه وذريته أرض كنعان (هذا الوعد الذي تكرره الأسفار في سيرة كل فرد من أحفاد إبراهيم، وتزعم تجدده من قبل الرب لكل واحد منهم) بأنه أقدم في

(١) إشارة للتناقض الكائن في سفر التكوين (ما بين الفصل ١١ – و ١٢) حول هذه الهجرة. (دار البشير).

(٢) السابق.

مصر على الكذب والخداع. وتنكر للقيم الأخلاقية، ولم يتورع عن التفريط بعرضه بغية الحصول على بعض المال، ولم يأنف التذلل والاستجداء للحصول على قطعة أرض، وتصفه أيضًا بالعنصري المتطرف، الذي حرَّم على ابنه الزواج من أجنبية، وتتهمه بالتحيز لزوجته اليهودية سارة وابنها إسحاق ضد زوجته الثانية المصرية هاجر وابنها إسماعيل، لانتسابهما لأصل أجنبي، وتنسب إليه حرمان زوجاته الأجنبيات وأولادهن من إرثه، ومن إسحاق كل ما كان يملكه، ومن ثم تقول عنه: إنه انتصر لابن أخيه لوط وأنقذه من أسر كدرلا عومر العيلامي بعد أن هزمه، بفضل العبيد والأموال التي حصل عليها من المغامرات التي أقدمت زوجته سارة في مصر وأم الجرار. وأخيرًا تنتهي القصة بما يوهم القارئ أن كل ما نسب لإبراهيم وزوجته مما ورد ذكره حصل بأمر الرب وبوحي منه.

ومن ثم تنسب لخلفه إسحاق وزوجته ارتكاب الموبقات التي ارتكبها سلفه، وعند بحثها عن يعقوب تؤكد إقدامه على نفس المخازي، وتضيف إليها تعاطيه السرقة، وتتهم أولاده بالغدر والوحشية (قصة إفنائهم أهل شكيم) واعتداء أحدهم على زوجة أبيه، والثاني بإباحة زوجة ابنه المتوفى لنفسه وإلى أبنائه الآخرين (قصة يهودا وتمارا) كما تذكر تحريض موسى للاستيلاء على أموال المصريين، وتشجيعه التجسس وتشريعه لسنة القتل العام. وتنسب ارتكاب الرشوة لأكثر القضاة، واعتداء بعض الملوك على أعراض أتباعهم، وتروي مئات الأمور المخزية، تنسبها لأبطال قصصها دون رادع أو وازع، وكأنها مدار فخر واعتزاز، وهذا المسلك الغريب الذي سلكه كتاب الأسفار في وصف من أسموهم بأسلافهم الأولين، يدفع بالقارئ إلى التساؤل عن الأسباب التي قضت عليهم بأن يتخذوا من أبطال قصصهم هذا الموقف المشين، مع أنهم كانوا أحرار في وصفهم كما يحلو لهم، طالما كانت القصص ملفقة أصلاً.

وعن السر في إبقاء هذه القصص على صيغها الأولى من قبل الكُتّاب الذين تعاقبوا على كتابة الأسفار، رغم كثرة عددهم التي تبدو من خلال آثار التنقيح والتصحيح الواضحة في مختلف الأسفار، وعن الحكمة من امتناعهم عن تحوير تلك الأوصاف المعيبة إلى ما يشرف ويعز أسلافهم المزعومين.

والجواب على كل هذه الأسئلة ليس كما يظنه البعض، فيما إذا أريد له جوابًا

معللاً ومعقولاً، للخروج من هذا المأزق هو العودة لنصوص القصص ذاتها، ومناقشة محتويات كل منها على حدة، ثم التحقيق في مغزاها، وما أسفر عنه من نتائج عبر الزمان، عندها يمكن أن يتوصل الناقد إلى إيجاد الأجوبة المعقولة للأسئلة العديدة التي تدور حول هذه القصص؛ وانطلاقًا من هذه القاعدة، لنأخذ مثلاً قصة إبرام (إبراهيم) التي لخصناها، ولنتمعن في مغزى كل فقرة من فقراتها، عندها نجد أنها عبارة عن قصة رجل هجر مسقط رأسه، فتشعبت الروايات في تعليل أسباب هذه الهجرة، فقالت المصادر اليهودية عنها: إنها حدثت بأمر ووحي من الرب الذي أراد أن يملك إبراهيم وذريته أرض كنعان.

وقالت بعض المصادر التاريخية (مثل مجلة الأبحاث الكاثوليكية التي كانت تصدر في القرن السابق، والتي بحثت عن هذه الهجرة في أعدادها التي أصدرتها في ١٥ آب و١٥ أيلول و ١٥ تشرين عام ١٨٩٣ بقلم الأب مور) أنها حدثت في أعقاب احتلال العيلاميين لبلاد الكلدان، بينما تروي المصادر الدينية غير اليهودية أنها حدثت على أثر اختلاف إبراهيم التقي الورع مع ذويه وقومه المشركين.

وهذه المصادر الأخيرة هي الوحيدة التي تضفي على إبراهيم أحسن الصفات وأنبلها، وتعزو إليه القيام بدعوة الناس لعبادة الله آخر أيامه، ومن هنا نرى أن مغزى الرواية الأولى للهجرة ينحصر في ناحية مادية محضة، وهي أن يهوى أراد منح إبراهيم وذريته أرض كنعان، وطرد أهلها دون أي مبرر أو سبب، اللهم إلا لتفضيله إبراهيم جد اليهود عليهم. ومغزى الرواية الثانية لا يخرج عن الزعم بأنها كانت هربًا من العيلاميين الغزاة. أما مغزى الرواية الثالثة فهو مغزى علوي ومعلل، وأقرب الثلاثة للعقل وللمنطق. (ومع كل هذا نترك تفصيل المغزى لتقدير القارئ؛ تجنبًا للخوض فيما يخرجنا عن أهداف هذا الكتاب).

ومما أوضحناه يتبين أن الفصل الوارد في السفر هو الوحيد الذي يحتاج لتفسير مغزاه، ليس لإبهام أسبابه فحسب، ولكن للتناقض الكائن بينه وبين النصوص الأخرى الباحثة عن هذه الهجرة؛ لأن الفقرة الأخيرة من الفصل الحادي عشر من سفر التكوين تقول: «إن هذه الهجرة كانت مقررة بين إبراهيم وأبيه تارح، قبل نزوحهما من أور إلى حران». ومن ثم يعود السفر في الفقرة الأولى من الفصل الثاني

عشر ليقول: إنها حدثت بأمر يهوى ليمنح منفذها أرض كنعان، ومع تجاهل السفر التام لذكر أسباب هذه المنحة وأسباب الغضب الرباني على كنعان، فإذا حاول الناقد أن يستنتج معنى الموضوع من خلال صيغة القصة الجامدة، وكما وردت في سفر لاصطدم حتمًا بالمستحيل، ولذهب محاولاته سدى.

أما إذا عرف أن هذه القصة كتبت في فلسطين بعد أن تم تركز اليهود فيها بزمن طويل، وفي أحرج أيامهم فيها، لوضح له الأمر تمامًا، وهو أن القاص أراد من هذه الفقرة إيهام اليهود بأن احتلال فلسطين كان حقًا وعدلاً باعتباره جرى وفقًا لرغبات ووعود الرب، وذلك ليبرر أسباب هذا الاعتداء، ويحث اليهود على إكماله، ومن الناحية الثانية ليثبط عزائم غير اليهود ويمنعهم من مجابهته، وبزعم أنه يجري تنفيذا لأمر إلهي لا فائدة من التصدي له، وأكبر دليل على ذلك هو زعم تجدده من قبل يهوى لكل خلفاء إبراهيم (دون هوادة) بغية إيهام اليهود بإصرار يهوى على تنفيذه.

أما المزاعم الأخرى الواردة في نفس القصة، كإقدام إبراهيم وذريته على خداع فرعون ومن ثم بيملك، لابتزاز المال منهما بأبشع أسلوب، وإظهار يهوى بمظهر مَن يقر هذا الأسلوب، ويتدخل لحماية معتمديه لينقذهما من مغبة عملهما، ويخرجهما منه بالمغانم والمكاسب، فإنها ما ذكرت إلا بقصد الإيحاء لليهود بشرعية كل عمل مدر لمال، مهما كان الأسلوب المتبع فيه، ومن ثم تحريضهم عند الضرورة على الاستخفاف بالقيم الخلقية للوصول إلى بغيتهم، هذه القيم التي كانت لها قيمة كبرى في تلك العصور والبرهان على ذلك، هو تراجع فرعون وبيملك عن الاحتفاظ بسارة، بمجرد أن عرف كل منهما بأنها زوجة إبرام، واعتذارهما له مع تقديمهما الترضيات السخية.

ومن هنا يخيل إلينا أن الكاتب أراد من سرد قصته هذه، تشجيع أبناء شعبه على تخطي القيم الأخلاقية والأدبية عندما تحول دون بغيتهم، أو لكي لا تردعهم العقبات الخيالية والرمزية عن الحصول على المكاسب المادية ذات الأثر الفعال في مصيرهم.

ولإثبات فضائل المال راح الكاتب يكمل القصة بالبحث عن كيفية انتصار إبراهيم على (كدرلا عومر) العيلامي الذي اشتهر بشدة البأس وسعة السلطان، وصوره لنا مغلوبًا على أمره أمام إبرام الذي هزمه بالأموال والرجال التي حصل

عليها من مغامراته في مصر، أي أن الكاتب أراد أن يفهمنا بأنه لولا أن أقدم إبراهيم على تلك التضحية المعنوية التي لا أثر ملموس لها، ولا ذيول لما كان له أن ينتصر على (كدرلا عومر) الجبار، ولما أنقذ من أسره ابن أخيه لوط. وليوهمنا بأنه حقق كل هذه الانتصارات بفضل الثمن المعنوي البخس، الذي لا يغني ولا يسمن من جوع.

والفقرات الأخرى من القصة كإصرار إبراهيم على اقتران ابنه من يهودية أصيلة، وانتصاره لسارة على هاجر، وخصه إسحاق بكل ثروته دون أولاده الآخرين، وزعم انتصار يهوى لسارة على هاجر، وإرغامه إبراهيم على الخضوع لإرادة سارة، وسواها من الأمور، فيبدو أنها هي أيضًا ذكرت بغية منع اليهود من الاختلاط والانصهار في القوميات الأخرى، ولإظهار ما لليهودي أو اليهودية من فضل على الآخرين، وحث اليهود على عدم التفريط بالثروة القومية، ومنع تسربها إلى أيد غير يهودية عن طريق التزاوج، وبمعنى أصرح بث التعصب العنصري في أعماق اليهود، بحجة كونه إحدى رغبات يهوى.

والغريب في الموضوع هو أن جميع قصص سفر التكوين تدور حول هذه النقاط الأربع، التي تصر على تجدد الوعود اليهوائية، والتحريض على اللاأخلاقية والإباحية، وتنمية نزعة الجشع المادي، وبث التطرف العنصري.

أما الأمور الأخرى الواردة في بعض القصص كإقدام أولاد يعقوب على الفتك بأهل شكيم بحجة الثأر لشرفهم المثلوم، أو قبول يهودا أولاد تمارا في كنفه وما شابه ذلك، فلا تخرج هي أيضًا عن النطاق العام للسلوك اليهودي؛ إذ نجد أن ثورة أبناء يعقوب تنتهي بالسلب والنهب، وإنسانية يهودا تدور في فلك النعرة القومية الصرف.

وقصص تكرر اعتداء اليهود على أعراض بعضهم البعض، التي تنتهي كلها بسلام وأمان، أريد منها هي أيضًا تقوية الأواصر والوشائج القومية، وتمرين اليهود على ضبط النفس، وإخفاء كل ما يقع في أوساطهم من المخازي عن الأغراب، حتى لا تؤثر على سمعتهم القومية، وذلك عملاً بالأمثال الصالحة التي سار عليها الأولون.

وفحوى هذه القصص هو الذي أوحى إلينا بهذا التحليل، والسبب هو ما عرف به اليهود منذ أقدم العصور من التمسك في النواحي التي أشرنا إليها، والتي استنتجناها من قصص سفر التكوين، فهم مثلاً ما زالوا حتى اليوم يدعون أنهم من

الشعب المختار، وأنهم أصحاب الحق في الأرض الموعودة (مع العلم أن جميع المصادر التاريخية والعلمية أجمعت على أن اليهود ما كانا يومًا أصحابها حتى في عهد داود وسليمان الذي أسموه بعهدهم الذهبي، إذ ظلت مملكتهم الأسطورية فيه منحصرة في المقاطعات الجبلية الأربع فقط ما يعادل ثلث مساحة فلسطين) كما أنهم اشتهروا عبر تاريخهم الطويل بتسخير نسائهم في كل أمر ذي بال (مثل قصص أستير، يهوديت، زينب المشك، وسواهن من اللواتي يزخر التاريخ بأسمائهن) وعرفوا أيضًا بتزمتهم العنصري وإحجام رجالهم عن الاقتران بالأجنبيات، وتمنعهم عن الانصهار بالشعوب الأخرى بحجة الحفاظ على نقاء الدم اليهودي (هذه العنصرية المتطرفة التي يتبجح أكثر رجالاتهم بالحفاظ عليها. انظر باب الأقوال اليهودية) وأخيرًا شهرتهم في عبادة المال التي طبقت الأفاق.

وهذا التوافق الغريب الكائن بين مقاصد قصص الأسفار وسلوك اليهود عبر التاريخ، هو الذي يدعونا إلى الاعتقاد بأن كتاب الأسفار لم يقصدوا من محتويات سفر التكوين، إلا التوجيه السياسي والقومي والاجتماعي، فصاغوه في قالب تاريخي لم تكن الغاية منه، إلا التضليل والتمويه، واعتبروا ما في قصصه من المخازي أجل نفعًا وأكثر ربحًا لبني قومهم، من سير التفاخر والاعتزاز التقليدية التي يسخر اليهود منها، ويستبعدونها عن مفاهيم العامة في الحياة؛ ولهذا تعمدوا إبقاءها على صياغتها القديمة، لتبقى منهاجًا لأجيالهم المتعاقبة، وهي في مجموعها لا تخرج عن كونها مأخوذة عن قدماء الرواة، وقد زور اليهود محتوياتها بما يتناسب مع أغراضهم الخاصة، دون التقيد بأي اعتبار علمي أو تاريخي في هذا التزوير.

وأخيرًا أرجو أن أكون قد وُفِّقتُ في كشف بعض المقاصد الخفية الكامنة في قصص الأسفار التي حيرت أكثر النقاد.

اليهود في المنفى

في مستهل القرن السادس قبل الميلاد، اجتاح (بختنصر) البابلي تخوم فلسطين، وفرض سيطرته على يهودا، ولكنه لم يشأ أن يزيلها من الوجود مثل شقيقتها إسرائيل، فعمد إلى التساهل معها، واكتفى بفرض ضريبة عليها، دون أن يمس كيانها، ولكن يهودا التي اعتادت على التمرد، ما لبثت أن ثارت على بابل، وطردت ممثليها من القدس، فبادر بختنصر إلى مهاجمتها، وحاصر عاصمتها التي سقطت بعد ثمانية عشر شهرًا من المقاومة الضارية، فقام (بختنصر) بسلب جميع كنوز معبدها، ومن ثم دمَّرها وأزال معالمها من الوجود، ونفى ملكها (صدقيا) وطليعة أهلها إلى بابل، حيث عاقب الملك بفقوء عينيه، وإعدام أولاده جزاء لعصيانه، وعلى أثر هذا الاحتلال البابلي الذي حدث عام ٥٨٦ قبل الميلاد، زالت دويلة يهودا نهائيًا من الوجود.

ولقد أسفر انقراض يهودا عن تفرق اليهود إلى ثلاث فئات[١]: فالفئة الأولى هي التي تكونت ممن أجلوا إلى بابل، والثانية هي فئة من بقي منهم في فلسطين، والفئة الثالثة هي التي تكونت ممن نزحوا في أعقاب مختلف الأحداث التي توالت على فلسطين (مثل الهجرة التي حدثت على أثر مقتل جدليا، وهجرة من نزحوا من البلاد برفقة النبي أرميا وبنات الملك السابق صدقيا) والذين انتشروا في الأقطار المجاورة، ومن ثم في مختلف أقطار الأرض، وهذه الفئة هي التي سميت بفئة المشردين (Diaspora) والتي أقامت المستعمرات اليهودية العديدة حيث انتشرت، ولقد اشتهرت في التاريخ بعض هذه المستعمرات مثل مستعمرة اليفانتين (Elephantine) ومعبد ياهو (Yahou) التي تحدثنا عنها المخطوطات المصرية.

والمصادر اليهودية عند بحثها عن ذيول هذا الاحتلال وما آلت إليه أحوال الفئات اليهودية، تزعم أن الجلاء كان عامًا، حتى أن المناطق اليهودية أصبحت شبه خالية اللهم إلا من الفقراء والعجز الذين عجزوا عن النزوح، وفيما يتعلق بالفئة التي أجليت إلى بابل تزعم أنها تعرضت للذل والعذاب وسلب منها كل ما كانت تملكه. في حين أن المصادر الكلدانية تؤكد أن الفئة التي ظلت في فلسطين حاولت مرار العصيان والتمرد. وأن أحد أفرادها الذي كان ينتسب للعائلة المالكة السابقة أقدم

---

(1) Ch. Guignebert (Le Monde juif vers les tembs de jesus) page 43.

على اغتيال جدليا ممثل بختنصر، وأن النبي أرميا وبنات الملك صدقيا نزحوا عن فلسطين على أثر هذا الحادث بالذات. وأن عدة فئات يهودية عمدت إلى الهجرة في أعقاب الأحداث التي وقعت بعد زمن الاحتلال بعدة أعوام.

والمصادر اليهودية نفسها لا تعترض على هذه الأقوال الكلدانية، ومن هنا يتضح أن مزاعم المصادر اليهودية في وصف ذيول الاحتلال البابلي ما هي إلا من قبيل ذر الرماد في العين لإظهار الكلدانيين بمظهر العتاة المتوحشين.

كما أن وصف المظالم التي زعمت المصادر اليهودية وقوعها على الأسرى يفتقر هو أيضًا إلى البراهين والأدلة، إذ أن أكثر المصادر اليهودية تعترف بما روته المصادر الكلدانية، وهو أن بختنصر سمح للأسرى بأن يصحبوا عائلاتهم، وينقلوا معهم ما يملكونه من المواشي والأموال.

أما الأحداث التي زعم اليهود وقوعها في فلسطين، والتي قالوا عنها: إنها أدت إلى طرد الفلول اليهودية من ممتلكاتهم، ومنع اليهود من الاقتراب من موارد المياه، وإرغامهم على شراء مياه الشرب فهي أمور حدثت بعد أن تفاقمت الهجرات، وقل عدد اليهود في البلاد(١)، فزحفت القبائل الأخرى المجاورة لتحتل المناطق اليهودية التي كانت قد خلت من سكانها، فكان من الطبيعي أن يتعرض من بقي من اليهود لاضطهاد تلك القبائل التي تألمت طويلاً من الاعتداءات اليهودية في الماضي.

ومن ذيول الاحتلال البابلي، هو الحظ الوافر الذي أصاب مَن أجلوا إلى بابل، إذ تذكر المصادر التاريخية الموثوقة أن بختنصر وهب اليهود أخصب مقاطعاته، ومنحهم أوسع الحريات في العمل والحل والترحال، وتعترف المصادر اليهودية بأن اليهود أصبحوا في غضون مدة وجيزة أغنى أهل بابل، وأن السلطات الحاكمة كانت تعاملهم على أحسن وجه، وأنها أخلت سبيل ملكهم السابق، وأسكنته في قصر منيف، وأطلقت عليه لقب زعيم الجالية، وأشركته في المائدة الملكية.

ويعزوا نقاد التاريخ سبب هذا الكرم الكلداني، إلى أن الكلدان كانوا يهدفون من تهجير طلائع الأمم التي كانوا ينتصرون عليها غرضين لا ثالث لهما: الأول: حرمان الشعوب المغلوبة من العناصر القادرة على النهوض والمناهضة مجددًا، الثاني:

---

(1) A. Lods - les prophetes d,israel. page 197.

الاستفادة من خبرة أفراد تلك الطلائع في بلاد الكلدان حيث لا مجال لتآمر الأجانب وتألبهم على الدولة.

ولقد استفاد اليهود كثيرًا من المميزات التي منحهم إياها الكلدان، وأصبح في صفوفهم الكثير ممّن تمرسوا على أساليب الحكم والسياسة، وممّن أتقنوا الحرف والصناعات المختلفة، وعظم شأنهم بين البابليين[1]، ولولا أنبياء المهجر الذين كانوا لا ينفكون عن تنبيه اليهود أمثال حزقيال، إلى أخطار الانصهار، ومساوئ التمرد على يهوى، وحثهم على ضرورة التفكير في العودة إلى يهودا، لانصهر اليهود في الشعب الكلداني انصهارًا تامًّا بسبب ما توفر لهم من رغد العيش، والأمن والاستقرار.

ولكن التوعية التي كانوا يتلقونها من أنبيائهم، جعلتهم يتمسكون بقوميتهم وينشدون العودة إلى فلسطين، ولتحقيق ذلك عمدوا إلى أحداث الجمعيات السرية، لتعمل على انتزاع الاستقلال من الكلدانيين، ولما تولى العرش البابلي الملك أمل مردوك (Amel. Mardouk) الذي كان يعتبر نصيرًا لليهود، توسعت آمال اليهود وظنوا أنه سوف يعيدهم إلى فلسطين، مثلما أعاد حيرام الثالث ملك صور إلى بلاده عام ٥٤٢، بعد أن احتجزه مدة طويلة في بابل.

ولكن «مردوك» خيب آمالهم، ولم يحقق لهم هذه الأمنية الغالية، فنفذ صبر بعض الشباب المتحمسين، وقرروا الثورة المسلحة[2]، فسارعت القوات الكلدانية إلى إخمادها، وأعادت الأمن إلى البلاد.

وهذه الحادثة أفقدت الكلدان ثقتهم بالجالية اليهودية، وجعلت اليهود على يقين بأن لا أمل لهم بالعودة إلى فلسطين إلا بعد أن تنهار الدولة الكدانية.

ولما كانوا أضعف من أن يحققوا لوحدهم هذا الهدف المنشود، عمدوا إلى أساليبهم المعتادة، أي التآمر مع أعداء البلاد والتجسس لمصلحتهم، والسعي لإضعاف ثقة الشعب بالدولة القائمة، عن طريق إطلاق الشائعات وافتعال الدسائس.

وشاءت الأقدار أن يعتلي العرش آنذاك نابونيد الضعيف (Nabonid) وأن تتوالى حوادث العصيان في المستعمرات الكلدانية، وتتوزع قوى الدولة على عدة جبهات، ويظهر للميدان كورش الفارسي (Cyrus) ويعلن تمرده على بابل وجارها

(1) A. Lods. (Les prophetes d,israel) page 202.
(2) A. Lods. (Les Prophetes d,israel) page 203.

إستاماكوس (Istamagus) ويتمكن من دحر هذا الأخير، ويبادر إلى تهديد بابل، التي كانت تظن نفسها أقوى من أن يجرأ أحد على تحديها. وإزاء هذا الخطر الجديد، لم يسع نابونيد إلا التحالف مع مصر وإسبارطة (عام ٤٥٧ -٥٤٦) لمجابهة فارس الفتية، ولكن كورش تمكن بسرعة من التغلب على حلفاء نابونيد، ومن ثم على مقارعته في عقر داره مدة ستة أعوام، فتمكن اليهود خلالها الاتصال به والتعامل معه سرًا، ونتج عن تحالف اليهود معه، ازدياد الدسائس الداخلية في البلاد، وانتشار الشائعات الانهزامية، وتكاثر الاضطرابات، مما أدى إلى انهزام الجيش الكداني، ودخول كورش إلى عاصمة الكلدان عام ٥٣٩ ق. م.

ولقد كافأ كورش اليهود على خدماتهم، بأن ولاهم أمور أهل بابل، وأجزل لهم العطاء ثمنًا لما قدموه له من المساعدات القيمة، أثناء حربه مع نابونيد، وهكذا ساهم اليهود في تدمير بابل.

عودة القافلة اليهودية الأولى إلى فلسطين

تجنب الفرس اتباع سياسة النفي والتشريد، واعتمدوا على أساليب المهادنة مع الشعوب التي انتصروا عليها، وكانوا يكتفون في كل بلد بتنصيب مراقب سياسي من قبلهم لمراقبة الإدارة المحلية التي كانت غالبًا تسند إلى أحد أبناء البلد، ويقيمون في كل منطقة حامية مسلحة مهمتها بسط نفوذهم العسكري، أما الأمور الداخلية فكانوا يتركونها لأبناء البلاد، ولا يتدخلون في شئونهم الدينية والمحلية بصورة قاطعة، حتى أنهم أعادوا لكثير من الشعوب التي سلبها الكلدان تحفها وآلهتها. وكان هَمُّ الفرس في فتوحاتهم منحصرًا في الإكثار من القوى العسكرية، بغية تحقيق الأمن والاستقرار في مناطق نفوذهم، وهذه السياسة هي التي أوحت إلى كورش أن يفكر في إعادة اليهود إلى فلسطين، وعلى الأخص بعد الخدمات التي أدوها له في قتاله مع نابونيد، هذا عدا الوسائل المعنوية التي استعملوها معه للتغرير به، كزعم تكهن أنبيائهم بانتصاراته مقدمًا) وما قدموه له ولجيوشه من الوسائل المادية والترفيهية، فكان من الطبيعي أن يتأثر كورش بما أظهره اليهود نحوه من الإخلاص والتبعية، فأصدر أمره الشهير بعودتهم إلى فلسطين ورد ما سلب من هيكلهم، ومن ثم إعادة بنائه.

أما ما يزعمه اليهود من إكرام كورش لهم، وتسميته إياهم بالضيوف المقيمين وما

شابه ذلك، فلا أصل له بتاتًا، وكل ما قيل كان لإيهام الناس بأن الفرس يحترمونهم لما لمسوه لدى أنبيائهم من سعة العلم والمعرفة، والواقع أن اليهود دفعوا ثمن ذلك من أموالهم، ومما يملكونه من أشياء أخرى، وبفضل هذا الثمن الباهظ، تمكنوا من إيفاد القافلة الأولى التي زودت بالملايين من الذهب(١)، بغية إعادة بناء الهيكل، وإقامة نواة الجالية اليهودية في القدس.

ويقول بعض المؤرخين عن المبالغ التي جمعت من اليهود لتزويد قافلتهم الأولى: إنها بلغت ما يعادل أربعين مليونًا من الفرنكات الذهبية، ومن هنا يتضح للقارئ مدى ما وصل إليه اليهود من الغنى الفاحش في بابل رغم ضآلة عددهم وقصر الزمن الذي قضوه فيها، ومع كل هذا فإنهم خانوها وأهلها في أول فرصة سنحت لهم، وانحازوا لفاتحها الجديد، وتنكروا لما اغترفوه من نعمها دون وازع أو ضمير، ثم راحوا يمرغون وجوهم التي جبلت من تراب الخيانة والغدر على أعتاب كورش الفارسي ليرضوه بأبهظ الأثمان حتى يعيدهم إلى فلسطين.

وتحدثنا المصادر اليهودية عن هذه العودة، وتشيد بعظمة المراسم والحفلات التي أقيمت بمناسبتها، ولكنها تختلف كعادتها على بعض تفاصيلها، كتحديد زمن بناء الهيكل، وأسماء مَن أشرفوا على البدء به، فبينما تذكر بعض الأسفار أن هذا البدء كان في العام الثاني من عودة القافلة، وتحت إشراف زوروبابل (Zorobabel) والكاهن اليهودي الأكبر، نرى أن سفر أسدرا يذكر أن البدء كان تحت إشراف ساباسار (Sabassar) ولم تتوقف أعمال البناء فيه حتى النهاية (سفر أسدرا فصل ٥ - فقرة ١٤- ١٦) ولكنه يعود في مكان آخر ليذكر أن أعمال البناء توقفت مرارًا بسبب العقبات التي أن يفتعلها السامريون، والجدير بالذكر أن سفر أسدرا كتب في عهد داريوس الثالث الذي عاصر إسكندر المقدوني، بدليل أنه يبحث عنهما معًا، ويصف ما قام به كل منهما.

وفي نفس الموضوع يحدثنا أحد الأنبياء اليهود الذي عاصر زمن عودة القافلة الأولى، وهو المدعو أكجه (Aggee) ويقول: إن البدء في إقامة الهيكل كان في الشهر التاسع من العام الثاني لحكم داريوس، أي بعد ثمانية عشر عامًا من عودة القافلة،

(1) A. Lods. (Les prophetes d,israel) page 210.

وهذا التناقض إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى شطط المصادر اليهودية ومؤلفيها. ولقد ذكرناها بقصد التلميح إلى هذه النقطة الهامة في الحكم على قيمة الأسفار من الوجهة التاريخية، وعلى كل نرى أن هذا الشطط هو مما عودنا عليه كُتَّاب المصادر اليهودية، فلا ضير من تجاوزه، واعتباره مثل غيره من الأبحاث الماضية التي نوهنا إلى الالتباسات الواردة فيها.

ومن خلال البحث عن عودة القافلة الأولى نستنتج أن العودة كانت على دفعتين: الأولى بقيادة زوربابل والثانية بقيادة ساباسار، كما نستنتج أن الخلاف كان لم يزل قائمًا بين أهل سامرة والعائدين، ونفهم أن الأكثرية من العائدين كانت من السوقة والفقراء، بدليل ذكر المصادر اليهودية قصة جمع الأموال لهم قبيل سفرهم، وافتعال أهل السامرة العقبات لمنع استيطانهم. وهذه الاعترافات تعني صراحة أن القيادة اليهودية في بابل لم تكن تروم العودة إلى فلسطين بعد أن أثرت في بابل وتغيرت مفاهيمها الدينية والسياسية، واتسعت مطامعها القومية، ولكن عمدت إلى التغرير بكورش وإيهامه بأنها تطالب بالعودة، بغية ستر مقاصدها الأخرى، فلما وافق كورش على التماسها، دفعت بدهمائها إلى فلسطين، وظلت هي قابعة على أموالها تغترف من كنوز الغالب والمغلوب، لاعتقادها أن أولى أسلحة نضالها في المستقبل هي المال، المال وحده هذا المعبود اليهودي القديم، الذي ارتضوا في سبيله زعم ارتكاب أسلافهم أحط الأعمال وأقذر الأفعال، وفي سبيله تنكروا لأهل مصر وموسى، فلا نعجب أن نراهم متمسكين به بالأمس واليوم وفي الغد؛ لأنه في نظرهم الهدف الأول، والرائد الأوحد.

أما زعم تمسكهم بالعودة إلى فلسطين، فما هو إلا من قبيل الدعم لادعائهم الباطل القديم بكونها منشأ لهم، وهو في الواقع أمر ثانوي بالنسبة إليهم؛ لأنهم أدرى الناس بأنها لم تكن لهم في يوم من الأيام، وأن المدة التي قضوها في ربوعها كانت أقصر الآماد التي عاشوها في مختلف هجراتهم عبر التاريخ، وادعاؤهم بملكيتها ليس سوى أمر رمزي، أرادوا منه في البداية أن يكون مخلب قط؛ ليظل السوقة متعلقين به، ومن ورائه بالقادة والموجهين، ثم أصبح من الزمن حجة لاستدرار العطف والشفقة، ولم يكن في يوم ما عقيدة راسخة إلا في عقول رعاع اليهود الذين ثابر القادة على التغرير

بهم رغم التطور الذي أدخلوه على مفاهيمهم السياسية في عهد المنفى، والذي أصبحت بموجبه الدعوة اليهودية عالمية عامة، ولم تعد موضعية وقبلية مثلما كانت من قبل، وذلك بعد أن أعلن أنبياء المهجر أن يهوى أصبح ربًا عالميًا، وأنه اختار اليهود من بين الشعوب لسيادة وقيادة العالم، وجعل من القدس مركزًا لقيادتهم باعتبارها مدينة الهيكل ومقر خباء المحضر، ومن خلال هذه المستنبطات اليهودية الجديدة، وسلوك اليهود تجاهها منذ إطلاقهم إياها، وما افتعلوه ضمن إطارها من الأحداث، وما حققوه من الأهداف عبر التاريخ، يتضح لنا بجلاء أن دعوة المهجر المغلفة بإطار مزخرف بالشعارات الدينية والقومية، ومزاعم وطنية كانت تخفى وراءها مئات الأغراض اليهودية الخطرة، وفي مقدمتها السيطرة على العالم، صُنفت ضمن منهاج خاص مشبع بروح التسلط العام على مقدرات العالم، ذي مراحل تنفيذية، لا علاقة له بتاتًا بالمطالب اليهودية التقليدية الباطلة أصلاً، وأغراض هذا المنهاج هي التي حدث بوجهاء اليهود في بابل إلى البقاء فيها، وعدم النزوح مع السوقة، ويبدو من خلال سلوك اليهود منذ ذاك العهد أن أولى هذه الأغراض كان السعي للاستيلاء على أموال الشعوب، بدليل أن اليهود تمكنوا من الاستيلاء على ثروات أكثر الشعوب التي عايشوها منذ ذاك الزمن، والغرض الثاني كان السعي للتسلل من وراء الستار إلى مقاليد الحكم في البلاد التي تمركزوا فيها، وذلك عن طريق إحداث هيئات أو جمعيات تتظاهر برفع الشعارات التي يستسيغها سكان تلك الأقطار؛ ليلتفوا حولها ويناصروها، بينما هي تقودهم خفية إلى الطريق المؤدي لتحقيق الأغراض اليهودية، والظاهر أن اليهود تمكنوا من تحقيق هذا الغرض أيضًا.

أما العوامل التي أوصلتهم إلى هذه الأغراض، فتتكون من المؤثرات المعنوية التي انبثقت عن العهد القديم، وما يتبعه من الخرافات الدينية التي نشرها اليهود بين الناس على أوسع نطاق، والتي أدّت إلى إيهام الناس بصحتها والوقوف منها موقف الرهبة والاحترام، أما العناصر التي عملت وتعمل لهم، فليست سوى عناصر غبية أو انتهازية تمكن اليهود مرارًا من تحقيق أغراضهم الخفية بفضل غباء وانتهازية عملائهم، دون أن ينقطعوا عن المناداة بشعاراتهم التقليدية، التي يؤمنون بها، ولا يهتمون بتحقيقها، لكنهم يثابرون على المناداة بها، للتمويه على مآربهم الأصلية، وبغية

التضليل يدفعون بالسوقة من أفراد شعبهم بين حين وآخر إلى المطالبة بالعودة إلى الوطن المزعوم أو التسلل إليه، مثلما فعلوا في عهد كورش، أو في كل مرة تعرضوا فيها لنقمة الشعوب (مثل حوادث ١٨٤٠- ١٨٤٥ التي وقعت في روسيا وبولونيا، والتي طالب اليهود على أثرها السماح لهم بالهجرة إلي فلسطين) بينما يقبع الزعماء والأثرياء حيث هم لمتابعة برامجهم المهجرية، وعودة اليهود السوقة في عهد كورش إلى فلسطين، كانت أولى المناورات اليهودية تنفيذًا للمنهاج البابلي المذكور، وهكذا عاد اليهود إلى فلسطين مرة أخرى لينغصوا عيش أهلها.

أما الأثرياء الذين ظلوا في بابل كان الواجب يقضي عليهم أن يخلصوا لكورش مقابل لفتته الكريمة إليهم، لكنهم جنحوا إلى الشغب، إذ تغلبت عليهم نزعات الغدر والخيانة التي تزخر بها نفوسهم، فانقلبوا على الفرس وشرعوا يتآمرون عليهم مع البابليين في عهد الملك أرتحستس (Artaxerces) فشعر بمكائدهم الوزير هامان، وأمر رجاله بمراقبتهم، واعتقال كل يهودي يشتبه فيه. فجزع اليهود مغبة تصدي هامان لهم، فسارعوا إلى تدبير مكيدة له على يد إحدى بناتهم التي توصلوا إلى تزويجها من الملك (أستر الشهيرة) والتي كانت آية في الجمال، فأوعزوا إليها أن توغر صدر زوجها على هامان، فكان لهم ما أرادوا بفضل عيون أستر التي أسرت قلب الملك، فأمر بإعدام هامان ومَن يلوذ به، وكلف اليهود بتنفيذ هذا الأمر، فما كان منهم إلا أن صبوا جام غضبهم على الشعب البابلي، واقتادوا سبعين ألفًا من أفراده الأبرياء إلى ساحات الموت دون أي ذنب، اللهم إلا تعطش اليهود لسفك الدماء وإكرامًا لسواد عيون أستر.

والمضحك في قصة أستر هذه التي تسببت في موت آلاف الناس ظلمًا، والتي كانت زوجة مجوسي ملحد، هو أن العهد القديم اعتبرها قديسة وأفرد لها سفرًا خاصًا، والأنكى من ذلك هو اعتراف الكنيسة بدورها بقدسيتها، واعتبار سفرها كتابًا مقدسًا، وكأنها لم تكن قاتلة ألوف وقرينة ملحد، فما أعجب أمر اليهود وما أفظع كيدهم؟

وبعد زوال هامان من الوجود اشتدت شوكة اليهود في الدولة الفارسية بفضل أستر، وأصبحت لهم ميزات خاصة، حتى أن ملوك فارس كانوا يهتمون بشئون المستعمرات اليهودية التي كانت متشرة في مملكتهم، ويقدمون العون لسكانها،

ويُعَيِّنون من أبنائها مَن يشرف على أحوالها، كما أنهم اتخذوا من اليهود رقباء على الشعوب التي أخضعوها، وشكلوا منهم قوات خاصة تتساوى في الحقوق والمميزات مع القوات الفارسية الأصلية، ومع كل هذا ظل اليهود على ما كانوا عليه، يكيدون لأسيادهم كلما سنحت لهم الظروف بذلك، حتى أنهم ساهموا في الثورة المصرية التي قامت ضد الفرس عام ٣٥٨ قبل الميلاد. ودعموها بثورة أخرى أشعلوا نارها في نفس الوقت في مدينة أريحا، فسارع أرتخستس الثالث (Artaxerces III) للقضاء على الثورتين، ونفى زعماء اليهود إلى بلاد الخزر.

وفي عهد خسرو (Yerxes) أثار اليهود أهل بابل ضد الفرس مجددًا، فقمع خسرو هذه الحركة بكل شدة، وكان وقودها أهل بابل الذين غرر اليهود بهم، ومع هذا لم يركن اليهود إلى الهدوء، فلما شعروا بأن فارس بدأت تميل إلى الانهيار (أمام بزوغ نجم إسكندر المقدوني) بادروا إلى الاتصال بالإسكندر، وعقدوا معه اتفاقية سرية للكيد بفارس.

ولما تم النصر لإسكندر سارع يهود القدس لاستقباله بالترحاب، وإيهامه بأن أنبيائهم سبق وأن تنبئوا بانتصاره هذا ويهود بابل لم يكونوا أقل لؤمًا من إخوانهم في فلسطين إذ يذكر لنا التاريخ أنهم بدورهم تآمروا على سابور الثاني (Sabor) وناصروا الرومان عليه (عام ٢٢٦ قبل الميلاد) ولكن الفرس ظلوا على معاملتهم الحسنة مع اليهود، رغم كل المساوئ التي ارتكبها الإسرائيليون تجاههم.

والمؤسف حقًا هو موقف المصادر اليهودية من الفرس؛ لأنها بدلاً من أن تكيل لهم المديح، ونرى التلمود يحمل عليهم ويصف عاهلهم فيروز (الذي حكم بين ٤٨٤ ـ ٤٥٧ قبل الميلاد) بالمستبد الظالم، ويتهمه بقتل نصف اليهود في مملكته، ويزعم أنه كان يسبي أطفالهم، ويسجنهم في المعابد المجوسية؛ ليلقنهم عبادة النار، ويذكر أيضًا أن فيروز أقدم على هذه المذابح بحجة قتل اليهود لاثنين من كهنة المجوس، وينهي الحديث عن مظالم هذا العاهل بالقول أن جميع اليهود الذين سلموا من المذبحة فروا إلى البلاد العربية والهندية.

ويزعم المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيف مسيلمة اليهود، ومؤلف كتاب تاريخ الشعب اليهودي أن اليهود تعرضوا لاضطهاد أهل بابل والفرس معًا، بحجة إنشاء

بعض الثوار في بلاد الكلدان إليهم بصلة الدم والدين، ويزيد قائلاً: وأمام هذه المظالم اضطر اليهود إلى الفرار من بابل إلى بلاد اليونان، تاركين خلفهم أموالهم الطائلة. والمصادر اليهودية الأخرى تزعم أن الفرس منعوا اليهود من التعطيل في أيام السبت، ومن تقديم القرابين، وأنهم أخرجوا عظام موتى اليهود من القبور وأحرقوها، كما أحرقوا جميع المعابد اليهودية في المملكة الفارسية، وذلك في عهد أزدشير الأول (٢٤١ - ٢٢٦) قبل الميلاد[١]

وهكذا نجد أن اليهود يكيلون للفرس سيلاً من أقبح التهم، ولا يعترفون إلا بقليل من الرعاية يدعون أنها صدرت عن أربعة ملوك فقط نحو أبناء شعبهم[٢] والظاهر أن مرد هذا السلوك المشين من قبل المصادر اليهودية نحو فارس، هو رغبتها في تغطية مواقف الشعب اليهودي المعيبة، التي وقفها حيال فارس التي أحسنت إليه، ونحن نعذر اليهود ومصادرهم في مسلكهم هذا؛ لأنه ليس بمقدورهم أن يعترفوا على أي إحسان أو جميل؛ لأن هذه الصفات ليست منهم في شيء، وليست أية علاقة لهم معها، أليسوا أحفاد مَن اشتهروا بتمردهم على موسى ويهوى بعد أن أنقذهم من ظلم وتعسف فرعون؟ أو ليسوا أحفاد شاوول وجنده، الذين تنكروا لعهود أسلافهم لأهل جبعة، وقتلوهم عن بكرة أبيهم؟ فلماذا إذن تجنح مصادرهم إلى التلفيق ويقينًا أنها ليست بحاجة إليه، فاليهود فعلوا بما فطروا عليه، حسب تقاليدهم وأعرافهم، فكافئوا الفرس بما استحقوه، وعلى نفسها جنت براقش.

---

(1) J. Halevy. (Revue des etudes juives xi. page 197 – 198 (Ed. 1885).
(2) F. Lovesky (Antisemitisme et mystere d,israel) page 90).

اليهود في ظل اليونان

شاءت الأقدار أن تنهار دولة الفرس على يد إسكندر المقدوني، بعد أن انتصر عليها في معركتي الإسكندرونة وإربل، وخيم على ربوع الشرق ظل اليونان بعد أن كانت تخفق عليه بنود فارس، وعلى أثر انهزام دارا الثالث، دخل الإسكندر مدينة القدس وغيرها من مدن الشرق، فاستقبله اليهود أعظم استقبال عام ٣٣٢ قبل الميلاد. (يزعم اليهود أن إسكندر تأثر جدًا من استقبالهم له استقبالاً حافلاً، فسجد أمام الكاهن الأكبر إجلال له، وأصدر أمره بإعفاء الشعب اليهودي من دفع الجزية والضرائب في الأعوام السبتية). وتصف المصادر اليهودية هذا الاستقبال بأنه كان فريدًا من نوعه، إذ قدم فيه اليهود ولاءهم وإخلاصهم للإسكندر، وأظهروا سرورهم بمقدمة كفاتح، رغم أنه حطم جيوش حماتهم الفرس.

يعلق المؤرخ لودس على مزاعم المصادر اليهودية[١] بشأن هذا الاستقبال ويقول: المعروف عن اليهود في تلك الحقبة من الزمن بأنهم كانوا ينظرون لكل الدول المحيطة بهم نظرة حقد وكراهية، كما كانوا يعتبرون جميع الشعوب المحيطة بهم كافرة ملحدة (Baienne) فلا يعقل أن يقدموا على استقبال الإسكندر بكل هذه الأبهة التي تذكرها مصادرهم؛ ولهذا نرى أن ما ورد فيها عن استقبال الإسكندر مبالغ فيه، إذ أننا نعلم أن اليهود قد اعتادوا النظر إلى المغلوب بعين الشماتة وللغالب بعين الحقد والحسد، متمنين أن يروه بدوره مغلوبًا على أمره.

وفي دخول الإسكندر إلى القدس أصبحت المقاطعة اليهودية إحدى ممتلكات الدولة المقدونية، ولما مات الإسكندر عام ٣٢٣ قبل الميلاد، قام النزاع الشهير بين قواده الثلاثة، وانتهى بانقسام مملكته إلى دولتين: إحداهما مصر تحت زعامة القائد بتولومة (ptolemee) وسميت بدولة اللاجيد (Lagides) تيمنًا باسم والد مؤسسها لاكوس (Lagus) وكانت تخومها تشمل مصر وفلسطين. والثانية في وادي دجلة والفرات، أسسها السيلوكوسيين (Seleucus) واعتلى عرشها عام ٣١٢ نيكاتور الأول (Nicator 1er) وسميت بدولة السيلو سيد تيمنًا باسم العائلة أو القبيلة التي أسستها.

---

(1) A. Lods (les brobhetes d,israel) page 225.

وكانت تخومها تشمل مملكة بابل وسوريا الشمالية، وهذا الانقسام بين اليونان أعاد سوريا إلى وضعها القديم، وأصبحت محور الخلاف الدائم بين الدولتين، مثلما كانت في عهد مصر وآشور، وكانت كل من الدولتين تسعى للسيطرة على السواحل السورية، لتكون على اتصال أرضي مع اليونان الوطن الأم، ولقد دام النزاع بينهما طويلاً، واستعملا في معاركهما أحط أنواع الأسلحة والأساليب من غدر وخيانة وقتل، وفي عام ١٩٨ قبل الميلاد تغلبت سيلوسيد على اللاجيد وانتزعت منها فلسطين، ويبدو أن النزاع بين الدولتين كان من حظ اليهود، رغم ما يزعمه يوسيفوس من إقدام بتولومة على تهجير بعض اليهود إلى مصر عند احتلاله مدينة القدس[1]؛ إذ أن المصادر التاريخية العامة أجمعت على أن كلا الدولتين كانت تسعى لخطب ود اليهود، وتفتح لهم أبواب مدنها ومقاطعاتها، حتى أن أنطيوشس الثالث (Antiochus III) الذي لقب بالكبير، نقل من اليهود ألفي عائلة إلى منطقة فريجي (Phrygie) وليدي (Lydie) لحمايتها من عبث الغزاة. كما أن ديمتريوس الأول (Demitrius 1er) التمس من الكاهن الأكبر أن يمده بثلاثين ألف رجل، ليجعل منهم حراسًا له وموضع ثقته، والمعروف أن اليونان كانوا يعاملون اليهود على قدم المساواة مع أبناء قومهم.

وتذكر المصادر اليهودية أن الدولة اليونانية منحت اليهود في المدن الحديثة كل الميزات التي كان يتمتع بها الماكيدون، والشائع أن الماكيدون كانوا يعتبرون في ذاك العصر من سادة القبائل اليونانية. والظاهر أن اليهود استغلوا هذه الميزات على أوسع نطاق ممكن، فانتشروا في أنحاء المملكة اليونانية، يؤسسون المستعمرات في مدنها، وينشئون المعابد الخاصة بهم، ولا يتورعون عن دعوة الناس إلى الدخول في مذهبهم علنًا. كما أقاموا مجتمعًا خاصًا بهم في كل بلد. وأوجدوا سبل الارتباط والاتصال بين مختلف مستعمراتهم، ليحافظوا على وحدتهم القومية ومصالحهم المشتركة، وبفضل هذه الحرية التي منحهم إياها اليونان، ازداد نفوذهم في الإمبراطورية وكثر أنصارهم، وأصبح لهم شأن عظيم، فراودتهم الأطماع، وعلى الأخص عندما شاهدوا ظهور الرومان على مسرح السياسة الدولية، فبادروا إلى الاتصال السري بهم. وتآمروا على اليونان إبان غزوهم مصر في عهد أنطيوشس الرابع (Antiochus IV) وساعدوا

---

(1) A. Lods (les prophetes d,israel) page 226 – 227.

الرومان على السيلوسيد.

فخشي أنطيوشس أن يعمد يهود فلسطين بدورهم إلى خيانته، كما فعل يهود مصر، فقرر صهرهم في بوتقة الحضارة اليونانية ليضمن ولاءهم، ولكن اليهود أبوا قبول هذا الاقتراح، وثارت ثائرتهم وأعلنوا سخطهم وتمردهم على اليونان، فلم يكن بد لأنطيوشس من تأديبهم، وإعادة الأمن إلى نصابه، ومع هذا عاد اليهود في العام التالي إلى إعلان عصيانهم مجددًا، فزحف أنطيوشس على منطقتهم مرة أخرى وأخمد ثورتهم، وقتل كل مَن شهر في وجهه السلاح منهم، كما أمر بنهب محتويات هيكلهم، وأقام على مدخله تمثالاً لزوس (Zeus) وأرغم يهود القدس على تقديم الذبائح له، إمعانًا في إذلالهم جزاء خيانتهم وتمردهم، أما المستعمرات اليهودية التي لم تحرك ساكنًا، فلم يمسسها أنطيوشس بسوء، وهذه المعاملة المزدوجة جعلت اليهود ينقسمون إلى فئتين: إحداهما مناصرة لليونان، وأخرى مناوئة لهم. وكان عدد المناوئين أكثر من الفئة الثانية؛ ولذا ظلت الأكثرية الساحقة معادية لليونان، وكان يتزعمها الكاهن أونياس (Onias) فعمد اليونان إلى إرهاب أونياس هذا، فلاذ بالفرار إلى مصر، ونصب اليونان بدلاً عنه الكاهن مينالوس (Menalous)، فلم يرق هذا التدخل اليوناني اليهود في شئونهم، وأصروا على مناصرة أونياس واتباع تعاليمه وإرشاداته التي كان يبعثها إليهم من منفاه في مصر[1]، وموقف أهل القدس من اليونان دفع بيهود المستعمرات الأخرى إلى التآمر على الدولة، فتكونت من سكانها عصابات مسلحة اعتصمت في الجبال، وأعلنت عصيانها تحت زعامة الكاهن ماناتياس، وبعد عام واحد مات الكاهن وخلفه على زعامة العصاة ابنه يهودا الذي لقب بالمكابي (Maccabee) وثابر الابن على مقاتلة اليونان، وأحرز عليهم بعض الانتصارات، فتفاقمت أطماعه وأراد الإسراع في القضاء على اليونان، فهاجم جيشهم، ولكنه فشل في نيل مبتغاه، وقتل في المعركة، تاركًا قيادة جماعته لشقيقه جوناتان (Jonathan).

وشاء القدر أن تنشغل الدولة السيلوسيدية ببعض أمورها الداخلية، وتضطر لمهادنة العصاة، ومنحهم في يهوذا ما يشابه الحكم الذاتي، ولما وجد جوناتان نفسه محاطًا برعاية بني قومه، ظن أن بإمكانه الاستفادة من الفرصة، وطرد اليونان نهائيًا من

(1) Ch. Guignebert (Le monde juif vers le tembs de jesus) page 49.

مقاطعته، فاصطدم مجددًا بالجيش السوري، ودارت الدائرة عليه وقُتِلَ في المعركة، فخلفه على قيادة الثوار شقيقه سيمون، الذي لاقى حتفه عام ١٣٥ تاركًا القيادة لابنه جان هيركان (Jean Hyrcan) الذي عمد إلى مهادنة اليونان وأعلن خضوعه لهم.

ولما قتل الملك اليوناني أنطيوشس سيديتس (A Sidetes) على يد البارتيين (Parthes) سارع جان هيركان إلى إعلان استقلال مقاطعته، ونصب نفسه ملكًا عليها باسم أريستوبول (Aristobule) وذلك عام ١٠٤ قبل الميلاد، ولكن هذا لا يعني أن هيركان أصبح فعلاً يحكم المنطقة بصفة ملك، بل بقي كزعيم عصابة خارج على القانون وأتاحت له الظروف أن يحصل على حريته مستفيدًا مما كانت عليه الدولة اليونانية حينذاك من الفوضى والتخاذل[1].

ولكن المصادر اليهودية كعادتها، غالت في وصف هذه الأحداث، وسمت ثورة المكابي بالثورة الكبرى ومعاركها المحلية بالانتصارات العظيمة بالانتصارات العظيمة، والحكم الذاتي الذي منحه جان هيركان بالاستقلال التام وقيام الدولة اليهودية، وأضفت على هذا الحدث المحلي التافه صفاتًا ومناقبًا تفتقر إليها سير أعظم الدول التي عرفت في التاريخ، بينما الواقع لا يعدو أكثر من قيام مشيخة صغيرة في بقعة محدودة من أرض فلسطين، تعمدت المصادر اليهودية إظهارها بمظهر الدولة الكبرى؛ لأنها كانت يهودية فحسب.

والظاهر أن كل ما قالته المصادر اليهودية عن عظمة هذه الدولة الكرتونية (التي قامت في عهد أريستوبول الأول على أعقاب ثورة قيل: إنها دامت ثلاثة وستين عامًا) لم يكن صحيحًا، بدليل أنها انهارت بمجرد موت جان هيركان على أثر النزاع الذي قام بين هيركان الثاني وأريستوبول الثاني وريثي أريستوبول الأول، اللذين عجزا عن تسوية الأمر، فاستندا بروما (التي كانت تراقب منذ أمد بعيد ما يجري بالقرب من تخومها) لتحل نزاعهما، فدخلت الجيوش الرومانية منطقة يهوذا، وسوَّت النزاع بين الورثة، بأن عينت هيركان الثاني كاهنًا لمدينة القدس، ونفت خصمه إلى روما، ومن ثم أعلنت ربط يهوذا نهائيًا بروما.

وهكذا خابت آمال اليهود وزالت المملكة الهزمونية (Hasmoniene) من الوجود،

---

(1) Ch. Guignebert (Le monde juif vers le tembs de jesus) page 44 – 45.

ولم تعمر إلا ربع قرن (رغم كل ما حاكت المصادر اليهودية حولها من الأساطير والخرافات التي بلغت حد الهوس والجنون).

وبانتهاء العهد الهزموني انتهت علاقة اليهود بالدولة اليونانية، وأصبحوا من أتباع روما، اعتبارًا من عام ٦٣ قبل الميلاد الموافق لعهد الإمبراطور بومبي (Pompee).

ويتضح من خلال الحوادث التي أوردناها، أن حظ اليونان من اليهود لم يكن أحسن من حظ الفرس؛ لأن اليهود لم يتورعوا من أن يسقوا اليونان من نفس الكأس الذي أسقوا منه الفرس كأس الغدر والخيانة، فتآمر عليهم الشعب المختار مثلما تآمر من قبلهم على الفرس، قابل إحسانهم بالإساءة والمكيدة، ولم يشفع لهم كل ما كان لهم عليه من أياد بيضاء، وكل ما أولوه من ثقتهم وما قدموا له من نعم، وليت اليهود اكتفوا بهذا القدر من الإساءة لليونان، إذ أن نزعة الشر ونكران الجميل دفعت بمصادرهم إلى النيل منهم، حتى بعد أن طعنوهم من الخلف، فراح فلافيوس (مسيلمة اليهود) يصف أنطيوشس أبي فاني بأنه كان ملحدًا كافرًا، قتل اليهود الأبرياء دون رحمه أو شفقة، واتهم كاتب سفر المكابيين زعماء اليونان بتحريضهم أنطيوشس سيديتس على أن يحمل على اليهود ويفنيهم جميعًا؛ ليطهر أرض فلسطين من أحفاد أسقط الشعوب، وسلالة الجزام، الحاقدين على الإنسانية جمعاء، أما لوفسكي[(١)]، فيزعم أن اليونان كانوا يحتقرون اليهود، وينعتون موسى بالساحر الدجال، مع العلم أن أكثر المصادر القديمة تشهد بما كان لليهود من حظوة لدى اليونان، وما اكتسبوه من الميزات في مختلف البلاد، التي كانت تحكم من قبل السيلوسيد، ولكن المصادر اليهودية جنحت إلى اتهامهم، بغية تبرير المواقف المخزية لبني قومهم نحو الشعب اليوناني الذي أكرمهم وأولاهم ثقته.

---

(1) Lovsky (Antisemitisme et Myster d,israel) bage 50.

اليهود في ظل روما

تمكن الرومان بسرعة من معرفة حقيقة العقلية اليهودية وتفهم طباع اليهود؛ ولذا عمدوا عند احتلالهم المنطقة على تولية أمورها لغريب عنها، حتى لا ينجرف خلف مناورات أهلها الذين عرفوا بتدبير المؤامرات والنزوع إلى الغدر والخيانة، فكان أن عين هيرود بن أنتيباتير (Herode Antipater) ملكًا على اليهود من قبل روما، وقيل: إنه كان من أصل غير يهودي، منحته الطبيعة الشيء الكثير من الذكاء، وسرعة الخاطر، والذوق السليم[1]. كما اشتهر إبان حكمه بولائه لروما، وحبه لحضارتها، وميله للبناء والإعمار، ولقد ظل حاكمًا ليهودا طيلة حياته، رغم أنه عين عام ٤٧ قبل الميلاد من قبل الإمبراطور قيصر (Cesar) وتقلب عليه العديد من الملوك، ولكن إخلاصه لروما وولاءه لسادتها، جعل الأباطرة الذين تعاقبوا على الحكم يولونه ثقتهم، ويتركونه في منصبه الرفيع، رغم الحملات اليهودية المستمرة التي كان يتعرض لها، والمصادر التاريخية غير اليهودية تذكر له العديد من الفضائل والحسنات، خلافًا لما تذهب إليه المصادر اليهودية من ذمه وتشويه سمعته، ويكفي أن نعلم أن عهده كان عهد استقرار وهدوء في هذه البقعة التي لم تعرف الهدوء قبل عهده أبدًا، بسبب الفساد والشقاق اللذين كان اليهود يبثونهما فيها، ولما مات هيرود اقتسم أولاده الثلاثة تركته فيما بينهم عملاً بوصيته، وأصبحت منطقة يهودا من نصيب أرشيلوس (Archelous) والجليل من نصيب آنتيبا (Antipas) ومنسى من نصيب فيليب (Philippe) فحقد اليهود على أولهم، وطلبوا من روما عزله وإلحاق منطقته بسوريا، فعزلته روما وأسندت حكم منطقته إلى حاكم روماني ليديرها مباشرة، حتى تقطع الطريق على اليهود، ومن ثم نفت آرشيلوس إلى فيينا[2].

أما آنتيبا (Antibas) فقد خشي مغبة مناوأة اليهود، وجنح إلى ممالأتهم وتقديم القرابين لمذبحم، فرضي عنه الشعب، وهو الذي اشتهر في التاريخ باقترانه بهيروديا (التي ينسب إليها ولابنتها سالومي قصة مقتل الرسول حنًا)، والذي كان يحكم اليهود عند ظهور المسيح، ويبدو أن مشايعته لليهود لم تكن لصالحه، إذ عرضته لنقمة روما

(1) ch. Guignebert (Le monde juif vers le tembs de jesus) bage 46.
(2) Ch. Guignebert (Le monde juif vers Le tembs de jesus) bage 43.

أثر وشاية قدمها بحقه هيرود أغريبا فأقالته روما ونفته بدوره إلى مدينة ليون حيث قتل، وعينت بدلاً عنه حاكمًا رومانيًا لإدارة شئون المنطقة مباشرة، وهكذا لم يبق من أولاد هيرود على الحكم إلا فيليب، والفضل في بقائه يعود لأهل منطقته الذين لم يكونوا من اليهود، بل كانوا من الأغراب (Goyim) الذين يجهلون أساليب الدس والوشاية.

اليهود والحكم الروماني المباشر

على أثر إقالة أرشيلوس وأنتيبا، أصبحت المنطقة اليهودية تابعة مباشرة إلى الحكم الروماني، ولم يعد لها أية ميزة خاصة، وكان الحكام الرومان يدعون بالوكلاء (brocurator) ويقيم كل منهم في عاصمة المنطقة المولج بإدارة شئونها، فحاكم يهودا يقيم في القيصرية (Cesaree) المدينة الساحلية، التي بناها هيرود الكبير عام ١٩ قبل الميلاد، وكانت السلطات المدنية والعسكرية في المنطقة تخضع لسلطته المباشرة، وكان يحتفظ بألبسة الكهنوت الرسمية في إحدى الحصون التابعة له ليحول دون قيام اليهود بالحفلات الدينية الكبرى بلا موافقته المسبقة، ومن هذا يتضح بجلاء أن الحاكم الروماني كان السيد الأول في المنطقة، وعليه تقع تبعات تسيير جميع أمورها، وهذه المسئوليات الواسعة لم تكن سهلة كما يتبادر لذهن القارئ، على الأخص في المنطقة اليهودية التي كانت آهلة بنوع خاص من السكان، أعني اليهود الذين اعتادوا التشكك في كل شيء، وأتقنوا أساليب الدس والفساد والخداع؛ ولهذا كان الوكيل الروماني دائم الحذر بتجنب كافة الأمور المثيرة لحفيظة اليهود خاصة وأن الجيش الذي كان تحت إمرته لا يزيد عدده عن ثلاثة آلاف مقاتل[1]، كان أكثر أفراده ممن تطوعوا محليًا، وإزاء هذه العقبات كان الوكلاء يميلون إلى مهادنة اليهود تفاديًا لإثارة القلاقل، ولقد اتبع أكثر الوكلاء الذين تعاقبوا على حكم المنطقة سياسة الإرضاء واللين، بقصد كسب حب الأهلين، فكانوا يصكون النقود الصغيرة المتداولة في البلاد محليًا، ولا ينقشون عليها صور الأباطرة كما كان المتبع آنذاك، ويحرمون على الرومان المرور في الطرق الموصلة إلى أماكن العبادة اليهودية، ويجردون جنود الرومان الذين يدخلون

---

(1) Ch. Guignebert (Le monde juif vers Le tembs de jesus) bage 52.

القدس مسبقًا من شعاراتهم، حتى لا يستفزوا شعور اليهود، كما كانت القطعات الرومانية المتجولة في المنطقة تمنع من دخول القدس والأماكن المقدسة، وعلى الرغم من هذه الاحتياطات التي اتخذها وكلاء الرومان واتباع سياسة اللين والإرضاء، فإن أحدًا منهم لم يوفق لاكتساب رضا اليهود.

ومصادرهم التاريخية والمصادر الرومانية تروى لنا مئات الحوادث المشيرة عن تذمر اليهود من وكلاء روما؛ إذ كان اليهود يتقدمون بالشكاوى لأتفه الأسباب، مع العلم أن كافة الوظائف الحكومية عدا وظيفة الوكيل كانت تدار من قبلهم، خلافًا لما عرف عن نظام الحكم الروماني في البلاد الأخرى، حيث أن الرومان كانوا يستأثرون بكل الوظائف الحكومية، أما في يهودا فقد كانت الآية معكوسة؛ إذ كان لكل مدينة يهودية مجلسها البلدي، يرأسه ممثل المجلس الكهنوتي الأعلى (sanhedrin)، ويلي هذا المجلس لجنة مكونة من صغار رجال الدين والكتبة، تتلخص مهمتها بمساعدة المجلس البلدي في إدارة البلدة، ولم يكن الوكيل يتدخل في شئون هذه المجالس واللجان إلا بصفة مراقب فحسب، حتى أن المجلس البلدي في مدينة القدس هو الذي كان يجبي الضرائب من المواطنين، حتى يظل الرومان بعيدًا عن مخالطة أهلها؛ إذ كان قصد الرومان هو أن يسود الأمن، وتدفع الضرائب في حينها، أما الأمور الأخرى فيبتعدون عنها، طالما كان ذلك مضمونًا لهم.

بيد أن اليهود بدلاً من أن يركنوا إلى الاستقرار، نزعوا كعادتهم إلى التآمر، بعد أن كانوا يتذللون لروما، لتنقذهم من هيرود الكبير وخلفه أرشيلوس، ولقد وجدوا الفرصة سانحة لإعلان غضبتهم، وذلك عند قدوم حاكم سوريا برفقة الوكيل الجديد كبنيوس (Cobonius) إلى المنطقة لتفقد أحوالها وإجراء إحصاء عام فيها بغية تنظيم أمر الضرائب، فاتخذ اليهود من هذا الإحصاء ذريعة لإعلان عصيانهم بقيادة يهودا الملقب بالجليلي (J.Le Galileen) وزميله الفريسي صدوق (Saddouk) فسارع الجيش الروماني وأخمد الثورة، ولكن ذيولها وآثارها ظلت قائمة، فظهرت جماعة الزيلوت على المسرح، وشرعت بتحريض الناس على مقاومة الرومان وعدم الخضوع لهم، واتهمت كل متعاون معهم بالكفر والإلحاد، كما أصدر الكهنة رأيًا بعدم جواز الخضوع للحكم الروماني المدنس للشعائر الدينية، فازداد تذمر اليهود من وكلاء

روما، فعمدت روما إلى المهادنة مجددًا، ووحدت المقاطعات اليهودية الثلاث وأسندت ولايتها عام ٤١ م إلى اليهودي هيرود أغريبا إرضاءً لليهود، ولكن اليهود ظلوا على عدائهم السافر لروما، وسفهوا عمل الإمبراطور كلود (Claude) الذي عين هيرود.

وثابروا على مناوأة السلطات، وعلى الأخص عندما تبنى المجلس الكهنوتي الأعلى جماعة الزيلوت (هذا المجلس الذي أصبح بعد عهد المنفى أعلى مرجع يهودي بسبب الإصلاحات التي أدخلت على الشريعة اليهودية في عهد أنبياء المنفى) التي ازدهرت وقويت شوكتها، فتعددت في البلاد أعمال القتل والاغتيال وسادت الفوضى، ولما عجز أغريبا عن إعادة الأمن إلى نصابه، انحاز إلى صف اليهود رغم أنه كان حفيد هيرود الكبير الذي اشتهر بإخلاصه لروما، وكرهه لكل مَن ينتسب إلى العائلة الهزمونية، التي أفنى جده أفرادها جميعًا أيام حكمه للمقاطعات اليهودية، كما أن أغريبا عاش وترعرع في روما وفي كنف الإمبراطور تيبير (Tibere) باعتباره صديق ابنه دروسس (Drusus) ولما مات ردوسس اضطر أغريبا للعودة إلى فلسطين، والتجأ إلى عمه آنتيبا الذي عينه مراقبًا لمدينة طبريا، التي كان يبنيها الحاكم أنتيبا إكرامًا للإمبراطور تيبير، ولكن سوء سلوك أغريبا جعله يختلف مع عمه، فقفل راجعًا إلى روما، وهنا تعرض أيضًا لنقمة الإمبراطور تيبير، بسبب المساوئ التي أقدم عليها، وزجه في السجن، ويشاء القدر أن يموت تيبير مخلفًا على العرش ابنه كاليكولا (caligola) الذي كان صديق لأغريبا، فأفرج عنه، وعينه ملكًا على يهودا كما نوهنا فيما سبق، ولما سمع أنتيبا بهذا التعيين سارع إلى روما، والتمس من الإمبراطور أن يعامل بمثل ما عومل به أغريبا، ولكن الإمبراطور خيب أمله، بناءً على وشاية أغريبا به، وجرَّده من وظيفته، وألحق مقاطعته بمملكة أغريبا، ومن ثم نفاه إلى ليون (Lyon) ولم يعد له ذكر في التاريخ إلا في قصة سالومي وحنا.

وهكذا أصبح أغريبا سيدًا على المناطق اليهودية، ورغم هذه المساعدات الرومانية وإكرام كاليكولا له، لم يتورع عن خيانة روما والتحيز لليهود؛ لأن الدم اليهودي الذي يجري في عروقه، كان أكثر قوة من دماء جده الأدومي، وعندما تيقن عن عجزه في التغلب على اليهود، رضخ لإرادتهم وانحاز إلى صفهم، وضرب بالصداقة الرومانية عرض الحائط، ولكن الرومان لم ينتبهوا إلى تحيزه الخفي هذا، بل ظلوا على ثقتهم به،

فعظم شأنه واتسع نفوذه، وساهم بقسط وافر ليوصل الإمبراطور كلود إلى العرش خلفًا لكاليكولا، فكافأه الإمبراطور الجديد ووسع من سلطانه، فعمد أغريبا إلى الاستفادة من الظروف وأقام القلاع والحصون وأعاد بناء سور القدس، وعقد المحالفات السرية مع حكام البلاد المجاورة له، بغية التمرد على روما في يوم ما، كما أنه تقرب من المجلس الكهنوتي الأعلى، وكان ينفذ كل مطالبه، ويقدم له العون والمساعدة، وفي أواخر أيامه ازداد نشاطه في المنطقة، مما أدى إلى انتباه الرومان لما كان يبيته لهم، ولكن الموت عاجله قبل أن يحقق أطماعه، فأعادت روما الحكم الروماني المباشر على المناطق اليهودية بعد أن تأكدت لها استحالة الوثوق باليهود.

وسيطرت خيبة الأمل على اليهود مجددًا، وعادوا إلى أعمال الشغب وإظهار التذمر، والاعتداء على موظفي الدولة، والامتناع عن دفع الضرائب، فتفاقمت الأمور ولم يعد بإمكان الحاكم الروماني السكوت عنهم، فطلب من أهل القدس دفع ما عليهم من الضرائب، فاتخذ اليهود هذا الأمر ذريعة لإعلان العصيان، مع أن الضريبة المطلوبة لا تزيد على بضعة جنيهات في مجملها. ومع هذا ثار اليهود وداهموا الحامية الرومانية، التي كانت متمركزة في حصن أنطونيا، وقتلوا أفرادها عن بكرة أبيهم، وأعلنوا تمنعهم عن إقامة الشعائر الرومانية في هيكلهم، فبذا أعلنوا الحرب السافرة على روما، فاضطرب حبل الأمن في البلاد، ودامت الثورة أربعة أعوام، بسبب انشغال روما بشئونها الداخلية ويقول تارود(١): إن أربعة أباطرة تعاقبوا على حكم روما في هذه الحقبة من الزمن، وعندما اعتلى العرش الروماني فاسباسيان (Vesbsien) حاكم سوريا السابق كلف ابنه البكر تيتوس (Titus) بقمع الثورة اليهودية، فقام هذا الأخير بحملة واسعة على الثوار ودحرهم في مختلف أنحاء المنطقة، فالتجأ مَن بقي منهم بمدينة القدس، حيث تجمعت عصابتهم فيها، فعم الفساد في المدينة بسبب المنافسات التي كانت تقع بين العصابات المختلفة؛ إذ كانت كل منها تريد فرض سيطرتها على المدينة، وكثرت الاغتيالات وعمليات السلب والنهب.

ويذكر فلافيوس أن عدد سكان القدس ارتفع في ذلك الوقت إلى مليون نسمة، مما أدى إلى بقاء الناس في الشوارع والحقول لعدم وجود المساكن الكافية لاستيعاب هذا

(1) J.J. Tharaub (Le Chemin d,Israel) bage 49 – 50.

العدد الكبير، ولما وصل جيش تيتوس إلى تخوم المدينة وضرب الحصار حولها، لم يشأ أن يسيء إلى أهلها إكرامًا للأميرة اليهودية بيرينيس (Berenice) ابنة الملك السابق أغريبا إذ كان مولعًا بها، فأرسل يعرض عليهم الاستسلام مقابل الإبقاء على أروحهم، ولكن العصاة رفضوا العرض، فشدد تيتوس الحصار، حتى فتك الجوع بأكثر سكان المدينة وامتلأت الشوارع بجثث الموتى، وتفشت الأوبئة في المدينة، فعاد تيتوس يعرض عليهم الصلح، ورفض العصاة عرضه للمرة الثانية، وبعد مدة عاد للمرة الأخيرة، فعرض عليهم الصلح، فأبى العصاة الرضوخ لطلبه، فلم يسع تيتوس إلا أن يحمل على المدينة حملة صادقة، فدخلها قوة واقتدارًا، بعد أن دمر سورها وأحرق هيكلها، وقتل من الزيلوت والسكير (Sicaires) ودمر ما تبقى من المدينة حتى جعلها قاعًا صفصفًا، وسبى أهلها وأمر ببيعهم في أسواق النخاسة، وحرم دخول القدس على اليهود، ثم تعقب فلول العصابات التي لجأت إلى حصن الماكارونت (Macheronte) الذي بناه هيرود الأدومي على الضفة الشرقية لنهر الأردن، والذي يبعد عن البحر الميت مسافة عشرة كيلو مترات، فحاصر تيتوس المتمردين والمعتصمين فيه مدة من الزمن، وفي النهاية تمكن قائد جيشه باسوس (Bassus) من اعتقال زعيم العصاة، الذي حاول التسلل من الحصن، فخير باسوس العصاة بين أن يستسلموا شريطة الإبقاء على أروحهم أو أن يشاهدوا زعيمهم معلقًا على حبل المشنقة، فرضخ العصاة لأمره واستسلموا حسب الشروط التي عرضها عليهم الرومان، ولما تم لتيتوس ما أراده في الماكارونت أرسل جيشه لمحاصرة حصن ماسادة، الذي اعتصمت فيه عصابة السكير، ولقد طال الحصار عدة أشهر، فقرر الرومان احتلال الحصن مهما كلفهم الأمر، وتمكنوا من فتح ثغرة في إحدى جدرانه، ثم قاموا بهجوم مفاجئ، ولكنهم فوجئوا بدورهم بعدم وجود أية مقاومة، ولما دخلوه لم يجدوا فيه أحدًا، وبينما كانوا يبحثون عن سبب ذلك عثروا على امرأة خرجت عليهم مع أطفالها من كوة في بطن الأرض ولما سألوها عن مصير السكير، أفادتهم أن العصاة عندما تأكدوا من الغلبة، قرروا فيما بينهم الانتحار، واختاروا عشرة من بينهم وكلفوهم بقتل الآخرين، وبعد أن تم ذلك عمد العشر إلى قتل بعضهم البعض، حتى لم يبق منهم إلا واحد، فأشعل النار في الحصن وانتحر بدوره، فقام الرومان بتحري

الحصن وتأكد لهم صدق أقوال المرأة، وهكذا قضى على فلول آخر عصابة يهودية، وتذكر المصادر اليهودية أن عدد هؤلاء العصاة كان تسع مائة شخص انتحروا لكي يتفادوا ذل الأسر ومظالم الرومان القساة.

ولما تم لتيتوس تطهير فلسطين من العصاة عاد إلى روما مصطحبًا معه الغنائم الحربية، والأسرى الذين كان في طليعتهم كل من سيمون بارجيورا وجان جيشالا (Simon Bar – Giora et Gischala) رأسي الفتنة، فاستقبلته روما استقبال الفاتحين، وبعد أن انتهت مراسيم العرض العسكري الذي أقيم بهذه المناسبة أُعدم سيمون بإلقائه من على قمة صخرة عالية، عملاً بتقاليد ذاك العصر، وأودع جان ورفاقه السجن حتى ماتوا جميعًا، ولقد أصدرت روما بهذه المناسبة نقودًا جديدة نقش عليها صورة امرأة يهودية تبكي تحت ظل نخلة باسقة، وذلك تخليدًا لذكرى انتصار تيتوس على اليهود؛ لأنه رفض أن يمنح لقب فاتح يهودا (gudiens) تقززًا لما كان لها من سمعة سيئة في العالم (وتقضي التقاليد الرومانية بمنح القائد لقب البلاد التي ينتصر عليها) وهذه المنحة كانت تعتبر من أرقى المراتب التي تعطى للقواد المنتصرين، ولكن مجرد كونها تحمل اسم يهودا دفع بتيتوس إلى رفضها وحرمان نفسه منها[١].

وفي أعقاب هذا النصر، ظن الرومان أنهم تخلصوا نهائيًا من الشعب اليهودي، ولكن الأحداث أثبتت لهم خطأ ظنهم هذا (لأن اليهود لن يهدءوا أو يستكينوا طالما كانت أبالسة المجالس الكهنوتي الأعلى من ورائهم، هؤلاء الكهنة الذين ما زالوا منذ عهد المنفى يعملون دون هوادة، لتحريض أتباعهم على افتعال المصائب وسفك الدماء، حرصًا على تحقيق أحلامهم الشيطانية) فبمجرد أن استكان اليهود في ربوع فلسطين، بدأ المجلس الشيطاني بتحريض أتباعه في المستعمرات الأخرى، فقامت الاتصالات بين الجاليات اليهودية، ووضعت المخططات السرية اللازمة لمناوأة الرومان، حتى كان عام ١٣٠، وإذا بثورة يهودية عامة تندلع نيرانها فجأة في كافة أنحاء الشرق من الفرات حتى ليبيا، أقدم اليهود فيها على مباغتة الحاميات الرومانية، والدساكر غير اليهودية وأعملوا فيها القتل والذبح ونشروا فيها الخراب والدمار، وبلغت وحشية اليهود المعروفة حتى الذروة، وتفننوا في تعذيب ضحاياهم والتمثيل

---

(1) J. J Tharaud (Le chemin d,Israel) bage 50 – 51.

بهم، ولقد ذكرت المصادر الرومانية أن يهود ليبيا تحت إمرة أندرياس (Andreas) كانوا يقتلعون قلوب ضحاياهم من صدورهم، ويأكلونها كالوحوش الضارية، ويتخذون من أمعائهم وآذانهم قلائد يتزينون بها إمعانًا في إظهار حقدهم، وتذكر المصادر نفسها أن عدد القتلى على أيدي اليهود في ليبيا وحدها بلغ مائتين وخمسين ألف قتيل[1]، وقد فعلوا مثل ذلك في كافة البلاد التي تمكنوا من أهلها، ويقال إن ثورتهم هذه دامت ثلاثة أعوام، أذاقوا خلالها العالم القديم أبشع أنواع الهمجية والوحشية، والغريب في هذه الثورة هو بقاء يهود فلسطين بمعزل عنها حتى النهاية.

فلما رأى الرومان تفاقم أمر اليهود واستحالة السكوت عليه، أصدر الإمبراطور تراجان (Trajan) أمره إلى الجيوش الرومانية لقمعها، فقامت القطعات الرومانية بواجبها على الوجه الأكمل، وقضت عل الثورة والثائرين بأقصى الشدة، وانتهى أمر هذا التمرد، وعاد الأمل يراود الرومان بتخلصهم نهائيًا من اليهود، فجنحوا مرة أخرى إلى مهادنتهم، فرفعوا القيود التي كانت مفروضة على القدس، وسمحوا لليهود بحرية التنقل، والعمل، وأعادوا إليهم حقوقهم السابقة، حتى أن الإمبراطور أدريان (Adrjen) الذي خلف تراجان على العرش الروماني، أمر وكلاءه في فلسطين بإعادة بناء الهيكل اليهودي على نفقة الدولة، ولقد جمعت المواد اللازمة لبنائه، وكاد العمل يبدأ لولا أن تراجع أدريان عن أمره خشية أن يصبح مركزًا للتآمر اليهودي؛ لأنه لاحظ أن اليهود عادوا إلى تجمعهم ورص صفوفهم وأظهروا كثيرًا من التفاؤل بعودة مجدهم الزائل، بمجرد أن سمعوا أن أدريان قرر إعادة بناء الهيكل، كما قام المجلس الكهنوتي بدوره بدعوة اليهود للترابط والتآخي مجددًا.

وإزاء هذا النشاط المريب، ألغى الإمبراطور أمره السابق، فاغتاظ اليهود من موقفه، وقرروا العودة للنضال المسلح، فبادر رجال الدين إلى تهيئة الأفكار لحمل السلاح، والسعي الجماعي لطرد الرومان من المنطقة اليهودية. فلما خيل لهم أنهم قادرون على مناوأة الرومان أعلنوا الثورة العامة في فلسطين بقيادة كاهن طبريا المدعو ربي عقيبا (Akiba) وتابعه المدعو باركوشبا (Barcochba) فعمت الفوضى في البلاد وكثر عدد الثوار وتمكنوا من الانتصار على بعض القطعات الرومانية، فشعرت روما

(1) Dion Cassius (Histore Romaine) bage 140.

بالخطر الداهم، فأرسل أدريان أحسن قوداه جول سفير (Jules sevres) لتأديب العصاة، وكان له ما أراد وأخمدت الثورة، بعد أن دامت ثلاثة أعوام، ارتكب اليهود فيها عشرات الألوف من الجرائم بحق السكان من غير اليهود، ولما استتب الأمر للرومان اعتقلوا عقيبا، ولكنهم لم يعثروا على مساعده كوشبا، ومن ثم بادر جول بمحو كل أثر للهيكل والمدينة المقدسة، وأقام مكانها مدينة جديدة أسماها باوليا كابيتولينا (Olea Cabitolina) تبركًا بعائلة الإمبراطور أدريان، وأقام في وسط المدينة تمثالين لجوبيتير وفينوس، وهكذا أزال عن القدس كل طابع يهودي، ثم قضى على عصابات عقيبا التي كان أفرادها يدعون بقدرتهم على طرد الرومان بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التلمود(١).

ورغم هذا ظل اليهود على ترابطهم القومي وتعصبهم العنصري، وجمعوا صفوفهم بفضل المساعي التي كان يبذلها مجلسهم الأعلى، ثم عمدوا إلى تغيير أساليبهم في مخاصمة أعدائهم، فنبذوا فكرة استعمال القوة واستعاضوا عنها بالدس وإطلاق الشائعات أو التملق للرومان، وتسخير نسائهم في حل الأمور المستعصية، تنفيذًا لتعاليم المجلس الكهنوتي الأعلى التي كانت تبلغ إليهم بصورة سرية.

وبفضل هذه الأساليب الجديدة تمكنوا من التقرب إلى الرومان، فأصبح منهم لدى الأباطرة مستشارون وأصحاب سيطرة ونفوذ، كما توصل بعضهم لاحتلال مراكز حساسة في أجهزة الدولة المختلفة، وكان هدفهم هذه المرة محاربة النصرانية التي شعروا بخطرها، وتفاقم أمرها، وعلى الأخص أنهم كانوا يعتبرون النصارى في البداية عناصر موالية لهم، ولكن عندما وقعت الفرقة بينهما (عندما وقف النصارى موقف الحياد من خصام اليهود للرومان) آلوا على أنفسهم أن يوقعوا الخصام بين الرومان والنصارى بغية إضعاف الطرفين حتى يتمكنوا منهما فيما بعد، وتذكر لنا المصادر التاريخية أن اليهود نجحوا في إيذاء النصارى وألحقوا بهم أضرارًا جسيمة، حتى أن المستشار اليهودي جحودا (R. jehouda) تمكن من التغرير بالإمبراطور أنتونان التقي (Antonin Le bieux) وأقنعه بأن سبب نزول الطاعون بأهل روما هم الناصريون وحرضه على إفنائهم حتى يبعد الطاعون عن البلاد، ولقد استجاب الإمبراطور الغبي

---

(1) J.J. Tharaud (Chemin d Israel) Page 58.

لطلبه وأمر بقتل جميع العازاريين عام ١٥٥م. كما أن القيافا اليهود (قيافا - مشاور) ساهموا في قتل العازاريين عام ١٧٧م في عهد الإمبراطور مارك أوريل (Marc Aurele) ولقد أكد سفر حادوروت اليهودي (Sepher Hadoroth) وقوع هذه الحوادث، كما روتها المصادر غير اليهودية(١).

ويروي لنا سفر جوشاسن اليهودي (Sebher guchasin) أن الإمبراطور ديو كيليتان (Diocletien) أقدم على إعدام عدد كبير من النصارى ضمنهم البابا كايوس (Caius) والبابا مارسلينوس (Marcellinus) إرضاء لأصدقائه ومرابيه من اليهود، هذا عدا عما ترويه المصادر الرومانية عن الشرور والمذابح التي حدثت بفضل دسائس اليهود، ولكن هذا لم يمنع المسيحية من الازدهار والانتشار وتقويض الدعائم اليهودية، والفوز عليها.

وضع اليهود السياسي في ظل الإمبراطورية الرومانية

عندما احتل الرومان المقاطعة اليهودية لم يجنحوا إلى سلب اليهود ما كان لهم من ميزات في عهد اليونان، بل عمدوا إلى تحسين وضعهم وتوسيع المجال الحيوي لهم، وعاملوهم بشكل خاص يختلف عن كل ما عرف عن الرومان في معاملتهم للشعوب التي تغلبوا عليها، ومنها أنهم تركوا لليهود ما كان لهم من الاستقلال الذاتي، ومنحوهم حرية التنقل والعمل، وحرية ممارسة طقوسهم الدينية، وحرموا المس باليهود في أيام السبت حتى أن المحاكم كانت تغلق في هذه الأيام احترامًا لمشاعر اليهود، وكانوا يشاركونهم في كل الحفلات الرسمية دون أن يرغموهم على حضورها أو القيام بأداء شعائر الولاء للإمبراطور، التي كانت مفروضة على كل أتباع روما دون استثناء، وسمحوا لهم بإيجاد التعاونيات وتشكيل الجمعيات، وإجراء انتخابات بلدية وإقامة المؤسسات وبناء المعابد الخاصة بهم، وتعاطي بيع وشراء الملكيات سواء للأفراد أو الجماعات، وتركوا لمعابدهم حرية تلقي الهبات المالية والعينية، وجباية الأموال لأغراض خاصة بهم، كما كان لهم حق إيفاد الوفود والرسل إلى روما لعرض قضاياهم على المسئولين أو الإمبراطور بالذات، وأبقوا لهم أيضًا على محاكمهم

(1) P. Hepesse (La nouvelle bible) page 225.

الخاصة، وأطلقوا أيدي زعمائهم في الإدارة المحلية[1].

أي أنهم كانوا شبه دويلة ضمن دولة الرومان الكبرى، ولم يكن لروما من الحقوق عليهم سوى دفع الجزية المتفق عليها، مقابل أن تحميهم من الغزاة والطامعين، وهي لم تجبرهم على الاعتراف بالإمبراطور، ولم ترغمهم على القسم باسمه كما كان شائعًا لدى الرومان، فكان اليهودي حر عند أداء الشهادة أو إعطاء الإفادة بأن يقسم على صدق ما يقول برأس الإمبراطور أو لا، وهذه الميزة أفادتهم كثيرًا، فكان واحدهم لا يتورع عن ارتكاب أكبر جريمة ممكنة سرًّا، ومَن ثم يقسم بالإمبراطور ليبرئ نفسه من التهمة (وبما أن اليهود لا يعتقدون بألوهية الإمبراطور، فقد كانوا يستعملون القسم باسمه أداة لإنقاذ رءوسهم من الخطر) كما أنهم كانوا أحرار في القيام بالتقاليد الرومانية أو عدمه، ولذا كانوا يحضرون المناسبات الرسمية التي كانت لصالحهم ويعزفون عن سواها، وبكلمة أوضح أنهم كانوا يستفيدون من كل الميزات الممنوحة للمواطن الروماني.

أما حياتهم الاجتماعية فكانت متفاوتة؛ إذ كان فيهم الثري الكبير والفقير المعوز، وتذكر المصادر الرومانية أن التسول في الأوساط اليهودية كان شائعًا (حتى في إيطاليا) ويستغرب كُتّاب التاريخ هذه الظاهرة التي لا تنسجم مع ما عرف عن اليهود من تبادل المعونة؛ إذ اشتهروا بمؤازرة بعضهم البعض، وكان لهم في كل مستعمرة تنظيم خاص يتكفل أفراده بمعاونة مَن يفد إلى المستعمرة من الفقراء والمعوزين. ولكن بعد التحري عن أسباب كثرة المتسولين في المستعمرات اليهودية تبين أنها لم تكن ناتجة عن الفقر، بل كانت في أكثر الأحيان لأسباب دينية وسياسية؛ إذ كان المجلس الكهنوتي يعمد إلى معاقبة كل خارج عليه بطرده من المجتمع اليهودي وحتى من عائلته، ويحرمه العمل لمدة معينة، فيضطر هؤلاء التعساء إلى التسول بغية الحفاظ على أرواحهم، وكان المجلس يعيدهم إلى حرمه بعد انتهاء مدة العقوبة وإعلان التوبة، وطلب الغفران، والغريب أن هؤلاء المنبوذين كانوا يظلون على صمتهم، ويخفون أمرهم حتى عن أقرب الناس إليهم.

وفاق تساهل الرومان مع اليهود كل تقدير وتفكير؛ إذ كانوا يسمحون لليهود

---

(1) J. Juster (les juifs dans L,emPire Romain) Page 355.

بتشكيل النقابات الحرفية، وإجراء الانتخابات العمالية والدينية، بينما كانوا يحرمونها في البلاد الأخرى على أتباعهم، وهذه الحريات الواسعة هي التي مكنت اليهود من تنظيم شئونهم القومية والدينية، وتوثيق صلاتهم بين المستعمرات رغم انتشارها في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية الواسعة. وفيما يتعلق بتنظيماتهم العامة، كانت مدينة القدس لهم بمثابة العاصمة المقدسة التي يحج إليها سنويًا ألوف من زعماء المستعمرات للتداول في شئونهم العامة مع أعضاء المجلس الكهنوتي الأعلى.

وبصدد هذه الاجتماعات يزعم فلافيوس اليهودي أن عدد الذين كانوا يحضرونها من المستعمرات، كان يربو في بعض السنين على مليوني نسمة، ويذكر أن في العام السابق لثورتهم الكبرى بلغ عدد من قدم إلى القدس قرابة الثلاثة ملايين نسمة.

وفي نفس الموضوع يقول المؤرخ الإسكندراني فيلون (Philon): إن عدد زوار القدس سنويًا كان يزيد على بضعة مئات من الألوف. ومن هنا يتضح أن الرومان لم يمنعوا اليهود أبدًا عن أي نوع من الاجتماعات أو الأعمال القومية الخاصة بهم.

وتذكر لنا المصادر التاريخية، أنه كان لليهود صندوق قومي يشرف عليه المجلس الكهنوتي الأعلى، وكانت أمواله تجبى من اليهود، وكان على كل يهودي بلغ العشرين من عمره أن يدفع سنويًا لهذا الصندوق ما فرض عليه من المال، وهذه الضريبة تجبى من جميع اليهود وبصورة جبرية وعلنية، حتى أن جباة الرومان في المناطق كانوا يكلفون رسميًا أحيانا بإيصال الأموال المجباة من يهود المستعمرات إلى مقر المجلس العلى الكهنوتي، وكانت السلطات الرومانية تقدم الجنود لحماية هذه الأموال في طريقها إلى الصندوق العام، وهذه الأموال تسمى بالأموال المقدسة، وكان الرومان أنفسهم يعتبرونها كذلك.

وكانت روما تعترف رسميًا بسلطة المجلس الكهنوتي على كل اليهود القاطنين في إمبراطوريتها، وترغم كل متمرد عليه بالعودة إلى إمرته، حتى أن يهود بابل وفارس كانوا يقدمون له ولائهم ويرسلون ما فرضه عليهم من الضرائب سنويًا أسوة بالمستعمرات الأخرى[(١)]، وهذه التنظيمات هي التي سهلت للمجلس الإشراف على شئون اليهود، ومراقبة سلوكهم القومي والاجتماعي، وإصدار التعليمات

(1) J. Juster (les juifs dans l,ebiere Romain) page 337 – 391.

والإرشادات إليهم، وتوثيق صلاتهم القومية وتقويتها يومًا بعد يوم؛ لأن الجميع كانوا يخضعون لنفس التعليمات والإرشادات التي كانت تصدر إليهم في البداية من القدس، ومن ثم من طبريا التي أصبحت المركز الديني الأول بعد خراب القدس، وتمركز السنهدران فيها، وكان له في كل مستعمرة معتمد يشرف مباشرة على شئونها ضمن مخططات المجلس، وكل هذا الفيض من الحريات الاجتماعية التي منحها الرومان لليهود سهّلت لهم الظروف لإقامة الهيئات السياسية والاجتماعية، ومكنتهم من دراسة أمورهم المختلفة وإيجاد الحلول المناسبة لها، ضمن وحدة الرأي والهدف، وبفضلها أصبحت لهم في العصور التي توالت هيئات ومؤسسات مختلفة، تعمل ضمن المخططات القومية التي وضعها المجلس الأعلى اليهودي.

وهذه التسهيلات الرومانية وهذا الاحترام الذي أبداه الرومان نحو اليهود، وهذه الحريات والمساعدات التي منحوهم إياها، لم تشفع لهم لدى اليهود ومؤرخيهم، إذ ظلوا على حقدهم الأسود على الرومان، وعمدوا إلى تشويه سمعتهم، ووصمهم بالظلم والتعسف، واتهامهم بقتل الأبرياء من بني قومهم والاعتداء على أعراضهم، وبغية التشنيع في حكمهم.

ذكرت المصادر اليهودية[١] أن الرومان أقدموا على طرد ممثلي شمعون المكابي من روما، بحجة أنهم قاموا فيها بالتبشير لشريعتهم، ومنذ ذاك اليوم أصبحوا ينظرون إلى اليهود نظرة الشك والريبة، وكان الرومان يحتقرون الشعائر اليهودية، ودللت على ذلك بزعم تقديم الإمبراطور أوكتاف (octave) التهاني لابنه البكر لامتناعه عن تقديم ولائه لرب أورشليم عند زيارته لها، وأن الإمبراطور تيبير (tibere) شرد أربعة آلاف يهودي؛ لأنه كان يكرهم[٢] وادّعت أن الإمبراطور كاليكولا (caligla) كان ينوي قتل جميع سكان القدس؛ لإقدام بعض الثوار على نزع الشعارات الرومانية عن مدخل الهيكل وقتلهم بعض رجال حاميتها، ولكن موته فجأة حال دون تحقيق رغبته هذه[٣]، ووصفت تيتوس بالطاغية لإحراقه الهيكل وتدميره القدس، ولإخماده ثورة الزيلوت والسكير، وزعمت أن كل هذه المظالم كانت بسبب حقد الرومان عليهم.

---

(1) Rsvue des etudes Juives No. xxvi Page 36 - 1858.
(2) Rsvue des etudes Juives . Page 18- No 11.
(3) Lovsky (Antisemitisme et mystere d, israel) Page 68.

فهل يمكن أن يكون هناك أسخف من هذه التهم وأتفه من هذا الاستنتاج؟ هل المفروض بروما أن تسمح لَمن أتوها للتوسل والاستعطاف أن ينددوا بمعتقداتها في عقر دارها، ويدعوا أتباعها لاعتناق مذهبهم، وتظل هي مكتوفة الأيدي؟ أو أن ترجوهم أن يثابروا على نشاطهم المعادي لها، ومن ثم ترحب بمقدمهم غير العزيز؟

والحق يقال: إن روما كانت أكثر كرمًا مما كان يستحقه هؤلاء الفجار، فلو أنها عاملتهم بما كانوا يستحقونه لكان أقل جزاء لهم هو الإطاحة برءوسهم العفنة، ولكن يبدوا أن روما عزفت عن ذلك تعففًا وتعاليًا، أما قولهم بأن أوكتاف هنأ ولده لعدم تقديمه الولاء لرب أورشليم؛ لأنه كان يحتقر اليهود، فهو أيضًا قول عجيب، واستنتاج غريب، هل من المنطق أن يقدم أمير روماني يحكم والده المقاطعة اليهودية التي لم تكن سوى بقعة تافهة في بحر الإمبراطورية الرومانية، خضوعه لرب أورشليم المغلوب على أمره، والذي لا يعتقد به ولا تربطه به أية رابطة، ولماذا يلومون كاليكولا على التفكير بمعاقبة قتلة جنوده؟ أكان المطلوب منه أن يمنحهم الأوسمة؛ لأنهم سفكوا دماء جنوده، ولماذا يتجنون على تيتوس؟ أما عرض عليهم الصلح مرارًا وبأحسن الشروط؟ أكان المفروض فيه أن يتركهم وشأنهم بعد أن عصوا وتمردوا عدة أعوام، وقتلوا الألوف من جنوده ومواطنيه، ثم أبو الاستسلام، ولماذا يستعظمون إقدامه على حرق الهيكل وتدمير القدس؟ أما سبقه أجداد اليهود في هذا المضمار، هل غاب عن بالهم ما تذكره الأسفار عن المذابح العامة التي قام بها أسلافهم، وما قاموا به من تدمير المدن والدساكر (وزرع أرضها ملحًا) فما هي حجتهم في التشنيع بالجيوش الرومانية، أما سبقوها في هذه الأعمال، ولكن ما الفائدة من تذكير لوفسيكي وأترابه، طالما كانوا أحفاد من تذمروا حتى من الخالق، وتنكروا لمنقذهم موسى؟

الأحياء اليهودية أو المجتمع اليهودي المشرد

لقد هزم شعبنا كل محاولات الانصهار والاختلاط التي تعرض لها عبر العصور، رغم كل ما ناله في سبيل ذلك من الاضطهاد والعذاب وما تعرض له من النفي والتشرد،وهكذا حافظ على أصالة عنصره ونقاوة دمه المؤرخ اليهودي سلومون ريناخ مؤلف كتاب أورفوس (Selomon Reinach dans Orpheus).

إن ما يقوله سلومون ريناخ عن التزمت العنصري لبني قومه هو الحقيقة بعينها، ولقد عرف عن اليهود منذ عهد النفي؟ وما أعقبه من الهجرات اليهودية المتالية، أنهم يتجمعون على بعضهم في كل البلاد التي ينزحون إليها وينعزلون عن أهلها، وكأنهم لم يأتوها، إلا للانفراد بأنفسهم، مع أن أكثرهم هجراتهم كانت بغية الحصول على الحياة الأفضل، فإذا دخلوا مدينة ما سارعوا إلى بناء حي فيها خاص بهم، تجنبًا للاختلاط بأهلها، وإبقاءً على اتصالاتهم ببعضهم البعض، وليحافظوا على تقاليدهم وشعائرهم الدينية، وأول ما يبنونه في حيهم هو الكنيس (أي المعبد) الذي يعتبرونه بمثابة مقر لمجلسهم الديني والنيابي، الذي يمدهم بالتعليمات الضرورية لهم في عيشهم اليومي وسلوكهم مع أهل البلد الذي نزلوا فيه، وكان كل فرد منهم ينتظر التعليمات التي يصدرها المجلس قبل أن يقدم على أي عمل ديني أو دنيوي مهما عظم شأنه، ولما كان المجلس الديني حريصًا على عدم الاختلاط بغير اليهود، كان يعمد إلى تحذيرهم من مساوئ الاختلاط، وينبههم إلى تحريم الشريعة اليهودية له.

وهذا التوجيه الدائب المقرون بالمراقبة الشديدة، جعل اليهود في مستعمراتهم يعيشون منعزلين تمامًا عن الأغراب، وهذا الانعزال وثق الروابط القومية والعنصرية بين اليهود، وهيأ لهم ظروف العيش وكأنهم أمة، وكان من البديهي أن يتساءل المواطنون عن أسباب انعزالهم الدائم، ولما عجزوا عن كشف الستار عنه، عمدوا في كل بلد إلى التكهن والاستنتاج، فتعددت الأقوال وكثر اللغط حول أسباب الانعزال، فتضخم عدد القصص الخيالية التي تروي عن أسبابه، ولكن اليهود أصموا آذانهم عن سماع تلك القصص وما رافقها من الشائعات وثابروا على عيشهم الذي اختاروه لأنفسهم بملء حريتهم، بغية الاحتفاظ بتقاليدهم الدينية ومناهجهم العنصرية بعيدة عن الأغراب، إذ أن فكرة كونهم شعب الله المختار كانت قد تأصلت في نفوسهم،

وزعم انحدارهم من أصل أعرق من أصول الشعوب الأخرى، أصبح لديهم عقيدة راسخة، كما أن فرية اقتراب اليوم الموعود الذي سيصبحون فيه سادة العالم انطلت عليهم، فامتلأت نفوسهم غرورًا وتيهًا، فلم يعد بإمكانهم قبول الاختلاط مع الشعوب الأخرى، خاصة وأن المجلس الكهنوتي الأعلى كان لا ينفك عن تقوية هذه النوازع في نفوس أتباعه، ليحملهم على الولاء له والانصياع لكل أوامره ورغباته(١).

فلما طال انعزال اليهود وازدادت الإشاعات حوله، عمدت الكنيسة إلى جعله إجباريًا بعد أن اختاره اليهود لأنفسهم، فأصدرت تعليماتها إلى الدول التي كانت تتبعها، طلبت إليها عدم السماح لليهود بالانتشار في الأحياء المسيحية ضمن بلادها، رغم أنها كانت تحميهم وتمنع الإساءة عنهم، ولكن المصادر اليهودية عزت أسباب هذا الموقف الجديد من قبل الكنيسة إلى أنها كانت ترمي من ورائه إلى منع اليهود من نشر مذهبهم بين النصارى، مع أن اليهود كانوا قد انقطعوا منذ أمد بعيد عن التبشير بعقائدهم، واكتفوا بالانعزال عن العالم أجمع، وأكبر دليل على كذب هذه المصادر موقف الكنيسة من المستعمرات اليهودية التي كانت ضمن ممتلكاتها، مثل مستعمرتي روما وأفينيون، اللتين اشتهرتا بما كانت لهما من ميزات واسعة في العيش تحت ظل الكنيسة.

ويبدو أن اليهود لم يستاءوا من هذه التعليمات الجديدة التي أصدرتها الكنيسة إليهم؛ لأنها كانت في مصلحتهم، وبموجبها أصبحت كل دولة أوربية مسئولة عن أمنهم، وأصبحوا أحرارًا في مزاولة بعض الأعمال المربحة التي كانت محرمة على أتباع الكنيسة، كتجارة الذهب، وممارسة الربا، وأعمال الارتهان، وكانت هذه الأعمال أقصى ما يتمناها اليهود؛ لأنها تدر عليهم المرابح الطائلة، وتحيج(٢) إليهم عظماء الناس، ولا تربطهم بأرض أو وطن، وتسهل لهم التنقل والهجرة عند الأزمات مما مكن اليهود من الحصول على السيطرة والنفوذ في كافة أقطار أوربا، وجعلهم أصحاب الحل والربط في أكثر الدول وفي زمن قصير.

وهذه القيود الكنيسية الجديدة مهدت لليهود سبل تنظيم شئونهم الداخلية في

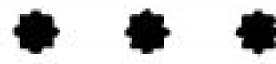
---

(1) J. Tharaud (Le chemin d,Israel) bage 70.

(٢) الصواب: «وتحوج» أي يصيروا في حاجة إليهم. (دار البشير).

العيش، فوضعوا نظامًا سريًا خاصًا لكـل حـي(١) يعتمـد في تفاصـيله الإداريـة علـى النظام الديمقراطي، وكانت لهم في كل حي هيئة مكونـة مـن الأعيـان ورجـال الـدين تـدعي بجروسـيا (Geraussia) يرأسـها مَـن يطلـق عليـه اسـم الجروسـيارك (Geroussiarque) وكان لهم مجلس آخر، مهمته الاتصال وتنفيذ ما يعهد إليه من الهيئة الأولى، وكان اليهود يطلقون على أعضاء هذا المجلس اسـم الآبـاء وأمهـات الكنـيس (patres et matres synagogue) ويختارونهم بموجب انتخابات سرية، يشترك فيها جميع أفراد الحي.

ومما سبق يتضح للقـارئ مـدى مـا كـان عليـه اليهـود مـن التنظـيم الـداخلي في مستعمراتهم، وتشير المعلومات القلية التي تسربت إلى أسماع المؤرخين إلى أنها كانـت في غاية الدقة والإتقان، ويبدو أن اليهود اكتسبوا هذه المهارة في التنظيم بعد التجارب المريرة التي تعرضوا لها، فاتخذوا منها عبرة وعظة، كمـا أن المجلـس الكهنـوتي الأعلـى ساهم في هذه التنظيمات بقسط وافر جدًا، إذ كان أعـضاؤه يـدونون كافـة الأحـداث التي يتعرضون لها، ويعمدون إلى دراسة أسبابها ونتائجها، ثم يضعون الحلول الكفيلـة التي تقي تعرض شعبهم لمثيلاتها في المـستقبل، ولقـد أنـارت نتـائج هـذه الدراسـات المجتمع اليهودي، وجعلته يتفادى بذور التفرقة التي كانت تسود صـفوفه. والانعزاليـة التي اشتهروا بهـا كانـت نتيجـة لهـذه الدراسـات؛ إذ أيقنـوا بـصلاحها للإبقـاء علـى وحدتهم العنصرية، ولابتعادهم عن مساوئ الاختلاط؛ ولذا نجد أن كتابهم يفاخرون بها وكأنها فضيلة خاصة بهم.



(1) Ch. Guignebert (Le mone Juif , vers les tembs de jesus) bage 280 – 281.

مصادر التوعية اليهودية وتأثيرها في المجتمع اليهودي

المعتقدات اليهودية قبل كل شيء هي عقائد قومية ووطنية، وكل مَن يدير بها هو قومي ووطني؛ لأنها تربطه بالأمة اليهودية الواحدة بروابط لا انفصام لها.

من كتاب روما والقدس لمؤلفه موسس هس (Moses Hess Rome et gerusalem) «في الحقيقة إن اليهود يعتمدون منذ أقدم العصور على كتبهم الدينية في كل ما يتعلق بكيانهم القومي والسياسي والاجتماعي ويعتبرون نصوصها أساسًا لكل عمل ديني أو دنيوي، وتعلقهم الشديد بهذه الكتب حدًا بمؤرخي التاريخ إلى الإجماع على استحالة التفريق بين الدين والقومية لدى اليهود، ولقد أثبتت الأحداث أن اليهودي يظل يهوديًا مهما ادعى التعلق بمذهب آخر أو تظاهر بالإلحاد؛ لأنه ينشأ منذ نعومة أظافره في جو مشبع بأحاديث التوراة ومشتقاته التي لا حصر لها، ويعتاد العيش في هذه القوقعة الغريبة الغنية بشتى الأحاديث المثيرة فيتفاعل مع ما يسمعه منها وتنقش في ذاكرته وتتأصل جذورها في أعماقه، والتربية اليهودية تبتدئ بتعريف الطفل على هويته القومية ومنشأ أسلافه حسبما جاء في قصص التوراة العديدة، ثم يباشر بتلقينه الغرور القومي من خلال الأعمال المجيدة والفتوحات العديدة التي تزعم الأسفار بأن اليهود قاموا بها، ثم تقص عليه ما أصاب بني قومه من النفي والتشريد على أيدي الكفرة غير اليهود ويلقن الحقد والكراهية لكل مَن لا ينتسب لشعبه، ويدرب على الاحتراز منهم وعدم مخالطتهم، وعندما يشب قليلاً عن الطوق يتلقفه الكاهن ليلقنه بدوره ما ورد في التوراة من القصص الخرافية عن أسلافه وقومه في جو مشبع بالانعزالية والتعصب العنصري، فينشأ الطفل وقد امتلأت جوارحه حقدًا على البشرية، التي يعتبرها عدوته لانحداره من أعرق الأصول، ولانتسابه إلى مَن اختارهم الخالق ليكونوا سادتها، فيعمد بطبعه إلى تجنب الفجار (Goyims) والابتعاد عنهم والامتناع عن الأخذ بما يقولونه وما يفعلونه، فينزع إلى التفكير بالانتقام منهم والنيل من مصالحهم، وعندما يشب قليلاً يجد أمامه التلمود وهو أغنى مصدر في الوجود لحل كل ما يعترض الفرد اليهودي من العقبات الدينية والدنيوية، هذا الكتاب العجيب الحاوي لمختلف العلوم والمناهج، الذي يعتمد عليه اليهود أكثر من التوراة، لزعمهم أنه التفسير الكامل للعهد القديم، وتروي المصادر التاريخية عنه أنه ساهم في

كتابته عدة آلاف من كهنة اليهود، وانتهى في القرن الرابع وهو يحوى الأبحاث التاريخية والدينية، وقد أفرد قسم كبير منه للقصص الخرافية، وآخر للمناقشات الفلسفية واللاهوت، كما أنه يحوى أبحاثًا في علم النفس، والقانون والتشريع، وبعض الأفكار المبهمة التي تكاد تكون عبارة عن هذيان محموم، والخلاصة فإن فيه الشيء الكثير مما لا يعقل ولا يفهم(١).

وهذا الكتاب هو المصدر العلمي الثاني الذي يلقاه المراهق اليهودي، في مستهل حياته، فينهل منه ما شاء من المبادئ الخاصة باليهود، والداعية إلى ضرورة الاعتماد على المكر والخداع، والتسلح بالحقد والكراهية، واحتقار الشعوب غير اليهودية، والنيل من معتقداتهم، والتحريض على سلب أموال الفجار الكويم (Goyims) أي غير اليهود والعمل على إضعاف الشعوب والأمم ماديًا وأدبيًا بغية إعادة المجد اليهودي الزائل، واسترداد حقهم السليب، وبهذه التوعية الشريرة يلقن الشاب اليهودي قبل وصوله إلى مرحلة الدراسة الجامعية، فعندها يكون قد فاته الوقت لاستيعابه المبادئ الجديدة فيكتفي بالتفرغ للعلوم العامة، وإذا صدف وتمكن من اكتشاف زيف بعض المبادئ اليهودية التي تلقمها، وقدر أن ينبذ ما ثبت له بطلانه منها فإنه يبقى لديه رصيد هائل من الأفكار التي تعمقت جذورها وأصبحت غير قابلة للاستئصال، فيظل قانعًا بها مهما كلفه ذلك.

وهكذا يظل اليهودي يهوديًا قبل كل شيء، ويتضح من هذا بطلان زعم إمكانية التفريق بين القومية اليهودية، والشريعة اليهودية، أو الزعم بأن الصهيونية(٢) شيء واليهودية شيء آخر، والثابت أن العلاقة القومية بين اليهود تتلخص بوحدة المذهب وطريقة التربية، إذ ليس لديهم روابط قومية بالمعنى المفهوم لذي الشعوب الأخرى لأنهم لا يملكون أصلاً من مقومات القومية اللهم إلا وحدة الدين؛ ولهذا جعلوا منه

---

(1) Tharaud. Le chemin d,Israel bage 80 – 81 – 82.

(٢) الصهيونية: تنسب الصهيونية كحركة سياسية إلى حصن صهيون، وهي القلعة الحصينة التي استولى عليها داود ليجعلها عاصمة لملكه على كل إسرائيل. وقد نبتت الحركة الصهيونية في روسيا عام ١٨٨٢ بعد مذبحة اليهود في عهد القيصرية إذ نادى اليهود الروس بضرورة عودتهم إلى أرض أجدادهم. انظر بنو إسرائيل شعب الله الذي كان مختارًا ص ٤١١- ٤١٩. (دار البشير).

منذ القدم المحور الأساسي الذي تدور حوله دعوتهم القومية، وعلى أساسه وضعوا تنظيماتهم الشعبية والسياسية، وفي سبيل تقوية النزعة القومية لدى النشء ! تمدوا على هذه الرابطة الوحيدة، فركزوا جميع جهودهم عليها، ومن هنا أصبح الدين العامل القوي الوحيد لتحقيق وجود ما يسمى بالشعب اليهودي، فلولاه لما كان في الوجود ما يسمى بالشعب الإسرائيلي رغم ما يظهرون نحوه من اللامبالاة العلنية، بغية التغرير بالشعوب المتحضرة.

ولليهود كتب توعية أخرى عديدة، ومنها الكتاب المسمى بالقبال (cabale) الذي ألفه الكاهن اليهودي موسى ليون (Moise Leon) باللغة الكلدانية القديمة ولكنه أنكر تأليفه، وزعم أنه عثر عليه في إحدى خزائن الكنيس القديم، وادعى أنه من أقدم الكتب الدينية التي يعود عهدها لزمن ظهور موسى.

والغريب في الأمر هو أن اليهود قبلوا مزاعم موسى ليون عن منشأ هذا الكتاب، وأدخلوه ضمن مجموعة كتبهم المقدسة السرية، التي لا يجوز للأغراب الاطلاع عليها، والسبب أن اليهود كانوا منقسمين على بعضهم في القرن الرابع عشر (عهد ظهور القبال) لاختلافهم حول تلمود موسى ميموند، فوجدوا في القبال مخرجًا يقيهم من عثرات هذا الخلاف، ولقد حدثنا كل من السادة فاسلين وبيير هيبس، وأتيلهان، وتارود عن محتويات هذا الكتاب، وأجمعوا على القول: إنه كتاب شيطاني، يبحث عن أمور مختلفة، وعلى الأخص عن الخرافات والسحر والتنجيم وأمور قذرة أخرى، بينما يدعي مؤلفه أنه التفسير الحقيقي للتوراة اعتمادًا على الزعم القائل بأن للتوراة تسعًا وأربعين نوعًا من المعاني المختلفة، وانطلاقًا من هذا القول يزعم موسى ليون أن قصص الأسفار الباحثة عن الأسلاف لا تعني ما ظهر من نصوصها، بل أنها رمزية، ولكل حرف من حروفها مدلول سري يرمز لمعجزة معينة. ويذهب به الزعم بأن الحروف الأبجدية كانت في الأصل أحرفًا من نور محفورة على تاج يهوى، سقطت على الأرض عندما أمال يهوى برأسه إلى الأمام (بينما كان مشغولاً بتكوين العالمين) ولما وجدت الأحرف نفسها في الحضيض توسلتُ إلى يهوى أن يجعل لكل منها ميزة، ومعنى فيما يكونه، فاستجاب يهوى لرغبتها، وجعل من كل منها رمزًا لشيء معين، ولإثبات خرافاته راح ينسب لكل حرف معنى خاصًا. فقال: إن طرفي حرف الألف

يرمزان إلى الحكمة والسلطان، وطرفي حرف الباء إلى الذكر والأنثى، وهكذا استنبط لكل حرف مدلولاً معينًا. واختتم أكاذيبه بقوله: لولا وجود هذه الأسرار في القبال لما كان لوجود قصص التوراة أي مبرر أو معنى.

ورغم ما يحويه هذا الكتاب من السخافات والترهات تلقفه اليهود كالجياع، واعتمدوا عليه في كثير من أمورهم، حتى أصبح له مريدون يجلونه أكثر من أي كتاب آخر، ويتعصبون لنصوصه، ولقد اشتهر هؤلاء القباليست بأنهم أشد اليهود تعصبًا وخطرًا.

هذا عدا ما لليهود من كتب التوعية السرية التي استنبطها علماؤهم عبر التاريخ، وهذه الكتب لا تخرج في أبحاثها عن مضمون التلمود والقبال إلا فيما يتعلق بالأمور التنفيذية التي يتوخى علماؤهم أن تكون متجانسة مع عقلية ومتطلبات العصر الذي يصدرون فيه كتبهم هذه، ونرى أن اليهود ينزعون دومًا إلى تغيير مناهجهم وأساليبهم؛ ليظلوا على انسجامهم التام مع الزمن والمكان. وهذا لا يعني أنهم يحيدون عن مبادئهم الأصلية ولو قيد أنملة؛ لأن ما يتلقونه في عهد صباهم وشبابهم من التوعية على أيدي رجال الدين يظل متأصلاً في نفوسهم حتى الممات؛ ولذا نجدهم يتقلبون في أحضان المعسكرات والمبادئ المختلفة دومًا، حسب مقتضيات مصالحهم القومية وليس إيمانًا منهم بتلك المعسكرات ومبادئها كما يدعون، فهم ينظرون إلى الأمور من زاوية مصالحهم، فإذا وجدوا أنها تقضي بالتزام جانب مبدأ أو معسكر معين يسارعون إلى الوقوف في صفه، ضاربين عرض الحائط بكل السابقة الأخرى؛ ولذا رأيناهم مرارًا عبر التاريخ يباركون في الحاضر مَن لعنوه في الماضي، ويهدمون اليوم ما بنوه بالأمس، فهم رأسماليون حيث تروج الرأسمالية، وشيوعيون حيث تؤمن الشيوعية مصالحهم، ودعاة سلم إذا حقق السلام لهم مآربهم، وأنصار حرب إذا عادت عليهم بالفائدة، وكل ذلك بفضل التوعية المطاطة التي يتلقونها منذ نعومة أظفارهم، ومن هنا يتأكد لنا أن اليهودي هو يهودي مهما كان مبدؤه أو اتجاهه.

الخلاف المزعوم بين الفئات اليهودية

مهما قيل عن الفريسيين (Phareceens) فهم تلموديون مثل سواهم والمجلس اليهودي الأعلى (Sanhedrin) المشرف على عامة الشئون الدينية والدنيوية يتكون

منهم، وهذا المجلس هو الذي أوعز إلى الحاخام إيبشتين (R. Ebestein) بأن يترجم التلمود إلى الإنجليزية، وتخضع له جماعات الهاسديك والأسنين (Hasedique et Esseniens). أما الخلاف المزعوم بين الفريسيين والصدوقيين (Les Sadducens) فينحصر في تفسير بعض نصوص التلمود، فهل يصح أن نسمي هذا الخلاف السطحي بالنزاع (Lorthodoxie) أو الشقاق بالمعنى المفهوم؟

من أقوال لويس فنكل أستاذ التاريخ في جامعة فيلادلفيا:

(Louis Finkel. p.de L.histoire)

يعتقد بعض النقاد أن الديانة اليهودية تعرضت بعد عهد المنفى إلى الانقسام المذهبي (orthodoxie). وسبب هذا الاعتقاد هو كثرة التسميات الدالة على الفئات اليهودية التي ظهرت للوجود بعد انقراض الدويلة اليهودية، مثل: السدوسية، والفريسية، والأسينية، والزيلوت، وفي الواقع أن هذه الفئات لا تشكل المذهبية بالمعنى الصحيح، وهي ليست سوى جماعات تفاوتت درجات التصوف التلمودي فيما بينها، وهذا التفاوت المزعوم لا يكاد يبلغ الخلاف الكائن بين المذاهب السنية الأربعة؛ لأنها في الأصل متفقة على جميع الأمور الجوهرية، وخاصة فيما يتعلق منها بالنواحي القومية والعنصرية، وتدور جميع هذه الفئات في فلك نصوص التوراة، ولو اختلفت في تفسير بعض نصوص التلمود.

والشائع عن الفريسيين بأنهم أقل تعصبًا في المعتقدات الدينية والعنصرية من الفئات الأخرى، إن الأستاذ لويس فنكل اليهودي مدرس التاريخ القديم في جامعة فيلادلفيا أتحفنا عام ١٩٦ بكتابه الباحث عن المعتقدات اليهودية، وكشف فيه خطأ المزاعم القائلة بوجود الخلافات بين الفئات اليهودية، وأظهر لنا الفريسية على حقيقتها من خلال أقواله التي دوناها في مطلع هذا البحث.

ومن تصريحات الأستاذ فنكل يتضح لنا أن الخلاف بين اليهود ضئيل جدًّا، وحول بعض النصوص التلمودية فقط. وجميعهم تلموديون بلا استثناء.

يقول المؤرخ جواد أتيلهان[1] بصدد التلمود والقبال: إن أول مَن باشر بكتابة التلمود هو عزريا، ثم ساهم في إكماله سبعة آلاف كاهن ومثقف يهودي، وله عدة

---

(1) C. Atilhan (islam ve Beni israil) S – 57.

ترجمات، وجميعها ناقصة عن الأصل؛ لأن المترجمين اليهود حذفوا من نصوصه الأصلية الأشياء التي تتعارض مع مفاهيم الأغراب، أو التي يخشون الاطلاع عليها، وهي النصوص السرية التي كتبت من قبل كهنة معهد سفري (Sepharis) في طبريا وما كتب منها من قبل كهنة المعهد البابلي Nehordea Sura تعتبر أيضًا سرية للغاية ومحرمة على الكفار، وبعد هذه المقدمة الموجزة ينتقل بنا أتيلهان إلى البحث عن بعض ما جاء في التلمود من التعالم والأوامر، فيقول: إن أغرب ما حويه هذا الكتاب من البحوث، هو تحيد العقوبات التي يجب أن تفرض على الأغراب الذين يجرءون على ارتكاب ما تحرمه الشرائع اليهودية. وعلى سبيل المثال يذكر لنا بعض الفقرات من بحوث هذا الكتاب ندونها فيما يلي كما وردت في مؤلف أتيلهان.

جاء في الصفحة ٤٠٠ من باب الكهنوت من التلمود، وعلى لسان الحاخام جوهانان: إن أدنى عقوبة يجب أن تفرض على الذين يجسرون الاطلاع على الأسرار التي وردت في التلمود، وهي الموت دون تعذيب.

وجاء في فصل بابا ميزيا (Baba Mizia) قوله: لا ترفع الغريب إلى مستواك، ولا تعتبره من بني البشر، وإن فعلت فلن يرضي عنك يهوى.

وجاء في فصل المحرمات قوله: حرم عليكم أكل وشرب ما مسه غير اليهودي الدنس الذي يفسد كل ما يلمسه.

ويقضي الأمر رقم ٥٦ من فصل جتين (Gittin) بإعدام مَن يسخر من التلمود.

وجاء في الأمر رقم ٥٤ من فصل بابا باترا (Baba Battra) قوله: اعتبر أموال غير اليهود مثل أرض الصحراء التي تصبح مِلكًا لأول مَن يضع قدمه عليها، فلا تحجم عن سلبها.

وجاء في الأمر رقم ١١٣ من فصل بابا قاما (Baba Kama) قوله: احتفظ بما تعثر عليه من أموال غير اليهود، ولا تحاول ردها لأهلها.

وللتدليل على شرعية هذه الأوامر، يدعم التلمود كلا منها بقصة نسبت إلى أحد مشاهير رجال الدين اليهودي ليقتدي اليهود به وينهجوا نهجه، وفيما يلي ندون ترجمة بعض هذه القصص لتي أوردها السيد أتيلهان في مؤلفه السابق الذكر.

يقول التلمود: لقي القاضي صموئيل يومًا أحد الكفار يعرض وعاء من الذهب

الخالص للبيع، ظنًّا منه أنه من النحاس العادي، وكان صموئيل خبيرًا بالمعادن، فتعرف على معدن الوعاء، وساوم البائع على ثمنه، فاتفقا على أن يدفع له ثلاث مائة قرش لأجل مسمى، فأخذ صموئيل الوعاء وانصرف، ولما حان وقت سداد ما بذمته، ادعى بعدم صلاح الوعاء ولم يدفع له إلا مائتي قرش فقط، وهكذا احتال صموئيل على البائع مرتين، إحداهما عندما أخفى عنه نوع ما ابتاعه، والثانية لما بخسه ثمن بضاعته، وخرج بصفقة رابحة.

وإمعانًا في التشجيع على السرقة يروي التلمود أيضًا، أنه بينما كان القاضي عشى مارًّا برفقة خادمه، بالقرب من كرمه للعنب هفت نفسه لبعض ثمارها، فأوفد خادمه ليسأل عن صاحبها، وأوصاه بأن يبتاع من شيئًا من العنب إن كان من اليهود أما إذا كان من الكفار، فليعد حالاً وقبل أن يأتي صاحب الكرمة، ليسرقا من الكرمة حاجتهما، دون دفع الثمن.

والتلمود يبحث أيضًا في الأمور الجنسية (فصل الكهنوت الأمر رقم ٥٨) ولكننا نعزف عن ذكرها تقززًا، ويكفي أن يعلم القارئ بأنه يسمح بتبادل الزوجات بين اليهود ولفترة معينة بناءً على اتفاق الطرفين.

ويخبرنا السيد أتيلهان عن القبال بأنه يتألف من جزأين: الأول سفر زوراح (Sepher Zorah) ويبحث عن الشياطين والجن، والتنجيم، والسحر، والشعوذة، والثاني المسمى بسفر ياتريراح (Sepher Yatrirah) ويبحث في الطقوس الدينية السرية وشئونها، مثل الخبز المعجون بدم أعداء اليهود، وأساليب القتل والتعذيب وعبادة العجل الذهبي وما شابه ذلك.

والمؤسف هو أن اليهود يبحثون في هذه الأمور حتى في أيامنا هذه، كما لو كانوا في عهد اليونان، وتدفعهم وقاحتهم إلى الزعم بأنهم ينتسبون لأمة مجيدة في الماضي والحاضر، وهذه المعلومات التي نقلناها من كتاب السيد أتيلهان هي غيض من فيض، بالنسبة لما قاله كتاب الغرب عما يحويه التلمود، ولما اكتشف العالم المسيحي ما يحويه هذا الكتاب من التعاليم النابية، عمدت حكوماته والكنيسة إلى إحراقه بغية التخلص منه، فأصدر البابا إينوسان (Innocent) عام ١٢٤٤ أمرًا بإحراقه، فأحرق في كل من إيطاليا وفرنسا في عهد لويس التاسع. وفي عام ١٢٤٨ أُحرق بأمر الكاردينال لوكات

أودو (L. Odo).

وفي عام ١٢٩٩ أحرقه الملك فيليب الجميل الذي طرد اليهود من فرنسا، كما أمر البابا جون الثاني والعشرين (John XXII) في عام ١٣٢٢ بحرقه في كافة الأقطار الأوربية.

وفي عهد الباب جوليوس الثالث (١٥٥٣) أحرق خمس مرات متتالية، ورغم كل هذا عاش التلمود؛ لأن اليهود كانوا يعيدون نسخة كلما قلت أعداده، ولما هلَّ عصر النهضة أوربا وازدهرت أيام اليهود عمدوا إلى طبعه ونشره على أوسع نطاق، وهكذا انتصر هذا الكتاب وتحدى أعداءه في عقر دورهم.

المجمع أو المجلس الكهنوتي الأعلى (Sanhedrin)

إن الهيئة المسماة اليوم بالمجلس الكهنوتي لم تكن موجودة قبل عهد المنفى؛ إذ أن المصادر السابقة له لا تذكر شيئًا عن وجود مثل هذا المجلس أما المصادر التي ظهرت بعده، فتختلف على تحديد الزمن الذي ظهر فيه، فبينما يقول التلمود بقدمه وانحداره من المجمع السبعيني، الذي كان أعضاؤه يجتمعون بموسى في خباء المحضر لتلقي الكلمة (والتلمود يعتمد هذا الزعم بناءً على ما ورد في الفصل ١١ و ١٦ من سفر العدد) نجد أن سفري ناحومي وأسدرا يذكران قيام مجلس للشيوخ في عهد الفرس، دون أن يشيرا إلى أنه كان يسمى بالسنهدران. أما فلافيوس جوزيف فيذكر أن الشئون اليهودية في الماضي كانت تدار من قبل لجنة الجيروسيا (Geroussia) أي لجنة النبلاء، ومن إغفال هذه المصادر لاسم السنهدران أن يتضح جليًا أن هذا المجلس لم يكن قائمًا في تلك العهود، وإلا لكانت أشارت إليه ولو بكلمة عابرة.

أما افتراض وجوده من عهد موسى فلا يعقل القبول به، فلو كان موجودًا في عهد القضاة لما احتاج اليهود لانتقاء ثمن يتولى شئونهم من بين أفراد أحط طبقة من شعبهم، ولكانت الأسفار الباحثة عن هذا العهد أشارت إليه بمناسبة ما، ولهذا يظن أنه وجد بعد عودة اليهود من بابل.

ولقد تصدى المؤرخ غينيوبير[1] (Guignebert) لمزاعم التلمود في هذا الموضوع، وقال: إن ما جاء في التلمود عن قدم هذا المجلس هو اختلاق محض، وما هو في الحقيقة

(1) Ch – Guignebert (Le monde juif vers les tembs de jesus) page 69 – 70 – 71.

إلا مجلس الجيروسيا الذي بحث عنه فلافيوس، وقال: إنه تشكل في عهد اليونان، ويبدو أن اليهود أبدلوا اسمه في عهد الرومان، وصار يدعى بالسنهدران (Sanhedrin) الذي اشتهر حينذاك بالإشراف على شئون اليهود العامة.

ويدلل غينيوبير على صدق نظريته، بما أوردته المصادر اليهودية عن هذا المجلس في عهد هيرود الكبير من قصص وروايات، مثل قصة اختلافه مع الملك على نافذة الهيكل، وإقدام الملك على إعدام أكثر أعضائه في أعقاب خلاف نشب بينهما، أو الحوادث التي ورد ذكر اسم هذا المجلس فيها، ويستخلص من كل هذا أن المجلس تكون لأول مرة في عهد اليونان، أو على أقل تقدير قبل الرومان لفلسطين.

ولقد أجمع النقاد على أن عضوية هذا المجلس كانت في البداية وقفًا على النبلاء ورجال الدين (Sacerdotal) أي على مَن عرفوا بأصالة العرق، وكان يرأسه الكاهن الأكبر أو الناسي (Nasi) وينقسم إلى ثلاث لجان، وهي اللجنة التنفيذية، والتشريعية، ولجنة الحكماء المكونة من صغار الكهنة والكتبة، وتقول بعض المصادر اليهودية: إن هذا المجلس يضم بين أعضائه بعض المثقفين والزعماء السياسيين، ويشمل نفوذه كافة اليهود في العالم، ويعتبر بمثابة حكومتهم ومجلسهم النيابي معًا، وتعليماته واجبة التنفيذ على كل يهودي بدون استثناء.

اليهود في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

من الثابت في التاريخ أن اليهود كانوا يرتادون التخوم العربية منذ أقدم العصور، وذلك بحكم معيشتهم البدوية التي كانت تتطلب التنقل الدائم بحثًا عن الماء والكلأ، وكان العرب يحسنون معاملتهم عند نزولهم في مرابعهم، ويسمحون لهم بعبور تخومهم، رحمة بضعفهم وقلة عددهم، وبفضل هذا الكرم العربي توطدت الصلات بين بعض سكان التخوم الشمالية من العرب وبين اليهود، وأصبح اليهود أحرارًا في تنقلاتهم ضمن المناطق العربية، ونزحت قبائلهم من البلاد الشمالية، حيث كان الآراميون يعتدون عليها إلى التخوم العربية ومنها إلى صحراء سيناء وما يعدها من البلاد، هكذا تجمع اليهود في التخمة المصرية، ومن ثم عادوا يغزون البلاد الفلسطينية، فلما استتب لهم الأمر فيها جزئيًا، عمدوا إلى التضييق على القبائل العربية التي كانت تقيم فيها، فقام الصراع بين اليهود والعرب في فلسطين ودام طويلاً، وكان القتال بينهما سجالاً، وانتهى في عهد داود بخضوع سعير وبعض العشائر العربية إلى النفوذ اليهودي مؤقتًا، ولما دارت الدوائر على اليهود وانهارت دويلتهم الهزيلة، وتشتتوا في الأقطار المجاورة، التجأ قسم كبير منهم إلى القبائل العربية دون حرج، وكأنهم ما تنكروا يومًا لها، وما ساموا أخوتها في القومية سوء العذاب، ولكن العرب تناسوا مواقف اليهود المخزية، وإهراق دماء عشرات الألوف من إخوتهم الذين قتلهم القاضي جدعون وسواه من اليهود، وعملوا حسب تقاليدهم العريقة التي تحضهم على مناصرة الملهوف، فقبلوهم في ضيافتهم وكأنهم من أخلص الأصدقاء فأصبحت البلاد العربية من المناطق التي كان اليهود يعتبرونها ملاذًا لهم، يتوافدون عليها كما مَسَّهم الضر في مكان آخر (مثل هجرتهم إليها من فارس عندما اضطهدهم فيروز الفارسي)[١].

وهكذا تكاثر عددهم في شبه الجزيرة العربية، وخاصة في نجران واليمن، وبدلاً من أن يستكينوا ويبحثوا فيها عن الاستقرار، عمدوا إلى إثارة القلاقل في مناطقها، وبذروا

---

(١) ذكر صاحب الأغاني في كتابه: أنه لما ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعًا بالشام فوطئوهم وقتلوهم وقتلوهم ونكحوا نساءهم، فخرج بنو النضر وبنو قريظة وبنو بهدل هاربين إلى الحجاز. الأغاني ١٩/ ٩٥. (دار البشير).

بذور الشقاق بين قبائلها، كما نشروا الخرافات والأكاذيب بين أهلها ولم يحجموا عن دعوة أهلها لاعتناق المذهب اليهودي، بحجة أنهم والعرب من أصل واحد، أي أحفاد سام بن نوح (وهذا الزعم المأخوذ عن سفر التكوين يفتقر إلى الدليل والبرهان، ويخالف نظريات علم الأجناس) وبغية ترسيخ جذور هذا الادعاء الباطل في أذهان العرب، زعموا أن العرب المستعربة تناسلوا من ثابت وقيدار حفيدي إسماعيل، ويبدو أن العرب صدقوا هذا الزعم، فأخذ كُتَّابهم أمثال: ابن الأثير وأبي الفداء وابن خلدون يثبتونها في مؤلفاتهم وينسجون حولها القصص، وكأنها أمور ثابتة بالدليل والبرهان أو مأخوذة عن مصادر خطية قديمة، وفي الواقع لم يكن أحدهم يملك أي مصدر قديم يعتمد عليه أو برهان يقدمه، إلا ما ورد عن ذلك في سفر التكوين، وما تناقلته الألسن من القصص التي أشاعها اليهود، فلو كان هذا المزاعم بعض الحظ من الصحة لكان من المفروض بالمصادر المصرية والأشورية والكلدانية أن تشير إليها ولو بكلمة ما، أما أن تثق بها لمجرد أنها وردت في التوراة.

هذا المصدر اليهودي الذي أجمع النقاد على أنه كتب في القرن السادس قبل الميلاد ومن قبل مئات الأقلام، فذلك يعني الانسياق الأعمى وراء الأضاليل اليهودية والاستخفاف بالمميزات الخيرة التي أنعمها الله ﷻ علينا، كالعقل، والبصيرة، والمنطق السليم، كما أن التدليل على وحدة المنحدر العرقي بين العرب واليهود لما بين لغتيهما من التشابه والتقارب باطل أصلاً؛ لأن أكثر المكتشفات الحديثة، أثبتت أن لغة اليهود الأصلية كانت عبارة عن لهجة كلدانية صوتية، كما أجمع النقاد على أن اليهود تعلموا اللغة الكنعانية القريبة من اللغة العربية بعد أن تمركزوا في فلسطين، وهذا يعني صراحة انهيار نظرية المنحدر المشترك التي تورط فيها كتاب العرب، فلو جاز الأخذ بها لكان علينا أن نقول بأن الكلدانيين والآشوريين والآراميين هم من نفس المنحدر أيضًا، لما بين لغاتهم واللغة العربية من التشابه والتقارب، ولأنهم من سكان المناطق الواقعة في شرق وجنوب أرمينيا التي زعم بعض المؤرخين بأنها منشأ السامية الأصيل، وإذا أخذنا بهذه النظرية في التحقيق عن القوميات، حق لنا الادعاء بأن كل الشعوب التي قطنت الشرق الأوسط قبل عهد موسى كانت أيضًا من المنحدر المشترك المبحوث عنه، وبالتالي نتنهي إلى النظرية العامة القائلة بانحدار البشرية جمعاء من أصل واحد،

وفي هذه الحالة لا يحق لأحد البحث في القوميات، وأن نستنتج من هذا أن الصلات العرقية المزعومة بين العرب واليهود ليست بأوثق مما هي عليه بين العرب والآشور أو الكلدان، وهي تعود لما قبل التاريخ، ونرى من ناحية ثانية أن اختلاف العادات والتقاليد بين العرب واليهود، يشكل بحد ذاته عنصرًا أساسيًا في دحض نظرية المنحدر المشترك، هذا الخلاف الذي يؤكده التوراة بما ينسبه لأصحابه من العادات والتقاليد التي يندى لذكرها الجبين، والتي لا يمكن أن تتفق مع ما عُرف عن العرب من التمسك بالفضائل والمكارم عبر التاريخ.

وأخيرا إن ما ورد في قصص التوراة عن إصرار أسلاف اليهود وخاصة إبراهيم بتزويج أبنائهم من بنات قومهم المشركات، اللواتي كن يسكن في بلاد الكلدان البعيدة بدلاً من تزويجهم من بنات العرب القاطنات بالقرب منهم، وما في ذلك من توفير للمال واجتناب للمشقة والأخطار، لهو وحده كاف لتكذيب بدعه وحدة المنحدر؛ لأنه كان من المفروض على إبراهيم الذي ولد عام ٢٩٢ بعد الطوفان أن يكون عالمًا بهذه الصلة العرقية، وأن لا يفرق بين بنات الكلدان، وبنات العرب المنحدرات (على حد زعم التوراة) من صلب قحطان شقيق جده الرابع (الحفيد الثالث لسام، والذي عاش قبل قرن واحد من ميلاد إبراهيم) باعتبارهن جميعًا من صلب سام، فلو كان إبراهيم يعتقد فعلاً أن العرب هم من أحفاد قحطان لما فرق بين بناتهم وبنات الكلدان، ولوفّر على قيم بيته مشقة السفر الطويل، وعلى ابنه بذل المال الوفير لو سمح له الاقتران بعربية، أما وأنه لم يفعل، فهذا يدل صراحة على أن اليهود كانوا لا يعترفون قبل ظهور التوراة بهذه الصلات، ولا يعلمون بها، ولم تكن في يوم موضوع بحث لديهم، إلا عندما أصبحت لهم فيها مآرب فابتدعوها لربط مصير العشائر العربية كآدوم وسعير وكالب بمصيرهم لأغراض سياسية، ومنها إرغام هذه العشائر العربية على التعاون معهم وإبقاؤها تحت سيطرتهم، بيد أن هذه العشائر العربية أحجمت عن الانسياق وراء هذه المزاعم، فظلت على مقاومة اليهود، ودام النزاع بينهما حتى عهد الرومان (المعارك بين آدوم وسعير من جهة واليهود من جهة أخرى) ويظهر جليًا مما سبق ذكره عقم نظرية المنحدر المشترك، ولكن ما حيلتنا فالقضية أصبحت شبة مسلم بها لما مر عليها من الزمن الطويل، ولما أحاط بها من التباس وغموض اعتقد

أنه مفتعل ومقصود بغية التمويه عن الجرائم التي اقترفها اليهود في شبة الجزيرة بحق العرب والعروبة مثل جريمة تهويد المالك العربي (ذو نواس) وشعبه تحريضه على محو عرب نجران من الوجود، وإرغامهم على اعتناق على اعتناق اليهودية، والمذابح العربية التي أقدم عليها القاضي جدعون ومَن تولى من أترابه القضاء في إسرائيل من بعده.

اليهود وظهور الإسلام

«يا أبناء إسرائيل اعلموا، أننا لن نفي محمدًا حقه من العقوبة التي يستحقها، حتى ولو سلقناه في قدر طافح بالأقذار، وألقينا عظامه النخرة إلى الكلاب المسعورة، لتعود كما كانت نفايات كلاب، لأنه أهاننا، وأرغم خيرة أبنائنا وأنصارنا على اعتناق بدعته الكاذبة، وقضى على أعز آمالنا في الوجود، ولذا يجب عليكم أن تلعنوه في صلواتكم المباركة أيام السبت، وليكن مقره في جهنم وبئس المصير»[1].

(من سفر حازوحار الذي طبع بالفرنسية عام ١٩٠٧ - ج ٢- ص ٨٨)

(Sepher Hazohar – Edition Françoise – 2eme barite page 88 – paris 1907).

إن الفترة الزمنية الفاصلة بين بداية عهد النفي، وبداية عهد ازدهار المسيحية والمقدرة بستة قرون تعتبر بحق عصر تقدم اليهود، رغم ما تذكره المصادر اليهودية عنه، إذ فيه أدخلت الإصلاحات الجذرية على الشريعة القديمة التي أدت إلى ظهور اليهودية الجديدة وكثر في صفوفهم القادة والمثقفون، بفضل ما اقتبسوه من الثقافات المختلفة كالبابلية والرومانية واليونانية، ومن العلوم والأساليب الإدارية والسياسية، وفيه أصابهم الخير المادي الوفير، فأصبحوا أغنى شعوب المنطقة وأكثرها نفوذًا، وعندما منحهم اليونان المزيد من حرية التنقل والعمل، عمدوا إلى إصلاح شئونهم العامة، فظهر للوجود مجلسهم الكهنوتي الذي نظم أحوالهم الدينية والسياسية والقومية والمعاشية في جميع مستعمراتهم المنتشرة في أكثر بقاع العالم القديم.

ثم راحوا يبشرون بشريعتهم على نطاق واسع دون أن يعترضهم أحد، فكثر عدد أنصارهم في كل أرض وصقع، وراودتهم الآمال باسترجاع أمجادهم المزعومة، فقاموا بعدة ثورات منيت كلها بالفشل، ومع هذا ظلوا على اعتقادهم بقرب اليوم الموعود،

(1) C. Atilhan (islam ve Beni Israil) page 209.

ولكن ظهور المسيحية جمد نشاطهم التبشيري وأثار البلبلة في صفوفهم إذ كثرت الاجتهادات بين كهنتهم حول المذهب الجديد، فكان فيهم مَن يدعو إلى الجمع بينه وبين اليهودية باعتباره وليدها وصاحبه من أبنائها، ولكن شاءت الأقدار أن يتفاقم الخلاف بين الرومان واليهود، وتشتعل نيران ثورة لاهبة جديدة، يقف منها أنصار المسيح موقف المتفرج الشامت، فيغتاظ اليهود منهم، وتتوسع شقة الخلاف بينهم، ويعقبها ازدياد نشاط النصارى، الذي أدى إلى انتصار المسيحية الكاسح، وانهزام اليهود الذين لم يفقدوا الأمل بالفوز يومًا على النصرانية، لما كان بين المذهبين من فرق ضئيل (على حد زعم المصادر اليهودية) واعتمادًا على وشائج القربى التي كانت تربطهم بصاحب المذهب الجديد وحواريه.

وفي خضم هذا الصراع القائم بين اليهود والنصارى فوجئ اليهود بصوت مدوي ينطلق من أم القرى، صوت الحق الأبلج الذي أطلقه محمد الأمين، داعيًا الناس دون تفريق أو تمييز إلى دين العلي القدير، ويهيب بهم أن يتآخوا ويتحابوا وأن ينبذوا الباطل والمنكر وينصروا الحق والفضيلة، ويصبحوا سواسية لا سيد ولا مسود، ولما كان صاحب الدعوة ممن اتصفوا بالصدق والأمانة وبالجدية والرزانة، التف حوله خيرة شباب قومه، وأيدوه في دعوته للحق، وناصروه في نضاله مع الباطل، فاشتد عوده سريعًا، وأصبح له في الجزيرة العربية شأن يخشى جانبه.

ولما سمع اليهود بأمره فزعوا من مغبة دعوته، فتنادوا فيما بينهم لمجابهة هذا الخطر الداهم، وناصرهم بعض زعماء الجزيرة العربية الذين نفروا من الدعوة الرامية إلى القضاء على الأصنام والمتألهين، فاستغل اليهود حماس هذه الفئة الضالة من قريش وغيرها من القبائل، ووقفوا خلفها يدفعونها لمخاصمة محمد ﷺ والقضاء على دعوته التي تفضح مزاعمهم، وتدحض أكاذيبهم، فقام صراع غير متكافئ بين الحق والباطل ودام طويلاً، وكان أنصار محمد ﷺ فئة قليلة ذات إمكانيات محدودة بينما كان أعداؤه على وفرة في العدد والعدة، يناصرهم اليهود بما لديهم من قوة وقدرة، وبما أتقنوه من أساليب التشنيع والتسفيه لكل ما لا يتناسب مع مصالحهم وغرائزهم، ولكن أنى للباطل أن ينتصر على الحق، فصمد محمد ﷺ وأتباعه، إلى أن أقاموا لهم في المدينة المنورة مركزًا قويًا ومنطلقًا عسكريًا أقضَّ مضجع اليهود، وسلب أمنهم، وتيقنوا أن لا

حيلة لهم مع محمد ﷺ عن طريق الحرب والقراع، فصمموا على محاربته بأساليب المكر والخداع لعلهم يفلحون فيما يبتغون.

المؤامرات اليهودية على الرسول

رغم العداء الذي أشهره اليهود على محمد ﷺ، لم ينزع إلى إطالة الخصام معهم، بل عمد إلى مهادنتهم ومعاملتهم بالحسنى ليهديهم إلى طريق الحق والصواب، ولتحقيق هذا الهدف لم يكن يحجم عن زيارتهم وتكرار دعوته لهم، ولكن اليهود ظلوا على تعنتهم وحقدهم عليه، وحاكوا مؤامرة لاغتياله والتخلص منه، فأرسلت إليه نَضْر (إحدى القبائل اليهودية) تدعوه لزيارتها، فلبى الرسول الدعوة، وعندما وصل إليها، طلب شيوخها منه مجالستهم في ظل حائط من الحجر، فامتثل لطلبهم، وبينما كان يتحدث إذا بصخرة كبيرة تنفصل عن الحائط، لتهوى على محمد ﷺ، ولولا أنه حاد عن مسقطها في الوقت المناسب لقضت عليه، وعندما سأل الرسول عن سبب سقوط الصخرة قيل: إنها انزلقت تحت ثقل الأطفال الذين صعدوا إلى أعلى الحائط ليشاهدوه عن قرب. ولكن محمد ﷺ أدرك ما قصدوه، ومع هذا عاد إلى مقره دون أن يشعرهم بأنه اكتشف أمرهم، فعمد اليهود إلى خدعة جديدة، وكلفوا زينب زوجة سالم ابن المشك النضري، بأن تجهز طعامًا ممزوجًا بالسم، وتقدمه لمحمد ﷺ، فلبت اللعينة طلبهم، ثم ذهبت تقدم هديتها للرسول في حضور بعض أنصاره، فلم يشأ الرسول أن يخذلها أمامهم، فقبل هديتها شاكرًا، ولما هَمَّ وأصحابه الإطعام منها، شعر بما بُيِّت له، فصاح برفاقه أن اعزفوا عنها، ولكن سبق السيف العزل وأكل أحدهما لقمة منها وفارق الحياة.

ولما سُئِلَت عمَّن دفعها لفعلتها المشينة أجابت: بأن التلمود يذكر أن الأنبياء أصحاب الرسالات السماوية، يعلمون ويعرفون ما يضمر لهم في الخفاء؛ ولذا أردتُ أن أمتحن محمد ﷺ لأتحقق من صدق رسالته، ففعلتُ ما فعلتُ، فأمر الرسول الكريم بإخلاء سبيلها دون أن تمس بسوء.

عندها أيقن اليهود بفشل محاولاتهم، وقرروا محاربته علنًا، فاتصلت نضر بالعشائر اليهودية وببعض القبائل العربية التي كانت تكره محمدًا ﷺ، واتفقت معها على مقاتلته، فعلم الرسول بأمرها، فأغار عليها وأذلها جميعها، ولما أراد معاقبتها استجارت

به، فعفا عنها، بعد أن عاهدته على أن تبقى على الحياد من صراعه مع القبائل العربية الأخرى، ولكنها خانت عهودها في معركة بدر، وانضمت لأعداء الرسول، ولما نصر الله نبيه على المشركين، عاد وحمل على مَن خانت العهد من العشائر اليهودية، وشتت شملها. ولم يمس التي ظلت منها على الحياد، وقبيل معركة أحد عادت عشيرة بني نضر لمناصبته العداء وألبت عليه العشائر المجاورة. فلما انتهت معركة أحد، زحف عليها وأرغمها على الاستسلام، فجردها من أسلحتها، وأوقع الجزاء بمحرضيها، وجلا ما تبقى منها خارج أرض الحجاز.

ومع هذا ظل اليهود على غطرستهم وعدائهم، وبعد فترة وجيزة عادوا لجمع جموعهم، وانضموا إلى أقوى قبائلهم قريظة، التي تكاثر عدد أفرادها بعد أن التجأ إليها خلسة بعض أفراد القبائل اليهودية التي طردت خارج الحجاز، فقام زعماؤها بعقد حلف مع زعماء قريش، واتفقوا على احتلال المدينة المنورة، والقضاء على المسلمين، فجمعوا جموعهم وحاصروا المدينة، وظلت قريظة في المؤخرة لتكون القوة الاحتياطية للمعتدين. ولما اشتد الحصار على المسلمين ظنَّت قريظة أن الوقت قد حان لتشترك في المعركة، وتُجْهز على محمد ﷺ وأنصاره، فسارعت إلى الانضمام لشريكتها، ولكن خاب فألها، وصمد المسلمون للبلاء واعتصموا بالصبر، ولما طال أمد الحصار، دب الملل في صفوف المعتدين، وتفرق شملهم، وانسحبت القبائل المعتدية إلى منازلها، دون أن تتمكن من المسلمين.

ولما انكشفت الغمة عن المسلمين، قرر الرسول الكريم معاقبة قريظة الخائنة، فهاجمها وأرغمها على الاستسلام، فسارع زعماؤها إلى التوسل للرسول، بأن يكتفي بفرض عقوبة مناسبة على قبيلتهم، وفوضوه بتعيينها، ولكن الرسول أبى إلا أن يبرهن لهم عن تمسكه الدائم بالعدالة والشهامة. فقبل التماسهم على أن يختاروا حكمًا بأنفسهم ليحتكم الطرفان إليه، فبادر اليهود إلى انتقاء سعد بن معاذ، لما كان بينه وبينهم من الصداقة والثقة المتبادلة، ولمَّا أخبروه بقرارهم، خيرهم بين أحكام القرآن والتلمود، فاختاروا نصوص هذا الأخير ليحتكموا إليها، فلم يعترض الرسول الكريم على ذلك، عندها راجع سعد تلك النصوص، فوجد أنها تقضي بقتل كل مَن حمل السلاح ضد المسلمين. وحجز أمواله وتوزيعها على المتضررين، فطبقت الأحكام

بحذافيرها على مَن ثبت عليه القيام بمهاجمة المسلمين.

(والغريب هو أن إحدى النساء اليهوديات كانت من بين مَن طبقت عليهم هذه العقوبة؛ لأنها تميزت بين المقاتلين بشراستها وحبها لسفك الدماء).

وفي أعقاب القضاء على قريظة، عاد الهدوء إلى البلاد الحجازية وتطهرت من اليهود، والمدهش في أمر هذه الأحداث هو سكوت المصادر اليهودية التام عنها، وعدم الإشارة إليها، وكأنها لم تسمع بها ولا شأن لليهود فيها، مع العلم أن اليهود لا يقدمون على عمل إلا بعد أخذ رأي مجلسهم فيه، والمعروف أن هذا المجلس كان قائمًا قبل ظهور الإسلام، وكان يهود العالم يدينون له بالولاء منذ عهد اليونان، ويرسلون له ضريبتهم السنوية بانتظام حتى من أبعد مستعمراتهم، فلا يُعقل أن يكون يهود البلاد العربية أقل ولاء له من الآخرين، وعلى الأخص أنهم أقرب جالياته إليه.

ولهذا نعتقد أن المؤامرات والثورات العديدة التي قام بها اليهود في فجر الإسلام، كانت من وحي وتدبير هذا المجلس، والدليل القاطع على ذلك، هو ما يزخر به التلمود من حملات على الإسلام والمسلمين، كما أن المصادر اليهودية الأخرى، لا تخلو أيضًا من حملات شعواء على محمد ﷺ وأتباعه، والنكبات التي افتعلها اليهود في مختلف الأقطار الإسلامية عبر التاريخ، تشهد بعمق العداوة اليهودية نحو العرب بصورة عامة والمسلمين بصورة خاصة.

التسلل اليهودي في الصفوف الإسلامية

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾

[المائدة: ٨٢]

بعد أن أيَّد الله المسلمين بنصر من عنده، وانتشرت دعوتهم السمحاء، وتعرَّف الناس على فلسفتهم الإنسانية النبيلة التي لا تفرق بين البشر، وتدعو لمعاملة الناس سواسية، دون تمييز بين إنسان وآخر، وتشجب الغطرسة والتعالي، وتنشد الفضيلة والعدالة، كان من البديهي أن يُجتَذب الناس إليها، بعد أن تجرعوا طويلاً كئوس الذل على أيدي المتألهين، ودعاة التمييز العنصري أمثال اليهود، فبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجًا أفواجًا.

وفي زمن قياسي ساد الإسلام ربوع الجزيرة العربية، وانتشر في الأقطار المجاورة بفضل رواد الإسلام الأول الذين انطلقوا في مشارق الأرض ومغاربها، يدعون الناس إلى اعتناق دينهم الإنساني الحنيف، هذا الدين الذي ما عرف العالم مثيلاً لما يحويه من المشاعر النبيلة، ولما يزخر به من الدعوة للخير والإحسان والأخلاق، وفي غضون بضعة أعوام غمر لواء الإسلام أكثر أقطار الشرق، واستتب الأمر فيها للعرب، رواد الدين الحنيف، وذلك بفضل ما أُوتُوه من الصبر على المكاره، وقوة الإيمان برسالتهم الإنسانية فاندفعوا في نشرها، وإعلاء كلمتها، لا يخشون في الحق لومة لائم، ولا يحجمون عن الفداء والتضحية، وهذه الصفات النبيلة دفعت بالشعوب المجاورة لهم للالتفاف حولهم، والتسابق لنيل شرف الأنضواء تحت لوائهم، اللهم إلا فئة واحدة وقفت ترقب ما يدور حولها والغيظ يفري قلبها. وهذه الفئة لم تكن سوى فئة اليهود، التي كانت تنتظر حدوث معجزة ما تطيح بالإسلام، بعد أن عجزت هي عن النَّيْل منه، وكانت تعلل النفس بشتى الآمال، متوهمة ظهور الصخرة التي ستتحطم عليها الوثبة العربية التي انطلقت كالإعصار، تكتسح في طريقها كل باطل وبهتان.

ولما تيقنت من خيبة آمالها، قررت أن تبحث عن أساليب جديدة لمقارعة هذا العدو الذي كشف أضاليلها، وأثبت أنها ليست كما تدعي الفئة المختارة لدى الله، وبرهن على أن الناس سواسية عند الخالق وأن أحسنهم عند الله اتقاهم. واتهمها

بتحريف التوراة وبتزوير ما جاء به موسى، وكذّب مزاعمها المختلفة، واتهمها بالوحشية والهمجية، وبقتلها الأنفس التي حرم الله قتلها بغير حق، وفند لا أخلاقيتها، وبكلمة أصح جرَّدها من كل أسلحتها وفضح بهتان هالات التقديس والإكبار التي كانت تحيط بها، وأوضح للناس حقيقتها، وبذلك أساء إليها أكثر مما أساءت النصرانية لها، والتي ظلت على شيء من المحاباة لها بعد أن احتضنت توراتها المزور.

ومن هنا كان الإسلام أخطر عدو اعترض طريق اليهودية واليهود؛ ولذا عمد اليهود إلى استعمال أسلحتهم التقليدية ضده وهي الغدر والحيلة، وراح مجلسهم الأعلى يدرس الوضع ويخطط لمعركته المقبلة مع الإسلام، فتفتق ذهنه الوقاد عن الوسيلة التي ظن أنها ناجعة لمجابهة الإسلام، وهي مقارعته من الداخل، فأوعز إلى المثقفين من أتباعه في البلاد العربية أن يتظاهروا باعتناق الإسلام، ليتمكنوا بسهولة من تنفيذ ما عهد إليهم من المهام، وعلى الأثر بادر بعض اليهود إلى اعتناق الإسلام، ولما كان الدين الحنيف لا يضن على أحد بشرف الانتساب إليه دون أي شرط سوى الاعتراف بالله ورسوله تسلل الكثير من مثقفي اليهود إلى صفوف أتباعه وأصبحوا معهم سواسية في الحقوق والواجبات. وهكذا دخل بعض أنصار المجلس اليهودي إلى الصفوف الإسلامية وبدءوا يعملون خفية للنيل من الإسلام والمسلمين.

ولقد برز من بين هؤلاء، المدعو عبد الله بن سبأ، وكان من يهود اليمن فاعتنق الإسلام، واستوطن المدينة المنورة، وتفقه على أيدي علمائها، وكان ذا ذكاء وقاد، ومحدثًا لبقًا، قوى الحجة، اشتهر بالتقوى، يثور لأتفه مخالفة للسنة. قام بعدة جولات في الولايات العربية، حيث كان يعقد الحلقات، ويحاضر في الناس، حتى أصبح له دعاة ومؤيدون ينتمون لبدعة جديدة ظلّت سرًا حتى عهد عثمان بن عفان، هذا الصحابي العف، الذي كان يعمل لآخرته أكثر ممَّا كان يعمل لدنياه، أو للدولة التي كان مسئولاً عنها، فانتاب الحكم في عهده بعض الضعف، وظهر في أجهزته بعض الخلل، فأيقن ابن سبأ أن ساعة نشاطه قد دنت، فبادر إلى توجيه النقد لحكم عثمان واتهمه بالتحيز لعشيرته، واختياره الحكام منهم دون الآخرين، ليوفر لهم فرص الإثراء الغير المشروع، كما اتهم الحكام بدورهم بإساءة الأمانة واستغلال مراكزهم لمصالحهم الخاصة. ومن ثمَّ راح يسفه حق عثمان بالخلافة واتهمه بالتآمر مع أبي بكر

وعمر لسلب حق على في الخلافة، ويحرض عائلة بني هاشم لتثأر من الأمويين لاعتدائهم على حقوقها في حكم المسلمين.

وكان يُدَعِّم مزاعمه بقوله: إنه من المألوف أن يكون لكل نبي وزير يختاره من بين أنصاره حتى إذا مات هو ثابر وزيره على إتمام رسالته وإكمال دعوته. وأن عليًّا كان وزير محمد ﷺ، فكان المفروض أن يتولى هو شأن المسلمين بعد ارتحال الرسول، ولكن عثمان ومَن سبقه من الخلفاء احتالوا عليه، وانتزعوا منه هذا الحق، وعلى المسلمين اليوم أن يعيدوا هذا الحق إلى نصابه، وذلك بأن يولوا عليًّا على أنفسهم بدلاً من عثمان، فلما علم عثمان بما يدبره ابن سبأ نقاه إلى ولاية مصر، حيث تفرغ كليًّا لإثارة الأفكار ضد عثمان، وإشاعة التفرقة بين المسلمين.

والجدير بالذكر هو أن كل ما كان يقوله هذا الداعي في مصر عن الخليفة والخلافة، يلاقي الرواج في ولاتي الكوفة والبصرة، وفي نفس الوقت كان أتباعه في العراق يتلقون تعليماته، ويشيعونها حالاً بين الناس.

ويروى عنه، أنه زار عليًّا بعد تولية الخلافة، وقدم له الطاعة والولاء، ومن ثَمَّ قال له مفاخرًا: أنت لها لأنك العلى القدير (أي أنه أضفى عليه صفات الألوهية). فساء هذا القول علي بن أبي طالب، فأمر بنفيه إلى مدائن صالح، حيث عاش حتى ارتحال الخليفة. ومن ثَمَّ خرج مجددًا على دنيا العرب لينشر فيها بدعته التي كانت تتخلص بتأليه علي، والزعم بأنه حي لم يمت لأنه من روح الله، وأنه لا يلبث أن يعود، وأن روحه تتقمص الأئمة ليثابروا على هداية الناس حتى عودته، وأنه الإله الخالد الأزلي[(١)].

ويبدو أن ابن سبأ اعتمد في تأليه علي بن أبي طالب على إحدى الآيات القرآنية، التي تصف الله ﷻ بالعلي القدير، أو العلي العظيم، واتخذها حجة وزعم أنها موجهة إلى علي بن أبي طالب.

والمؤسف في سيرة هذا المدعي هو أن الإجراء الذي اتخذه عثمان حياله أتى متأخرًا جدًّا؛ إذ كانت بدعة ابن سبأ انتشرت في عرض البلاد وطولها، وتكاثر أنصاره في جناحي الوطن العربي، وتشكلت منهم أحزاب وفئات في كل من مصر والعراق،

(1) The Jewish Encyclopedia (H. Hirsch feld).

يعملون للنيل من الخليفة ليل نهار، وينشرون الأضاليل، ويدسون على الولاة والحكام، ويدعون الناس من وراء الستار للتذمر والتشكي ويوفدون الوشاة الكاذبين إلى الخليفة، ليقصوا عليه كل ما هبَّ ودبَّ من الإشاعات، حتى انطلت على الخليفة بعض هذه الدسائس، وعمد إلى التحقيق والتحري عن أسبابها.

فاختار لهذه المهمة خيرة رجاله، فأوفد محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وعزام بن زيد للبصرة، وعبد الله بن عمر لمصر، وأوصاهم بأن يقوموا بأوسعْ تحقيق ممكن مع الولاة والمواطنين، ويعودوا إليه بالخبر اليقين، وقام هؤلاء السادة بالمهمة خير قيام، ولكنهم لم يشاهدوا أو يسمعوا ما يستحق الاهتمام، فعادوا ليعلموا الخليفة بخطل ما نقل إليه. ولكن عثمان أراد التدقيق في الأمر، فأرسل أمرًا إلى ولاته، بأن يوفدوا في موسم الحج كل مَن له شكوى إلى الكعبة، ليعرضها بنفسه على الخليفة، كما طلب منهم جميعًا أن يحضروا في الموعد المحدد إلى الحجاز. (ويبدو أن هذه البادرة كانت زلة عالم، التي شبهوها بانكسار السفينة لتغرق ويغرق معها خلق كثير).

ولما حان موعد الحج تقاطرت الوفود إلى الكعبة، وكان بينها وفد من الكوفة يتألف من ألف رجل من أتباع ابن سبأ، وألف آخر من أهل البصرة ومن أتباعه أيضًا، كما أوفد ابن سبأ ألفًا ثالثًا من مصر تحت زعامة كل من محمد بن أبي بكر ومحمد بن قذيفة، وذلك بناءً على اتفاق مسبق بينهم، وتنفيذًا لخطة وضعها ابن سبأ، حتى علم بما أصدره الخليفة من التعليمات، وهكذا اجتمع في مكة ثلاثة آلاف رجل من أتباع ابن سبأ، تحت زعامة ابن أبي بكر ومحمد بن قذيفة، الحاقدين على عثمان لحرمانهما مما كان قد عللا نفسيهما به من الوظائف الكبرى في الدولة.

وفي يوم الحج أمر الخليفة أن ينادي المنادي مَن له شكوى، فتكرر النداء ولم يتقدم أحد للشكوى، عندها قام الخليفة وخطب في الناس، وفصَّل الغرض من الاجتماع، ومن ثم ختم أقواله بأنه شدد على الولاة، بضرورة إنصاف المظلوم ومعاقبة الظالم، ثم أعلن أمام الملأ بأنهم مسئولون أمام الله وأمامه عن كل ظلامة تلحق بأحد المواطنين.

وهكذا انتهى الاجتماع، وعاد الخليفة إلى المدينة المنورة، فلحق به المتآمرون، واجتمعوا به في المسجد حيث كان يؤدي الصلاة، وأفصحوا عن نواياهم، وطلبوا منه أن يتنازل عن الخلافة، فرد عثمان عرضهم وأجابهم: بأنه لن يخلع قميصًا ألبسه إياه

رب العالمين إلا بأمر منه وحده، فهاج المتآمرون وحملوا عليه يرومون قتله، فانتصر له سعد بن أبي وقاص، والحسن بن علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، وأنقذوه من براثنهم، وعادوا به إلى داره. ولكن المتآمرون كانوا قد قرروا القضاء عليه، فأتوا يحاصرون دار الخلافة، ولما أراد سعد ورفاقه مقاتلهم منعهم الخليفة عن ذلك، فلم يرتد المتآمرون، بل شددوا الحصار، ومنعوا عن الخليفة الزاد والماء، حتى أنهم صدوا زوجة الرسول أم حبيبة عن زيارته.

وفي النتيجة داهموا الدار من الخلف في غفلة عن حراسه، فقام القتال في صحن الدار، وفي أثناء ذلك تمكن ثلاثة من المتمردين وهم: فطيرة، والغافقي، وسويدان ولوج مخدع الخليفة، حيث كان يقرأ القرآن وهو صائم. فعاجله الغافقي بطعنة حربة، وسويدان بضربة حسام، فاستشهد عثمان، وسالت دماؤه على القرآن الكريم، ولطخت الآية السابعة والثلاثين من سورة البقرة القائلة: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] وكان هذا الدم الطاهر المسفوك أول دم مسلم عربي سفك بأيد عربية مسلمة(١).

وبعد أن ارتكب المتمردون جريمتهم هذه، قام النزاع بينهم على مَن يولوه الخلافة، إذ كانت الفئة المصرية ترشح لها علي بن أبي طالب، والفئة الكوفية طلحة، بينما كانت فئة البصرة تصر على الزبير، ولما طال الجدل بينهم، أجمعوا على علي بن أبي طالب.

وهكذا انتهى موضوع الترشيح وزال الخلاف الظاهري في الأمر. ولكن ذيول هذا الحادث الأليم كانت أطول من أن تنتهي بمقتل عثمان، وجذور أهدافه أعمق من أن تجتث بعزل الخليفة وتولية آخر، وعوامله السياسية كانت أبعد مرمى مما ظنها العرب والمسلمون، لأن ابن سبأ ومن كان خلفه أرادوا منه النيل من العرب، وتمزيق شملهم، وتدمير دولتهم، فكان لهم نسبيًا ما أرادوه، فانقسم العرب على بعضهم البعض، واستشرى الخلاف في صفوفهم، وأصبحوا شيعًا وأتباعا بعد أن كانوا أمة واحدة كالبنيان المرصوص.

فقامت المعارك بينهم، وسفكت الدماء الغزيرة دون أي سبب، اللهم إلا إرضاء

(1) C. Atilhan (islam ve Beni Israil) page 178.

لأنصار ابن سبأ، الذين كانوا يسارعون لإثارة الضغائن كلما شعروا بفتورها، فتكاثرت الفواجع في صفوف العرب، حتى كانت فاجعة علي وأبنائه وفاجعة الخوارج، فاتسعت الشقة وعَظُمَ الخطب، وتلتها فاجعة الأمويين، التي عرضت نجم العرب إلى الأفول، ومزّقت دولتهم، وأضعفت شوكتهم، كل هذا والعرب سادرون في غيهم، لا يهتمون بما يجري حولهم، كل منهم يسعى لإلقاء تبعة على صاحبه، بينما تسيل الدماء الذكية، وتذرف الدموع الغزيرة، ودولة العرب تتقلص يومًا بعد يوم، حتى كادت المعجزة التي حققوها في بضعة أعوام، والتي بهرت العالم أجمع وجعلت الأمم تنظر إليهم بخشوع وإكبار أن تزول من الوجود، ولولا فلسفة الإسلام، وصلابة دعوته التي انغرست جذورها في الأعماق، لزال العرب والإسلام من الوجود على أثر نكبة ٣٥ هجرية وما أعقبها من نكبات، مع أن العرب لم يكن لهم فيها لا ناقة ولا جمل، ولم يفكر أحدهم بإيقاد نارها، ولكنها افتعلت، وغرر بهم، فاندفعوا وراء القبلية البغيضة، وانساقوا خلف دعايات ابن سبأ المغرضة دون وعي وإدراك. والتبست عليهم أغراضه السياسية البعيدة المدى، فوقعوا فيما نصب لهم من الأفخاخ، وسيقوا إلى حتفهم كالأنعام، فلو أنهم فكروا مليًا في نتائج دعايات ابن سبأ، لما انجرفوا خلفها، ولما وقع ما وقع، ولما وصل العرب إلى ما وصلوا إليه من التفرقة والتمزق.

وأكثر ما في هذه النكبة من المرارة، هي أن تعيش آثارها حتى اليوم، وأن يكون لها مَن يتفاعل معها حتى هذه الساعة؛ إذ أن بعض العرب خاصة، والمسلمين بصورة عامة، ما زالوا يتناقشون في أصولها وجذورها بنفس العقلية وبنفس المنطق المعوج. ويحاولون من حين لآخر إثارتها والتردي في مهاويها بنفس الغباء والطيش الذي ساد على تفكير أسلافهم قبل ثلاثة عشر قرنًا ونصف، وكأني بهم نسوا مآسي الماضي، وما تكبده العرب والمسلمون من جراء تلك النكبة، وما سفكوه من دماء في سبيل تحقيق أهداف أعداء أمتهم ووطنهم.

وكأني بهؤلاء لا يشعرون أننا نعيش في القرن العشرين عصر النور والمدنية، حيث انكشف الستر عن كل مجهول، وأزيلت الحجب عن كل مبهم، ولم يعد مكان للغباء والطيش في عالم السياسة، فما بال أصحابنا لا ينبذون رواسب الماضي ويثابرون على

إذكاء نار الحقد كلما خبت[١]، أليس الأجدر بهم أن يطلقوا لعقولهم وأبصارهم العقال بحثًا عن الحقائق الراهنة، بدلاً من التعلق بأفكارهم الهزلية، وأنني أنصحهم بأن يبادروا إلى الكتب والمصادر التاريخية، ويبحثوا بأمانة في بطونها، عن أسرار نكبة ٣٥ هجرية؛ لتتضح لهم الأمور، ويلمسوا ما تورط فيه أسلافهم منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا.

يا قوم آن لنا أن نتقي الله في أمتنا ووطننا، وآن لنا أن نتكاتف، ونتحد لمجابهة ما يحيط بنا من المخاطر والأهوال، وأن نتمعن فيما يحاك لنا مجددًا من الدسائس والمؤامرات على أيدي أحفاد أساتذة ابن سبأ، الذين اقتطعوا في الأمس القريب أعز جزء من وطننا، ونكلوا بملايين من أخواتنا، وألصقوا بنا العار أمام العالم أجمع.

يا قوم كفانا أنانية وفردية، كفانا غرورًا، يا قوم لن يشفع التاريخ بنا لمجرد كوننا أحفاد صانعي أكبر معجزاته، ولن يرحمنا لأننا أحفاد أرحم فاتحيه، فالحذر قبل أن تسبقنا الأحداث فلنعد لأنفسنا، ولنعترف بأن مصيرنا ومصير أجيالنا المقبلة مرتبط بسلوكنا اليوم، فلنبادر إلى توحيد صفوفنا وضم جموعنا، وتوحيد أهدافنا، لنكن أمة واحدة مثل الأمس، ولتكن لنا راية مشتركة وعزيمة موحدة، لنواجه العالم ككتلة متراصة الصفوف؛ لنسترجع حقنا السليب، ونستعيد كرامتنا ومكانتنا تحت قبة الفلك، فالوحدة الوحدة قبل فوات الأوان، وحلول الندامة حيث لا تنفع[٢].

---

(١) خبت: هدأت. (دار البشير).

(٢) إن أحد أسباب تخلف العرب والمسلمين، هو الاعتماد على الماضي والتفاخر به، وعدم العمل للمستقبل، ومنه قول الشاعر:

ليس الفتى مَن قال كان أبي ... ولكن الفتى مَن قال ها أنا ذا.

(دار البشير).

اليهود في أوربا

إذا أردنا معرفة أسباب النكبات التي تعرَّض أو ستعرض لها العالم، والتي أسفرت أو ستسفر عن مذابح رهيبة ونكبات اقتصادية عامة، وعمليات التخريب المتقنة للنظم والأفكار الاجتماعية، لوجب علينا أن نتعلم البحث عن مدى ما في ظاهرها ونتائجها من الطابع، والأثر والمبادهة اليهودية، ومقدار توافقها مع الأغراض الصهيونية، وإذا أردنا تجنب التعرض لمثيلاتها في المستقبل، لوجب علينا أن نتقن أصول كشف الألوان والأساليب والأضاليل التي تعتمدها اليهودية والماسونية، والتي تتخلل جميع شئوننا اليومية؛ ولذا كان لزامًا علينا أن نسبر أغوار الإشاعات والترهات والدسائس التي تهمس في أذاننا، وأن لا نتسرع في الحكم لها أو عليه إلا بعد أن نتأكد من صحتها إذ ربما كان اليهودي الغادر يكمن خلفها، ويتربص بنا الدوائر هذا الفسق الذي نراه تارة ضعيفًا كدودة الأرض، وأخرى شرسًا مثل أسد الغاب، والذي يدفعه تعصبه العنصري الأعمى لافتعال الكوارث والمصائب لينزلها على البشرية جمعاء. (من أقوال الكاتب الكبير ف. سولين)[(١)].

على أثر الموقف الحيادي الذي وقفه النصارى من المعارك التي وقعت بين اليهود والرومان، اغتاظ اليهود منهم، وصاروا يشتمونهم في صلواتهم اليومية الثلاث، ويتوسلون إلى يهوى بأن يقضي على العازاريين وأتباعهم ويزيل أثرهم من الوجود، ولما علم النصارى بهذه الحملات اليهودية المركزة، بادروا إلى الرد عليها بالمثل، فقامت المعارك بين الطرفين، وعلى الأخص بعد عام ٨٠ الميلادي، وساهمت روما في إذكاء نار الحقد بين المتخاصمين، فكانت تقف تارة بجانب أحدهما وأخرى بجانب الآخر، حتى تعدل الكفة بينهما ليظل الصراع قائمًا. ولقد استعمل المتخاصمان شتى الأسلحة، وعلى الأخص سلاح الوشاية لتحريض الرومان على بعضهما البعض، وكان الرومان يتقبلون الوشاية من حيث أتت لاستثمارها عند الحاجة ضد الطرفين ليفرضوا سلطانهم عليهما.

ولقد دام هذا الصراع إلى أن انتصرت المسيحية وسيطرت على الموقف، ومع هذا ثابر اليهود على النضال وتحملوا أعباءه الشاقة طويلاً (ولولا الكنيسة التي كانت

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible) page 180.

تنجدهم دائمًا في الوقت المناسب، لكانوا حتمًا زالوا من الوجود في أوربا) وكلما فقدوا جولة، بادروا إلى التأهب لخوض جولة أخرى، وهذا العناد في النضال مكّنهم في النهاية من الفوز في أكثر أنحاء أوربا، وبعد أن صرعوا أكثر أعدائهم، ويعود الفضل في صمودهم الطويل إلى المجلس الكهنوتي الأعلى الذي كان يبتدع لهم الأساليب الجديدة لمواجهة أعدائهم الكُثر.

أما عداوة الكنيسة لهم فلم تكن تتعدى حدود منعهم من المثابرة على التبشير بشريعتهم، ثم إقناعهم بالانضمام إليها، وفيما عدا ذلك كانت تقف بجانبهم باعتبار أنهم أتباع التوراة وإخوة المسيح وحواريه.

أما اليهود فكانوا يعاكسون هذا الرأي، ويرون في النصارى القدماء خوارج يستحقون أشد العقوبات، وفي النصارى من الأوربيين كفارًا وأعداءً لدينهم وقوميتهم، وهذه الأفكار كانت تلقن إليهم من قبل المجلس الكهنوتي (العدو التقليدي للكنيسة) الذي دأب على نشر التعليمات المناوئة للكنيسة وتقويتها في الأوساط اليهودية، ولما أيقنت الكنيسة أن لا فائدة من مهادنة اليهود ومجلسهم الكهنوتي، عمدت إلى عزل أتباعها عن اليهود، وأزالت المعابد اليهودية من الأحياء المسيحية، وأمرت بحرق التلمود وما شابهه من المصادر اليهودية.

فرد المجلس الكهنوتي الأعلى على إجراءات الكنيسة، بأن أوعز إلى أنصاره أن يشتموا الكنيسة في صلواتهم كالسابق، وحضهم على التعاون مع الفئات المناوئة لها، والعمل على تهديم المجتمع المسيحي، وأحداث الجمعيات السرية الداعية إلى الإلحاد وإلى الخروج على الكنيسة، ولم يكن هذا الصراع بالنسبة لليهود سهلاً لقلة عددهم، وكثرة ما فرض عليهم من قيود، ومع هذا ثابر اليهود على الصراع، وإن كانت الغلبة فيه في البداية وأكثر الأحيان للمسيحية.

ولما تعددت هزائم اليهود لجئوا إلى الاستكانة والصبر ريثما تحين لهم الظروف المناسبة، ولقد أتت هذه الظروف، مع حمي الفتح والاكتشاف الذي ساد أوربا، بعد أن اكتشف كولمبوس القارة الجديدة، هذا الاكتشاف الذي قلب الأوضاع الاقتصادية في أوربا رأسا على عقب، ونقل النشاط التجاري من موانئ البحر الأبيض إلى موانئ المحيط الأطلسي الواقعة على السواحل الأسبانية، فاحتل الميزان التجاري في البلاد التي

كانت تعتمد على الموانئ التجارية القديمة، وطغى على حكومتها جنون الفتح، وراحت تناوئ أسبانيا التي أصبحت حينذاك أقوى الدول الأوربية اقتصاديًّا وسياسيًّا، واندلعت الحروب التي سميت في التاريخ بالحروب الأوربية، والتي دامت طويلاً، وقضت على اقتصاديات أكثر الدول المتخاصمة، واضطرتها إلى فرض[1] ضرائب فادحة على شعوبها، لتتمكن من تمويل جيوشها، فارتفعت أسعار الحاجيات، وتضاءلت المواد الغذائية، وانتشرت البطالة، وأصيبت أكثر الدول الأوربية بالتضخم المالي، فعم البلاء على طبقات الشعوب المختلفة، ففقد الإقطاع فلاحيه الذين التحقوا في ميادين القتال، ومستأجري أملاكه الذين أصيبوا بالإفلاس، وأفلس التاجر لاستحالة التصدير والاستيراد، وتضاءل دخل ذوى الفعاليات المحلية لضيق ذات يد الناس، فتوقفت الأعمال، وتفشت الأوبئة، وهجر القرويون قراهم إلى المدن، واختلط الحابل بالنابل، وقلت موارد الدول، ولم يعد لها بُدٌّ من البحث عن موارد غير الضرائب، فطرحت سندات الدين العام، ولجأت إلى بيع أملاكها، ولكن كل هذه السبل باءت بالفشل، ولن تفي بالغرض المنشود، ولم يبق أمام حكامها معدى عن البحث عمَّن يقترضون منه ما يحتاجونه من المال، ولما كانت جميع الدول الأوربية متخاصمة آنذاك استحال عليهم الحصول على قروض دولية، فاستنجدوا بأثرياء بلادهم، الذين كانت أكثريتهم الساحقة من اليهود الذين كانوا يراقبون ما يدور حولهم عن كَثَب[2]، ويتدارسون دقائق الأوضاع، ويحصون مختلف الأمور والفرضيات، ويضعون لكل فرضية ما يناسبها من الحلول، ويحددون الأساليب الناجعة لمجابهة كل حدث جديد، ويرسمون المناهج الآيلة إلى تحقيق أهدافهم الخاصة والعامة.

فلما شاهدوا ما آلت إليه الأوضاع أيقنوا أن رياحهم قد هبَّت، فسارعوا إلى التأهب لاستغلالها على أوسع نطاق ممكن، وفي خضم هذه المصائب التي نزلت بالدول الأوربية، ظهر في الأفق حدث جديد، لم يكن أقل خطرًا على الكنيسة وأنظمة الحكم التي كانت سائدة آنذاك، من الحروب التي كانت قائمة، وهذا الحدث لم يكن

(1) E. Renan (Les Evangiles) page 71.

(٢) كَثَب: قُرْب. (دار البشير).

سوى انطلاق المبادئ الحديثة التي خرجت من قلب القلعة المسيحية الأولى إيطاليا، وانتشرت في مختلف أقطار أوربا بسرعة مذهلة، وكان أصحابها ممن سموا أنفسهم بأعضاء جمعية المثقفين.

أما أغراض هذه المبادئ فكانت تتلخص بدعوة الناس إلى الخروج على الكنيسة ونبذ تعاليمها، والانعتاق من العقائد والتقاليد المسيحية، والعودة إلى العقائد والأدب الروماني، والتخلي عن المعيشة النصرانية الداعية لحياة الخنوع والتقشف واستبدالها بمفهوم الحياة الرومانية المرحة، وفلسفتها المتفائلة الباعثة للسعادة والآمال.

ويبدو أن هذه الفلسفة الجديدة لقت هوى في نفوس الجماعات الأروبية، التي كانت ترزح[١] آنئذ تحت كابوس الحروب وضيق العيش وتزمت الكنيسة، فسارع أكثر البائسين إلى اعتناقها والدعوة لها، وهكذا أصبحت الكنيسة والحكومات أمام عقبة جديدة تتطلب اليقظة والحذر. أما اليهود الذين كانوا على أتم الاستعداد لمواجهة كل طارئ، رحبوا بهذه المبادئ الجديدة التي كانوا أصلا من ورائها منذ أمد بعيد (إذ المعروف أنهم غزوا أوربا بالفلسفات الشرقية القديمة والجديدة، التي كانت تقريبًا جميعها مناوئة للكنيسة وتقاليدها) كما رحبوا بالتجاء الكنيسة والحكومات للاستدانة منهم فتحركت رءوسهم المفكرة (أعضاء المجلس الكهنوتي الأعلى (Sanhedrin) تعمل بسرعة وانتظام، وأوعزت إلى الأثرياء من أتباعها باستغلال لجوء الكنيسة والحكام إليهم، وأمرت المثقفين بأن يندمجوا في جمعيات المنورين التي كانت قيد التشكيل في أكثر الأقطار الأوربية، وإلى المرابين أن يفتحوا أكياس نقودهم ليرتهنوا أكبر عدد من الأملاك، ويشاركوا أكبر عدد ممكن من التجار وأصحاب الأعمال، وإلى صعاليقهم بأن ينتظموا في مختلف الصفوف ليتمكنوا من تعميم ما يصدر إليهم من تعليمات.

ولما كان اليهود في أهبة العمل بفضل التنظيمات الداخلية التي كانت قائمة في أحيائهم منذ فجر التشرد، لبوا سريعًا دعوة المجلس، وهكذا خرج المارد اليهودي من قمقمه، وأخذ يسعى في طول أوربا وعرضها، وفي زمن قياسي، وبفضل الثروة من الأموال سيطر اليهود على جمعيات المنورين، وكانوا يمدونها بكل ما حوته كتبهم من الفلسفات والبدع المناوئة للكنيسة، كما سيطر المرابون منهم على مقدرات التجار

---

(١) ترزح: تضعف. (دار البشير).

والصناع والملاك، بفضل ما قدموه لهم من القروض، أما صعاليكهم فلم يدخروا وسعًا في تعميم كل ما صدر إليهم من التعليمات المسفهة للكنيسة ورجال الدين[1].

بينما عمد أثرياؤهم إلى إقامة تحالف مالي بينهم، تحت زعامة المالي اليهودي الكبير يعقوب فوجر (Jacob Fugger) الذي أسس المصارف العديدة في أكبر العواصم الأوربية، ومن ثم عمد إلى التقرب من الكنيسة التي كانت بحاجة ملحة للمال، فرحبت بتودده إليها آملة أن تحصل منه على ما هي بحاجة إليه من المال، فلم يخيب فوجر رجاءها، وقدم لها ما طلبته مقابل أن يتولى عنها جباية ضرائبها، وريع ممتلكاتها في كافة الأقطار الأوربية.

وبذلك أصبح هذا اليهودي قيمًا على الكنيسة، ومن ثم راح يعين أبناء قومه جباة لأموالها، وعين لكل كنيسة وأبرشية محاسبًا من أتباعه، وهكذا سيطر على الكنيسة برمتها، وأصبح أقوى رجال عصره، فخطب الملوك وده، وقربوه من مجالسهم، واستعانوا به على أمورهم. ولقد استدان منه كل من «شارلكان» و«ماكسيمليان» وغيرهما من الملوك، حتى أنه تمكن أكثر من مرة من تمويل ملكين متخاصمين في آن واحد، فعظم شأنه في أكثر الممالك الأوربية، ويقال: إنه كان يعين بنفسه أكثر وزراء المالية، ورؤساء الخزائن في الدول التي كانت تستقرض منه، ويبدو أن هذه الدول كانت ترحب بتدخل فوجر في شئونها المالية؛ لأنه كان يضع تحت تصرف مَن يعينهم أي أجهزتها جميع أموال المصارف التابعة له، وبفضل هذه الأساليب الشيطانية أصبح اليهود يهيمنون على أكثر الدول الأوربية وشعوبها.

ودخلوا المجتمع الأوربي من بابه الواسع، وتوصل بعضهم إلى مراكز النفوذ، وحصل آخرون على الألقاب الضخمة التي ابتاعوها من الملوك والأمراء، فتوسعت أطماعهم، فعمدوا إلى السيطرة على الأسواق المالية (البورصة) وسرعان ما تم لهم الاستيلاء عليها، ثم وجهوا اهتمامهم إلى الميادين السياسية والتوجيهية، وتسللوا إلى الجمعيات الثقافية والسياسية مثل جمعية الإنسانيين (Humanistes) التي كانت تتعثر في تقدمها، فدعموها بأموالهم الوفيرة، فنشطت تلك الجمعيات لتعمل لحسابهم، فابتاعوا لها دور النشر وافتتحوا لها دور الطباعة الخاصة؛ ليسهلوا لها سبل النشر والتوجيه

---

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyres) page 278.

ضمن مخططاتهم الرامية إلى تحقيق الأغراض اليهودية.

ولقد تمكنت هذه الجمعيات من إغراق الأسواق الفكرية في بحر من مبتكراتها التي كانت تستوحيها من اليهود، وهكذا أصبح اليهود يسيطرون على الرأي العام وخاصة في فرنسا التي افتتحوا فيها معهد قراء الملك Lecteurs Royaux بمساعدة اليهودي بودي (Bude) الذي كان يدير المكتبة الملكية في باريس عاصمة الدولة الفرنسية التي كانت تلقب بابنة الكنيسة البكر، ولقد اشتهر هذا المعهد بمناهجه المهودة التي كان تلقنها لتلامذته مثل الأدب العبراني واللاهوت، ودراسة اللغات القديمة وخاصة العبرانية، وكان جميع أساتذته من اليهود وأفراد الجمعيات المهودة، مثل جمعية الإنسانيين التي يعترف التاريخ لأفرادها ببعض الخدمات العلمية التي قدموها للإنسانية، ولكنه يؤكد تبعيتها لليهود[١].

والمؤرخون يجمعون على أن الإنسانيين كانوا خلف جميع المبادئ والنظريات الهدامة التي انتشرت في القرن الثامن عشر، والتي كانت تدعو إلى تحرير الفرد من قيود الروابط العائلية، وتحرض على هدم وحدتها، وتشجع على الإباحية المفرطة، وتحث على مناوئة الكنيسة، والخروج على المثل العليا التي كان المجتمع الأوربي يقدسها، والظاهر أن هذه التعاليم لاقت رواجًا في أكثر الأقطار الأوربية، وخاصة في فرنسا التي استهدفها اليهود قبل سواها من البلاد الأوربية، وهكذا تحقق لليهود تمزيق وحدة العائلة، ومن ثم وحدة الشعب، وذلك بعد أن خرج الفرد على نفوذ العائلة وتحرر من قيود وتعاليم الكنيسة التي كانت تفرض عليه من قبلها، مما أدى إلى هزيمة الكنيسة الهرمة أمام الهرطقة اليهودية، التي احتلت مكانها في المجتمعات الأوربية، وخلا لها لتنشر تعاليمها الجديدة على أوسع نطاق، وتبث في الشعوب الأوربية مبادئها المعادية للدين المسيحي وللمثل العليا القديمة.

وزاد في الطين بلة ظهور لوثر المفاجئ في ألمانيا، وانشقاق كنيسته الجديدة عن الكنيسة الكاثوليكية، الذي أسفر عن تدخل الأمراء في المقاطعات الألمانية بشئون الدين، وإعلان تمردهم على البابا.

فهلل اليهود لهذا الحدث الجديد، وبغية توسيع شقة الخلاف بين البابا والأمراء

---

(1) Histoire de france. 7 eme Chapitre (La renaissance).

الألمان، سارعوا إلى وضع أموالهم تحت تصرف الأمراء المناهضين للكنيسة القديمة وحرضوهم على مقاومتها، واندلعت نيران الحروب الدينية التي أسفرت عن أضرار جسيمة لكل مَن اشترك فيها، وانتهت عام ١٥٢٦ باعتراف شارلكان باستقلال الإمارات الألمانية وكنائسها عن البابا. ولكن اليهود أبوا أن يقبلوا بعودة السلام، فعمدوا من جديد إلى إذكاء نيران الحقد بين الكاثوليك والبروتستانت، فعادت الحروب بينهما، وعلى الأخص بعد موت شارلكان، ودامت حتى عام ١٥٥٥، ولما عقد الصلح بين الإمارات الألمانية والملك فرديناند، كانت المقاطعات الألمانية قد خرجت تمامًا عن طاعة الكنيسة وأصبحت مستقلة في شئونها الدينية والسياسية، أطلقت فيها حرية الأديان.

وأعقب هذه الأحداث ظهور كالفين في فرنسا، وقيام المذابح الرهيبة بين أنصاره وأنصار الكنيسة القديمة التي أدت إلى إضعاف نفوذ البابا في فرنسا، وعلى الأخص عندما أعلن هانري الثامن تمرده عليه.

وهذه الأحداث المتالية، قضت على هيبة الكنيسة، وأضعفت نفوذها في أكثر أقطار أوربا، بينما كانت اليهودية الحاقدة (التي كانت خلف أكثرها) تعمل دون كلل على رص صفوفها ضد أنصار الكنيسة استعدادًا لجولاتها المقبلة، لتجهز عليها في أول فرصة سانحة، وإزاء هذه الحالة لم يكن بد للكنيسة القديمة من المقامرة الأخيرة، فشرعت تضمد جراحاتها، وتتأهب بدورها لمجابهة اليهود وأنصارهم. ولما أتمت استعدادها، أحدثت محاكم التفتيش وأصدرت قوائم التحريم، ثم أوعزت إلى فرق اليسوعيين (Les Jésuites) بأن تباشر هجومها المضاد الذي عرف في التاريخ باسم الإصلاح المعاكس (Contre Reforme) فوقعت في البلاد الأوربية أحداث عديدة وخاصة في فرنسا، فسالت الدماء الغزيرة، واستعمل المتخاصمون فيها أبشع الأساليب وأحطها، ودامت إلى أن اعتلى هنري الرابع العرش الفرنسي، فناصر الكنيسة على استعادة هيبتها وأرغم الكهنوت للاستكانة... وفرض على اليهود قيودًا شديدة، وشل بذلك حركاتهم المناوئة للكنيسة وبكلمة أوضح أعاد الحية اليهودية الرقطاء إلى حجرها.

ولما خلفه الملك لويس التاسع عشر على العرش ازدادت القيود المفروضة على

اليهود، ولكنهم صمدوا لها بفضل معاونة الماسون والجمعيات المناصرة لهم، وشاءت الأقدار أن يموت لويس الرابع عشر، ويخلفه ابنه لويس الخامس عشر الذي اشتهر باللامبالاة والاستهتار، فعاد اليهود مجددًا لنشاطهم السابق، وعندما اعتلى لويس السادس عشر العرش الفرنسي، تفاءل اليهود خيرًا لما كانوا يعرفونه من ضعف العاهل الجديد، فوسعوا نشاطهم أكثر من ذي قبل، وحرضوا الشعب على المطالبة بإعادة الحكم الدستوري الذي كان قد ألغاه الوزير السابق موبو (Maupeau) فكان لهم ما أرادوا وأعيد المجلس الوطني.

وقيدت تدريجيا سلطات الملك، فخرج الأمر من يده، وعمت البلاد الفوضى وضعفت شوكة الملكية فيها، بينما كان نفوذ اليهودي يزداد يومًا عن يوم، وتوسعت مطامعهم، فبدءوا يعملون للإطاحة بالملكية، ويدفعون الماسون وجمعيات الإنسانيين التي كانوا يمولونها، للعمل على تشويه سمعة الحكم وتحريض الناس على المطالبة بالمزيد من الحريات، فتفاقمت الأمور وتعددت الأحزاب والشيع المناوئة للملكية مثل جماعة المنورين (Les III minées) وجماعة الفضيلة (Vertueux) واتسعت الشقة بين الملك والشعب، وأيقن اليهود بأن الساعة المنتظرة منذ أمد بعيد، قد دنت، وحان زمن الانتقام من فرنسا، والإجهاز على الملكية والكنيسة وتصفية ما لهم من ثأر قديم عندهما. فهبوا مع أنصارهم لإشعال نار الثورة التي أطاحت بالملكية إلى الأبد.

الثورة الفرنسية أو فرية اليهود الكبرى

جاء اليهودي إلى فرنسا عام ١٧٨٠ ينشد عونها وحمايتها، وفي عهدي الثورة والإمبراطورية احتل كل ميدان فيهما وتوغل في كل مكان، ولما عادت الملكية استولى على أفخم قصورها وأبهائها، وفي عهد نابليون الثالث شارك الفرنسي فراش الزوجية، أما في ظل الجمهورية فشرع بطرده حتى من منزله ووطنه[١].

(من أقوال إدوارد درومونت مؤلف كتاب فرنسا اليهودية:

(«Edouard Drumont – Les France Juive»

منذ عام ١٧٨٩، والعالم ما زال مخدرًا بما سمعه وقرأه عن الثورة التي قامت في فرنسا، وسميت بالكبرى زورًا وبهتانًا وبالفرنسية باطلاً، ولكن ما حيلتنا، والعالم مبهور حتى اليوم بما سمعه عمَّن أسموا بأبطالها وما أضفى عليهم من آيات الإكبار والإعجاب، وما أحيطت به شعاراتها ومبادئها من التقديس والتكريم، حتى غدا أبطالها قدوة يقتدي بهم كل مَن يكرس نفسه للعمل في الميادين القومية والسياسية، وأصبحت شعاراتها رموزًا خالدة تدور في أفلاكها الحركات التحررية في هذه الدنيا.

فهل كانت هذه الثورة الفرنسية خالصة؟ وهل كانت الأيدي التي خططت لها فرنسية صادقة؟ وهل كانت أهدافها فعلاً تحررية؟ ومَن استفاد منها بعد كل الدماء التي أهرقها الشعب الفرنسي؟ وأخيرًا هل كانت أمينة على المصالح الفرنسية؟ حتى تستحق أن نسميها بالفرنسية؟

والأجوبة على هذه الأسئلة تكمن في طيات حوادث هذه الثورة، وما أسفرت عنها نتائجها، التي ظلت خافية على أكثر الناس. وبغية الإيضاح سنعمد فيما يلي إلى إلقاء الضوء عليها، لنكشف للقارئ الكريم ما غمض من أسرار هذه الثورة.

سبق وأسهبنا في شرح الحالة العامة التي كانت تسود أوربا في أواخر القرن الثامن عشر، وخاصة في فرنسا إذ كانت الأمور فيها تسير من سيء إلى أسوأ من جراء ضعف عاهلها، وازدياد انتشار الآراء والمبادئ المختلفة فيها، وتدهور حالتها الاقتصادية، وتعدد مذاهبها السياسية، على الأخص بعد أن تعمقت في أرضها جذور الماسونية

---

(1) Ed. Drumont. (La France juive) bage 157 – et p. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyres) page 308.

التي انتشرت مبادئها في كل بقعة من الأرض الفرنسية، بفضل المساعي التي بذلها محفل الأخوات التسع (Les Neuf Soeurs) الذي تأسس في عام ١٧٢١، والذي تفرع عن المحفل البريطاني الكبير الذي أسسه اليهود عام ١٧١٧، واختاروا العاهل البريطاني لرئاسته، ليستفيدوا من نفوذه الدولي ويسخروه لمصالحهم الخاصة(١).

فكان من البديهي أن يخضع المحفل الفرنسي للسيطرة اليهودية، طالما كان يخضع للمحفل البريطاني المحدث من قبل اليهود، وكان من أبرز أعضائه أمثال دولالاند (Delalande) وبنيامين فرنكلين (B. Franklin).

ولقد وافق اليهود في ضم خيرة البلاد الفرنسية أمثال فولتير (Voltaire) وسواه إلى هذا المحفل، فاشتد عوده وتقاطر عليه النبلاء والمثقفون ينضوون تحت لوائه، ولكي يصبح في حرز حريز، عمد اليهود إلى إسناد رئاسته للأمير لويس فيليب دورليان (Louis Philippe d,orleamt) وبذلك أصبح هذا المحفل قوى يرهب جانبها، ولا يجرؤ أحد على المس بأعضائه، عندها شرع اليهود بدفعه في الاتجاهات التي تحقق أغراضهم، فبدأ المحفل بنشر مبادئه المناوئة للكنيسة، وللحكم المطلق، وانتشر أعضائه في كل مكان يرددون على مسامع الناس ما تلقنوه من التعاليم الماسونية، ويحرضون الشعب على المطالبة بإعادة الدستور وإلغاء الحكم المطلق، وإطلاق الحريات العامة، وتقليص سيطرة الكنيسة، وإلغاء الضرائب الجمركية والسماح بحرية التجارة، والترخيص باقتناء العقارات، وكانت الجمعيات الأخرى كجمعية الإنسانيين تساند أيضًا الماسون، ويكتب أعضاؤها المقالات الطويلة في الصحف تحرض الشعب على تأييد مطالب الماسون.

وهكذا غرر اليهود وأنصارهم بالشعب الفرنسي، فانساق خلف أضاليلهم، وتوهم أنهم محروم فعلاً من الحرية والعدالة، بينما كان في الحقيقة يملك حريته أكثر من الشعوب الأوربية الأخرى، وخاصة بعد أن أُطلقت لأفراده الحرية الدينية (على أثر الحروب الدينية) ولكن إصرار الماسون والإنسانيين على إيهامه، بأنه مهضوم الحقوق، جعله ينجرف في تيار دعاياتهم، ويميل إلى مناصراتهم ويهب لإثارة الفوضى والشغب.

---

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyres) page 170.

وعندما أُيد الحكم الدستوري إلى البلاد وتفاقم الأمر، ازداد نشاط الماسون في تحريض الشعب، فانقاد إليهم دون وعي وإدراك، وقامت المظاهرات الصاخبة في أنحاء البلاد وتعددت أعمال الشغب والاعتداء على رجال الدولة والكنيسة، بينما كانت الدول غارقة في مباهجها وملذاتها، رغم أنها قد أخبرت عام ١٧٨١ من قبل رئيس دير ويلهامسباد (Wilhelmsbad) في فرانكفورت، بأن اليهود والماسون يعملون سرًا للإطاحة بها، كما أن الشرطة البافارية أبلغتها عام ١٧٨٥، بأنها اكتشفت في مقر المحفل الماسوني الذي كان يرأسه اليهودي ماندلسون (Mendelson) وثائق ومخططات سرية تشير إلى أن اليهود والماسون يسعون إلى قلب نظام الحكم في فرنسا، بغية السيطرة عليها، ومن ثم على أوربا بأكملها، ولكن الدولة الفرنسية أهملت هذه المعلومات وظلت سادرة في غفلتها، وكان الأمر لا يعنيها(١).

وهذا الإهمال شجَّع اليهود وشركائهم على التمادي في أعمالهم التخريبية، كما أدى إلى إرهاب المخلصين من الفرنسيين فوقفوا من الأحداث موقف المتفرج، ولم يجرؤ أحد على رفع صوته وتنبيه الشعب الذي تردى في المتاهات اليهودية، وسار خلفهم وكأنه قطيع غنم.

وزاد في الطين بلة انجراف بعض رجال الدين وطبقة النبلاء مع التيار وانتسابهم للماسونية، وللجمعيات التي كانت تساندهم ثم قيام البعض منهم، بتحريض الشعب على الكنيسة والدولة أسوة باليهود والماسون والمطالبة بأنصاف اليهود (أخوة المسيح) المضطهدين. وأمام هذا السيل الجارف من المعارضين، تخاذلت الدولة، فخرج الأمر من يدها، وتضاءلت هيبتها، فاندلعت الثورة وأطاحت بالملكية، واستعاضت عنها بحكومة ائتلافية، شُكِّلت من أعضاء الجمعية الوطنية التي كانت مكونة من خليط عجيب، وجُلُّهم من الماسون والمهودين والانتهازيين، الذين يعملون في خدمة اليهود، ولا هَمَّ لهم إلا إرضاء سادتهم والتسابق للتقرب منهم، بغية الحصول على أكبر قدر من المكاسب المادية المعنوية على حساب الشعب الفرنسي التعس.

ولقد اتخذ أعضاء الجمعية الوطنية قاعة مجلس النواب، منبرًا ليتباروا فيها في شتم الملكية والكنيسة، ويلصقوا بهما شتى أنواع المخازي والموبقات، بقصد كسب ود

(1) P. H. (Laouvelle bible peoples Martyres) bage 171.

اليهود الذين كانوا يسيرون آنذاك أمور الدولة والشعب معًا.

ولقد استغل اليهود الموقف المخزي لأعضاء الجمعية الوطنية أحسن استغلال، فكانوا يغدقون الوعود المعسولة على كل عضو منهم، ليدفعوه إلى التفاني في خدمتهم، وكان هؤلاء المرتزقة عند حسن ظن اليهود، فلم يدخر أحدهم وسْعًا في تحقيق أغراضهم، حتى أن الأمير فيليب رئيس المحفل الماسوني كان السباق في تقديم مشروع قانون حقوق الإنسان (الذي وضعه اليهود والماسون) وأصر على التصويت عليه وإقراره في أول جلسة للمجلس الوطني.

ولما عرض هذا المشروع على الجمعية الوطنية، هبّت الأكثرية الساحقة من أعضائها تدافع عنه، وفي مقدمتها ميرابو الشهير بخطيب الثورة، الذي أشاد بالمشروع وأثنى على واضعيه، ووصفه بأنه خير تشريع أو جده الإنسان منذ الخليقة.

ومن ثم تقدم النبيل الماسوني دوبور (Du Port) بمشروع قانون يقضي بإلغاء كافة القيود التي كانت مفروضة على اليهود ومنحهم جميع الحقوق المدنية والسياسية، فسارع كل من الائتلافي «روبيسبير» والماركيز المهود «لافاييت» والماسوني «مونيه» والراهب الكاثوليكي «سيس» والزعيم «تالليران» للدفاع عن المشروع الجديد، وأخيرًا الراهب الكاثوليكي «غريغوار» الذي أنهى دفاعه بقوله: أيها السادة، لا تعتقدوا بأنه يكفي اليهود أن تهبوهم حق الحياة، دون أن تمنحوهم الوسائل التي تجعلها محتملة بعد كل ما تحمله اليهود من ظلمكم في الماضي، وأرجو لا تورثوا أحفادكم أحقادكم السوداء التي حملتموها طويلاً ضد اليهود، أيها السادة كفى ما تحمله اليهود من مظالمكم، وآن لكم أن تكفروا عما ألحقتموه بهم من المآسي في الماضي، وأخيرًا أهيب بكم أن تعيدوا إليهم حقوقهم، وأن تعاملوهم بعد اليوم على أسس الإخاء والمساواة والعدالة.

ولم يكد الخطيب ينهي كلمته حتى كانت الجمعية قد أقرت المشروع، وأصبح اليهود يملكون جميع الحقوق الممنوحة للمواطنين الفرنسيين.

وعلى الأثر ظهر اليهود على مسرح الأحداث على حقيقتهم، ودون خوف ورهبة، وبادروا إلى استثمار الفرصة بأقصى السرعة فأغاروا على مناصب الدولة الحساسة يحشرون فيها أبناء قومهم، وفي زمن قياسي أصبحوا يقبضون على زمام

الأمور في أكثر أجهزة الدولة الإدارية والتشريعية والتنفيذية، وبذلك غدوا أصحاب الأمر والنهي في جميع أنحاء البلاد الفرنسية، ومن ثم شرعوا في بالاستيلاء على كنوز وتحف القصور والكنائس، فابتاعوا ما عُرِضَ عليهم بأبخس الأثمان واغتصبوا الباقي بمختلف الطرق والأساليب، وبعد أن انتهوا من هذه القضايا شعروا بقوتهم، فجاهروا بما كانوا يخفونه من مشاعر الحقد نحو الكنيسة والمسئولين الذين أحرقوا التلمود في الماضي، وقرروا فيما بينهم إرهاب الشعب الفرنسي، حتى لا يجسر أحد في المستقبل على مناوأتهم أو النيل منهم، والغريب أنهم كانوا يعلنون عن رغباتهم هذه، فلا يعترضهم أحد، ويسير الشعب في ركابهم، وكأنه مُخَدَّر لا يعي ولا يفقه ما يدور حوله، وينفذ ما يؤمر به دون تفكير أو مناقشة.

ولقد استغل اليهود هذا الغباء الذي سيطر علي الشعب الفرنسي، واستلموا زمام المبادهة في البلاد، وانتشروا في كل مكان يعملون دون هوادة لإرهاب الإفراد وإذلال الجماعات، والشعب ينفذ مآربهم. ويضرب الفئات المناوئة لليهود، ويحرق المدن المعادية لهم، ويهدم الكنائس والمعابد المسيحية ويقتل القسس والرهبان، ويدنس الشعائر الدينية، وكل ذلك نزولاً عند رغبة اليهود، وإرضاء لنزواتهم، وتحقيقا لأهدافهم الرامية للقضاء على المعتقدات المسيحية، والاستعاضة عنها بشعارات ربيبتهم الماسونية ذات الحدين، والتي كان اليهود والماسون آخر مَن يؤمن بها، ولكنهم نادوا بها لتحقيق أغراضهم الخاصة، وتظاهروا باعتناقها، لاستخدام حديها لتحقيق أهدافهم المتناقضة التي تستلزمها المصلحة اليهودية، أما الفرنسيون فاتخذوها بمدلولها العام الظاهر، فكانت الحرية التي سمعوا اليهود ينادون بها، تعني لديهم الحرية التي كافح الإنسان منذ أقدم العصور، وما زال يكافح لحصول عليها، والتي كانوا يعتبرونها حقًا مكتسبًا لكل إنسان، بينما كان اليهود والماسون ينادون بها للتغرير بالفرنسيين، ليساعدوهم على استرداد حريتهم التي كانت الكنيسة قد قيدتها، على أثر الجرائم التي ارتكبوها بحقها وحق الشعوب التابعة لمذهبها، وكان الفرنسي يفهم من المطالبة بالأُخُوة إيجاد التعاون والتفاهم بين مختلف طبقات الأمة، والقضاء على الامتيازات الخاصة، أما اليهود فكانوا يرمون من المناداة بها جر الفرنسيين إلى المطالبة بإزالة الفوارق التي كانت تقيد اليهود وتعتبرهم على حقيقتهم أغرابًا عن المجتمع الفرنسي.

كما كان الفرنسي يقصد من مجاورة اليهود في المطالبة بالمساواة تحقيق التساوي بين أفراد الأمة في الحقوق والوجبات، وإزالة الفوارق الطبقية، واحترام تكافؤ الفرص. في الوقت الذي قصد اليهود منها، استعادة حقوقهم السياسية والمدنية عن طريق تحريض الشعب إلى المطالبة بتحقيقها ضمن مفهومها العام، حتى لا يلفتوا الأنظار، إلى مآربهم الخفية التي كانت ترمي إلى الإطاحة بالملكية والطبقة الحاكمة، واحتلال مراكزها في الحكم وإدارة البلاد بفضل مساعدة الشعب، ومن ثم إخضاعه بدوره قبل أن يستيقظ من سباته العميق الذي غرق فيه المخدر الماسوني الذي حقن به.

والحق أن اليهود نجحوا في تنفيذ مخططهم على أكمل وجه، واستغفلوا الشعب الفرنسي الطيب، وجروه إلى حيث أرادوا، دون أن ينتبه لأغراضهم وألقموه شعاراتهم المزيفة (التي تسفهها بروتوكولاتهم صراحة، وتنفي جدواها وتسميها بطعوم البلهاء والأغبياء) فتبناها ودافع عنها وضحى في سبيلها بما كان يملكه من الحرية النسبية والمثل العليا، ورضي أن يسير في ركاب مَن أطلقوها معتقدًا بنبل أقوالهم وأهدافهم، يقتل ويذبح ويدمر ويحرق، وهو فخور بما يعمل، ولا هَمَّ له إلا تنفيذ ما يؤمر به.

وهكذا أصبح عبدًا مسخرًا في عقر داره، لا يملك من أمره شيئًا إلا طاعة العمياء، أما النتائج التي حصل عليها، والمكاسب التي حققها من ثورته هذه، فإننا نترك أمر تقديرها للقارئ الكريم، الذي نعرض عليه فيما يلي تفاصيل الأحداث ونتائجها، ليتبين بعد مطالعتها، مدى المكاسب التي جناها الفرنسيون من المذبحة الهائلة التي أسموها بالثورة.

بعد قيام حكومة الثورة واستتباب الأمر لها وتوغل اليهود في أجهزتها، عمد بعض ثوار مدينة باريس إلى مطالبة الحكومة بالحد من مغالاة اليهود في احتكار الوظائف والمكاسب، فسارع اليهود إلى إثارة الشغب في المدينة؛ ليقطعوا الطريق على أخصامهم، فقامت فيها المظاهرات الصاخبة، وبادر النائب اليهودي «رونيول دوسان جان دانجلي» (Regnaul De Saint Jean D,Angly) الذي لُقِّبَ من قبل كافة مؤرخي التاريخ بحامي إسرائيل، إلى طلب استعمال الشدة في قمع المظاهرات، واقترح أن يكلف اليهودي هربر (Herbert) بقيادة حملة التأديب هذه، فوافقت الحكومة على

مقترحاته، وعين هربر لهذه المهمة، فكان عند حسن ظن ابن قومه «رونيـول»، فـبطش بالناس دون تمييز، وأهدر الدماء دون حساب، واكتسب بحق لقب بطل هـذه المذبحـة، التي اشتهرت في التاريخ باسم مذابح أيلول، كما أثبـت أنـه خـدين ابـن شـعبه مـارا (Marat) الذي لقب بجلاد الشعب.

ويقول «هيبس» عن مارا هذا[1]: إنه يهودي أصيل وابن طبيب يهـودي معـروف من مواطني ساردينيا، استوطن مدينة بوندي (Bondy) وأقام فيهـا تحـت اسـم مـارا، اعتنق في شبابه الكاثوليكية ومن ثم أصبح بروتستانيا، وتـزوج مـن يهوديـة سويـسرية كانت تدعي كابول Caboule فولدت لـه مـارا الـصغير الـذي لُقِّـبَ فيمـا بعـد بجـلاد الشعب، والذي اغتالته شارلوت كورداي (Charlotte Cordaye) عـام ١٧٩٣ انتقامًـا للجرائم والفظائع التي ارتكبها بحق الشعب الفرنسي.

وعلى أثر المذابح التي حققها «هربر» استكان أهل باريس، وأصـبحوا لا يجـرءون على رفع أصواتهم، فثابر اليهود على اقتراف جرائمهم في جو من الأمن والاطمئنان، ثم حاولوا الاستيلاء على رئاسـة الجمعيـة الوطنيـة، ورشـحوا لهـا النائـب اليهـودي كراديس (Cradis) ولكن شهرته في تطرفـه العنـصري، حالـت دون مبتغـاهم، رغـم الجهود والأموال التي بـذلها الأخـوان «سـيرف وإسـحاق بـاعر Cerf et Isac Beer) اللذان كُلِّفَا بالدعاية لكراديس.

فاغتاظ اليهود من موقف الشعب الفرنسي حيال كـرادس، وصـمموا علـى الثـأر منه، فوقع اختيارهم على الطفل المعتقل لـويس الـسابع عـشر (ولى العهـد) لينتقمـوا بشخصه من الفرنسيين، وأوعزوا إلى سجانه اليهودي سيمون، بأن لا يدخر وسـعًا في إهانة سجينه علنًا، فبادر سيمون إلى استنباط الإهانات، واستهلها بأن منع المعتقل مـن ارتداء ملابس الحداد بمناسبة إعـدام والـده وإمعانـا في إذلالـه، أرغمـه علـى ارتـداء ملابس المهجرين واعتمار طرطور أحمر ليضحك منـه النـاس، ومـن ثـم عـوَّده علـى تعاطي الخمرة بكثرة ليظل مخمورًا لا يعني ما يقول وما يفعل، عنـدما قـدمت والدتـه للمحاكمة لقنه بحقها شهادة شائنة، وأرغمـه علـى الإدلاء بهـا أمـام محكمـة الثـورة، وأخيرًا أجبره على ارتداء ملابس الحداد بمناسـبة مقتـل اليهـودي مـارا، الـذي أعـدم

(1) P. Hepess (La nouvele Bible des peoples Martyres) page 171.

والديه، وسبب قتل مئات الألوف من بني قومه، حتى يظهره أمام الشعب وكأنه حزينًا على موت جلاد والديه، وكان يقصد أن يراه الناس كلما أنزل به إحدى إهاناته ليجعله محل تندر العامة(١).

وهكذا انتقم اليهود لكراديس من الفرنسيين، ووجهوا سيلاً من الإهانات العلنية لولي عهدهم وسليل بناة مجدهم الأثيل، بينما وقف الشعب الفرنسي مشدوها، لا يحرك ساكنًا، مثلما وقف في مستهل الثورة، عندما شاهد اليهود يعلنون الأفراح ويقيمون صلوات الشكر لاندلاعها، ويجاهرون بكونها ثورتهم الخاصة، وينشدون ترانيم الأنشائيم اليهودية (Enshaim) على نغمات المارسيليز (Marseillaise) النشيد القومي الفرنسي المعروف إثباتًا ليهودية الثورة.

وهذه المسكنة التي حلّت بالشعب الفرنسي، أطمعت اليهود، ودفعتهم إلى التمادي في استثمار ظروف الثورة لتحقيق مصالحهم لأقصى حد ممكن، فحرضوا المجلس الوطني على إصدار قوانين اقتصادية ومالية جديدة تناسبهم دون الناس(٢)، وتسهل لهم أمر امتلاك أطيان الأثرياء المغضوب عليهم، ولما صدرت تلك القوانين، انهالوا على ممتلكات الكنيسة والعائلة المالكة والنبلاء، وكل من أعدم، أو اعتقل من قبل الثورة، يبتاعونها بأبخس الأثمان مرة، وأخرى يستولون علها، بشتى أساليب الغش والخداع ولتحقيق هذا الغرض الأخير شكلوا شبكات تجسس والاتهام، وكانت تعمل بزعم خدمة الثورة للإيقاع بأعداء اليهود، ومَن يمتنع عن بيع أملاكه لهم، فراح أفراد هذه الشبكات يكيلون للناس التهم الملفقة، فتقدم السلطات على اعتقال مَن وشي بهم، دون تحقيق وتدقيق، ثم تحجز أملاكهم وتعرضها للبيع، فينقض عليها اليهود ويبتاعونها بأثمان رمزية، وبهذا الأسلوب تمكن اليهود من تشديد الفرنسيين من أكثر ممتلكاتهم، وأصبحوا في برهة وجيزة أغنى أهل البلاد بعد أن كانوا لا يملكون فيها شبرًا واحدًا من الأرض.

ولقد اشتهر من بين ملفقي التهم في عهد الثورة، اليهودي زاكيد هورفيتز (Zakid Haurwitz) الذي أرسل بمفرده أكثر من مائتي كاهن قس إلى المقصلة بموجب تهم ملفقة.

---

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyres) Page 172.
(2) Leon Daudet (Lys Sanglants) page 127.

وفي هذا الصدد يحدثنا القس ليمان (Abbe Lemann) في كتابه المسمي (السيطرة اليهودية) (La Preponderance Juive) قول: بعد أن تسلح اليهود بقانون حقوق الإنسان، انقضوا كخفافيش الظلام على خلايا الشهد التي عملت الأجيال الفرنسية العديدة على إملائها يمتصون رحيقها دون رحمة أو شفقة، بينما كانوا يكيلون لأصحابها أقذر الشتائم والسباب، مثل التي وجهها اليهودي لامبير (Alexandre Lambert) إلى الشعب الفرنسي، في خطابه الذي ألقاه في المحفل المسمى بمعبد الحقيقة (Temble de la varite) قال فيه: إن كل الأديان عدا الدين العبراني، هي ديانات مخادعه ومعيبة، ومهينة للقيم الإنسانية، ومذلة للرب نفسه، ولقد ألقيت هذه الشتائم المهينة للشعب الفرنسي علنًا في أكبر قاعات العاصمة الفرنسية، ووجهت للشعب الفرنسي بحضور مئات الألوف من أبنائه، وتحت سمع بصر حكومته، ومع هذا لم يجسر أحد على الرد عليه، أو طلب معاقبة شتام الأمة بأسرها.

وهكذا أهينت فرنسا ولم يجرؤ أحد للدفاع عنها خشية بطش اليهودي الدخيل الذي أصبح سيدها. والجدير بالذكر، في موضوع الثورة الفرنسية، هو توافق مراحلها وشعاراتها ونتائجها وكل أحداثها مع نصوص البرتوكولات الصهيونية (Les brotocoles des sages de sion) التي تعتبر المنهاج السياسي لليهودية العالمية، والذي ظهر للوجود لأول مرة في أواخر القرن التاسع عشر. وذهب أكثر النقاد إلى الظن بأنه من المبتكرات اليهودية للقرن الذي ظهر فيه، مع العلم أن تاريخ كتابة ما يحويه ظل مجهولاً حتى اليوم. وكل ما يعرف عنه، أن أحد أقطاب الصهيونية كان يحاضر في زملائه بما يحويه هذا المنهاج، في المؤتمرات التي كانوا يعقدونها في مختلف المدن الأوربية. ومن هنا يخيل إليّ أن هذه البروتوكولات أو هذا المنهاج، هو أقدم مما ظنه الناس، ولربما كان من المبتكرات اليهودية في القرن الثامن عشر، وإلا لما كان هذا التوافق الملفت للأنظار بين نصوصه وسير الأحداث في الثورة الفرنسية؛ لأن أكثر فقراته تشير صراحة إلى أن ما يحويه كان من القضايا المقررة قبل الثورة. وللتدليل على صحة نظريتنا هذه، ونذكر فيما يلي نص الفقرة الواردة في صحيفته الثامنة والثلاثين حرفيًا: «عندما أطلقنا هذه الشعارات (الحرية والمساواة والأُخُوة) لأول مرة في التاريخ، أحاطت بنا زمرة من الببغاوات العجماء، وتلقفتها من أفواهنا، واتخذتها

شعارات مقدسة لنفسها، دون أن تدرك هدفنا من إطلاقها».

ومن ثم راحت ترددها دون هوادة، حتى حرمت العالم استقراره، وأفقدت الناس حرياتهم التي دافعوا عنها طويلاً، وحموها من عبث الطغاة والأوباش، والغريب هو أن الببغاوات التي تدعي الذكاء والفطنة، لم تنتبه إلى ما يحيط هذه الشعارات من الغموض، ولما تحويه كل منها من المغزى المناقض لمغزى الشعارات الأخرى، كما أنها لم تدرك ما في بعضها من المخالفة لقوانين الطبيعة. فلو أنها كانت على شيء من الفطنة، لأدركت أن التساوي مفقود حتى في عزف الطبيعة الخلاقة ذاتها التي صنعت كل مخلوقاتها دون أن تخضعها للتساوي فيما بينها، فهي مثلاً لم تجعل البشر متساوين في الذكاء والقوة، أو المظهر والقدرة البدنية، أو الطول والعرض كما أنها لم تخلق الحيوانات الأخرى إلا بنفس الطريقة، حتى كادت المساواة تعتبر من المظاهر الشاذة والخارجة على الطبيعة، فكيف يمكنها إذن أن توجد بين البشر؟ ومن ثم فات هؤلاء الأغبياء أن الجماهير ليست سوى كتل عمياء، لا تفقه من أمور السياسة والحكم إلا ما تسمعه، وهي لا يمكنها أن تمارس الحكم بجدارة؛ لأنها لم تهيأ له، وأن أي فرد ممن أُهلوا لامتهان السياسة والحكم وقيادة الشعوب، ويظل أقدر على ممارسة الحكم من عباقرة الجماهير، وهذه الحقائق الراهنة التبست على ببغاواتنا الجاهلة، فأخذت ما تلقنتها من الشعارات مأخذ الجد، وتطوعت لخدمتنا دون تبصر وإدراك.

ومن فحوى هذه الفقرة، يتضح بجلاء أن المنهاج اليهودي هو أقدم مما ظنه الناس، وإلا لما كان هذا الانسجام الغريب بين فحوى هذه الفقرة، وما حدث في الثورة الفرنسية، ومن ثم لما قالت الفقرة بأننا عندما أطلقنا... إلخ.

ومن هنا يظهر أن المنهاج كان موجودًا قبل الثورة الفرنسية، وطبق لأول مرة لتحقيقها؛ إذ أن مراحلها تتفق تمامًا مع ما جاء في هذه الفقرات والفقرات التي تليها في مجمل المنهاج.

وبغية الإيضاح نقول: إن اليهود خططوا لهذه الثورة، منذ أمد بعيد وسخروا الماسون وأفراد الجمعيات التي كانت في خدمتهم، لتنفيذ مراحل مخططها، وفي مقدمتها، إطلاق الشعارات المزيفة التي ترمز إليها، فلما سمعها الشعب اعتقد بإخلاص المنادين بها، فناصرهم حتى النهاية، وانهار الحكم المطلق في البلاد، وأصبح

الأمر والنهي بين أيدي غلاة المتطرفين، الذين كانت تنقصهم المؤهلات اللازمة لممارسة الحكم، فكان من البديهي أن يقعوا فريسة سهلة في أحابيل اليهود الذين احتاطوا مسبقًا، لكل عقبة قد تعترض طريقهم ولما أيقنوا من خلو الميدان ممن يخشى جانبه، انطلقوا مثلما روينا على سجيتهم وسيطروا على القمة والقاعدة معًا.

أما تبعة هذه الكارثة التي أنزلها اليهود في فرنسا، فتقع كليًّا، على عاتق عاهلها الضعيف لويس السادس عشر الذي تقاعس عن واجباته، ولم يهتم بشئون شعبه، ويليه في تحمل المسئولية طبقة المثقفين، التي ظلت تخضع لليهود حتى بعد أن تبين لها سوء نياتهم نحو الشعب الفرنسي، وإذا أضفنا إلى هذا ما كانت تعرفه الدولة الفرنسية والطبقة المثقفة التي ساندت اليهود في إشعال نار الثورة عما كان اليهود يبيتونه لبلادهم، لتبين لنا مدى ما يقع على عاتق الملك والطبقة المثقفة من فداحة المسئولية.

ويبدو أن الحكومة البريطانية كانت عالمة أيضًا بما كان اليهود يسعون إليه في فرنسا، بدليل أن التقارير المفصلة المحفوظة في ملفات دوائر مخابرتها عن تلك الحقبة من الزمن، تحت اسم الوثائق السرية للجمعيات الخفية (Secret Societies and Subversive Mouvememt) تشير بوضوح إلى نوعية هذه المساعي، والظاهر أن الدولة البريطانية تجاهلت معرفتها لهذه المعلومات، وأمسكت عن نشرها في حينها، خشية الاصطدام باليهود، وخاصة المحفل الماسوني الذي كان يرأسه العاهل البريطاني بالذات، والذي كان أكثر النبلاء ينتسبون إليه، أي أن الملك والنبلاء كانوا يحالفون اليهود باعتبارهم سادة المحفل الذي ينتسبون إليه، ويمنعون الدولة عن فضح أسرارهم المشتركة مع اليهود، ويعزوا النقاد سبب خضوع مثقفي فرنسا لإدارة اليهود إلى أنهم كانوا، من الانتهازيين المرتزقة الذين لا يبالون إلا بمصالحهم الخاصة؛ ولذا أطلقوا يد اليهود في بلادهم مقابل منافع شخصية دنيئة حصلوا عليها منهم.

أما اليهود فلا ينكرون مسئوليتهم في إشعال نار الثورة، ويعترفون صراحة بأنها من مبتكراتهم، ويتبجحون بالتخطيط لها وإخراجها بالشكل الذي أرادوه، والأدلة على ذلك هي أكثر من أن تحصي، وعلى سبيل المثال نذكر أن اليهود صرحوا في مؤتمرهم الذي عقدوه في بروكسل عام ١٩١٠ بأن الثورة الفرنسية قامت على أكتافهم، وأن حلفاؤهم الماسون عملوا لتثبيت أقدامهم في الأرض الفرنسية، كما

أعلن اليهود في هذا المؤتمر بأن الماسونية ليست سوى مؤسسة يهودية وضعت قواعدها ومبادئها في المعابد اليهودية، وهي دائمًا وأبدًا في ركابهم.

ومن هنا يتضح أن اليهود كانوا خلف كل أحداث الثورة، أما الجرائم التي ارتكبوها لحسابهم الخاص فهي تفوق هولاً حد التصور، إذ أنهم لم يشفقوا حتى على مَن كانوا يومًا من حلفائهم، مثل الأميرة لامبال (Lambale) التي غرروا بها يوم كانت في أوج عزها، وأسندوا لها رئاسة محفل الأخوات التسع الماسوني، وبعد أن ناصرتهم عدة أعوام، اتضح لها خطأ مسلكها، فتركت المحفل والتجأت إلى أحد الأديرة تستغفر فيها ربها على ما قدمته من الخدمات، فحقد اليهود عليها، ولما قامت الثورة بادروا إلى اعتقالها، ومن ثم قادوها في ١٦ تشرين سنة ١٧٩٣ إلى المقصلة داخل عربة نقل قذرة. فقطع رأسها الجميل جزاء تخليها عن رفاق الشر والسوء.

وليت الحقد اليهودي الأسود وقف عند هذا الحد، فمع كل أسف شمل كل أنحاء الأرض الفرنسية، فكانت فرق التفتيش عن الجثث، والتي شكلها اليهود تجوب الشوارع للبحث عن جثث أعداء اليهود، وحين تعثر على جثة أحد هؤلاء يعمد أفرادها إلى اقتلاع قلب الميت من صدره وأمعائه من بطنه، فيأكلون القلب ويتقلدون بالأمعاء تشفيًا وانتقامًا من الميت، وكم من مرة شاهد أهل باريس أفراد هذه الفرق الذين كان أكثرهم من اليهود، يهينون الموتى، ويركلونهم بأقدامهم، ويجلسون بينهم ليعاقروا الخمرة، ويجامعوا النساء العاهرات، وكأن ما يعملونه هو مدار فخر لهم واعتزاز[(١)].

والمذابح الجماعية التي افتعلها اليهود فحدث عنها ولا حرج، وعلى سبيل المثال يذكر لنا السيد جان بليبر (Jean Pleyber) أحد معاصري الثورة، أنه على أثر فشل الاتحاديين عام ١٧٩٣، قررت حكومة الثورة الائتلافية (Convention) تأديب مدينتي ليون وطولون، فأوفدت كلا من كوتون (Couthon) ودوبوا كرانسيه (Dubois Crance) على رأس الحملة، لتأديب أخصامها في المدينتين المذكورتين، ويبدوا أن الإجراءات التي اتخذاها لم ترض اليهود، بالرغم من أنهما أعدما في غضون أسبوع واحد أكثر من ثلاثين وجيهًا فعزلا، وأرسل بدلاً عنهما اليهوديان فوشه (Fouche)

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 174 – 175.

وكولو ديربوا (Collot d.Herbois) اللذان عُرِفَا بالوحشية والغلظة.

وبمجرد وصولهما إلى المقاطعة، أمر فوشه باحتلال الكنائس والمعابد وسلب ما كان فيها من الأموال والتحف، وتحويلها إلى مواخير واسطبلات، ثم تدنيسها وتدمير ما كان فيها من صلبان وشعارات دينية، ومن ثم أمر بأن يؤتى بحمار ويلبس لباس الكهنوت، وبعد أن نفذت أوامره علق في رقبة الحمار مجموعة من الأناجيل وربط بذيله صورة المسيح. وطوفه في شوارع المدينة، ولما وصل الحمار إلى ميدان تيرو (Terreaux) حيث تجمع الأهلون، سقاه أمامهم بالكأس المقدس -ومن ثم أحرق الأناجيل وصورة المسيح في الميدان المذكور- وألقى خطابًا ندد فيه بالمسيح والمسيحية بأقذر الألفاظ وأحقرها.

وبعد يومين، أي في ٤ كانون الأول عام١٧٩٣، ساق أربعة وستين معتقلاً إلى ساحة الإعدام، وإعدامهم رميًا بالرصاص، ومن ثم أمر جنوده بأن يجهزوا عليهم بالسيوف، فقطعت رءوس الضحايا وعلقت في واجهات الكنائس ونواصي الشوارع، وفي اليوم الثاني نفذ حكم الإعدام بمائتين آخرين بنفس الصورة هذا عدا من قتل من الأهلين أثناء عمليات التحري والتفتيش[1]، ومن ثم أمر بهدم المدينة، وجعلها قاعًا صفصفًا، وأطلق عليها اسم المدينة المحررة (La Ville affranchie) بعد أن كانت تدعي بليون، ومن ثم رفع تقريرًا بمنجزاته هذه إلى الجمعية العمومية، جاء فيه أنه كان يشعر بلذة وسعادة مفرطة حينما كان يقوم بهذه الأعمال التي خصته الجمعية الوطنية بشرف تنفيذها.

والظاهر أن شهوة سفك الدماء طغت حتى على مشاعر جنود الثورة، بدليل أن تحاريرهم التي وجهوها لذويهم وأصدقائهم، والتي عثر عليها فيما بعد، تشير إلى مدى تفاخر كتابها، بما ارتكبوه من الفظائع والجرائم، ولقد جاء في واحد منها: «لم يبق في أزقة مدينة شوان (Chouan) التي اجتحناها إلا جثث النساء العاريات اللواتي قتلن بعد الاعتداء عليهن». وفي كتاب آخر قال كاتبه: «كم كنتُ أتمنى أن تشاهد الجزاء العادل الذي أنزلناه في ألوف من هؤلاء المجرمين».

وهذه المذابح التي قادها اليهود وعمت فرنسا بأكملها، لم تنج منها مدينة واحدة،

(1) p. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 176.

وتذكر المصادر المعاصرة للثورة عن فظائعها ما يشيب لهولها الأطفال، وتروي أن اليهودي «فريرون» الذي كان مكلفًا بإدارة مدينة طولون أفنى من سكانها عشرات الألوف حتى هبط تعدادهم من ثلاثين ألف نسمة إلى سبعة آلاف فقط، ومن ثم أمر بتدميرها، وجعلها قاعًا صفصفًا.

ويروى أن حكومة الثورة أمرت بإبادة جميع سكان مدينة مانس (Mans) دون سبب وجيه، ثم راحت تتبجح بفعلتها هذه دون حياء أو خجل.

وفي مدينة أنجه أقدم أحد المحققين اليهود على إعدام تسعين وجيهًا من غير أن يستجوب أحدًا منهم ودون أي مبرر. كما قامت الفرق اليهودية في مدينة رين (Rhinnes) بقتل المئات من الأبرياء، واعتدى أفرادها على مئات النساء، وبقروا بطون الحبالى منهن بحجة اشتراكهن في المظاهرات المعادية للثورة.

والغريب في أمر هذه المذابح الرهيبة هو أن أكثر أبطالها، وخاصة من برز منهم كانوا من اليهود والماسون. ويبدو أنهم كانوا يرتكبون فظائعهم بناءً على منهاج معين أرادوا من تطبيقه إرهاب الشعب الفرنسي، وإخضاعه لمشيئتهم وبغية تحقيق هذا الغرض، بز القادة اليهود أترابهم في استنباط أساليب الإرهاب والتعذيب، وبرزت فئة منهم في هذا المضمار حتى بلغت الذروة، وكان اليهودي فيليكس (رئيس لجنة الثورة لمدينتي لامين وأنجو) (La Maine et Anjou) من أشهر أفرادها، ويحكى عنه، أنه كان يرسل ضحاياه إلى ساحات الموت، دون أن يكلف نفسه مشقة التحقيق معهم، ويكتفي بأن يشير بحرف (F) إلى أسماء من يروم إعدامهم رميًا بالرصاص، وبحرف(G) إلى أسماء من يروم قتلهم بواسطة المقصلة، ولتبرير تعسفه هذا، كان يقول: إن إجراءات التحقيق هي مضيعة للوقت.

أما اليهودي كارير (Carrier) حاكم مدينة نانت، فكان يقتل ضحاياه، بإلقائهم في قاع نهر اللوار، بعد أن ثقل أقدامهم بالحجارة لتحول دون أن تعوم جثثهم.

وتعزو المصادر الرسمية إليه قتل ستة آلاف نسمة بهذه الطريقة، وتضيف أنه لما لاحظ عجز نهر اللوار عن استيعاب جميع ضحاياه، صار يخيرهم بين الموت رميًا بالرصاص، أو إعدامًا بالمقصلة، وعندما فرغ من مجازره، رفع تقريره إلى المسئولين، واختتمه بالإشادة بنهر اللوار، وقال عنه: «ياله من نهر ثوري عظيم». إشارة للعدد

الهائل من الضحايا التي أُلقيت فيه.

وامتاز اليهودي فاسترمان (رئيس لجنة حماية الثورة في منطقة سافوناي) بتطبيق قانون الحرام اليهودي (Harem) القاضي بإفناء حتى الماشية، ويذكر عنه أنه قتل جميع سكان المنطقة وأفنى ماشيتها، ومن ثم رفع تقريرًا إلى لجنة السلامة العامة قال فيه: «تنفيذًا لتعليماتكم، لقد حطمنا جماجم جميع أطفال المنطقة تحت سنابك خيلنا، وقتلنا رجالها ونساءها جميعًا، ولم يبق فيها أحد يمكنه أن ينجب في المستقبل مَن ينزع لمناوأة الثورة، حتى أفنينا الأسرى، الذين استسلموا من العصاة عن بكرة أبيهم، ولقد أصبحت الأزقة والشوارع تضيق بجثث الموتى، وسدت مفارق الطرق بأكوام الجماجم التي جمعت على شكل أهرامات ضخمة، فلتطمئن لجنتكم الموقرة، ولتكن على ثقة بأنني لم أترك في المنطقة ما يسبب لي تأنيب الضمير أو الندم في المستقبل».

وفي منطقة فانده (Vendee) حدثت مذابح مروعة، كان بطلها الماسوني مارلين الذي كان يفخر بما ارتكبه من الوحشية المفرطة ويقول: «لقد قضينا على سكان المنطقة، حتى غدت وكأنها كومة من الرماد مبللة بالدماء، ومع هذا أوفد المجلس الوطني إليها الجنرال اليهودي «تورو» ليعيد تطهيرها؛ لأن اليهود زعموا أنها ظلت موبوءة بأعداء الثورة».

ومن غرائب أحداث هذه الثورة، هو جنوح قادتها اليهود وأنصارهم إلى الاستهتار المشين بالقيم الأخلاقية والإنسانية في معاملتهم لسكان المدن والدساكر التي كلفوا بإدارة شئونها، وخاصة الذين يعتقلونهم؛ إذ كانوا يعمدون إلى إهانتهم وتعذيبهم قبل الإجهاز عليهم.

ويحدثنا السيد هيبس في هذا الصدد ويقول: «إن اليهودي كومير آمر حامية إيزني وباللو استنبط طريقة شاذة لاختبار مقدرة جنوده وأسلحتهم للقتال، وهي أنه كان ينتزع أطفال المنطقة من ذويهم، ليتخذ من رقابهم أهدافًا (بدلاً عن دمى التمرين المعتادة) لسيوف جنوده».

ويحكى أن الماسوني بريبور كانيتسلى في مدينة شوان (Chouans) بقتل السكان بالجملة، ويرفض شكوى ضحاياه مهما كانت الشكاية وجيهة.

ولقد اشتهر اليهودي آمي (Amey) ممثل الثورة في مدينتي مونتورناي وأبيس

بإقدامه على إعدام النساء والأطفال حرقًا في أفران المدينة وفي رابعة النهار، بزعم تسلية جنوده بهذه المشاهد المفجعة.

أما الماسوني سان جوست (Saint Juste) آمر حاميتي أنجه وكلاسون (Angee et Classon) فلم تعجبه هذه الأساليب البسيطة في الثأر من المواطنين، فابتدع طريقة سلخ جلود ضحاياه من النساء، ومرن جنوده عليها، ولما سئم منها، استبدلها بإذابة جثث ضحاياه من النساء في قدور خاصة ليستخرج منها الشحوم، ويذكر هيبس عنه أنه ملأ عدة براميل من هذه الشحوم الآدمية وأرسلها إلى المجلس الوطني ليبرهن عن عبقريته، وتفانيه في خدمة هذه الثورة التي قيل: إنها كانت فرنسية.

وهذه الجرائم المروعة التي روينا تفاصيلها فيما سبق، لا تعادل في الحقيقة إلا جزءًا يسيرًا جدًا من الجرائم والمذابح التي ارتكبها اليهود في مستهل الثورة الفرنسية، إذ أن المصادر المعاصرة لها تزخر بمئات القصص التي تروي ما اقترفه اليهود من الفظائع في فرنسا، ويكفي أن نعلم أن عدد الذين قتلوا على أيدي اليهود في مدينة باريس وحدها، وفي غضون يوم واحد بلغ الألف قتيل، ولأخذ فكرة صحيحة عما وصل إليه الحقد اليهودي في فرنسا، ومدى تفاخرهم بما قاموا به إبان هذه الثورة، يكفي بالقارئ أن يزور حاليًا أحد قصور أغنياء اليهود في باريس، ليشاهد فيه اللوحات الزيتية التي تمثل ما فعله اليهود من المجازر الرهيبة، ويسمع أصحابها، وهم يتحدثون عنها وعما ترمز إليه كل واحدة منها، وعمَّن رسمها، أحاديث تفاخر واعتزاز، المشبعة بروح التشفي والانتقام؛ ليتضح له مدى علاقة اليهود بهذه الثورة وما اكتسبوه من إشعال نيرانها.

وعند التحري عن أسباب هذه الوحشية المشبوبة[١] بروح الحقد التي أظهرها اليهود إبان الثورة لا يسع المرء إلا أن يعزوها إلى غرضين: الثأر من الكنيسة وأتباعها، وإرهاب الشعب الفرنسي حتى لا يجسر في المستقبل على التفكير بمناهضة سادته الجدد، وعرقلة مشاريعهم، التي كانت ترمي إلى السيطرة التامة على مقدرات الشعب الفرنسي المالية والفكرية، ومن ثم تسخيره لتحقيق أغراضهم العديدة في البلاد الأوربية الأخرى.

---

(١) المشبوبة: الموقودة. (دار البشير).

والواقع هو أن اليهود نجحوا منذ فجر الثورة في تحقيق أغراضهم إلى أبعد حد، وغدوا سادة فرنسا بكل معنى الكلمة، وحافظوا على هذه السيادة، رغم المحاولات العديدة التي قام بها بعض الساسة والحكام الفرنسيين للإطاحة بسيطرتهم.

والظاهر أن نابليون بونابرت كان أول مَن تصدى لليهود، فعندما استلم مقاليد الحكم في بلاده، راعه ما لمس فيها من نفوذهم، فبادر في ٣٠ نيسان ١٨٠٦ إلى الاجتماع بوزراء حكومته، وبحث معهم موضوع السيطرة اليهودية، ومن ثم وقف يخطب فيهم وقال: «ليس بوسع الحكومة الفرنسية السكوت بعد الآن عن استهتار اليهود بوجودها، ولن تسمح لهم أن يثابروا على اقتراف جرائمهم القذرة بحق شعبها، ولن ترضى بعد اليوم أن يظل نفوذهم مخيمًا على أجمل مقاطعاتها (الألزاس) المتاخمة للحدود الشرقية، أيها السادة إن الوضع الحالي لهذا الشعب الحقير في بلادنا، هو وضع دولة ضمن دولة، يعمل ما يرغب ويشاء؛ ولذا أرى أن تسارع الدولة إلى تجريده من ملكية هذه المقاطعة الغالية، ومنع مرابيه من تعاطي مهنة ارتهان الأراضي. هذه المهنة الرهيبة التي مكنته من الاستيلاء على أكثر الأملاك الفرنسية. أيها السادة، إن هناك قرى عديدة أُخليت من سكانها، وسلمها القضاء إلى اليهود مقابل دريهمات قليلة، كان أصحابها الفلاحون قد استدانوها منهم بفوائد خيالية، ولما عجزوا عن سدادها في وقتها المحدد، قاضاهم اليهود وسلخوا عنهم أملاكهم، ومن ثم طردوهم من أرض آبائهم وأجدادهم، فهل يعقل أن تسكت الحكومة عن هذا الاحتيال القذر؟ وهل ترضون أن يترك حبل الخداع اليهودي على غاربه حتى اليوم الذي لن يبقى فيه إفرنسي واحد في الوطن الفرنسي؟ أيها السادة، ألا تشعرون معي بهذا الخطر؟ ألا يضيركم أن تظل مفاتيح الألزاس وستراظبورغ في أيدي هذا الشعب المؤلف من الخونة والجواسيس الذين لا صلة لهم بهذا البلد. ولهذه الأسباب، وضنًا بسلامة أمتنا أطلب إليكم أن توافقوني على اقتلاع جذور هذا الشعب اللئيم من أرض وطننا المفدى».

ولكن مع كل أسف ما لبث نابليون أن عاد عن قراره هذا، ولم يتمكن من الصمود في وجه الطغمة اليهودية التي عبثت ببلاده. فوقع سريعًا في أحابيلهم الشيطانية، حتى رأيناه يستنجد بمجلسهم الأعلى (Sanhedrin) ويكلفه بوضع

القوانين الخاصة بهم، ويطلق يده في تشريعها بالشكل الذي يرتضيه ويناسب أتباعه. ومن ثم أدخل ما وضعه اليهود من القوانين في صلب الدستور الفرنسي، وضمن لهم بموجبها ما كان ينقضهم من حقوق، وراح يتزلف إليهم ويصادق على كل القوانين المقدمة إليه، ويعلن بلا حياء أو خجل بأنه سوف يعمل ما بوسعه ليمكن اليهود من المحافظة على مكاسبهم ليتسنى لهم العيش بسلام، حتى ينسوا آلامهم القديمة الناتجة عن فراقهم لأرض كنعان.

والغريب أن نابليون حقق لليهود كل ما وعدهم به، ونفذ جميع رغباتهم، حتى أصبحت فرنسا في عهده مزرعة يهودية بكل معنى الكلمة، ويعزو بعض النقاد تراجعه المشين عن تصريحاته القديمة، إلى ما كان للماسون وتعاليمهم من تأثير فعال عليه، باعتباره ماسونيًا قديمًا، بينما يقول البعض الآخر: إن حاجته الملحة للمال لتمويل جيوشه التي كانت تقاتل في عدة جبهات، هي التي أرغمته على هذا التراجع، وأنزلته عن كبريائه وألجأته إليهم، فقضي بذلك على أحلام المخلصين من رجالات أوربا، الذين عقدوا عليه الآمال الكبار في توحيد أوربا وإنقاذها من سيطرة اليهود.

وفي هذا الموضوع كتبت المجلة الكاثوليكية في نشرتها التي صدرت عام ١٩٥٢، فقالت: إن نابليون بونابرت كان أمل المخلصين من مفكري أوربا أمثال الكاتب الكبير هيللر بللوك (Hillaire Belloc) في توحيد أوربا، وإنقاذها من النفوذ اليهودي، وعندما علم بتراجعه ومهادنته لهذه الطغمة الفاسدة أسف جدًا وقال: فقدت أوربا أملها الوحيد في تحقيق وحدتها، والتخلص من نفوذ الدخلاء، بانضمام نابليون إلى المعسكر اليهودي.

ولقد أكد اليهود بعد انتصارهم على نابليون، بأنهم لن يسمحوا بتقليص نفوذهم لأحد، حتى ولو كان إمبراطورًا.

أما نابليون الذي هادن اليهود وانحاز لمعسكرهم، فلم ينتفع من مهادنته شيئًا؛ لأنه سبق وأن كشف لهم أوراقه عندما أعلن رغبته في توحيد أوربا تحت ظل العلم الفرنسي، الأمر الذي لا يقبله اليهود بأية حال من الأحوال، رغم كونه موازيًا لأهدافهم التي كانت ترمي بدورها إلى توحيد أوربا، ولكن تحت سيطرة المجلس الكهنوتي الأعلى دون سواه، ومن هنا وجدوا في نابليون مناوئًا خطيرًا لأهدافهم،

فصمموا منذ البداية الكيد له لإزاحته عن طريقهم، وتمكنوا منه في النهاية، مثلما تمكنوا فيما بعد من هتلر الذي استهدف توحيد أوربا.

وهكذا فهم دائمًا بالمرصاد لكل مَن يسعى لتحقيق الأغراض الموازية لأغراضهم، وعداوتهم الحالية للمعسكر الاشتراكي تنبعث هي أيضًا من هذه الزاوية؛ لأنه يسعي لتوحيد النظم الأوربية، والقضاء على أوكار الصهيونية العالمية وأنصارها فيها.

وإذا بحثنا عن العوامل التي أدَّت إلى انتصار اليهود على نابليون بونابرت، وعلى كل مَن نهج نهجه، نجد أنها تكمن في المحافل الماسونية المنتشرة في جميع أقطار أوربا، والتي كان وما زال ينتسب إليها صفوة رجال الفكر والسياسة في كل بلد.

وعلى سبيل المثال نذكر أنه في عهد نابليون كان ينتسب إلى الماسونية أكبر قواده، أمثال: ماسينا، ومورا، ولاسوبيد، وكاللرمان، ولوفيبر، ومئات الآخرين، وكانوا جميعًا يعملون لمصلحة اليهود دون أن يشعروا، وذلك عن طريق تنفيذهم لتعليمات الماسون أنصار اليهود، وكان الانتساب إلى الماسونية في ذاك العصر من الشروط الأساسية للفوز بالسيطرة السياسية، حتى أن جوزيف الأول شقيق نابليون انتسب إليها ليكسب دعم محفلها في مملكته الجديدة.

بيد أن نابليون وقادته من الماسون دفعوا ثمن اعتمادهم على المحافل الماسونية؛ إذ أن اليهود بمجرد أن سنحت لهم الفرصة بالنيل منه، أوعزوا إلى المحافل الماسونية بأن تتخلى عنه، وإلى الرأسمالية اليهودية بقطع معوناتها المالية عن جيوشه، ومن ثم باعوا أسراره التي حصلوا عليها بواسطة الماسون إلى أعدائه، وأخيرًا أطاحوا به وبحكمه، وأصبح وكأنه ورقة جافة في مهب الريح.

ومن خلال سلوك نابليون مع اليهود، يبدو أنه كان يعتبرهم مجرد فئة مذهبية، يمكن صهره في البوتقة الأوربية، على أن تمنح جميع الحريات والحقوق الممنوحة للعموم، أي أنه اعتمد نفس الفكرة الخاطئة التي تورط فيها جميع ساسة أوربا الذين تعاقبوا على الحكم قبل وبعد نابليون، وفاته كما فات الآخرون أن اليهود يعتبرون الدين أداة لحفاظ على قوميتهم، ويتخذونه سببًا لترابط فيما بينهم لأنه العامل الوحيد الذي يجمعه، ويتعصبون لتعاليمه ومناسكه ليتميزوا بها عن سواهم من البشر، ويستمدون من نصوص كتبه، غرورهم القومي، وحجة تمسكهم بالانعزالية،

وامتناعهم عن الاختلاط بالقوميات الأخرى. وبكلمة مقتضبة، نقول: إنهم يتخذون الدين كمحور أساسي تدور حوله قواعد دعواتهم القومية، بينما يتظاهرون أمام الناس بالتحرر منه والانعتاق من قيوده.

وهذه المظاهر هي التي أوهمت الساسة بأنهم مجرد أتباع فئة مذهبية مثل سواها، وجعلتهم يتخيلون إمكانية صهرهم في البوتقة الأوربية عن طريق منحهم المزيد من المكاسب والحقوق، فراح كل منهم يزيدهم المنح والهبات، حتى أصبحوا يتميزون عن كل الناس في كل قطر وبلد، ولما لاحظوا أن نابليون انساق بدوره خلف الأوهام والتخيلات التي تورط فيها مَن سبقه من الساسة، عمدوا إلى استغلال موقفه منهم، وتظاهروا بالولاء له، ومناصرته في كل بلد دخلتها جيوشه، فتأثر نابليون من حفاوتهم به، وأغدق عليهم المزيد من الخيرات، حتى أصبحوا في غضون مدة وجيزة أغنى أهل أوربا، وسيطروا على المصادر المالية في أكثر مدنها واستحقوا بجدارة أن يطلق على بعض عائلاتهم اسم العائلات المالكة إشارة لنفوذها المالي في أوربا.

ولقد كتب المؤرخ الشهير أوكوست شيراك (Auguste Chirac) عن هذه العائلات(١) ووصفها بأنها كانت أكثر نفوذًا وسيطرة من العائلات المالكة، وكانت أشهر هذه العائلات هي عائلة: هيرش، وروتشيلد، وماير، وبامبرغ، وأفروسي، وكاموند. ولقد تقاسمت فيما بينها المجال الاقتصادي في أوربا، لتعمل كل منها في منطقة خاصة بها، وعلى سبيل المثال نذكر أن (أنسلم ماير تمركز في مدينة فرانكفورت الألمانية ليمثل الرأسمالية اليهودية في المنطقة الألمانية، وسولومون ماير في فينا، وكانت منطقة نفوذه النمسا وما جاورها من الدول الصغيرة، وتمركز (ناتان) في بريطانيا لنفس الغرض، وشارل في نابولي (إيطاليا) أما (جامس) فكانت منطقة نفوذه هي فرنسا. وهكذا سيطر اليهود على أهم المراكز الاقتصادية والتجارية في أنحاء أوربا بفضل طيش نابليون وتفكيره الأعوج.

وفي غضون أقل من ربع قرن وضع اليهود أيديهم على جميع الثروات الأوربية، حتى أن ثروة البارون روتشيلد كانت تقدر وحدها بكل ثروة فرنسا ومصارفها العديدة، أما نفوذه السياسي فبلغ حد إسقاط الوزارات وتشكيلها وقتما يريد، ويقال:

---

(1) Lisez (Les Rois de la Republique) par Auguste Chirac pans en 1888.

إنه كان وراء سقوط حكومة (thiers) ولم يجرؤ كاتب أو ناقد واحد في فرنسا على التلميح إلى روشيلد أو عصابته ولو بكلمة واحدة، حتى ظهر إلى ساحة الكاتب الفرنسي الفذ أوكوست شيراك، وفضح كافة أسرار الرأسمالية اليهودية في فرنسا وسواها من البلاد الأوربية، ومما قاله أن ناتان ماير كان من أقدر الماليين في أوربا، حتى أنه كان يراقب وضع نابليون السياسي ساعة فساعة، عن طريق ما يملكه من وسائل الاستعلامات الخاصة، ولما شعر بدنو انهيار الإمبراطورية، سارع إلى شراء كل أنواع السندات التي كان مقررًا لها أن ترتفع بمجرد سقوط نابليون، ولما وقع ما تنبأ به، ربح من هذه السندات في غضون أربعة وعشرين ساعة، ما يزيد عن ثلاث مائة وخمسين مليون فرنكًا من الذهب، كما هيَّأ لإخوته فرصة ربح مبالغ مماثلة في ظروف أسبوع واحد فقط. ويضيف شيراك قائلاً: إن اليهود كانوا يتجسسون على نابليون، ويحصون تحركات جيوشه، ويخبرون أعداءه بما يعده من خطط، بينما كانوا يتظاهرون بصداقته، ويقدمون له ما يحتاجه من المال والمعلومات المحلية.

وفيما يتعلق بمسلك اليهود في أوربا، يحدثنا السيد هيبس أسوة بغيره من نقاد التاريخ ويقول(١): إن اليهود بنوا مجدهم في أوربا على أنقاض الملكية الفرنسية التي ورثوها برمتها، بعد أن أطاحوا بها، وأصبح لهم في فرنسا من النفوذ أضعاف ما كان لملوكها، ولما ظهر نابليون على مسرح السياسة، سارع اليهود إلى إحاطته بالرعاية اللازمة لإخضاعه لمشيئتهم، ولما تم لهم ذلك، دفعوا به إلى لجج المعارك الطاحنة، التي سفكت فيها دماء مئات الألوف من الفرنسيين، بغية تحرير الأقليات اليهودية التي كانت تقيم في البلاد الأوربية، وأوهموا نابليون بمساعدتهم له لرفع شأن فرنسا، في الوقت الذي أطلقوا فيه أبواقهم في البلاد المعادية لنابليون لتضليل الرأي العام العالمي بأن نابليون يعمل لحسابه الخاص، وهكذا حققوا هدفهم المزدوج الرامي إلى تحرير يهود أوربا من جهة، وتدمير سمعة نابليون من جهة أخرى. هذا إضافة إلى تسخير صداقته لتحقيق أغراضهم المالية.

ولما انتهوا منه عمدوا إلى إثارة القلاقل وأحداث الثورات ليستثمروا تطوراتها الخاصة، ولإثبات ذلك يكفي أن نلقي نظرة واحدة على مجرى الأحداث التي سبقت

---

(1) P. Hepess. (La nouvelle Bible des peoples Martyres) page 180.

عودة الملكية، ومن ثم أحداث ثورة ١٨٤٨ التي اندلعت نيرانها ضد اليهود وعودة الملكية، والتي أجهضتها الحكومة المؤقتة بفضل مساعدة الرأسمالية اليهودية ومساعي السياسي اليهودي الشهير أدولف كريميو مؤسس الاتحاد اليهودي العالمي، ونتمعن في نتائجها لنتعرف من خلالها على غرض اليهود من مؤازرة الحكومة على قمع الثورة، الذي أسفر عن عودة الملك لويس فيليب، الصديق الودود للشعب اليهودي إلى العرش، والذي بادر حال عودته إلى إلغاء جميع المؤسسات الاجتماعية والسياسية الفرنسية الخالصة، وسمح لليهود أن يؤسسوا في مملكته، ما شاءت أهواءهم من المؤسسات الخاصة بهم دون رادعًا أو مانع، ثم أصدر التشاريع والقوانين لحمايتهم، وفي نفس الوقت كمَّ الأفواه وجمَّد الأقلام الفرنسية المعادية لليهود.

ومن الخدمات الكبرى التي قدمها لويس فيليب إلى اليهود في فرنسا، هي تعيين الكاهن آنفانتان (Le Pere Enfantin) اليهودي الأصل رئيسًا لمعهد سان سيمونيان (Saint Simonienne) الديني، الذي كان معتبرًا من أصلب القلاع الكاثوليكية المناوئة لليهود. فلم تسلط عليه اليهودي القديم آنفانتان أخرجه عن أغراضه الدينية، وجعله معهدًا مهودًا وملحدًا يسير في ركاب اليهود، وكأنه من مؤسساتهم الخاصة، ولم انهزمت فرنسا عام ١٨٧١ عمد لويس فيليب إلى تعيين اليهودي ألفونس روتشيلد (Alphonse Rothchilde) ليمثل فرنسا في مباحثات الصلح مع ألمانيا. وكأن فرنسا خلت من أبنائها الفرنسيين، ولم يعد فيها مَن يمثلها سوى اليهودي الروتشيلد، والجدير بالذكر هو أن هذه التنازلات الفرنسية لم تكن كما يتبادر لذهن القارئ اختيارية من قبل الحكام، بل كانت إجبارية لعجز هؤلاء الحكام عن مناوأة ومقاومة اليهود، الذين سيطروا على كل شيء في فرنسا بعد الثورة التي أطاحت بلويس السادس عشر.

ومن المنجزات العجيبة التي حققها اليهود في فرنسا ثورة باريس التي قامت عام ١٨٧١، وأطاحت بحكومة تيير (Thiers) وتلخص بأن هذه الحكومة تولت الأمور بعد كارثة ١٨٧٠، وبدأت تحد من نشاط وغلواء اليهود في فرنسا، فهالهم الأمر وقرروا التخلص منها بعد أن اتخذوا الاحتياطات الكفيلة بتأمين خط رجعتهم، وانقسموا إلى قسمين، وبادر القسم الأول إلى تحريض الشعب على الحكومة بشتى الحجج والأساليب، بينما وقف القسم الثاني في صف الحكومة يتظاهر لها بالإخلاص

والتفاني.

وفي ١٤ آزار ١٨٧١ اندلعت الثورة في باريس، وانهارت حكومة تيير (thiers) وقامت مكانها السلطة المحلية (La Commune) فسارع اليهود إلى استثمار الموقف، وهاجموا القصور والدوائر الحكومية، وأعملوا السلب والنهب فيها، ثم حددوا الأشخاص الذين يجب التخلص منهم، وأوعزوا إلى أنصارهم بإلقاء القبض عليهم وإيداعهم في سجن لاروكيت (La roduette) الذي كان يديره الرائد اليهودي ماير، ويشرف على التحقيق فيه اليهودي داكوستا (Dacosta) المدير السابق لشرطة باريس الذي انضم إلى الثورة، فعينوه نائبًا عامًا للمدينة، فأوعز اليهود إليهما بإعدام المعتقلين حال وصولهم إلى السجن، فنفذوا ما طُلِبَ منهم دون إبطاء وقتلا مئات الفرنسيين المعتقلين أمثال الجنرال لوكونت (Leconte) والمطران داربوا (Darbois) والطبيب بونجان (Boniant) وعشرات الآخرين من خيرة رجال باريس، وعندما شعر بالخطر فرَّ إلى بريطانيا، حيث هيأ اليهود لهما الملجأ الأمين والعيش الرغيد.

وفي اليوم الثاني فوجئت باريس بدخول الجنرال اليهودي كاليفه (Calliffet) إليها على رأس جيش الحكومة، وبادر حالاً إلى اعتقال الفرنسيين الذين غرر اليهود بهم، وأعلن الأحكام العرفية في المدينة، وأذل كرامها، وقتل خيرة شبابها وأهان شيوخها، وكأنه فاتح أجنبي أتى ليثأر من أهل باريس، ولم يمس أحد من اليهود بسوء.

ويقول السيد هيبس عن الجنرال كاليفه[1] بأنه يهودي الأصل، ينحدر من عائلة يهودية هاجرت من كاربانترا (Carbentras) عام ١٥٨١، واستوطنت في الضواحي واتخذت اسم كاليفه بعد أن كانت تدعى بيرون كوله (berron coulet) تمويهًا لأصلها اليهودي.

وكانت الحكومة تجهل أصله وتظنه أنه فرنسيًا أصيلاً، ولكن اليهود كانوا يعلمون كل شيء عنه؛ ولذا كانوا يساعدونه ويوصون به أصدقاءهم من ذوي السلطة خيرًا، وهم الذين اقترحوا على الدولة تعيينه لقيادة الجيش الذي دخل باريس، وكان غرضهم من السعي لتعيينه يهدف لأمرين مهمين بالنسبة إليهم، وهم الاستعانة به لإفساح المجال أمام اليهود الذين اشتركوا في الثورة ليتمكنوا من الفرار، ومن ثم

---

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 181.

الحيلولة دون اكتشاف السلطات الفرنسية لدورهم المزدوج الذي مثلوه فيها، وأخيرا لإرغام المتطلعين على السكوت عليه.

وهكذا أسدل الستار على هذه المهزلة الأليمة التي مثل اليهود بطولة أكثر أدوارها وقطفوا في النهاية ثمارها التي دفع الباريزيون ثمنها، دون أن يجرؤ حدهم على الاحتجاج أو الاعتراض، مع أن الجميع كان يعرف مدى علاقة اليهود في أحداثها، وذلك تجنبًا للاصطدام معهم.

وهذه التمثيلية التي قام اليهود بأدوارها المزدوجة، ليست الوحيدة من نوعها في تاريخهم، وخاصة في الجزء المعاصر منهم؛ إذ أن الأدوار المزدوجة التي مثلها كل من تروتسكي، وبللاكوم، وبيريا، وباكوس على مسرح السياسة في العالم الشيوعي، ما زالت ماثلة في الأذهان هذه الطغمة اليهودية المضللة، التي زعمت التخلي عن عنصريتها ومعتقداتها في سبيل سعادة الإنسانية، وادعت بأنها أقسمت أن تظلل جموعها برايات الحرية، وتنشر فيها العدالة الاجتماعية، وتظاهرت بالاستماتة في دروب هذه الغايات النبيلة، فانخدع بأقوالها ومظاهرها مناضلو الشعب المتطلعة إلى هذه الأهداف الغالية، والتفوا حولها وساروا تحت زعامتها، وهكذا اندست هذه الزمرة الخادعة في طليعة صفوف المعسكر الاشتراكي، وراحت تملأ الدنيا بالضجيج والادعاء الباطل؛ لتثبت ولاءها لهذا المعسكر، بينما كانت تسعى سرًا لجر شعوبه إلى الوقوف بجانب غايتها الخفية. لتقدم أبنائها وقودًا للمعارك التي يتطلبها تحقيق هذه الغايات، التي لم تكن سوى الغاية الحقيقية لمعسكر الصهيونية العالمية اللاإنساني المتطرف في عنصريته، ولكن شاءت الأقدار أن ينكشف ما كانت تخفيه، فلقي أفرادها جزاءهم العادل، فقُتِلَ مَن قُتِلَ، وتواري عن الأنظار مَن تمكن من الفرار.

وفي البحث عن غدر اليهود بالشعوب التي عايشوها عبر التاريخ يقول السيد هيبس[1]: الغريب في أمر اليهود رغم شهرتهم المزمنة في الاعتماد على الغدر والخيانة، هو أن نجد مَن يعطف عليهم ويناصرهم كلما ألم بهم مكروه، مثل الذين انبروا أثناء الحرب الكونية الثانية، ليتباكوا على مصيرهم ويدافعوا عنهم ويتهمون هتلر بالظلم والتعسف، مع أن أكثر هؤلاء كان يعلم حق العلم، كل ما ارتكبه اليهود

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 182.

من الجرائم بحق الشعب الفرنسي، عبر الزمن وقبل أن يخلق هتلر، وعلى سبيل التذكير أسوق إلى هؤلاء، ما كتبته صحيفة الشمال (la nord) الفرنسية في عددها الذي صدر في ١٢ آب ١٨٧١ بصدد موقف اليهود من الشعب الفرنسي إبان حرب السبعين فقالت: إننا لم ندخر وسعًا في تذكير السلطات بضرورة مراقبة اليهود، والحد من نشاطهم، بعد أن ثبت أن أكثر الجواسيس الذين اعتقلوا في منطقة الألزاس، والذين ثبتت عمالتهم للدولة الألمانية كانوا منهم (أي من اليهود) ولكن السلطات أصمَّت آذانها، ولم تتعظ، فوقعت الكارثة، وكانت ضحيتها فرنسا المضيافة.

ولقد أثبت القائد الألماني الكبير مولتكه في مذكراته فيما بعد صحة ما ذهبت إليه صحيفة الشمال الفرنسية، وذلك بقوله فيها: في الواقع إن رئاسة الأركان الحربية الألمانية لم تضع لعمليات حرب السبعين أي مخطط مسبق؛ إذ كانت تعتمد في توجيه عملياتها على التقارير التي كانت تصلها من جواسيسها اليهود في المنطقة الفرنسية، وتسير قطعاتها بناءً على مقتضياتها، وأننا نعترف صراحة بأن الفضل في انتظارنا على الجيش الفرنسي يعود برمته إليها وإلى مرسليها.

ومع كل هذا لم يجسر فرنسي واحد منذ فجر الثورة إلى يومنا هذا، على رفع إصبع الاتهام في وجه اليهود؛ لأن الساسة الذين تعاقبوا على الحكم في فرنسا بعد ثورتها إما من الماسون أو المهودين، أو ممَّن اعتمدوا على نفوذ اليهود، أو من الذين عاشوا على فتات موائدهم مثل الحزب الجمهوري، الذي كان جُل أعضائه من الفئات الثلاث، والذي اكتسح ساحة الانتخابات عام ١٧٨٩، حتى أصبح ثلثا أعضاء المجلس الوطني من أفراده، وهو الذي أقر بأن يكون يوم ١٤ تموز عيدًا قوميًا بناءً على اقتراح السيد ماك ماهون (رئيس المحفل الماسوني آنذاك) الذي أراد أن يحتفل الشعب الفرنسي بهذا اليوم الذي تحقق فيه النصر لبني قومه اليهود سادة الماسون.

فخضع الشعب الفرنسي لإرادته واتخذ الرابع عشر من تموز عيدًا قوميًا له، رغم أنه فقد فيه شخصيته، وكرامته، وحريته وحتى وطنه، وأصبح يسير في ركاب أحفاد دبورة وجدعون الذين غرروا به وأذلوه، ويثابر السيد هيبس في بحثه عن السيطرة اليهودية في فرنسا ويضيف قائلاً: إن مثقفي فرنسا كانوا في طليعة مَن سببوا خذلان الشعب أمام السيطرة اليهودية؛ لأن أكثرهم كان من خريجي المعاهد التي كان اليهود

يشرفون عليها ويمولونها؛ ولهذا كانت أكثرها مهودة، توجه طلابها ضمن البرامج الموضوعة من قبل الماسون والكحال، فكان من البديهي أن تخرج أناسًا مهودين قلبًا وقالبًا، بعد أن تجردهم من معتقداتهم ومثلهم، وتملأ أدمغتهم الفارغة بالمبادئ الماسونية الداعية للإباحية والانحلال واللاقومية واللاوطنية، فغدو وكأنهم آلات صماء تنتظر أن تحركها الأيدي اليهودية التي صنعتها وثقفتها، ومن هؤلاء كانت تتكون الأحزاب السياسية التي تعددت في فرنسا، حتى أصبح عددها في وقت من الأوقات يربو على الخمسة عشر حزبًا، لكل منها منهجها ومشربها الخاص المناوئ لمنهج ومشرب الحزب الآخر، مع أنها كانت جميعها تدور في الفلك اليهودي الصرف، وكان اليهود يوقعون بعضها ضد البعض، ليخلوا لهم الجو لتحقيق ما يشاءونه من المكاسب على حساب الشعب الفرنسي، ولكي يشغلوا الشعب بالتفاهات، كانوا يوزعون إلى الصحافة التي كانت ملكًا لهم، أن تثابر على تمجيد الثورة وشعاراتها، وأن تنادي دون انقطاع بمبادئها ومكتسباتها.

حتى أن اليهودي كامبير أو الكامبر (gamper ou eigamber) الذي عرف فيما بعد باسم كامبيتا (gambetta) لم يتورع عن التشجيع النائب الفرد ناكيه (Allred naduet) على أن يتقدم إلى الجمعية الوطنية بمشروع قانون يجيز الطلاق في فرنسا، والمؤسف أن الجمعية الوطنية أقرت هذا المشروع المخالف للتعاليم المسيحية، دون أن تبحث عن الأغراض التي دفعت بكامبيتا لإثارته، أما غرض كامبيتا، فلم يكن سوى توجيه طعنة للكنيسة الكاثوليكية في الصميم، وتجريدها من آخر أسلحتها، ومن ثم تمزيق وحدة العائلة الفرنسية عن طريق تسهيل الطلاق، ودفع الشعب إلى اللاأخلاقية، والإباحية، ليسهل على اليهود قيادته وتوجيهه حسبما يحلو لهم، ومن خلال الوقائع التي أوردها السيد هييس يتضح للقارئ الكريم مدى ما كان لليهود من تأثير على المجلس الوطني في فرنسا.

وتذكر المصادر المختلفة أن على أثر صدور هذا القانون شاع اسم كامبيتا بين الأوساط الشعبية وكأنه محرر عظيم، فراحت الصحافة تطبل له وتزمر، مضفيتا عليه آيات التمجيد والإكبار، حتى أصبح اسمه على كل شفة ولسان. فتسابقت الأحزاب لخطب وده وطالبت الجمعية الوطنية بتخليد اسمه، فسارعت البلديات إلى إقامة

الأنصاب التذكارية له، ولتسمية الشوارع الكبيرة باسمه، وكأنه صنو نابليون وسواه من أبطال التاريخ.

ولما تأكد اليهود من قدرتهم على إرغام الفرنسيين لتنفيذ رغباتهم، عمدوا إلى تهويدهم نهائيًا، وأوحوا للحكومة بأن تفصل الدين عن الدولة، وتعلن أن السلطة الفرنسية هي لا دينية، وتمكنوا من جر المجلس الوطني إلى إقرار مشروعهم بأهون السبل، ثم أوعزوا للصحافة بأن تندد بالكنيسة وشعاراتها، مما أدى إلى احتلال النجمة السداسية مكان الصليب في أكثر واجهات المعابد، بحجة تزيينها بشكل هندسي، وكأنه هذه النجمة كانت أجمل شكل هندسي في العالم، وارتفعت الشعارات الماسونية في الأمكنة الرسمية، وكثر عدد الرهبان من أصحاب الميول الهرطقية في المعابد، وخاصة بعد أن شاع في الأوساط الدينية قبول شاب اليهود في المعاهد الكنسية، فصار اليهودي لا يرى غضاضة في اعتناق النصرانية وامتهان الرهبنة، ومن ثم إعلان عودته لمعتقداته اليهودية الأصلية حينما يشاء، ودون أي حرج، وعلى سبيل المثال نذكر قصة اليهودي بوير الشهيرة في التاريخ (Bauer) وهي أن هذا اليهودي اعتنق النصرانية، ومن ثم انتسب إلى الكهنوت وبرهن عن ذكاء حاد، ومميزات عديدة أخرى لفتت انتباه الملكة أوجيني (Eugenie) فقربته من نفسها وجعلته كاهنها الخاص، وكان لا يفارقها مطلقًا، فأصبح مستشارها الديني والدنيوي، لا تطيق فراقه ولا ساعة من الزمن، ولكن شاءت الأقدار أن تنهزم فرنسا في حرب السبعين على أيدي الخونة من اليهود، وتنهار الإمبراطورية الثانية، وتذهب أوجيني إلى غير رجعة، فخرج بوير من القصر تاركًا وراءه أوجيني وذكراها واللباس الكهنوتي معهما، وعاد ليعمل في سوق المضاربات المالية بفضل الأموال التي جمعها من تجسسه لحساب الألمان، وما ابتزه من الملكة التي لم تكن تضن عليه بشيء، ولما جمع ثروة كبيرة من مضارباته المالية، هاجر إلى بروكسل، حيث أعلن عودته للموسوية بعد أن بلغ السبعين من العمر.

وبوير ليس اليهودي الوحيد الذي تظاهر بالنصرانية ومن ثم عاد ليهوديته، وهناك الكثيرون منهم، وعلى الأخص طبقة مؤلفي الكتب الداعية إلى الإلحاد والإباحية، فأكثر مؤلفيها كانوا وما زالوا من اليهود الذين تظاهروا باعتناق المسيحية، أو ممن اتخذوا لأنفسهم أسماء مسيحية ليخفوا وراءها شخصياتهم الحقيقة، وهذه

الخدعة الحقيرة أثرت على نطاق واسع في أخلاق الناشئة الفرنسية، وأهدرت القيم الأخلاقية والدينية بين مختلف الطبقات الأوربية، واستمر اليهود شهرتهم في معرفة علم الاقتصاد على أكمل وجه في نهب أموال الناس؛ إذ كانت أكثر البيوتات المالية الفرنسية تنتقي محاسبيها ومنظمي سجلاتها منهم. وبعد أن يطلعوا على أسرار البيوتات المالية الفرنسية، كانوا يبيعونها إلى المحافل المالية اليهودية، التي تبادر إلى العمل لهدم تلك المؤسسات والحلول في أمكنتها، كما أن اليهود استغلوا شهرة أطبائهم الذين يدخلون أكبر المقامات والبيوتات ويطلعون على أسرارها بحكم مهنتهم، ثم يفشونها لشعبهم لاستخدامها لتأمين المصالح اليهودية، ويذكر التاريخ أن انزلاق الكنيسة في المكائد اليهودية كان على يد أحد أطبائهم الذي أصبح طبيب البابا الخاص.

وهذه العوامل أوصلت اليهود في فرنسا وغيرها من البلاد الأوربية إلى السيطرة وبسط النفوذ، حتى أصبحوا لا يرهبون أحدًا، ولا يبالون بأي قرار أو قانون يصدر خلافًا لمشيئتهم، مثل القانون الذي أصدره نابليون في ٢٠ تموز سنة ١٨٠٨، والذي كان يقضي بالسماح للرجل اليهودي الزواج من مسيحية، وإرغام اليهود على إبدال أسمائهم القديمة بأسماء فرنسية، فلما علم اليهود بنصوصه أقاموا الدنيا وأقعدوها، ومن ثم أعلن مجلسهم الأعلى رفضه التام بالسماح لليهود أن يتزوجوا من المسيحيات، بزعم مخالفته للشرائع الموسوية، ولضرره بالقومية اليهودية، باعتبار أنه عملية انصهار واختلاط، أما فيما يتعلق بالفقرة الثانية التي كانت في مصلحتهم؛ لأنها كانت تُسَهِّل لهم عملية إخفاء هوياتهم عند اللزوم، فقد أعلن المجلس موافقته عليها، فلم يسع نابليون الضعيف إلا النزول عند رغبة المجلس والأخذ برأيه.

والمؤسف هو أن نابليون قبل بوجهة نظر المجلس، رغم ما كان في نص كتاب هذا الأخير من القحة والبذاءة، إذ ذكر المجلس في جوابه، بأنه يرفض ما جاء في الفقرة الأولى من القانون؛ لمخالفته الصريحة لنص فقرة التوراة القائلة بأن يهوى يرفض في ملكوته حتى نسل الجيل العاشر المنحدر من السفاح. فابتلع نابليون هذه الشتيمة الفظيعة، وترك اليهود حرية الأخذ بما يناسبهم من قانونه المذكور. وهكذا أصبح هذا القانون سلاحًا فتَّاكًا بيد اليهود، بعد أن كان الغرض منه أن يكون سلاحًا عليهم، ولقد نتج عنه مساوئ لا حد لها، ومنها أن اليهودي كان يغير اسمه بكل سهولة

عندما يرى حاجة لذلك، كما أن اليهودية تمكنت بموجبه من أن تدخل البيوتات الفرنسية كزوجة شرعية، وتصبح سيدة البيت وأم الأطفال، فتنهي وتأمر وتفسد العقائد والتقاليد، وتهود أفراد العائلة ما شاء لها التهويد، دون أن تجرأ الكنيسة أو أية سلطة أخرى على ردعها، بينما المجتمع اليهودي ظل نقيًا، باعتبار أن المسيحية منعت حتى من وضع قدميها في أحقر كوخ يهودي.

وهكذا كثر عدد الفرنسيين الذين تزوجوا من بنات اليهود، وعلى الأخص في عهد نابليون، حيث عم الفقر وأفلس أكثر أغنياء فرنسا ونبلائها، فكانت فرصة اليهود الذهبية ليزوجوا بناتهم من شباب أعرق العائلات الفرنسية التي أصابها الضيق المالي من جراء الحروب والنكبات، وبهذه الوسيلة هوَّد اليهود كثيرًا من العائلات الفرنسية العريقة، التي كانت تعتبر في وقت ما من طليعة أعداء اليهود في فرنسا.

وهذا القانون ليس المأساة الوحيدة التي خلفها نابليون لبلاده، بل له مآسي عديدة من هذا النوع، ومنها أنه جعل خزينة بلاده مدينة إلى أغنياء اليهود أجيالاً عديدة، مع العلم أنه كان السبب الأساسي في إثراء اليهود إبان حكمه؛ إذ جعل منهم رفاق دروبه ومستودعات أسراره، ومنابع تموين جيوشه، فاستثمروه على أوسع نطاق ممكن، ولما زال حكمه كان في فرنسا ألوف من اليهود الذين يملكون الملايين أمثال (rothschild) وبلجرادر (Bleichrader) وآمار (Amar) وكوهن (Kuhn) ولوب (loep) وجافة (gaphet) وفينالي (Finaly) ودريفوس (Dreyfus) وباروخ (Baruch) وسترن (stern) ولازار (lazard) وكوهين (cohen) وزاخاروف (Zaharof) وسليكمان (Sleigman) وفاربورغ (Warpurg) وهؤلاء الذين أطلق عليهم العالم فيما بعد اسم ملوك الذهب، وهم أنفسهم الذين سيطروا على كافة مناجم أوربا، وكانوا وما زالوا حتى اليوم يتلاعبون بمقدرات المواد الخام في العالم، ويسيطرون عليها حيثما وجدت، وهم الذين سيطروا على مصائر الحروب والثورات منذ عهد نابليون حتى يومنا هذا. أما نفوذهم في فرنسا، فهو أمر مفروغ منه، ولا يمكن أن يشك فيه عاقل واحد، ولقد برهنوا في الأمس القريب عن مداه بكل وضوح، وذلك عندما قامت الثورة في الهند الصينية، هذه الثورة التي لم تكن لمصلحة فرنسا قطعًا، وما كان لها أن تقاتل من قام بها، وكان كل فرنسي شريف يطالب بإيقاف تلك الحرب القذرة، ومنح أهلها استقلالهم الذي

كانوا ينشدونه، ولكن فرنسا ثابرت على الحرب برغم علمها أنها ليست من مصلحتها، وبرغم سماعها احتجاج المخلصين من أبنائها لأنها كانت مرغمة على المثابرة، وكل ذلك لأن الرأسمالية اليهودية كانت تروم سحب آخر قرش سايغوني (piastre Saigonaise) وتهريبه باعتبار أنه كان من النقد النادر المكفول من قبل المصارف اليهودية؛ ولهذا تحالفت الرأسمالية اليهودية مع بعض الساسة من صنائعهم أمثال راماديه (Ramadiee) واليهودي جون موك (gules Moch) وماير (Mayer) اليهودي أيضًا وبيدو (Bidaut) وموتر (Mutter) فأطالوا أمد الحرب حتى فرغوا من أغراضهم الخاصة. وفي هذه الأثناء كان الشعب الفرنسي التعس يدفع النفقات الباهظة ويهرق الدماء الذكية، دون أن يكون له في الأمر حيلة، ولقد انتشرت المعلومات الخفية عن أسباب هذه الحرب، وأزكمت رائحة الخيانة أنوف المواطنين، وتعرضت بعض الصحف لهذا الموضوع، ولكن أولي الأمر والنهي في فرنسا كانوا في شغل شاغل عن هذه الحقائق المؤلمة؛ لأن مهمتهم لم تنته، فكان عليهم أن ينهوها، وإلا طردوا من الحكم كأحقر آذن في جهاز الدولة.

وفي صدد نفوذ اليهود المالي في فرنسا وما اعتمدوه من الأساليب الشيطانية لامتصاص دم الشعب الفرنسي، يحدثنا الكاتب الفرنسي الكبير السيد توسنيل (Toussenel) ويقول(١):

«إن فرنسا مصرفًا أطلق عليه اسم مصرف فرنسا المركزي، وهو مخول بصك النقود وإصدار أوراق النقد والسندات المالية باسم فرنسا، كما منح حق استثمار كافة الأعمال المصرفية من تداول النقد النادر وسواه، مع العلم أن الدولة الفرنسية والشعب الفرنسي أو أي فرد من أبناء هذا الشعب، الذي يعمل المصرف باسمه، لا يملك فيه شيئًا ولا يستفيد منه بنسًا واحدًا، فهو وما يجنيه من الأموال الكثيرة ملك خالص لأثرياء اليهود، وكلما تكدست فيه الأموال يسارع أصحابه إلى تحويلها إلى نيويورك أو أوتاوا، فتقع البلاد في البلبلة المالية، ويسيطر الجزع على الأوساط الحكومية والتجارية فيقوم صنائع اليهود من حكام فرنسا، إلى تدارك الأمر بفرض ضرائب جديدة لتغطية العجز المالي الحاصل بسبب تلاعب اليهود بمقدراتنا المالية،

---

(1) Toussenel – Les Juifs Rois De l'époque .174.

فيدفع الشعب المسكين صاغرًا الضرائب الجديدة من عرق جبينه وكد يمينه، عندها يعود اليهود من جديد إلى أساليبهم القذرة لسلب الأموال الفرنسية مره أخرى، وهلم جرا».

وهكذا تتابع هذه المصارف، المسماة زورًا وبهتانًا بالفرنسية أو الإنجليزية أو الاتحادية، امتصاص دماء وأموال شعبنا المغلوب على أمره، وتقدمها إلى الرأسمالية اليهودية الغادرة لقمة سائغة، والتي تعمد من حين إلى آخر على تعيين مركز أموالها بموجب ما تقتضيه الظروف السياسية الدولية، ففي القرون الوسطى كان مركزها المالي الكبير في أمستردام (Amsterdam) ومن ثم نقلته إلى لندن، ومن بعدها إلى باريس، والآن اتخذت نيويورك وأوتاوا تجمع فيها أموالها التي تسرقها من الشعوب الأوربية، ومن ثم تعود لتفتح للدول المختلفة باب الاقتراض منها، لتزعم للعالم أنها تقدم له أحسن الخدمات الإنسانية. والمؤسف حقًا، هو أن نرى أكثر هذه الدول تنساق وراء ألاعيبها القذرة وتهرول خلفها لتقرض منها الأموال التي تعرضها تحت مختلف الأسماء الدولية، كالبنك الدولي وما شابه ذلك، لكي تقع في براثنها المجرمة، وتدفع لها الفوائد الباهظة التي ربما أودت إلى الانزلاق في مهاوي الاستعمار والتبعية، وبغية إنقاذ هذه الدول والشعوب من الاستثمار اليهودي، ننصحها بأن تتعامل فيما بينها، على أساس تبادل السلع والمواد، فحبذا لو اعتمدت الدول النامية هذه الطريقة لتقضي على الأساليب اليهودية القاتلة، ولكن يبدو أن تطبيق هذه القاعدة أصبح مستحيلاً، بعدما وصل إليه اليهود من السيطرة الرهيبة على اقتصاديات العالم بأجمعه.

وتأكيدًا لرأي توسنيل في سيطرة اليهود المالية، يقول الأستاذ فيرمس سومبر (Warms Sompert) أستاذ علم الاقتصاد في جامعة برلين[1]: إن كافة المؤسسات المالية وتنظيماتها الحديثة حاليًا، هي من المستنبطات اليهودية، ومهما كانت مسمياتها، وألوانها فهي تصب في النهاية في مستنقعهم المالي العام.

وفي مجال البحث عن هذا الموضوع بالذات يقول الكاتب بير هيبس[2]: إن اليهود لا يخفون قوة نفوذهم المالي في العالم، وهم يعلنون صراحة أن جميع بنوك العالم تعمل

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 198.
(2) Joseph Leman (Napoleon 1er et les Israelites).

لمصلحتهم، وأنها توحد جهودها في خدمتهم كلما احتاج الأمر، وأن المحاور الكبرى لنشاط هذه المصارف، توجد اليوم في كل من لندن ونيويورك، قلعتي الصهيونية العالمية، ولقد صرح الزعيم الصهيوني المعروف دوستوفسكي (Dostovesky) مفاخرًا: في حال تبدد الثروة الأوربية بأجمعها سيبقى لنا المصرف اليهودي، الذي سينجدنا بكل الأموال اللازمة لتحقيق أغراضنا.

ولقد تطرق القس يوسف لومان[١] لهذا البحث فقال: إن القوانين التي أصدرها نابليون صهرت المصالح الفرنسية في المصلحة اليهودية، وألبست الثروة والمصير الفرنسي قفطان سام (ويعني القفطان اليهودي) الذي التصق بالجسم الفرنسي، ولم يعد في الإمكان نزعه عنه، اللهم إلا إذا نزعنا معه الجلد واللحم الفرنسي، إن هذا الالتحام الذي فرضه نابليون علينا قبل مائة عام، جعلنا نعيش جنبًا إلى جنب مع اليهود، فامتزجت تقاليدنا وعاداتنا مع تقاليدهم وعاداتهم، وتوحدت مآسينا ومسراتنا مع مآسيهم ومسراتهم، واستحال علينا التخلص منهم، وهكذا أُصبنا بهذه النكبة الأبدية بفضل القوانين التي أوجدها نابليون بونابرت.

وتعرض أدولف هتلر بدوره لنفوذ اليهود في فرنسا، فكتب في كتابه (كفاحي) يقول: إن السبب في عداوة الشعب الفرنسي لنا، هو نفوذ الرأسمالية اليهودية المسيطرة على مقدرات هذا الشعب، الذي غدا لا يملك من أمره شيئًا إلا بقدر ما يسمح له اليهود والماسون به، وهؤلاء هم الذين يدفعوه لمناصبتنا العداء، وخاصة بعد أن امتزجت دماؤه بدماء اليهود الذين تدفقوا إلى بلاده من منطقة الرين (Rhin) التي اتخذوها منذ القدم نقطة انطلاق لغزو البلاد الأوربية باعتبار أنها نقطة متوسطة، فلما سنحت لهم الفرص انطلقوا منها إلى البلاد المجاورة يلوثون دماء شعوبها بدمائهم القذرة، عن طريق تزويج بناتهم لأبناء تلك الشعوب، وكان الشعب الفرنسي أول مَن تورط معهم، وتلوثت دماؤه بدمائهم، ولم يعد بإمكانه التنصل منهم، وبهذه الوسيلة أصبح اليهود يحكمونه، ويفعلون في بلاده ما يشاءون كأنهم أصحاب البلاد الحقيقيين، ولقد سخّروا أبناءه أكثر من مره للدفاع عنهم، والسير في ركابهم لتحقيق مآربهم الرامية إلى السيطرة على العالم، فلما شعروا أننا نقف في طريق أطماعهم عمدوا إلى

---

(1) Joseph Leman (Napoleon 1er et les Israelites).

إثارة الشعب الفرنسي ضدنا؛ ليدفعوا بأبنائه لمقاتلتنا، ونحن نعلم ما يرمون إليه؛ ولـذا نعلن للعالم أجمع، أننا لسنا أعداء الشعب الفرنسي المغلوب على أمره منذ فجر ثورته، التي أسفرت عن خضوعه التام للطغمة اليهودية الخادعة.

السيطرة اليهودية في فرنسا قبل الحرب الكونية الثانية

أجمع النقاد والمراقبون على أن اليهود تمكنوا في غضون أقل من نصف قرن (بعد الثورة) أن يسيطروا على زمام الأمور في الوطن الفرنسي برمته، وذلك بفضل الأساليب والخطط الشيطانية التي وضعوها بالاشتراك مع أنصارهم الماسون لإخضاع الشعب الفرنسي، وكانت هذه الأساليب تتلخص بتجريد الفرد الفرنسي من معتقداته ومُثله العليا وتقاليده، فحالفهم التوفيق وانجرف الفرنسي في تيار مستنبطاتهم، وأصبح ملحدًا وتنَكَّر لمُثله وتقاليده، وخرج على الأنظمة والعادات، واعتنق المادية وتعلق بمعيشته، ووضعها فوق كل اعتبار، وغدا عبد شهواته التي شجعه اليهود على التردي فيها بفضل الكتب والمصادر الأدبية الملحدة والداعية للإباحية، التي أغرق اليهود الشعب الفرنسي في بحرها، والذي استعاض بها عن كتبه الدينية القديمة، وأخذ يقرأها بنهم، حتى أضحت لديه أعز ما في الوجود، وكان كل كتاب من هذه الكتب القذرة يطبع عدة مرات لكثرة الطلب عليها، مثل كتاب ليون بلوم المسمى بالزواج (le Marige) الذي بلغ ما بيع منه في فرنسا وحدها السبعة ملايين نسخه، أما سبب رواجه فلأنه عريق في قذارة موضوعه، يبحث عن كل ما تشمئز منه النفس، مع أن مؤلفه كان من أشهر رجال السياسة والحكم في فرنسا، وهو في الأصل يهودي ولد في بلغاريا، وكان يدعى فيها ليو كارفونكلستين (leo Karfunklestein) ثم هجرها إلى فرنسا، حيث أبدل اسمه بليون بلوم، ومن ثم بزغ نجمه فجأة، وأصبح من ساستها المرموقين، بفضل مساندة الماسون واليهود له، ثم توصل أن يكون رئيسًا للوزارة الفرنسية أكثر من مرة، كما اشتهر بين كتابها بالجرأة والصراحة، ومع كل هذا لم يتورع عن وضع هذا الكتاب ذي الموضوع المعيب.

وللتدليل على قذارته ندون فيما يلي بعض فقراته بغية إعطاء فكرة صحيحة للقارئ الكريم عن أساليب التي استعملها اليهود للفتك بأخلاق الشعب الفرنسي، ومما جاء في هذا الكتاب بغية تحقيق هذه الغاية السافلة قوله: إن على الفتاة البالغة أن

تنفق طاقاتها الجنسية في حينها، وتطلق لرغباتها العنان قبل الزواج، وأن لا تحرم نفسها من الاستفادة من المغامرات عندما تتوفر لها؛ لأن فترة المراهقة هي فرصتها الحقيقة لاغتراف الملذات، فعليها أن تستغلها على أوسع نطاق، وأن لا تتردد عن التعرف بأكبر عدد ممكن من الرجال لتطفئ الشهوة العارمة التي تتأجج عادة في هذه الفترة في أعماقها، والفتاة الذكية هي التي تعرف كيف تنتقي الرجال الذين يمكن أن تتمرس على أيديهم، فعليها أن لا تتقاعس عن البحث عنهم، وإلا أضاعت على نفسها أطيب ملذات العمر، إن الفتاة المتزمتة التي تسعى لإرضاء ذويها على حساب ملذاتها فتاة خائبة، وعلى كل فتاة أن تنبذ السخافات والأوهام، وتضرب بالتقاليد البالية عرض الحائط، كاحترام العذرية مثلاً، وأن تُحَلِّق في أجواء شبابها بمجرد أن تشعر بقدرتها على التحليق بمفردها، فعندما تشعر بالميل لأحد الشبان عليها أن تهبه نفسها دون تردد، وإلا قد أضاعت إحدى فرصها الذهبية، ولتعلم الفتاة المراهقة أن خير التجارب التي تحتاجها عند زواجها هي التي تتعلمها في أحضان الرجال المجربين، فلتتعلم كيف تختارهم في بداية تمرسها، إن منع الفتاة من الحمل لم يعد عسيرًا، فلماذا إذن نعمد إلى حرمانها من ملذاتها؟ ولماذا نمنع الاتصال الجنسي بين الإخْوة؟ ما هو الغرض من التمسك بهذه السخافات؟ ولذا أقول صراحة: إنه من الظلم أن نفرض على شبابنا تقاليد وأعراف باطلة، لا تغني ولا تسمن، فلنطلق إذن لشهواتهم العنان انسجامًا مع الطبيعة.... إلخ.

إن ما ذكرناه عما يحويه هذا الكتاب المكون من ثلاث مائة وخمسة وأربعين صفحة، هو غيض من فيض، وهو في مجموعة مؤلف من نصائح وأقوال غاية في القذارة والإباحية، وهو ليس الكتاب الفريد من نوعه؛ إذ أن كتاب اليهود في أوربا ينشرون مئات المؤلفات المماثلة، لتحقيق أغراضهم الهدامة التي ترمي إلى حقن الشبيبة العالمية باللاأخلاقية والإباحية.

ومن المؤسف أن نعترف بأن اليهود نجحوا في تحقيق هذا الهدف في أكثر البلدان الأوربية، بدليل استهجان الفتيات الأوربيات لفكرة تقديس العذرية واستخفافهن بها.

وبهذه الأساليب القذرة تمكن اليهود من تقويض أسس المجتمع الفرنسي، وانغمس المواطن الفرنسي في هذا الملذات، ولم يعد يهتم بشئون بلاده الحيوية، وانساق خلف

المادة التي توفر له شهواته الحيوانية بينما راح اليهود يغرفون من خيرات بلاده على هواهم، ويستولون على مرافقها التجارية والصناعية دون أن يعترضهم معارض، وبفضل اللامبالاة الفرنسية، أصبحوا في فترة وجيزة أصحاب كل مصادر الرزق في فرنسا، ولما كان الفرنسي بحاجة دائمة إلى المال للتمادي في ملذاته، وجد نفسه مرغمًا للتسكع على أبواب اليهود ليحصل منهم على عمل أو على ما يؤمن له احتياجاته المعاشية، وبسبب ذلك رضخ لكل الرغبات اليهودية، وهكذا فقد شخصيته وحريته، بعد أن فقد أخلاقه، وأصبح عبدًا ذليلاً في عقر داره.

وهنا وجد اليهود الطريق معبدًا أمامهم، فوضعوا أيديهم على كل شيء في فرنسا، وفي مقدمتها الصحافة التي تعتبر الركيزة الأساسية في التوجيه والتوعية القومية، فأسسوا وكالة هاشيت (les Messageries Hachette) عام ١٨٥١، التي كان يديرها قبل الحرب الأخيرة اليهودي هو رأس فينالي (Horace Finaly) ووكالة هافاس التي تعتبر منذ ١٨٣٥ الوكالة الرسمية للدولة الفرنسية التي تدفع لها ثلاثين مليونًا من الفرنكات سنويًا، وكان يديرها قبل الحرب اليهودي سافارديم (sephardime) شارل لويس هافاس (charles louis Havas) ومنذ ذاك التاريخ أصبحوا يتحكمون بالصحافة الفرنسية تمامًا.

وفي صدد ما يملكه اليهود حاليًا في فرنسا، يحدثنا السيد هيبس[(١)] ويقول: إن الإحصاء الأخير للمرافق العامة أثبت أن اليهود يملكون ٩٠٪ من صناعة السينما والتمثيل وصالات الترفيه، و٧٥ ٪ من مؤسسات الطباعة والنشر والدعاية و١٠٠٪ من المؤسسات الصحفية وأن ٨٨ ٪ من نجوم السينما والتليفزيون هم من اليهود. أما ما يملكونه في الميدان الاقتصادي فيعادل ٩٢ ٪ من صناعة المعادن الثقيلة و٩٠ ٪ من تجارة التحف الأثرية، و٩٨ ٪ من أموال سوق المضاربات (البورصة) و٩٥ ٪ من مصانع أجهزة الراديو والتليفزيون، و٧٩ ٪ من أموال المصارف، و٧٥ ٪ من مؤسسات الترانزيت والوساطة و٥٥ ٪ من المرافق التجارية المختلفة، و٥٠ ٪ من الصناعات الثقيلة.

وتشير جداول إحصاء الأخصائيين إلى أن نسبة اليهود بين مختلف المهن المحترمة

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 197 - 198.

مثل الطب والمحاماة والهندسة مرتفعة جدًّا، وهي تعادل ٦٠ ٪ من مجموع الأخصائيين في فرنسا، هذا عدا المراكز الحكومية المرموقة التي يحتلونها. وتملك المؤسسات التجارية اليهودية في باريس أكثر من خمسة عشر ألف وكالة منتشرة في أنحاء البلاد، واليهود يملكون ستة خطوط حديدية من أصل سبعة خطوط عاملة، وفي الحرب العالمية الأولى، كانوا يملكون ٢٣٨ معملاً للأسلحة من أصل ٢٤٠ معملاً كانت تملكها البلاد، وكان اليهودي باروخ (Barouch) هو الذي يمول هذه المعامل اليهودية.

وهذه السيطرة الصناعية، حققت لهم السيطرة السياسية المطلقة، باعتبار أنهم يستخدمون في مصانعهم ومؤسساتهم عدة ملايين من المواطنين، ويتصرفون بآرائهم الانتخابية، وهذه القوة الانتخابية التي يملكونها، ترضخ لمشيئتهم أكثر رجال السياسة في البلاد.

ولقد قُدِّرت المرابح اليهودية للفترة الفاصلة بين الحربين بأربع مائة مليار فرنك ذهب في فرنسا وحدها، هربت بأكملها في الوقت المناسب إلى أمريكا، وقدرت ثروتهم قبل الحرب (في فرنسا) بسبع مائة وخمسين مليار فرنك ذهب من أصل ألف مليار فرنك التي كانت تملكها فرنسا، وفي أعقاب الحرب الأخيرة حصل اليهود على تعويضات عمَّا أصابهم من الأضرار أثناء الحرب، بلغت مجموعها مائة وأربعين مليار فرنك، ويقول علماء الاقتصاد: إن اليهود يملكون حاليًا ما يعادل ٩٠ ٪ من الثروة الفرنسية.

ومن فحوى الإحصاءات التي رواها السيد هيبس، يظهر جليًا أن اليهود لم يهدروا وقتهم سدى في فرنسا، بل استثمروا اللامبالاة والاستكانة الفرنسية لأقصى حد ممكن، وأصبحوا يمتلكون كل ما فيها من الخيرات.

وقائع نموذجية من الأساليب الوصولية اليهودية

إن الأساليب العجيبة التي اعتمدها اليهود لتحقيق أغراضهم العديدة في فرنسا، هي أساليبهم التقليدية التي استعملوها عبر تاريخهم الطويل، والتي أوصلتهم مرارًا لأهدافهم، وهي مستمدة من التوعية اليهودية المنبثقة عن تعاليم التوراة والتلمود.

وأعجب ما في أمرها، هو أن كل الناس يدركون أنها مبنية على الغش والخداع، ومع هذا يؤخذون بها ويقعون في أحابيلها، وكأنها تسحرهم وتشل تفكيرهم، فمثلاً

نابليون بونابرت برهن في البداية أنه كان يعرف كل شيء عن أساليبهم، وما نتج عنها من الكوارث في بلاده، وفنَّد الأخطار التي يمكن أن تنتج عن التساهل معهم، وطالب بالحد من حريتهم ونشاطهم، وإذا به ينقلب فجأة إلى صديق حميم لهم، ويصدر القوانين المحققة لمصالحهم، ويعلن تأييده المطلق لهم ويناصرهم، حتى بعد أن أقدم يهود ليتوانيا واستونيا على ذبح جنوده الذين أصيبوا في المعارك الروسية، والذين كانوا في ضيافة اليهود عندما كان الجيش الفرنسي منتصرًا، ولكن لما هزم وتراجع عجز المصابون عن اللحاق به، فانقض اليهود عليهم، وجردوهم من أسلحتهم، وذبحوهم عن بكرة أبيهم، وألقوا بجثثهم تحت أقدام جنود الروس، الذين احتلوا ليتوانيا، ليبرهنوا للروس عن إخلاصهم، ويكفروا عما ارتكبوه بحقهم إبان الاحتلال الفرنسي[(١)].

ومع ذلك ظل نابليون على صداقته لليهود، وثابر على معاونتهم، ومنع عنهم كل سوء، ولكن صداقته المفرطة هذه لم تشفع له لدى اليهود إذ بمجرد أن سنحت لهم الفرص، تنكروا له، وانحازوا لأعدائه، ولما سقط، أسدلوا الستار على علاقاتهم السابقة به، ثم راحوا يبررون خيانتهم له بأنها كانت بغية إنقاذ الثروة الفرنسية، التي كان نابليون يبذرها للإنفاق على فتوحاته، التي كان يرمي من ورائها تحقيق الشخصية، مع أن العالم أجمع كان يعرف أن اليهود هم الذين دفعوه لخوض تلك المعارك التي استثمروها على أوسع نطاق، وخرجوا منها بالثروات الطائلة عدا المكاسب المعنوية التي حققوها، ولكن عندما أصبحت ثروات أوربا بين أيديهم ولم يعد يملكها أحد سواهم انقلبوا عليه؛ حتى لا ينفقها في سبيل ما لم يبق لهم فيه مأرب أو مكسب، وزعموا أنهم تخلوا عنه لإنقاذ الثروة الفرنسية، والغريب هو أنهم تجاهلوا في التهم التي وجهوها لنابليون، ذكر مئات الألوف من الشبان الفرنسيين الذين ضحى بهم نابليون على مذبح الأهداف اليهودية، وركزوها على الناحية المالية فقط، وادعوا أنهم فعلوا ما فعلوه ضنًّا بالثروة الفرنسية، وهذا التجاهل المقصود لذكر الدماء الفرنسية التي سفكت في سبيلهم يدينهم صراحة بنكران الجميل، ويكشف عن خيانتهم للشعب الفرنسي الذي لم يضن بشيء لإسعادهم، فاكتفوا بالتباكي على الثروة الفرنسية التي

---

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 199.

أصبحت برمتها بحوزتهم، وحتى هذا الزعم الأخير يفتقر إلى الجدية؛ لأنه في الواقع كان باطلاً أصلاً، تذرع به اليهود لذر الرماد في العيون؛ لأنهم في الحقيقة تخلوا عن نابليون، وعملوا على إسقاطه عندما أيقنوا أن سقوطه سوف يزيد من مكاسبهم المادية.

فلو لم يكن سقوط نابليون من مصلحتهم، لكانوا وجدوا ألف سبيل للحيلولة دون وقوعه، كيف لا وهم الذين برعوا في إيجاد الحجج المعللة كلما شعروا بدنو الخطر على مصالحهم، مثل الحجة التي استنبطها النائب اليهودي فاندل (vandel) عام ١٩١٤، والتي زعم فيها أن معامل مدينة بريى الألمانية (Briey) هي من الممتلكات الفرنسية ليمنع قصف المدفعية الفرنسية عنها، بينما كانت في الأصل تخص اليهود وحدهم، ولم يكن لأي فرنسي أقل علاقة بها، والأدهى من ذلك هو أن الألمان كانوا يصنعون فيها طائراتهم التي كانت تزرع الموت والدمار في فرنسا، ومع هذا ضرب فاندل بحياة وممتلكات الشعب الفرنسي عرض الحائط، وتقدم بطلب وقف القصف عن المدينة العدوة، وبرر طلبه بتلك الحجة الباطلة، والمؤسف هو أن كليمانصو (Clemanceau) الشهير بالنمر الفرنسي رضخ لمشيئة فاندل، وأصدر أمره بوقف القصف عن تلك المدينة تحت تأثير ضغط زمرة الثعالب اليهودية التي كانت تحيط به، أمثال: ماندل (Mendel) وفورمس (Worms) وماردوك (Mardocd) وميسيمي (Missimy) وليؤن ليفي (leon levy) وسواهم من الذين كان كليمانصو الخرف يعتمد عليهم في إدارة شئون الدولة التي كان يرأسها[(١)].

ومن فحوى هذه الحادثة التي يرويها السيد هيبس يتضح لنا أن اليهود كانوا قادرين دائمًا على استنباط الحجج الهادفة إلى إنقاذ مصالحهم كلما تعرضت للخطر، كما أننا نفهم منها بأن الحكام الفرنسيين كانوا على أتم الاستعداد لتلبية ما يطلبه اليهود منهم مهما كان الطلب محرجًا، ومهما كانت حجته واهية، والظاهر أن الحكام في فرنسا كانوا أعجز من أن يدحضوا ما يزعمه اليهود إلا لما رضخ كليمانصو بتلك السهولة لإرادة فاندل مع ما فيها من الضرر لبلاده.

وتأكيدًا لقدرة اليهود على استنباط الأساليب الوصولية العجيبة، نروي فيما يلي

---

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 300.

قصة اليهودي (أرلنجر) وهي تتلخص بأن هذا اليهودي الدعي، الذي اشتهر فيما بعد بالبارون أرلنجر، لم يكن في الأصل سوى يهودي فقير، ولد في الحي اليهودي لمدينة فرانكفورت الألمانية وضاق به سبيل العيش فيها، فهجرها إلى فرنسا، حيث تظاهر بالنصرانية، وافتتح في باريز حانوتًا حقيرًا ليعتاش فيه، وإذ به يصبح من أثرياء باريس فجأة، ويذهل الناس بما يظهر عليه من آثار الجاه والعظمة، ولدى التحري عن مصدر هذه الثروة التي هبطت عليه، تبين أن أرلنجر تمكن بصورة ما من الاتصال مع طرفي النزاع في الحروب الأمريكية (حروب الشمال والجنوب) التي كانت قائمة آنذاك، وتوصل إلى كسب ثقة كل منهما، فاعتمده كل طرف سرًا عن الآخر ليمثلها في فرنسا، وفي عام ١٨٦٠ كلفته حكومة الجنوبيين بأن يطرح باسمها سندات القروض الشعبية، فلبى أرلنجر طلبها، وأغرق فرنسا بسندات الجنوب، حتى جمع منها ٧٥ مليون فرنك دون أن يلفت انتباه أحد، فلما علمت حكومة الجنوبيين بذلك، أوفدت اثنين من أنصارها لاستلام المال من أرلنجر، ولكن شاء القدر أن تسقط حكومة الجنوبيين وتستسلم في الوقت الذي وصل فيه الموفدان إلى باريس، فتنكر أرلنجر لهما ورفض أن يسلمهما قرشًا واحدًا، فالتجأ الموفدان لمقاضاته، ولكن القضاء رد الدعوى بحجة عدم وجود الجهة التي يمثلانها، عندما اضطرا لمهادنة أرلنجر واتفقا معه، وظهر فيما بعد أنهما كانا أيضًا من اليهود، بدليل أن أحدهما المدعو سليدل (Slidell) تزوج من ابنه أرلنجر وتكلل عليها في الكنيس اليهودي.

وأغرب ما في قصة أرلنجر هو أن الحكومة الفرنسية التي كانت تدعي التحريرية والأُخُوة والمساواة، لم تعترض على مشروع السندات التي طرحها أرلنجر في الأسواق الفرنسية، رغم أنها كانت ترمي إلى جمع المال لصالح حكومة ديكتاتورية متزمتة في تمسكها بإبقاء الرق والعبودية في بلادها، مثل حكومة الولايات الجنوبية، كما أنها لم ترغم أرلنجر على إعادة ما سرقه من شعبها، حتى بعد أن انفضح أمره، والصحافة الفرنسية تجاهلت بدورها حدوث هذه المهزلة التي مثلت فصولها في أرض الحرية والمساواة والأُخُوة المزعومة، وهذا السكوت المخزي من قبلها إنما يدل على ما كان لليهود من النفوذ الواسع في فرنسا.

وليت قصة أرلنجر انتهت عند هذا الحد؛ إذ كانت ذيولها أكثر غرابة من مستهلها،

فبعد وقوع هذه المهزلة فوجئت فرنسا بخبر تعيينه من قبل المملكة اليونانية قنصلاً عامًا لها في باريس، وعلمت بأن الحكومة التونسية اقترضت منه أربعة ملايين من الفرنكات باعتباره أحد أثرياء الجمهورية الفرنسية، ولما حان موعد سداد المبلغ تلكأت تونس عن الوفاء بوعدها، وإذ بالدولة الألمانية تنذرها بالاحتلال إن لم تفِ لأرلنجر بما عليها من ديون في الوقت المحدد، وتبرر تدخلها بأن أرلنجر من أتباعها، وممن منحوا لقب البارونية من قبل عاهلها، فلم يسع بأي تونسي إلا الرضوخ، ودفع ما ترتب عليه، أما فرنسا فسارعت هي أيضًا لتكريم هذا الأفاك ومنحته وسام جوقة الشرف من درجة القادة العظام.

وأرلنجر ليس باليهودي الوحيد الذي توصل إلى الثروة والجاه عن طريق الأساليب الملتوية، فهناك اليهودي بيشوفشيم، الذي ولد في هولندا، وعاش في ألمانيا، ودخل فرنسا عام١٨٨٠ فقيرًا معدمًا، ومع هذا تمكن في غضون عام واحد من الحصول على الجنسية الفرنسية، والاشتراك في الانتخابات النيابية عام١٨٨١ عن منطقة نيس (Nice) ونجح فيها وأصبح عضوًا في الجمعية الوطنية الفرنسية، وشرع في ممارسة عمله كممثل للشعب الفرنسي الذي انتسب إليه قبل بضعه أشهر فقط.

وقصه اليهودي مانهيمر (F.manheimer) ليست أقل غرابة من سابقتيها، وتتلخص بأن مانهيمر الألماني الجنسية هرب إلى فرنسا بعد أن ارتكب في مسقط رأسه عدة جرائم سرقة، وظل لاجئًا في فرنسا حتى قيام الحرب عام ١٩١٤، فطرد منها باعتباره من أتباع العدو، وعاد إلى ألمانيا وتمكن بصورة ما، من أن يصبح فيها مديرًا لأكبر مصنع للحديد، وهو ما زال في سن السابعة والعشرين. ولما انهارت ألمانيا فر منها إلى هولندا، حيث اشترك في عمليات التلاعب بالمارك الألماني مع مصرف مندلسون اليهودي، ونجح في الحصول على ثروة هائلة من وراء ألاعيبه. واشتهر أمره بسرعة في الأوساط الدولية، حتى أن كلا من فرنسا وبلجيكا اقترضتا منه عدة ملايين، ومنحته فرنسا جنسيتها وأصبح من أكبر متنفذيها، ولو لم يعاجله الموت لبَزَّ البارون أدمون روتشيلد وسواه من ذوى النفوذ فيها.

وإذا أردنا متابعة البحث في الأساليب الوصولية التي اعتمدها اليهود لسلب ثروات الشعب الفرنسي، لطال بنا البحث إلى ما لا نهاية؛ ولذا اقتصرنا على سرد

بعض الوقائع المعينة التي اشتهرت في الأوساط الفرنسية، بغية إظهار مدى استغفال اليهود للشعب الفرنسي الطيب.

السيادة اليهودية على المصير الفرنسي

«إن فرنسا أصبحت مستعمرة صهيونية، ولم يعد لنا مجال للتفكير في التخلص من سادتنا اليهود، إن كل فكرة تمرد أو نزوع للخروج عليهم أصبحت فاشلة مسبقًا؛ لأن الشعب الفرنسي خضع لهم برمته بعد أن جعلوه لا يفكر إلا بالمادة وحدها، وبعد أن دفعوا به الإدمان على الكحول الذي أودى به إلى الكسل والتقاعس، ومن ثم إلى الفاقة والتسول، وهو الآن مهدد بالانقراض، باعتباره شعبًا قليل النسل، ودائم التعرض لخوض الحروب التي يفتعلها سادته، ويسوقون أفراده إلى مذابحها لتحقيق مطالعهم القذرة، بحجة الدفاع عن فرنسا التي لا يملك شعبها من خيراتها أي شيء، بعد أن سلب اليهود كل ما كان فيها واستعبدوا أهلها». من أقوال الكاتب الفرنسي الفذ الدكتور فيرديناند سلين (l. F celine).

مما لا شك فيه هو أن السيطرة اليهودية بلغت أوجها في فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى، وأصبح اليهود يملكون فيها كل شيء، ويسيرون أمورها وفق أهوائهم، بينما كان الشعب الفرنسي غارقًا في الخمور والفجور، وهو يلعق جراحاته التي خلفتها له المعارك الطاحنة التي خاضها في الحرب العالمية الأولى. وكان الماسون واليهود يشجعونه على التمادي في هذه المهاوي، حتى يخلو لهم الجو لتحقيق أغراضهم، وإمعانًا في إلهائه، يختلقون له كل يوم ما يشغله عن مراقبتهم، فكانت الصحافة اليهودية ودور النشر المهودة، تثابر على تشجيعه في حياته اليومية لتبني الآراء الداعية للإباحية واللاأخلاقية، وفي الحقل السياسي تبث في صفوفه وتحرض فئاته على التناحر، حتى تعددت أحزابه لدرجة غير عادية، وقام النزاع الشديد بينها على أتفه الأمور، مع أنها كانت جميعها تسير في ركاب اليهود.

وفي خضم هذا النزاع الحزبي الذي ساد فرنسا بين ١٩٢٠-١٩٤٠، ظهر في ألمانيا الحزب الاشتراكي الوطني (الحزب النازي) فاتجهت إليه الأنظار في أكثر الأقطار الأوربية، وعلى الأخص في فرنسا، حيث كانت الفئة الوطنية المخلصة مغلوبة على أمرها، لا تجرؤ على القيام بما يشعر الناس بوجودها، فبدأت تهلل لهتلر وحزبه الذي

أشهر الحرب على اليهود سادة فرنسا، وألد أعداء الفئة الوطنية، فخشي اليهود من أن تعمد هذه الفئة التي تمثل بهتلر وحزبه، وأن تتمكن من إيقاظ الشعور القومي في الوطن الفرنسي، هذا الشعور الذي كان اليهود يخشونه أكثر من أي أمر آخر؛ لأنه كان حتمًا سيؤدي إلى تجريدهم من مكاسبهم، ومن ثم إلى اضمحلال نفوذهم، فهداهم تفكيرهم الشيطاني إلى قطع الطريق عن كل نزعه قومية أو وطنية، وانكبوا على تحقيق الوسيلة الناجعة لفكرتهم الجديدة.

وإذا فجأة يظهر في فرنسا حزب جديد يتزعمه أحد الضباط القدماء العقيد دولاروك (la colonel de la Rocdue) وينادي بنفس المبادئ التي نادى بها هتلر، ويطلق على نفسه اسم حزب الصلبان النارية، وكان اسم رئيسه ينبئ عن كونه من أفراد الطبقة النبيلة التي اشتهرت بعدائها لليهود، مما أوحى للناس بالثقة به، فسارع أكثر الفرنسيين قومية ووطنية إلى الانضمام إليه[١] والالتفاف حوله، فبدأ دولارك يعقد الاجتماعات ويلقي الخطب القومية الرائعة على غرار هتلر وموسوليني، داعيًا الناس إلى الانخراط في صفوف حزبه الاشتراكي الوطني، واعدًا الموطنين بإنقاذ فرنسا من كبوتها حال ما تدق ساعة الصفر، فظنه الناس الدكتاتور المقبل الذي سينقذ البلاد من اليهود والرأسمالية الصهيونية، فمالوا إليه وعلى الأخص بعد أن شكل فرق الصلبان الحديدية، على غرار الفرق الفاشية، واشترى جريدة يومية تدعى بالجريدة الصغيرة (la petit gournal) تنطق بلسانه وكانت تصدر كل يوم وهي طافحة بالمقالات القومية والاشتراكية، فهلل للناس له وكبروا، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، فوقعت في باريس عام ١٩٣٤ بعض أعمال الشغب والعنف ضد اليهود، وقع أثناءها كثير من القتلى والجرحى، واعتقل المئات من الفرنسيين، ولم يكن بين القتلى والمعتقلين أحد من أتباع دولاروك الذين كان الشعب يعتبرهم من ألد أعداء اليهود، فلفت غيابهم عن الساحة أنظار الناس وتساءلوا عن أسبابه ولما غاب عنهم الأمر، بدءوا ينظرون إلى هذا الحزب بعين الريبة والشك، كما أن بعض الأوساط الصحفية لاحظت وجود صداقة وثيقة بين دولاروك والوزير الماسوني المهود تارديو (M.Tardieu) فاستغربت الأمر، وعمدت إلى البحث عن سر هذه الصداقة، فكان

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 315.

أسبق الصحفيين في كشف أسرار هذه الصداقة المريبة هو العقيد المتقاعد كيليوم، مدير صحيفة الصدمة (le choc) الذي أعلن للناس صراحة بأن دولاروك هو أحد أتباع تارديو واليهود، وأنه يتقاضي مقابل خدماته لهم عشرين ألف فرنك شهريًا من وزير الداخلية.

ولما قرأ دولاروك هذا الخبر في صحيفة الصدمة، قرر اغتيال كيليوم، فأرسل بعض أتباعه إلى مدينة سان سيرفان (saint servan) حيث كان يقيم خصمه، ليعتدوا عليه، ولقد وقع الاعتداء فعلاً، ولكن رجال دولاروك هربوا من المعركة دون أن يتمكنوا من الإجهاز على كيليوم، الذي خرج من المعركة بعاهة دائمة، وسارع إلى إقامة الدعوى على المعتدين وزعيمهم، فألقت الشرطة القبض على رجال دولاروك وإحالتهم إلى القضاء، حيث اعترفوا بذنبهم، وبأنهم كانوا موفدين بهذه المهمة من قبل دولاروك، فصدر الحكم على المعتدين، وتوارى دولاروك عن الأنظار، وعلى الأثر طلب الشعب من الحكومة أن توضح الأسباب التي دفعت بالوزير تارديو أن يقدم لدولاروك المبالغ التي ذكرها كيليوم في صحيفة، فاضطر تارديو أن يعترف بالأمر، وأن يبرر ذلك سبب قيام دولاروك بخدمات خاصة للدولة، فقام دولاروك بدوره بتقديم دعوى قذف وتجني ضد الوزير تارديو، وقدم لذلك شاهدًا من أعضاء حزبه ومن النبلاء الفرنسيين المدعو دوق بوزو (Duc pozzo) الذي سمع تارديو وهو يصرح بتقديمه الأموال لدولاروك، وكانت المحكمة ذات الاختصاص للنظر في الدعوى هي محكمه الجزاء الثانية، فعقدت الجلسة واستدعى كل من تارديو والشاهد بوزو للإدلاء بأقوالهما.

وكان أول مَن سئل عن القضية هو تارديو، الذي صرح بأنه كان يدفع لدولاروك شهريًا مبلغ عشرين ألف فرنك مقابل الخدمات التي كان يقدمها، وأن مجموع ما قبضه كان قد بلغ حتى شهر تموز عام ١٩٣٦ مائتين وخمسين ألف فرنك، وقدم الأدلة والإثباتات الدامغة لأقواله، ولما سئل بوزو شاهد دولاروك، أجاب وهو ينتحب بأنه لم يعد يشك في صدق أقوال الوزير، ونعت رئيسه السابق بالخداع الخائن الذي باع ضميره ووطنه مقابل بضعة فرنكات، وعلى الأثر أصدرت المحكمة قرارها برد دعوى دولاروك وتغريمه المصاريف والنفقات، وهكذا انكشف أمر دولاروك لأول مرة.

ولما تعمقت الصحافة في التحقيق عن أمره، تبين أن الأسباب الأساسية لقيام هذا الحزب كانت غير ما ظنها الناس، وكان دولاروك متزوجًا من يهودية وكان ماسونيًا ومن أعضاء الحزب الجمهوري المهود، وقد كلف بتشكيل هذا الحزب من قبل اليهود، وكانوا يمولونه بصورة دائمة، وأن معاونه الذي كان يدعى هنري مالهرب (Henri Malherpe) لم يكن سوى يهودي قلبًا وقالبًا، وأنه كان يدعى في الأصل كرونوولد (Grnnwold) وأنه كان يدعو اليهود إلى الانتساب للحزب بصورة علنية، حتى أنه خطب في الاجتماع الحزبي الذي عقد في مدينة ليون (Lyon) عام ١٩٣٤، ودعا يهودها إلى مساعدة حزبه قائلاً: أنا أدعوكم للانضمام إلى حزبنا؛ لأنه هو منكم وإليكم، وصفوفه اليوم تعج بالمئات من أبناء قومكم، وهم في نظرنا أعز الأعضاء وأحسنهم.

ولقد ظهر فيما بعد أن هنري مالهرب لم يقل ما كان حقًا، وأن الكثير من أعضاء الحزب في باريس كانوا من اليهود المجهولي الأصل، كما تبينت أسباب عدم اشتراك الحزب في الحوادث التي وقعت عام ١٩٣٤، وانكشفت أسباب الصداقة التي كانت سائدة بين دولاروك، ومدير شرطة باريس السيد بونفوى سيبور (Bonnegay - Sibour).

ولما ظهرت كل هذه المخازي، انفض الناس عن الحزب ورئيسه، وتوارى دولاروك نهائيًا عن الأنظار، كما أُلغي حزبه إلى الأبد، ولكن مع كل هذا نجح اليهود في لعبتهم على أكمل وجه ممكن، وخرجوا منها بالمكاسب التالية:

أولاً: أبعدوا أعداءهم من الفرنسيين عن التطلع إلى محور هتلر وموسوليني، وجعلوهم يلتفون حول دولاروك الذي كان يتظاهر بالعداء لليهود والنازية معًا، ويدعو أنصاره للتزمت في فرنسيتهم والاحتراز من الألمان.

ثانيًا: كشفوا أعداءهم في مختلف أنحاء البلاد الفرنسية، ومن ثم أزاحوهم عن طريقهم في الوقت المناسب تمامًا.

ثالثًا: عمقوا جذور العداوة بين مختلف الفئات الفرنسية.

رابعًا: بعد أن انهار دولاروك وحزبه على يد نصيرهم تارديو، فقد الفرنسيون الثقة بكل زعيم جديد، وكل أمل في التحرر من النفوذ اليهودي.

خامسًا: تمكن اليهود من القضاء على جميع أعداءهم دون أن يخشوا انتصار الشعب لهم.

وهكذا نجحت لعبتهم القذرة وعظم شأنهم قبل الحرب الأخيرة، وأتوا بليون بلوم إلى الحكم في أواخر عام ١٩٣٦، أي بعد أن انكشف أمر دولاروك على صفحات جريدة الصدمة، فشكل بلوم وزارته من زمرة يهودية شاملة أمثال: بوريس لالومير (Boris lalumiere) اليهودي ومانديل (Mandel) اليهودي ودريفوس (Dreygus) وروتشيلد وسارو (Sarraut) وجامي شميت (lammy schmidt) ورينو (Reynaud) وفينالي (H. Finaly) ومارسيل بلوخ (Marcel Bloch) من يهود سالونيك وتوريز (Torres) وجول موك (gules Moch) الذي تجنس فيما بعد بالجنسية الإسرائيلية وكوهن (Cahens) وسولومون (Salomon) ومارسيل أبراهام (Marcel Apraham) وماير (Mayer) وهس (Hess) وداكوستا (Dacosta) وكايزر (De Kayser) وهيريو (Heriot) المتزوج من يهودية معروفة.

وهؤلاء وإن لم يشتركوا جميعًا في وزارة بلوك، تعاقب أكثرهم على الوزارات التي شكلت قبل الحرب الكونية الثانية ومن بعدها، عدا عن مئات الآخرين من اليهود الذين تعاقبوا على كراسي الحكم في فرنسا.

وهذه الفئة المكونة من أغنى رجالات اليهود، كانت تتحكم في الطبقة العاملة قبل أن تحكم بغيرها، باعتبار أن بعض أفرادها أمثال ليون بلوك، وتورز وسواهم كانوا يتظاهرون بالاشتراكية، ويترأسون فروع حزبها في المدن الفرنسية، وسيطرتهم على هذا الحزب هي التي أوصلتهم إلى مقاعد الوزارة، إذ كان مثلاً ليون بلوك لا ينفك عن تهديد الدولة بتحريك العمال كلما عن له ذلك، وهذه السيطرة على الطبقة العاملة، هي التي قوّت عزائم اليهود، وجرأتهم على تحدي أعدائهم، وكَمّ أفواه مناوئيهم، بينما كانوا يعملون من وراء الستار لتضخيم ثرواتهم يومًا بعد يوم، دون أن يشعر بهم أحد وكانت الصحافة تسكت عن كل ما يتعلق بهم وتمتنع عن نشر ما يسيء إليهم، وإذا جرب أحد الكتاب الأحرار التصدي لهم، تغلق في وجهه جميع أبواب الصحف ودور النشر، ويحرم من كل عمل أدبي، ويعجز عن إصدار نشرة واحدة مهما فعل أو دفع من المال؛ إذ أن الصحافة أفهمت من قبل اليهود، بأن مصير كل مَن

يتعرض لهم، سيكون مثل مصير فرانسوا كوتي (Francois Coty) وكوستاف تيري (Gustave Tery) اللذين أُبعِدا نهائيًا عن ميدان الصحافة لمناوأتهما الأغراض اليهودية.

وهكذا يتحكم اليهود في مصير فرنسا، دون أن يجرؤ أحد على الوقوف في وجههم، وهذه السيطرة اليهودية الواسعة بلغت أوجها بعد مجيء دوميرغ (Doumergue) الماسوني إلى الحكم، الذي أسند أكبر وظائف الدولة إلى إخوانه الماسون واليهود إبان حكمه للبلاد، ومنذ ذاك التاريخ ورث اليهود فعليًا الحكم في فرنسا.

اليهودي يتحدى الفرنسي في عقر داره

برغم كل ما حصل عليه اليهود من الميزات، وما لهم من السيطرة والنفوذ في فرنسا، لا يتورع أحدهم عن توجيه الإهانة للفرنسيين، ولو من قبيل التندر متى شاء ذلك، ولا يحجم عن إذلال الفرنسي كلما سنحت له الفرصة. ومن الإهانات التاريخية التي وجهها اليهود إلى الشعب الفرنسي، هي الإهانة التي كان بطلها اليهودي جان زاي (jean zay) أحد أساتذة جامعة باريز.

وهذه الإهانة اشتهرت في فرنسا باسم قصيدة العلم لجان زاي، نشرها بول درو (paul Dreux) في كتابه المسمى بالاحترامات (les respects) وتتلخص ترجمة هذه القصيدة اليهودية المهينة لفرنسا بما يلي: «لقد قتل مليون ونصف من أبناء بلادي في سبيل هذه القطعة القذرة من القماش –وملايين من أبناء البلاد الأخرى–، نعم مليون ونصف شاب سفكوا دماءهم لأجل هذه الخرقة ذات الألوان الثلاثية الحقيرة، وكان لكل قتيل زوجة أو عشيقة أو منزل ينتظر عودته، ولكن لم يعد منهم أحد، وسكنت قلوبهم إلى الأبد، يالها من ممسحة أعقاب دنست هذه الخرقة التي ذهبت تلك الملايين فداء لها، أيتها الخرقة المنحطة، أحتقرك وأكرهك لما سببتيه من ويلات وشقاء. إن دماء ملايين القتلى تنبثق من ثناياك كلما رفرفت أيتها الممسحة الدنسة، نعم أكرهك، وأكره كل مَن يحترمك من هؤلاء الأنذال والعاهرات أنصارك، إن لونك الأحمر يذكرني بالدماء التي سفكت من أجلك، وازدرى لونك الأزرق المسروق من لون السماء، أما لونك الأبيض الذي تخفين خلفه ضميرك القذر، فأحتقره. أيتها الخرقة القذرة يا رمز

الإجرام، دعيني لأحزاني أبكي قتلاي وحدي، واعلمي برغم كل ما لك من أنصار، وما تعلو هامتك من أوسمة الفخار، لست عندي إلا أقذر ممسحة أعقاب... إلخ.

ولقد اكتفينا بهذا القدر من الشتائم الموجهة إلى العلم الفرنسي في هذه القصيدة، لكون ما بقي منها من أبيات تتسم بالبذاءة أكثر من التي أوردناها؛ ولذا نمسك عن المضي فيها، وهذه القصيدة التي نشرت في ٣ آذار سنة ١٩٢٤، قرأها الفرنسيون ومع هذا لم يجسر أحدهم على رفع صوته ضدها أو ضد مؤلفها، كما أن هذه الشتائم العديدة لم تمنع صاحبها من احتلال المقاعد الوزارية خمس مرات متوالية، كانت آخرها هي التي انهارت فرنسا في عهدها أمام جيوش هتلر.

وأغرب ما في الموضوع، هو أن صاحب هذه القصيدة التي تنضح أبياتها بالكره والحقد على الحروب وأهلها، كان أثناء وجوده في آخر وزارة من أشد أعضائها حماسة لدخول فرنسا الحرب، وكان لا يتوقف عن الإصرار على مهاجمة ألمانيا منذ أول لحظة تفاقمت فيها الأوضاع في أوربا، أما سبب حماسة هذا، فلم يكن سوى أن هذه الحرب، كانت لصالح بني قومه اليهود، ولإنقاذهم من هتلر الذي حكم على اليهودية بالفناء؛ ولذا كانت الحمية تأخذه، فيثور ويعربد مطالبًا زملاءه بإقرار مهاجمة ألمانيا حالاً، ولما هزمت فرنسا في غضون خمسة عشر يومًا، كان هو أول مَن ركب البحر ولاذ بالفرار على متن الباخرة ماسيليا (Massilia) التي اعتقلتها السلطات بمجرد وصولها إلى الرباط، فأنزل منها ركابها، وكان جان زاي من بينهم، فأودعتهم الحكومة جميعًا في السجن بتهمة الفرار أمام العدو.

وهكذا عوقب زاي على خسته ونكرانه للجميل، ولكن ليس على يد من أهانهم، بل على يد الألمان، ولولا الانهيار الفرنسي لعاد زاي مرة أخرى، بل مرات إلى الوزارة دون أي ممانعة من قبل الفرنسيين.

وللتحدي اليهودي في فرنسا حوادث عديدة، ومنها: إنها عندما تفاقمت الأحوال عام ١٩٣٧ في فرنسا، وساد الفساد أجهزة الدولة، وبدأ الشعب يتساءل عن مصيره، أراد بعض النواب مناقشة الدولة عن أسباب الانحطاط العام، وفي أثناء المناقشة، تبين للنواب أن الوزارة البلومية تحاول التملص من الجواب على أسئلة النواب، وعندها قام النائب فاللا (K-Vallat) وطلب من الوزارة أن تكون صريحة في أجوبتها، ولكن

أبت الوزارة إلا المراوغة والتلاعب، فلم يسع النائب فاللا إلا أن يصرح أمام الجمعية الوطنية: «بأنه ليس بإمكان المجلس أن يثابر على تحمل هذه الوزارة المراوغة، والتي يرأسها ليون بلوم اليهودي الدخيل الذي لا يهمه مصير البلاد، ولا يربطه فيها أي رباط؛ ولذا يرى أن ليون بلوم ليس أهلاً لإيصال الوطن إلى شاطئ الأمان، طالما لا يؤمن بهذا الوطن وشعبه».

ومن ثم طلب رفاقه حجب الثقة عن الوزارة البلومية، عند ذلك هب النواب اليهود وأنصارهم، وهاجموا فاللا بصورة قذرة وأسكتوه. ومن ثم تابع المجلس مناقشة المواضيع المدرجة في جدول أعماله، وكان من بينها مشروع فرض ضريبة جديدة على صغار التجار والباعة، تقدم به الوزير اليهودي بول رينو (baul Renaud) فاعترض أحد النواب على المشروع وقال عنه: إنه سيصيب الفقراء وحدهم بالكارثة، بينما سيظل كبار أصحاب الأعمال يثابرون على امتصاص دم الشعب، دون أن تفرض عليهم من الضرائب ما يناسب مرابحهم؛ لأن الحكومة تميل دائمًا إلى حمايتهم؛ لأنهم ينتسبون لنفس الفئة التي ينتسب إليها رئيس الوزراء وأكثر أعضاء وزارته. وأردف يقول: «أيها السادة إن منحكم هذه الوزارة كل هذه الصلاحيات، يعني أنكم تضعون الشعب الفرنسي الذي انتخبكم تحت رحمة رئيسها المنتسب لفئة معينة، لا يربطها في هذه البلد رباط سوى ما يمكنها من نهب أمواله، وهذه الفئة هي التي تتحكم في هذه الجمهورية منذ إنشائها. -ومن ثم التفت إلى مقصورة الوزراء، ووجه خطابه إليهم وقال-: أما أنتم فكفاكم غشًا وتضليلاً بهذا الشعب، لقد غررتم بنا طويلاً، ومنذ أجيال وأنتم تزعمون أنكم منحتمونا الحرية والمساواة، بينما في الواقع لم نحصل على شيء سوى العبودية والذل، كفي، نحن لا نريد خوض حروب أخرى لحسابكم، ولا ننشد إلا العمل والسلم واسترداد حريتنا منكم».

ولما انتهي من خطابه، قام أحد نواب البروتون وحيًا فرنسا، وهتف بسقوط اليهود واليهودية المجرمة، وعند ذلك هاج نواب اليهود، وقامت قيامتهم على البروتوني، وانبرى له أحد نواب اليهود المدعو ماكس درامي (Max Darmay) وقال له: إن اليهود هم أكثر إخلاصًا لهذا البلد من البروتون، وأكثر نفعًا لهذا الوطن من سواهم، فاشتبك النواب على أثر الحادث، وتبادلوا الشتائم والسباب، فتدخل الحرس بالأمر. ومع كل

هذا أقر المشروع المقدم من قبل الحكومة، ولم تؤخذ اعتراضات النواب بعين الاعتبار، وكل ما حصلوا عليه لم يتعد الإهانات المشينة التي وجهت إليهم.

واليهود في فرنسا لا يخفون شماتتهم بالشعب كلما وجدوا لذلك سبيلاً، فمثلاً عندما نجح ليون بلوم باستلام الحكم، سارع اليهود إلى إقامة الزينات والأفراح، ورفعوا على واجهات محلاتهم التجارية، وفي الأحياء التابعة لهم لافتات تحيي بلوم وتعيش الشعب، دون أن يذكروا مَن هو الشعب الذي يعيشوه، إذ كانت اللافتات تحمل جملة تعيش الأمة (Vive La Nation) فقط، وكانوا يقصدون منها الأمة اليهودية، وعندما كان أحدهم يسأل عن ذلك، كان يجيب: تعيش الأمة اليهودية طبعًا. ومع كل هذا ظل الشعب الفرنسي مستكينًا أمام اليهود؛ لأنهم أرهبوه وأذلوه بكل ما في هذه الكلمات من معنى للإرهاب والذل.

عجز القوانين الفرنسية أمام الجرائم اليهودية

من أبرز المتناقضات التي سادت فرنسا في القرن العشرين، هو السكوت عن الجرائم التي يرتكبها اليهود مهما تعددت ومهما كانت بشعة، ويقابل هذا السكوت المعيب حيال الجرائم اليهودية، التهويل المرعب للمخالفات التي يرتكبها غيرهم من المواطنين. وللتدليل على غرابة ما وصل إليه هذا التناقض، نروي فيما يلي تفاصيل بعض الجرائم التي ارتكبها اليهود في فرنسا، وما آلت إليه نتائجها.

اعتدت عائلة روتشيلد اليهودية على إحدى المؤسسات التجارية الفرنسية، وانتزعت منها ملكيتها لمناجم النيكل التي اشتهرت فيما بعد باسم مناجم روتشيلد إخوان[1]. ولما يئست المؤسسة الفرنسية من استعادة مناجمها بالطرق السلمية، قررت مقاضاة روتشيلد، وأوفدت رئيس إدارتها لمقابلة المحامي الشهير بوانكاره (R. Boincare) ليفاوضه في شأن استلام وكالة المؤسسة صاحبة الدعوى، ولما فاتح مدير المؤسسة بوانكاره بالموضوع وأفهمه بأن المؤسسة على أتم استعداد لدفع أي تعويض يطلبه، فوجئ برفض بوانكاره استلام الدعوى، فلما أصر المفاوض على معرفة أسباب الرفض أجابه بوانكاره، بأنه عين أول مرة في الوزارة الفرنسية بفضل إشارة صغيرة صدرت عن روتشيلد، وأنه يأمل أيضًا أن يعود إلى الوزارة مرة أخرى بإشارة

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 322- 323.

مماثلة تصدر عنه؛ ولهذا فهو يرفض الوكالة المقترحة ويعلم مسبقًا بأن الدعوى خاسرة مهما كان لدى المؤسسة الفرنسية من الأدلة والإثباتات القاطعة بأن المناجم المختلف عليها هي ملكها، فاضطرت المؤسسة أن تعهد بأمرها لمحام آخر، ولكن النتيجة أسفرت عن انهزامها أمام القضاء وانتصار روتشيلد نهائيًا، رغم أن أكثر أفراد الشعب الفرنسي كانوا على ثقة بعدالة شكوى المؤسسة الفرنسية، ومع هذا انتصر روتشيلد، وانتهى الموضوع دون أية ضجة.

وملفات الشرطة الفرنسية تزخر بقصص الجرائم اليهودية التي أوعز إليها بحفظها، ومن هذه الجرائم جريمة مطعم ماكسيم الشهير (Chez Maxim) وتتلخص بأن الشرطة أبلغت بتعاطي كل من لويس ليون اليهودي وزميله شابات (Chabat) اليهودي أيضًا، تجارة المخدرات في مطعم ماكسيم، فداهم رجالها المطعم المذكور واعتقلوا الشخصين المذكورين بالجرم المشهود، ومع كميات كبيرة من المخدرات، وساقوهما إلى القضاء، ولكن الشرطة فوجئت في اليوم الثاني بالإفراج عن المجرمين، وصدور الأوامر بحفظ الملف الخاص بهما.

كما أن الشرطة أُمرت بحفظ الملف العائد للمجرم اليهودي البير أوري (Albert - Ury) وعصابته، بعد أن اعتقلت جميع أفراد العصابة، بالجرم المشهود إذ كانوا يقومون بتهريب اليهود إلى فلسطين بصورة غير شرعية، مع هذا أُفرج عنهم جميعًا دون أن يسمع أحد بالقضية من المواطنين.

وحفظ أيضًا ملف المجرم ليشانوفيكي (Leichanoveiki) الذي اعتقلته الشرطة مع شقيقه بجرم إدخال اليهود إلى البلاد، وتأمين الهويات المزورة لهم، وإخفاء بعض مجرمي اليهود في منزلهما، وأفرج عن الشقيقين رغم الإثباتات التي قدمتها الشرطة.

ومن الجرائم اليهودية الشهيرة في فرنسا، الجريمة التي كان بطلها الحاخام إسحاق ليفر (Lssac Leifer) حفيد حاخام نيويورك الأكبر، الذي كان يتردد على البلاد الأوربية وخاصة على فرنسا، واشتهر عنه الإقدام على شراء الأراضي لحساب الوكالة اليهودية في فلسطين، وكان يشغل بعد الحرب وظيفة رسول المجلس اليهودي الأعلى لدى الحاخميات المختلفة في أوربا، وبحجة هذه المهمة كان دائم السفر بين أوربا وأمريكا، وفي إحدى سفراته مع شريكه اليهودي كوتبيير اشتبهت الشرطة بأمره

وفتشت أمتعته التي كانت عبارة عن مجموعة ضخمة من نسخ التلمود، فوجدت ضمن الكتب مخابئ لمادة الهيروئين، ولما أحصت الكميات تبين لها أنها بلغت ثمانية عشر كيلو جرامًا من هذه المادة السامة، فاعتقلتهما الشرطة، ولدى التحقيق معهما اعترفا بأنهما أقدما عدة مرات على تهريب الهيروئين بهذه الطريقة، وأن المبالغ التي ربحاها تجاوزت عدة ملايين من الجنيهات، وعلى الأثر أحيلا على القضاء، ولكن القضاء أخلى سبيلهما حالاً، وحفظت إضبارة الجريمة، وأُرغمت الشرطة على السكوت التام.

أما الجرائم الأخلاقية التي يرتكبها اليهود في فرنسا فإحصاؤها مستحيل، والجريمة التي فاقت في بشاعتها كل جريمة سواها هي الجريمة التي يرويها لنا السيد هيبس في كتابه الأخير، والتي يسرد تفاصيلها كما يلي: يقول هيبس صدر العدد المؤرخ في ١٦ / ٦ / ١٩٣٩ من الجريدة الرسمية لبلدية باريس، وهو يحمل في طياته قرارًا صادرًا عن رئاسة بلدية مدينة نانسي (Nancy) الواقعة على الحدود، ينص على ما يلي: «نظرًا لاستفحال أمر ممارسة اللواط في المدينة (هذه العادة الشاذة) التي يتعاطاها الغرباء الذين وفدوا إلى البلاد على أثر تفاقم الوضع ما بيننا والجارة الألمانية، ولعجز السلطات عن وضع حد لهذا المرض المشين، فقد قررت البلدية تطبيق نظام البغاء النسائي الساري المفعول على هؤلاء الغرباء، وإخضاعهم لنصوص هذا النظام تمامًا، مثل النسوة الخاضعات له، ومن ثم السماح لهم بتعاطي مهنتهم ضمن متطلبات النظام المذكور، على أن تعمل الشرطة المحلية على اجتثاث جذور هذا الداء الوبيل من البلاد بأقصى سرعة ممكنة، ولدى التحري عن المقصودين من هذا القرار تبين أنهم اليهود الذين أجلاهم هتلر عن بلاده على أثر إصداره قانون تحريم اللواط في البلاد الألمانية، ومعاقبة ممارسيه بأشد العقوبات، فهرب اليهود من ألمانيا وأتوا إلى فرنسا ينشرون فيها هديتهم الجديدة للشعب الفرنسي المغلوب على أمره»[1].

والجرائم السياسية التي ارتكبها في فرنسا إبان الاحتلال الألماني، كانت أشد هولاً على الشعب الفرنسي من كل ما سبقتها من الجرائم، وعلى سبيل المثال نذكر قصة اليهودي جوانوفيجي (goino Vici) التي كشف الستار عنها بعد الحرب العالمية الثانية،

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 329.

وتتلخص بأن جوانوفيجي هذا كان أصلاً من مواليد كيتشينيف (Kitchinef) من أعمال ساربيا (Bassarabie) التجأ إلى فرنسا عام ١٩٢٥.

ولما احتل الألمان باريس تظاهر بالتطرف الوطني وانضم إلى المقاومة السرية، واشتهر في صفوفها بالإقدام والإخلاص، حتى أسندت إليه رئاسة إحدى حلقاتها، ولكن بعد الجلاء الألماني، تقدم أحد المواطنين إلى القضاء وطالب بالتحقيق مع جوانوفيجي بتهمة اغتياله أحد أولاد المواطن سكافا (Scaffa) فاستلم القضاء الدعوى، كما أثيرت القصة في المجلس الوطني، وتبنى تحريكها النائب رولان (Louis Rolin) وطالب الحكومة بإجراء تحقيق دقيق في الموضوع، ومعاقبة جوانوفيجي بأقصى الشدة إن ثبتت التهمة عليه.

وعلى أثر ذلك توسع القضاء في التحقيق، فتبين له أن جوانو كان يعمل لدى الألمان طيلة أيام الاحتلال، كجاسوس تحت اسم مستعار هو إيفان (Ivan) وأنه هرب إلى ألمانيا آلاف الأطنان من الرصاص والنحاس التي كان يجلبها من المنطقة غير المحتلة، وأنه أثرى من هذا العمل حتى أصبح من كبار الأغنياء، كما ثبت عليه تعامله مع الشرطة والغستابو، وإخبار الألمان عن مخبأ بونيه ولافون (Bonnyet et Laffont) والوشاية برهبان بروس مونتسو الثمانية عشر، الذين أعدمتهم السلطات الألمانية، وإيقاع سبعة عشر مقاومًا في أيدي الألمان وإعدامهم في غابة مون مورانسي (Mont Morency) ومع كل هذه التهم الثابتة لم يحكم القضاء عليه إلا بخمسة أعوام، ومن ثم أفرج عنه بعد سنتين من اعتقاله وأعيد إليه اعتباره، فأقام اليهود له الحفلات والأفراح وأصبح بطلاً قوميًا رغم أنف الشعب الفرنسي، في الوقت الذي كان القضاء الفرنسي لا يتورع فيه عن إعدام أي فرنسي بتهمة لا تبلغ جزءًا من مائة جزء مما اتهم به جوانو اليهودي، وكم من إفرنسي أعدم فقط لتعاطيه التجارة العلنية مع سلطات الاحتلال، وكم من امرأة أهينت واعتدي عليها، ومن ثم أعدمت بمجرد كونها شوهدت أيام الاحتلال مع أحد الضباط الألمان.

وإزاء كل هذه الجرائم اليهودية، كانت الصحافة دائمًا وأبدا ساكتة وكأنها لا ترى ولا تعي، أما عندما تقع جريمة غير يهودية، فإن الصحافة تسارع إلى إعطاء أدق التفاصيل عنها وعن مرتكبها، وتهول بفظاعتها، لكي توهم الشعب أنها تهتم بأمنه

وسلامته، أما إذا كان بطل الجريمة من الشعب المختار، فإنها تقف في وصفه مثلما حدث في قصة دريفوس الخائن الذي ساهمت ٩٠ ٪ من الأقلام اليهودية والماسونية في الدفاع عنه والتشنيع بمَن اكتشفوا أمره حتى أن أميل زولا لم يتورع عن المساهمة في الدفاع عن الضابط الخائن، وهكذا انطلقت الأبواق اليهودية تزلزل الأرض، ومن عليها إلى أن تمكنت من إنقاذ دريفوس الحقير، وإعادة الاعتبار له؛ لأن الرأسمالية اليهودية وأنصارها كانت خلفه، كما هي دائمًا وراء كل ما يعود على اليهود واليهودية بالخير والمنفعة.

الثورة وهبت الحرية لليهود وسلبتها من الفرنسيين

في أعقاب الحرب العالمية الأولى، استفحل النفوذ اليهودي في فرنسا، واضطرت الصحف الحرة إلى توجيه الانتقادات المرة لليهود، وطالبت الحكومة بالحد من نشاط مؤسساتهم وشطط أفرادهم، فجزعت المحافل الماسونية واليهودية من مسلك هذه الصحف ولهجة كُتَّابها الأحرار، وأوعزت الصحافة المهودة بأن ترد عليها قبل فوات الأوان، فسارعت هذه إلى مطالبة الحكومة بوضع حد لحملات الصحافة الحرة التي لقبتها بالصحافة النازية الهدامة، وأحداث قوانين رادعة تحرم النيل من الأقليات الوطنية ضنًا بوحدة الأمة، وصونًا للمصلحة الوطنية، وليت هذا الصراع الصحفي ظل محليًا، ولكنه سرى إلى الصحافة اليهودية في الدول المجاورة، فراحت تحرض الدولة الفرنسية على ضرب الصحافة الفرنسية الحرة، وتطالبها بإيقاف الحملات التي وصفتها بالظالمة على الشعب اليهودي، وخاصة عندما شكَّل اليهودي ليون بلوم الوزارة الفرنسية؛ إذ هبت الصحافة اليهودية في أوربا تطالبه وتلح عليه؛ لأن يسكت الصحافة المناوئة لليهود، وكانت أشدها إلحاحًا، المجلة الأسبوعية التي تصدر في لندن باللغة اليديشية (Yiddish) فكتبت تقول: «إن على السيد ليون بلوم أن يصدر قانونًا صارمًا يقطع دابر الصحافة اللاسامية في فرنسا».

ولكن ليون بلوم لم يجرؤ على تلبية رغبتها، أو بالأحرى فضل سلوك طريقة أخرى وجدها أكثر فعالية، وأقل إلفاتًا لأنظار الناس، وهي الاعتماد على حزبه الذي كان يسيطر عليه تمامًا، ويسيره حسب مفاهيم البروتوكولات الصهيونية، وخاصة مفاهيم الفقرات (٢ – ٣ – ٤ – ٥ – ٦ – ٧) من البروتوكول الأول. فأوعز إلى أفراده

بالتصدي لأصحاب الصحف الحرة، فكان له ما أراد، وقامت المشاحنات بين أعضاء حزبه والمناوئين لليهود، فاستغل بلوم ظروف الحكم، وضرب بعض أخصام اليهود بحجة مناوأتهم للحزب الحاكم، وأبعد البعض الآخر عن البلاد بنفس الحجة، واستتب له الأمر، ولكن الصحافة اليهودية ثابرت على مطالبتها لإصدار القوانين الرادعة، حتى استلم الماسوني دولاديه الحكم عام ١٩٣٩، فلم يطل الأمر، فأصدرت الحكومة الجديدة في ٢١ نيسان سنة ١٩٣٩ قرارها المشئوم الذي أذاعه على الأمة الفرنسية اليهودي يربعام مانديل (geroboam Mandel) أمين عام رئاسة مجلس الوزراء، وكان هذا القرار ينص على تغريم كل مَن يعتدي على أحد اليهود بعشرة آلاف فرنك، وسجنه سنة كاملة، وذلك خلافًا للقانون الفرنسي الذي كان ينص بتغريم مَن يعتدي على أحد المواطنين (دون تمييز) بألفي فرنك وسجنه ستة أشهر فقط، ولكن دولاديه ضرب بالقانون الفرنسي عرض الحائط -وأصدر قراره الذي اعتبر اليهودي الواحد مساويًا لخمسة من الفرنسيين من الوجهة الأدبية والمادية، وهكذا اعترفت الحكومة الفرنسية بموجب وثيقة رسمية بتفوق اليهود على أهل البلاد ماديًا وأدبيًا.

فهللت الصحافة اليهودية لهذا القرار، وباركت الحكومة التي أصدرته، فكتب اليهودي دوكيريللس (Dekrillis) في صحيفة العصر يمتدح هذا القرار ويقول: «وأخيرًا أصدرت الحكومة الحالية الرشيدة هذا القرار الحكيم، الذي سيكون عاملاً أساسيًا في الحد من نشاط دعاة العنصرية والتفرقة، ولقد أوضحنا مرارًا أن هذه المقالات التي تنضح بالعنصرية المتطرفة والتي تزين صدور بعض الصحف من حين إلى آخر ليست سوى مقالات مأجورة، وهي تنهج في أسلوبها نهج كوبلز القذر (Dr. Goebbelz) داعية ألمانيا الأول، ثم قالت: فليعلم أصحاب هذه الصحف المأجورة وأسيادهم، أننا أقوياء، والعالم بأجمعه يعترف بقوتنا، والدول الديمقراطية تسير في ركابنا، وتعمل لمصلحتنا، وإذا قدر لفرنسا أن تنحاز للمعسكر المعادي لنا، فستجد نفسها معزولة عن العالم، ولن يكون مصيرها إلا الانهيار تحت أقدام الجيوش الألمانية، دون أن ينتصر لها أحد؛ ولذا نقول لَمنْ يشتموننا وأسيادهم: إننا لا نأبه لهم، فسيان عندنا إن صادقونا أو كرهونا».

ولقد استاء السيد بللوبواكس صاحب جريدة فرنسا المقيدة من فحوى مقال اليهودي دوكيريللس، ورد عليه بما كان يستحقه، ودعاه إلى التحلي بالأدب والكياسة عند بحثه عن الشعب الذي أواه وأطعمه يوم دخل بلاده فقيرًا معدمًا. وبدلا من أن يرتدع دوكيريللس عن مهارته الصحفية ثابر عليها، ومن الناحية الثانية أقام الدعوى بحق صاحب جريدة فرنسا المقيدة، فأصدرت المحكمة حكمها الجائر بحق السيد بللوبواكس بموجب قرار دولاديه، وأغلقت صحيفته لمجرد وصفها دوكيريللس بأنه الذي دخل البلاد معدمًا فقيرًا.

وفي الوقت الذي كانت الصحافة المهودة فيه، لا تتورع عن توجيه أقذر الشتائم والسباب للشعب الفرنسي ومعتقداته، دون رادع أو حرج، فعلى سبيل المثال يذكر لنا السيد هيبس في مؤلفه (الكتاب المقدس الحديث) ما كتبته صحيفة اليهودي ليون بلوم المسماة بالصحيفة الشعبية بمناسبة احتفال المسيحيين بعيد المرفع، والتي قالت ساخرة: «إنه من المضحك حقًا أن نرى في القرن العشرين أناسًا ما زالوا يحتفلون بخرافة المرفع التي مضى عليها عشرون قرنًا، وأن يعتقدوا بعد كل هذا الزمن الطويل أن المسيح ما زال يقوم كل سنة من مرقده، لابسًا قفطانه الأبيض وحاملاً ريشته البيضاء، ليصعد إلى السماء، وكأنني بهؤلاء البلهاء يرمون إيهام الناس بصدق خرافتهم البالية، التي لم تعد تنطلي على أحد، أما آن لهم يريحوننا منها؟».

ومع كل ما كان يحويه هذا المقال اليهودي من سخرية مؤلمة للفرنسيين لم يعترضه أحد، وهو ليس الوحيد من هذا القبيل؛ إذ كان للصحافة اليهودية جولات موفقة عديدة في هذا المضمار، وكانت الحكومات المهودة التي تعاقبت على الحكم، لا ترى غضاضة فيها، وكان الشعب المستكين يتقبلها صابرًا خشية نقمة اليهود والسلطات الحاكمة التي كانت تساندهم.

وعندما يجسر أحد الفرنسيين بالرد على اليهود أو مهاجمتهم، أو انتقاد الحكومة لمساندتها إياهم والسير في ركابهم؛ كانت تقوم الدنيا وتقعد، وتزلزل الأرض على رأس المتجاسر، وتسارع الصحافة اليهودية ومن ورائها الحكومة لإسكاته وتدميره أبديًا، مثلما حدث للسيد بللوبواكس الذي تجرأ على إعلان رأيه في الحكومة الفرنسية التي كانت تحكم البلاد قبل الحرب الأخيرة، والتي وقفت تدافع عن اليهود ضد هتلر،

وتجازف بالمصير الفرنسي في سبيلهم، فكتب في صحيفته فرنسا المقيدة في ١٢ كانون الأول ١٩٣٩ يقول: «ما لنا وللناس؟ ولم نتدخل فيما لا يعنينا؟ أليس الأجدر بنا أن نهتم بشئوننا الخاصة، وأن ننقذ بلدنا من الانحلال واللأخلاقية التي غرق في بحرها؟ أليس الأولى بنا أن ننشل شعبنا من الفساد الذي غرق فيه حتى الذقون؟ ألا نرى بأم العين كيف يتآمر على بلدنا ومدخراته أنصار ستافيسكي (Stavesk) وناثان (Nathan) خريجي الحي اليهودي، ومَن ينهج نهجهم من وزرائنا القابعين في المواخير اليهودية؟ إلى متى سنظل تحت رحمة اليهود الحاقدين أمثال مانديل؟ وإلى متى سيظل شبابنا تحت إشراف اليهود أمثال جان زاي الذي تفاخر بإذلال علمنا، وإهدار كرامتنا القومية، أما آن للشعب الفرنسي أن يبرأ من علة فقدان الذاكرة، ويستيقظ من كبوته التي طال أمدها وينفض عنه غبار الخضوع والخنوع، ليرى بوضوح ما صنع به اليهود؟ إن فقدان الذاكرة الذي أصاب الشعب الفرنسي أفقدنا كل أمل في النجاة طالما ظل الشعب غافلاً هكذا لا يدرك ولا يفقه ما يدور حوله، طالما أفراده لا يحاولون مجابهة الواقع إلا باللامبالاة والاستكانة، فمصيرنا هو الفناء دون شك، وعلى الأخص على أيدي ساستنا الجبناء المخدوعين الذين يقودون هذا الشعب المسلوب الإرادة إلى حتفه دون وازع من ضمير أو رادع من تفكير، لقد جعل اليهود من هذا الشعب قطيعًا من الحيوانات البهيمة التي لا هم لها إلا الحصول على حاجاتها الحيوانية البدنية، ولم يعد فيه رجل واحد يشعر بالرجولة والشهامة حتى في هذه الأوقات الحرجة التي وصل الوطن فيها إلى حافة الهاوية، فيا ويل فرنسا من نكبتها هذه».

ولما صدرت الصحيفة بهذه المقالة سارعت السلطات إلى مصادرة أعدادها وإغلاق إدارتها، وسحب رخصتها، ومن ثم أغلقت صاحبها وحكم عليه بالسجن لمدة عامين، وبإلغاء رخصته إلى الأبد، وكان هذا الإجراء نصيب كل مَن يجرؤ على التصدي لليهود، وهذا الأسلوب التعسفي في قمع الحركات المناوئة لليهود أرهب الشعب الفرنسي وأرغمه على الاستكانة، فخضع دون احتجاج أو تذمر، حتى غدا وكأنه عبد خُلق لخدمة اليهود، ومما يحز في النفس، هو أن يرى الإنسان ما وصل إليه اليهود في فرنسا من السيطرة والنفوذ بعد الحرب الكونية الثانية، ولقد توسعت سلطتهم بعد الكارثة، بفضل تغلغلهم في قيادات الجيش الفرنسي الحر، الذي تكون في

إنجلترا والمستعمرات، حتى أن أكثر ضباط الأركان كانوا من اليهود والماسون، الـذين انتسبوا للجيش الفرنسي أيام محنته، وعندما كان بحاجة لأي فرد، ولما انهـارت ألمانيـا، وانسحبت من فرنسا، وعاد إليها جيشها الحر، هلل الـشعب الفرنـسي وكبَّـر، ولكنـه سرعان ما ندم؛ إذ تبين له أن أبناءه في صفوف هذا الجيش كانوا أضعف من أن يحموه من طغيان بعض اليهود الذين كانوا يتقلدون فيه أكبر القيادات والمراكز، ولمـا اسـتتب الأمر للعائدين جنح اليهود إلى إبعاد كل ضابط فرنـسي أصيل مـن صـفوف الجـيش، وكل مَن توسموا فيه الخطر عليهم.

وبهذا الأسلوب سيطروا على هذا الجيش العريق الذي كان يومًا سـياج الـشعب الفرنسي ومدار فخره، وبعد أن تمت لهم السيطرة العسكرية في البلاد، أصـبح الجـيش الفرنسي وكأنه جيش مهود، من جراء العدد الهائل مـن ضـباط اليهـود الـذين كـانوا يسيرونه، وفي عام ١٩٥٣ قيل: إنه كان يحوى أكثر من ستة آلاف ضابط يهـودي مـن الضباط الأعوان عدا الضباط الأمراء والقادة.

ويقول هيبس: إن عدد الضباط اليهود برتبة فريق كـان يفـوق الأربعـين، ويعـدد أسماءهم، ونحن نكتفي بدورنا بتدوين بعض هذا الأسماء بغية التذكير وهم: الجنرال بوريس (Boris) والجنرال سبيتز (Spitz) الجنـرال بلـوك (Bloch) والجنـرال أوبرمـان (oppermann) والجنـرال الـتمير (Altmyer) والجنـرال هـيرش (Hirsh) فلمـا رأى الشعب الفرنسي أن اليهود اخضعوا الجيش لإرادتهم ثبطت عزيمته، ولم يعد أحد مـن أبنائه يفكر بإنقاذه من براثنهم، وعلى الأخص بعد أن رأى الجميع مـا حـل بالكاتـب الكبير فيرديناند سيلين (Dr F. celine) الـذي غـامر بحياتـه وتـصدى لليهـود، فكتـب يقول: «لو قُدِّرَ لي أن أصبح يومًا حاكمًا على فرنسا، لرأى الناس أشياء غريبة في إبان حكمي؛ لأنني أعلم الناس بحاجات بلدي. إن الشعب الفرنسي ليس بحاجـة لثـورة أو عشرات الثورات بقدر ما هو بحاجه ملحة للاستمتاع بنعمة الهدوء والاستقرار ومزيـة الاستماع، وإدراك ما يدور حوله، والإقلاع عن إدمـان الخمـر والعـودة لـشرب المـاء القراح، ليتقيأ الكحول التي داوم على تعاطيها منذ فجر عـام ١٧٩٣، هـذه الكحـول التي شلت تفكيرة وقضت على وعيه وهدت جسمه، عندئذ فقط يصبح هذا الـشعب قادرًا على استيعاب ما يوجه إليه من الإهانات، وإدراك ما يسأمه من الذل والعبودية،

كتسميتهم إياه بالشعب المخمور غير الواعي، وتسخيرهم إياه لتحقيق مصالح الغرباء عنه. فعندها سيرى الناس كيف سينهض شعبي من كبوته ويعود شعبًا جبارًا عظيمًا مثلما كان قبل أن يبتلى بطغمة عام ١٧٩٣، أما إذا ظلَّ على ما هو عليه، يتعاطى الخمور التي تفتك بجسمه وعقله، وإذا لم ينفض من دماغه الجراثيم التي أدخلها الماسون واليهود فيه، ويتخلص من سحرهم، فلن يكون له بعد اليوم مكان بين الشعوب والأمم، وسيظل يسبح في النهاية في بحر القذارة اليهودية إلى ما لانهاية له. ويحق لنا أن نتساءل عمَّن سيكون في النهاية أقذر من الآخر، هل سيظل اليهود على شهرتهم في القذارة أم أن الشعب الفرنسي الذي سمي زورًا وبهتانًا بالشعب المتحضر هو الذي سيثبت أنه أكثر قذارة من اليهود. ويقيني أن التفريق بينهما سيكون من الأمور المستحيلة».

ولما صدر مقاله هذا قامت السلطة الحاكمة باعتقاله والاستيلاء على ممتلكاته، وحوكم بتهمة مناهضة الرأسمالية والقومية واليهودية، وحُكِم عليه بالسجن لمدة خمسة أعوام والنفي عن وطنه، وتجريده من حقوقه المدنية، وهذا الظلم الذي أصاب السيد سيلين، أرهب أعداء اليهود، وكمَّ أفواههم إلى الأبد، فاستتب الأمر لليهود في طول البلاد وعرضها، بينما أصبح الفرنسي الذي ثار قبل مائة وسبعين عامًا في سبيل استعادة حريته المسلوبة، عبدًا ذليلاً لليهود الدخلاء على وطنه، ولم يعد يملك من سيادته القومية إلا اسمها، وغدًا مستخدمًا عندهم لا حول له ولا قوة بعد أن كان يطالب بمساواته مع الملوك والأمراء، وإذ به يقف بعد مضى أكثر من قرن ونصف على ثورته على أبواب اليهود الذين غرروا به ودفعوه إلى الثورة على ملوك بلاده يلتمس العون منهم، بعد أن منحهم الحرية والمساواة وأطلق أيديهم في سلب خيرات بلاده وسخر نفسه لدفاع عنهم، حتى أوصلهم إلى أوج السلطة والنفوذ، ليسلبوه حريته ويفقروا بلاده ويستبيحوا دماؤه على مذبح أغراضهم الدنيئة، ويخرجوه عن مثله ومعتقداته، ويحرموه من كل ما كان يملكه قبل أن يخدعوه ويسيروه في ركاب مطامعهم الخاصة.

وهكذا فقد الفرنسي كل شيء بعد تلك الثورة التي سفك دماءه في سبيل إنجاحها، واحتل اليهودي مكانه في كل شيء، وكأنه المواطن الأصيل والأقلام الماسونية

والمأجورة هي التي قلبت هذه الحقائق إلى خيالات وأوهام، وأوهمت العالم بأن هذه الثورة كانت فرنسية مائة بالمائة، وأنها أورثت الشعب الفرنسي الحرية والمساواة وأغرقته في الخير والبركات، وأضفت على إبطالها ومبادئها آيات الإعجاب والثناء، فانطلقت أكاذيبها على الفرنسيين قبل سواهم، ومن ثم على العالم أجمع، وذلك بفضل إصرار كتاب الماسون على ترديد تلك المناقب الباطلة التي أضفوها على الثورة وأبطالها، بينما في الحقيقة لم تكن الثورة إلا ثورة يهودية، ولم يستفد منها الشعب الفرنسي أي شيء، اللهم إلا الذل والعار، وسفك الدماء الغزيرة لتحقيق الأغراض اليهودية، ولم تسفر إلا عن شر مستطير للفرنسيين، ومن هنا أطلقنا عليها اسم الفرية اليهودية الكبرى بدلاً من تسميتها الرسمية (الثورة الفرنسية الكبرى).

ومما يحز في النفس، هو أن نجد اليوم بين مثقفي البلاد العربية مَن يعتقد بأن هذه الثورة كانت ثورة تحررية، قامت في سبيل إسعاد شعبها، ويتصورها قومية فرنسية أصيلة، ويبارك أبطالها وكأنهم كانوا رجال تضحية وفداء في سبيل أمتهم وبلادهم، ويتخيل أن بإمكاننا أن نعتمد على مساعدة أحفاد أبطال تلك الثورة، لحل قضايانا التحررية والقومية، باعتبار أنهم من نسل رواد الحرية والمساواة، وكأنني بهؤلاء لا يعلمون أن الشعب الفرنسي النبيل الذي أهرق دماءه بغية استرداد حقه في الحياة الحرة الكريمة، فقد كل ما كان يملكه من الحرية غداة ثورته وفقد معها زمام أمره، وأصبح يخضع لمَن غرروا به، وغدا مطية سهلة لأغراضهم، ولم يعد بإمكانه الخروج على إرادتهم، وهؤلاء السادة الذين يتحكمون في مقدرات فرنسا منذ أكثر من قرن ونصف، ليسوا سوى اليهود الذين يحاربوننا بكل ما أوتوه من قوة، فلن يسمحوا للشعب الفرنسي بمد يد العون لنا أو لسوانا، إلا إذا كان هذا العون في صالحهم، فالشعب الفرنسي نفسه يتلهف ليرى اليوم الذي يتحرر فيه من السيطرة اليهودية، والمخلصون من أفراده يبتهلون إلى الله أن يمكننا نحن العرب من اليهود، لننقذهم من نيرهم، فما بال بعض الساسة يتعامون عن الحقيقة، ويأملون العون من فرنسا المغلوبة على أمرها، فإلى هؤلاء أقول اتركوها وشأنها، لتلعق جراحاتها العميقة، وانبذوا الأوهام، واعتمدوا فقط على السواعد السمر لاسترداد حقنا، وإنقاذ العالم من شرور أحفاد جدعون ودبورة.

اليهود في روسيا

على أثر انقراض الدويلة اليهودية في القرن السادس قبل الميلاد، وجلاء نخبة أهلها إلى بابل، تشرد اليهود في الأقطار المجاورة لفلسطين، وعندما قامت الدولة الفارسية التي احتلت مكان آشور وبابل في الشرق، انتشر اليهود في البلاد التي خضعت لحكم فارس، ولما خيم ظل اليونان على ربوع الشرق ومنح اليهود بعض الامتيازات، توسعوا في انتشارهم نحو الشمال واستوطنوا في البلاد التي كانت تخضع للدولة الجديدة، وفي ظل روما التي حكمت العالم القديم أصبح لهم في كل بلد جالية ذات كيان خاص، تخضع في شئونها الدينية والدنيوية للمجلس الكهنوتي الأعلى الذي اعترفت روما بسلطته التامة على جميع الجاليات اليهودية في إمبراطوريتها الواسعة، فاستغل المجلس اليهودي هذه المنحة الرومانية، وانهمك في تنظيم شئون جالياته، وأحداث سبل الترابط والاتصال بينها، ولما حقق هذه الأغراض، وأيقن من ولاء اليهود له في كل بلد، أصدر إليهم الأمر بوجوب المباشرة في التبشير لشريعتهم، والعمل على إدخال أكبر عدد ممكن من الناس في الموسوية، وكادت اليهودية أن تنجح في مختلف أقطار الإمبراطورية، لولا أن ظهرت المسيحية في الوقت المناسب لتقف في طريقها، فاحتدم الصراع بينهما، إلى أن انتصرت المسيحية في النهاية، وانطوت اليهودية على نفسها بانتظار الفرص الملائمة، لتعود إلى صراعها مع النصرانية من جديد، وبغية تحقيق هذا الهدف ظلت تراقب بيقظة وانتباه ما يدور حولها.

ولما ظهر الإسلام (في النصف الثاني للقرن السادس) وانهمكت المسيحية في محاربته، استفاد اليهود من هذا الظرف، وعمد مجلسهم الأعلى إلى توجيههم وجهة جديدة، وهي أن يتسللوا إلى المناطق التي كانت بعيدة عن النفوذ المسيحي، ليعملوا فيها على تهويد أهلها، لتصبح لهم في المستقبل مركز الانطلاق لمحاربة المسيحية والإسلام معًا، فبادر اليهود إلى تنفيذ مخططهم الجديد، فزحف يهود اليونان وأوربا الوسطى إلى المناطق السلافية الشرقية التي كانت ما زالت على الفطرة والإلحاد، بينما تسلل يهود فارس وبابل إلى البلاد الواقعة على سواحل بحري الخزر والأسود، والتحقوا بجالياتهم التي سبق أن أجلتها فارس إلى بلاد الخزر في أعقاب ثورة أريحا

والإليفانتين، فبدأ الجميع بالتبشير والدعوة لمذهبهم حيثما حلوا، ويبدوا أن حظ مَن استوطن منهم بلاد الخزر كان أحسن من حظ الآخرين، فتمكنوا بالتعاون مع مَن سبقوهم إليها، من تهويد كافة القبائل التي كانت تقطن ما بين نهري الفولغا والدنيبر، وأصبحت المنطقة برمتها يهودية قبل القرن التاسع الميلادي.

وفي منتصف القرن التاسع تمكن أحد أمراء الخزر المهودين المدعو بولون (Boulon) من فرض سيطرته على جميع القبائل الخزرية، وأعلن نفسه ملكًا عليها، ومن ثم سمى منطقة نفوذه بمملكة الخزر اليهودية، باشر بالتوسع على حساب المناطق المجاورة، وكان يفرض الشريعة الموسوية على أتباعه بالقوة، وهذه المملكة كانت أول دولة تقوم في البلاد الروسية، التي كانت حتى ذلك التاريخ تعيش حياة القبلية والبداوة، وقيام هذه المملكة اليهودية أحيا آمال اليهود في تهويد روسيا بكاملها، واستخدام شعوبها في صراعها المرتقب مع النصرانية والإسلام[(١)].

ولكن شاءت الأقدار أن يستيقظ بعض أمراء الروس وينزعوا إلى تقليد البلاد الغربية، فقام الأمير الإسكندنافي رودريك بتأسيس أول إمارة روسية واتخذ لها مدينة نوفوغورود (Novogorod) مركزًا رئيسيًّا ليشرف منها على المناطق التابعة لإمارته. وحذا الأمراء الآخرون حذو رودريك، فقامت في كييف الإمارة الروسية الثانية تحت زعامة الأمير أوليك (Oleg) الذي اشتهر في التاريخ بعقد أول محالفة مع بيزنطة في أواخر القرن العاشر بعد الميلاد[(٢)].

وهذه التطورات التي حدثت في البلاد السلافية، أرعبت اليهود الذين كانوا يعللون أنفسهم بتهويد الروس وضمهم إلى مملكة الخزر اليهودية قبل أن تمتد يد النصرانية إليهم، ولكن قيام الإمارات المنظمة التي أخرجت الروس من عيش البداوة والفوضى، واقتراب أوليك من بيزنطة الخاضعة للكنيسة الشرقية التي كان اليهود يعتبرونها أشد خطرًا عليهم من الكنيسة الغربية، أطارت صوابهم، فقرروا الكيد لهذه الإمارات الروسية الناشئة، والإطاحة بها قبل أن يستفحل أمرها، أو أن تنضم تحت نفوذ عدوتهم التقليدية الكنيسة الشرقية، ولكن مشاريعهم باءت بالفشل طيلة حياة

(1) J.J. Tharaud (Le chemin d,Israel) bage 91.
(2) Brian chaninov (Histoire de la Russie) page 19 – 20.

الأمير أوليك صديق بيزنطية، الذي كان يحتقر اليهود ويبعدهم عن محيطه.

ولما توفي أوليك، وخلفه على إمارة كييف الأمير الشاب إيكور (Igor) توصل اليهود إلى التغرير به، وأطمعوه في ثروات بيزنطة التي كانت مشهورة آنذاك بغناها الخيالي، وانجرف إيكور في تيار الأضاليل اليهودية، وصمم على غزو بيزنطة وإخضاعها لسلطانه، فأمر ببناء أسطول بحري ضخم، وجهزه بكل الأسلحة التي كانت سائدة آنذاك، وأبحر في مستهل عام ١٩٢٢ قاصدًا القسطنطينية، ولما وصل إليها وحاصر مداخلها البحرية، تخيل نفسه أنه من النصر قاب قوسين أو أدنى، ولكن الروم الذين كانوا على علم بما كان إيكور يبيته لهم، تركوا أسطوله يقترب من الساحل، وفاجئوه بالنيران الغرغورية (Feux Gregeois) ودمروا أسطوله، فعاد يجر أذيال الخيبة.

وبعد ثلاثة أعوام أعاد الكرة وحاصر القسطنطينية طويلاً، ولكنه عجز عن فتحها، فرضي بأن يتفق مع الدولة البيزنطية على ضريبة مقطوعة ليكف عن حصارها، ولما قتل إيكور في إحدى معاركه مع قبائل دريفليانى (Drevliane) خلفته على الإمارة زوجته الأميرة أولغا الإسكندنافية، وكانت ذات همة وحمية، فأقسمت أن تنتقم لزوجها، فقامت تطارد القبائل المجاورة لإمارتها حتى أخضعتها لإرادتها، فتوسعت إمارتها وقويت شوكتها، فاستتب الأمر لها، فسارعت بيزنطة لخطب ودها، وعقدت معها حلفًا عسكريًا أسفر عن دخول النصرانية إلى إمارتها، ففقد اليهود بذلك نفوذهم في المنطقة، واحتاروا في أمرهم، ولكنهم اعتصموا بالصبر بانتظار الظروف.

وفي عام ١١٥٧ توفي الأمير جورج وخلفه الأمير أندره (Andre) الذي كان نصرانيًا متعصبًا، بنى مدينة فلادمير (Vladmir) وأكثر فيها المعابد والكنائس، واتخذها لنفسه عاصمة دائمة، ومن ثم شرع في طرد اليهود من منطقته، ويظن أنه هو الذي قضى على دولة الخزر اليهودية، وإن كان التاريخ الرسمي لا يذكر شيئًا عن محاربته للخزر، ولكن الوثيقة التي عثر عليها في القرن السادس عشر، والتي تبحث عن انهيار الدولة الخزرية تشير إلى أن الأمير الروسي الذي قضى على الدولة الخزرية كان من أمراء القرن الحادي عشر، ومن فحوى هذه الوثيقة المحفوظة حاليًا في المتحف الروسي، يعتقد النقاد بأن الأمير المشار إليه هو أندره نفسه، كما أن بعض مؤرخي

التاريخ يعتقدون أن أولغا هي التي قضت على دولة الخزر، وهم يعتمدون في قولهم هذا على ما اشتهرت به أولغا من شدة البأس والتعلق في الكنيسة الأرثوذكسية.

وعلى كل حال كان لقضاء الروس على الدويلة الخزرية، أكبر الأثر في نفوس اليهود، فحطمت آمالهم، وعلى الأخص بعد أن انتشرت المسيحية في روسيا على يد الأمير أندره، فاغتاظ اليهود من هذا الأمير الذي قضى على أحلامهم فقرروا اغتياله، وفي إحدى الليالي قام اليهودي الخزري إفرام مونزيك (Efrem Monzig) وزميله (اليهودي أيضًا) المدعو أنبال (Anbal) على رأس عصبة من الخدم والحشم وداهموا قصر الأمير أندره قتلوه في مخدعه، ومن ثم ألقوا بجثته من على شرفة القصر، وأعلنوا حكمهم على عاصمة إمارته، وقتلوا كل مَن كان يناصر الأمير، ومنعوا الأهلين من مواكبة جنازته والصلاة عليها.

ولما علم أخوه الأمير فسيفالاد (Vsevalad) بمقتل أندره سارع إلى مدينة فلادمير وحاصرها، ولما دخلها قضى على المتمردين ومن ساعدهم من اليهود، وأعاد المياه إلى مجاريها، وعلى أثر هذه الحادثة، أصبح الشعب الروسي ينظر إلى اليهود نظرة شك واحتقار، فتحول اليهود إلى العمل خفية للثأر من الروس، واتخذوا التجارة مع البلاد الواقعة في شرق الإمارات الروسية (أي مع القبائل التترية والمغولية) وسيلة للوصول إلى النيل من الشعب الروسي، وكانوا يعتمدون في تحقيق هذا الغرض على ما كان لهم من العلاقات القديمة مع تلك القبائل عن طريق دولة الخزر التي أبداها الروس، والتي كانت لها اتصالات وثيقة مع الشرق، فصار اليهود يترددون على القبائل المغولية، فتوثقت علاقاتهم معها بصورة جدية، وفكروا باستثمارها لمصالحهم الخاصة، وبدءوا يحرضون المغول على اجتياح البلاد الروسية الغنية.

ولما ظهر جنكيز خان الجبار في القرن الثالث عشر على مسرح التاريخ، أيقن اليهود بقرب يوم الثأر من الروس، وازداد نشاطهم في إلفات أنظار جنكيز نحو التخوم الغربية. وأخيرا تمكنوا من تحقيق مآربهم على يد الأمير باتي المغولي، الذي غزا البلاد الروسية عام ١٢٣٦، وقضى على الإمارات الروسية وأخضع البلاد برمتها إلى سيطرة جنكيز خان، وهكذا رد اليهود الصفعة إلى الروس الذين كانوا في طريق تكوين وحدتهم وإقامة كيانهم القومي[١].

(1) Brian chaninov (Histoire de Russie) page 62. 63.

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن اليهود حصلوا من المغول أو التتر على ميزات عديدة لما كان بينهم من الصداقات، ولوجود بعض المهودين بين صفوف الغزاة، فصار اليهود يدون الروس علنًا إلى الدخول في مذهبهم، ويناوئون الكنيسة الأرثوذكسية بشراسة ظاهرة، ولكن كل ذلك لم يمنع الأرثوذكسية من الانتشار، حتى عمّت البلاد، كما أن القومية الروسية بدأت بالتبلور، ومع الزمن، قام النزاع مجددًا بين الروس والغزاة، وتشكلت في المناطق بعض الأمارات الروسية من جديد، وبدأ ظل التتر بالتقلص حتى أزيل نهائيًا عن الربوع الروسية، وقامت فيها دويلات محلية، ثم أصبحت إمبراطورية واسعة الإرجاء بعد أن توحدت جمهوريات الشمال مع الإمارة الموسكوفية (LaMoscovie) على يد الجمعية الوطنية (Velikyi Zemskyi sobor) التي أقرت توحيد البلاد، وقيام القيصرية تحت زعامة ميشيل رومانوف في ١١ حزيران عام ١٦١٣، وعند ذلك فقد اليهود نهائيًا أملهم في تهويد الروس وإذلالهم، ولكن شاءت الظروف أن تنتصر اليهودية في الغرب، بعد أحداث كرومويل في إنجلترا وقيام الثورة الفرنسية، وانتشار المحافل الماسونية في أكثر الأقطار الأوربية، وانطلاق جيوش حليفهم نابليون في أوربا، فعادت الأحلام الذهبية تراوض اليهود من جديد، وعلى الأخص بعد اغتيال الملك بول عام ١٨٠١، واستلام إسكندر زمام الأمور في البلاد، فبادر اليهود إلى توسيع نشاطهم اعتمادًا على سفارات الدول الغربية التي كانت تساعدهم على الكيد للروس، وعلى المساعدات التي كانوا ينتظرونها من القيصر الجديد الذي كانت تربطه صدقة وطيدة باليهود منذ طفولته؛ إذ كان من تلامذة اليهودي السويسري لوهارب (Le Harbe) ولكن عندما توضحت للإسكندر الأمور، وتيقن مَن اشتراك اليهود في اغتيال والده بول، ولاحظ ما كان اليهود وأنصارهم يرمون إليه من وراء دعاياتهم التحررية، وما قاموا به من مناصرة نابليون عام ١٨١٤ (بان احتلال هذا الأخير لروسيا) شعر بخطرهم، وقرر أن يتخلص منهم بصهرهم في البوتقة الروسية، فأصدر أمره بمنحهم الأراضي الزراعية، وقبول أطفالهم في المدارس الروسية، وإرغامهم على ارتداء الألبسة العادية، فاعتبر اليهود أوامره هذه تدخل في شئونهم الدينية ورفضوها برمتها، وعادوا مجددًا يكيدون له مثل كيدهم لأبيه من قبل.

ولما توفي الإسكندر عمت الأفراح جالياتهم مع أن الإسكندر لم يسيء إليهم، ولقد اعترف كاتبهم الشهير كرانس[1] (Graetz) بخطأ اليهود عندما كتب في مجلة الدراسات اليهودية يقول: إن شعبنا أخطأ عندما رفض مقترحات إسكندر الأول التي كانت في مصلحته ولسعادته.

ولما اعتلى إسكندر الثاني العرش الروسي، أراد مساعدة اليهود باعتبار انه كان ماسونيًا معروفًا، فجدد اقتراحات سلفه عليهم، ووعدهم بالإكثار من الامتيازات لهم، ولكن اليهود ظلوا على تعنتهم، وراحوا يعلنون الحرب السافرة على القيصر دون أي سبب ظاهر، سوى أنه أراد أن يمنحهم الصفة الروسية، عندها لم يعد بإمكان القيصر تحمل الشط اليهودي، فتخلى عن ماسونيته، ليصبح حرًا في تصرفاته نحو من بادروه العداء، ومن ثم أعلن بدوره الحرب على الماسونية، وجمعية المثقفين اليهودية، والكتاب اليهود وجمعية النهليست، وشدد على اليهود بعد أن تم له النصر في الحروب القفقاسية التي ورّطه اليهود فيها، ولكي يتنصر عليهم عين الجنرال لوريس ميليكوف مسئولاً عن الأمن الداخلي، وكان لوريس من أذكي القواد الروس، تمكن بسرعة من اكتشاف الكثير من المؤامرات اليهودية، ولكن اليهود أبوا أن يلقوا السلاح بسهولة، فدام الصراع طويلاً إلى أن تمكن اثنين من فوضوي اليهود من اغتيال القيصر عام ١٨٨١، وهذا تحقق نبوءة المجاهد القفقاسي الكبير الشيخ شامل الذي قال للقائد الروسي الذي انتصر عليه: «قل لقيصرك: إنه لم يتنصر علينا بقوة جيوشه وتعدد أسلحته، بل بفضل المؤامرات اليهودية التي غذاها في ربوعنا، فليحذرهم بدوره؛ لأنهم سينالونه في يوم ما، دون أي ريب».

وهنا تأكد للروس مدى الخطر الكامن في مهادنة اليهود، فقامت الشرطة الروسية بحملة واسعة ضد اليهود ومؤسساتهم، واعتقلت العناصر المشبوهة، وطردت مَن كان ينتسب إلى الدول الأجنبية، وحددت إقامة ونشاط مَن اعتبر خطرًا منهم، ولكن هذه الإجراءات أتت متأخرة جدًا؛ إذ كان اليهود قد تمكنوا من السيطرة على طبقة العمال التي غرروا بها وعن طريقها ثابروا على نشاطهم ومن الجهة الثانية استفحل أمر الجامعات بفضل نشاط أساتذتها من اليهود.

---

(1) P. H. (Le dernier bal du grand soir) page 189.

وفي عام ١٨٩٧ تمكن اليهود من إقامة أول مؤتمر عمالي باسم مؤتمر عمال اليهود الاشتراكين، وتوسعوا في نشاطهم بصورة سافرة، فعم الفساد في طول البلاد وعرضها، وزاد في الطين بلة انهزام الروس في معركة بورت أرتور الشهيرة التي أضعفت هيبة الروس في العالم أجمع، فسارعت الرأسمالية اليهودية لاستثمار هذا الانهزام، وأشاعت البلبلة في الأوساط الاقتصادية في البلاد، فعمد الأثرياء إلى تهريب أموالهم إلى خارج البلاد، مما أدى إلى انهيار روسيا اقتصاديًا وسياسيًا وعمت الفاقة في أنحاء البلاد، فكانت الفرصة الذهبية لليهود والماسون، فقامت المظاهرات الصاخبة، وتعددت الإضرابات العمالية، وشاعت الفوضى في المدن والدساكر، وعجزت الدولة عن إعادة الأمن إلى نصابه، كما عمدت السفارات الغربية إلى تغذية الحوادث بما كانت تشيعه من الأضاليل، فاضطر القيصر نقولا الثاني إلى استدعاء الكونت ميرسكي وقلده رئاسة الوزارة آملاً بأن ينقذ البلاد من ورطتها، فخيل للكونت أن خير دواء لحل الأزمة، هو إعطاء اليهود وأنصارهم مطاليبهم، فأطلق لليهود الحرية الدينية، وأعاد إلى البلاد من طرد منهم، وأفرج عن سجنائهم، ومنحهم حرية القول والكتابة أملاً بأن يعودوا إلى الهدوء والسكينة(١).

بيد أن ميرسكي أخطأ التقدير وأفسح المجال أمام اليهود ليتوسعوا في نشاطهم، واتصلوا بالهيئات والمنظمات اليهودية في الخارج، وطلبوا مساعدتها، فانهالت عليهم المساعدات المالية من مختلف أنحاء العالم، ولما توفر لهم ما كانوا بحاجة إليه، خاضوا معركتهم الفاصلة مع القيصرية واقتلعوا جذورها بعد ثلاثة عشر عامًا من الصراع.

مدى علاقة الرأسمالية اليهودية بالثورة الروسية

«يجب علينا أن نفجر ثورة عالمية عارمة تقضي على التقاليد البالية، وتعصف بالمعتقدات، وتقتلع جذور الملكيات الخاصة؛ لكي تتحقق المساواة التي نرغبها، والتي نادت بها جمعياتنا السرية، التي انبثقت عنها الحكومات المؤقتة القائمة حاليًا في أكثر الأقطار الأوربية، وبغية تحقيق الثورة المنشودة، يجب على شعبنا المختار أن يتعاون مع الملحدين، وأن يتحد أثرياؤنا مع دعاة اليسار المتطرف ليعملوا جميعًا لتحقيق أحلامنا».

من أقوال اليهودي ديزرائيلي (Disraeli) الوزير البريطاني المعروف. نقلا عن الكتاب المقدس الجديد

---

(1) Brian chaninov (Histoire de Russie) page 460.

لبير هيس صحيفة (١٧٠).

ليس في الماضي فحسب، بل اليوم أيضًا، نجد بعض المتحذلقين الذين يستهجنون القول بتدخل الرأسمالية اليهودية في الثورة الروسية، ويعتمدون في استهجانهم على ما بين النظامين من خلاف وتناقض في المفاهيم، ويدللون على إثبات نظريتهم بتفاقم النزاع بين الرأسمالية اليهودية والدولة الروسية يومًا بعد يوم.

وهؤلاء المتحذلقون ينقسمون بطبيعتهم إلى فئتين: فئة جاهلة لما أحاط بالثورة الروسية من الالتباس، فتعذر فعلاً، وفئة أخرى مغرضة لأحد السببين... ولذا فهي تنكر الحقيقة، وتتجاهل ما تعلم، ونحن هنا لا يهمنا أمر هؤلاء الناس، بقدر ما يهمنا توضيح الأمور التي سبقت الثورة، وما اكتنف سير أحداثها من الملابسات.

وبغية الإفصاح، لا بد لنا من تفصيل العوامل التي أدت إلى تدخل اليهود في هذه الثورة وتحديد الأغراض التي تَوَخُّوها من هذا التدخل، وإمعانا في التفصيل نُذَكِّر القارئ، بأن اليهودية تمركزت في روسيا قبل أن تدخلها المسيحية، وأسست فيها دولتها الخزرية، وظنت أنها رسخت أقدامها فيها، وعللت نفسها بتهويد شعوبها، ومنع النصرانية من دخولها، واتخاذها في المستقبل مركز انطلاق، ومحور ارتكاز لمقارعة النصرانية والإسلام.

ولكن خاب فألها وقامت الإمارات الروسية، ثم قضت على دويلة الخزر اليهودية، ودخلت النصرانية إلى روسيا، وسيطرت كنيستها الأرثوذكسية على جميع الشعوب السلافية، ثم انسحب المغول، وقامت القيصرية، فقضى على أحلام اليهود، فرضخوا لحكم القدر على مضض، دون أن يتخلوا عن السعي لتحقيق مآربهم عندما تسمح الظروف بذلك، فقبعوا في جحورهم ينتظرون ما ستتمخض عنه الأيام.

وفي أعقاب ثورة كرومويل التي أعادت نفوذ اليهود إلى بريطانيا، والثورة الفرنسية التي أدت إلى انتصارهم الساحق على الكنيسة الكاثوليكية، وتسلطهم على مقدرات كل من الدولتين المذكورتين، عادت الأحلام تراودهم في السيطرة على الروس وإطاحة بالقيصرية والكنيسة الأرثوذكسية اللتين قضتا في الماضي على الدولة الخزرية، وحالتا دون تهويد الشعب الروسي وبغية تحقيق ذلك، بدأ اليهود بتطبيق البرامج التخريبية التي طبقت في البلاد الغربية، أي السعي لإخراج الشعب الروسي عن طاعة

الكنيسة، ودفعه نحو الإلحاد واللاأخلاقية، وإثارة النعرات الطائفية والطبقية في صفوفه، وتحريضه على الدولة، فأشاعوا الأضاليل والدسائس في كل مكان، ولقد شجعهم على ذلك، تعدد الأقوام والشعوب في البلاد الروسية، وللوصول إلى هذه الأغراض، فأغرقوا البلاد بشتى مصادر الفلسفات والآراء التي سبق وأشاعوها في الغرب.

لما كانت الكنيسة الأرثوذكسية والقيصرية تعلمان ما فعله اليهود في الغرب، وقفتا في وجههم، وساندهما الشعب في البداية فأحبطت بعض المؤامرات اليهودية، وحدث عام ١٨٨٠ في كل من مدينة اليزافيت كراد (Elisavetgrad) وكييف (Kiev) وأوديسا (Odessa) بعض الاعتداءات الشعبية على اليهود، فاستغلتها المحافل اليهودية في الغرب، ونادت بالويل والثبور، وطالبت الحكومة الروسية بالكف عن اضطهاد اليهود، وراحت الصحافة المهودة تُهَوِّل في الأمر وتطالب الدول الغربية بالتدخل لصالح اليهود، وهكذا جعل اليهود من هذه الحوادث الفردية الداخلية قضية دولية، واستثمروها على أوسع نطاق.

وطالب بعض زعمائهم وكُتّابهم أمثال بنسكر (binsker) وجوزيف سلفادور (Joseph Salvador) موسى هيس (Moise Hess) وديزرائيلي (Disraeli) بالسماح لبني قومهم للعودة إلى فلسطين، وأيدهم بعض كتاب الغرب المهودين في هذا الطلب، فأصبحت بذلك القضية اليهودية، قضية الساعة في أواخر القرن التاسع عشر.

ولكن الحكومة الروسية أصمت آذانها عن سماع هذه الترهات، ولم تعرها الأهمية التي كان اليهود ينتظرونها، فتنادت محافلهم السياسية المختلفة وعقدت عام ١٨٨٤ أول اجتماع قومي لها في مدينة كاتوفيس (Katovice) تحت رئاسة بنسكر، وبحث المجتمعون الشئون اليهودية العامة، وتدارسوا الفرضيات المختلفة التي يمكن أن تعترض طريق هدفهم الأسمى (السيطرة على العالم) الذي يحملون بتحقيقه منذ عهد المنفى، فوضعوا لها الحلول التي استنبوها، وكان في مقدمتها القضاء على الدول التي تعارض تحقيق أغراضهم، ولقد جاء تصنيف الإمبراطورية الروسية الثاني في قائمة الدول التي اعتبرت مناوئة لمخططاتهم، ولقد تأكد لهم صدق حدسهم فيما بعد، عندما اصطدم الزعيم الصهيوني هرزل (عام ١٨٩٦) بمعارضة الروس الشديدة لعودة اليهود إلى فلسطين.

وعلى الأثر قرر اليهود تدمير الإمبراطورية الروسية وكنيستها مهما كلّفهم الأمر، فثابروا مثلما ذكرنا على تطبيق مناهجهم في روسيا، وواتتهم الظروف المواتية، واعتلى العرش الروسي نقولا الثاني، الذي عرف باستهتاره بمقاليد الحكم، وترك أمر إمبراطوريته الواسعة في أيدي الطبقة الأرستقراطية الفاسدة، التي كانت تعتبر نفسها من طينة أعلى من طينة الشعب، فراحت تستهين بمصالح الأمة، وتحتقر الشعب، وتنهب أمواله بخسة ودناءة، وتستبيح أعراضه وتنكر عليه إخلاصه الذي برهن عنه إبان محنة الدولة الروسية مع نابليون، والتي دافع فيها الشعب عن مليكه وإمبراطوريته أحسن دفاع، وبذل المال دون حساب، ولكن هذه الطغمة الأرستقراطية الفاجرة، تنكرت له وسامته سوء العذاب، بدلاً من أن تكرمه وتهتم بشئونه، فكان من الطبيعي أن يفقد الشعب الروسي النبيل إيمانه بهذه الطبقة اللئيمة التي حرمته حق الحياة، والكنيسة التي تخلت عنه، رغم أنها كانت في الماضي عزاءه الوحيد الذي يرجع إليه في الملمات، لتواسيه وتشد أزره، فأضمر الشعب لهما الحقد بحق، وبادر يبحث عن مخرج ليتخلص منهما، فانتهز اليهود هذه الفرصة، وهبوا يبحثون عن طريقة تمكنهم من السيطرة على البلاد والثأر من القيصرية والكنيسة الأرثوذكسية.

ولما كانوا يراقبون الأوضاع منذ أمد الطويل، ويبحثون فيما يجب عليهم عمله، وجدوا أن السبيل الوحيد لجر الشعبي الروسي خلفهم، هو التلويح له بالعدالة الاجتماعية والحياة الحرة الفاضلة، التي كان الشعب الروسي يتوق[1] إليهما، وفي أعقاب مؤتمر بال (١٨٩١) قويت شوكة اليهود في روسيا، بفضل المساعدات التي تلقوها من اليهود في الغرب.

(وبعد أن وحد مؤتمر بال جميع هيئاتهم، وصهر مختلف محافلهم السياسية اليمنية واليسارية في بوتقة العمل الموحد لصالح القومية اليهودية) فشددوا النكير على الدولة، ودفعوا العمال للشغب والتمرد، فاضطر نقولا الثاني لمهادنتهم، وأوعز لرئيس وزرائه بالتساهل مع العمال الذين كان اليهود يحرضونهم، فسمح لهم بتأسيس حزب العمال اليهودي الذي بحثنا عنه، فساءت الحالة، وتسارعت الأحداث في طول البلاد وعرضها، من جراء إهمال القيصر لشئون شعبه، وتعنت الطبقة الأرستقراطية المجرمة

---

(١) يتوق: يتشوق. انظر لسان العرب مادة ١٠/ ٣٣. (دار البشير).

التي أصمت آذانها عن سماع شكايات الشعب، والتي كانت تخرس صوت كل شاك بالنار والحديد.

ففقد الشعب صبره ولم يعد يتحمل الظلم والاضطهاد أكثر مما تحملها سيما واليهود كانوا يدفعونه بشتى الوسائل إلى مناهضة السلطات الحاكمة، فقامت المظاهرات الصاخبة تطالب الدولة بالسماح للطبقة العاملة بتكوين المجلس العمالي الأعلى الذي كان اليهود يتوخون من إيجاده السيطرة التامة على طبقة العمال، فلم تنجح الدولة في الحد من نشاط اليهود، وأرغمت على التنازل لمطالبهم، وأصدر ميرنسكي قرارًا يجيز للعمال تشكيل مجلسهم، فسارع اليهود إلى تكوينه بالشكل المناسب لأغراضهم، وأسندوا رئاسته إلى اليهودي نوزار (Nosar) الذي عرف في التاريخ بلقب خوروستاليف (Khoroustalieg) وعينوا لأمانة سره اليهودي برونستين (Brounestein) من مواليد أوديسا، والذي اشتهر فيما بعد في الأوساط الثورية التي ناوأت القيصرية باسم تروتسكي (Troteskyi). وهو الذي أحدث التشكيلات العمالية التي سُمِّيت بالتشكيلات الحربية L' organisation de Compat وأسس اتحاد الفلاحين L' union des paysans، ولما كانت الحكومة ميالة إلى المهادنة، فلم تعترض على أحداث هذه التنظيمات التي كانت تخضع لليهود، فأيقن اليهود من عجز الحكومة، ودفعوا بمنظماتهم الجديدة إلى العصيان (عام ١٩٠٥) فاصطدمت هذه الفئات المسيرة ضد السلطات الحاكمة بقوات الجيش والشرطة.

ودامت المعارك بين الطرفين مدة أسبوعين، قُتل في أثنائها عم القيصر الدوق سيرج (la grand serge) كما قتل كثيرون من أفراد الطبقة الحاكمة، وموظفي الدولة، وعشرات الألوف من العمال الفقراء والمواطنين، وانتهت الحوادث على أثر تشكيل المجلس النيابي وإقامة الحكم الدستوري.

والغريب في أحداث ١٩٠٥ أن جميع القتلى كانوا من الروس وحدهم بينما لم يمس أحد من اليهود بسوء، رغم أنهم كانوا يقودون ويحرضون الجماهير، وتوقف الحوادث في أعقاب قيام (الدوما) لم يكن يعني إنجاز الأغراض اليهودية أو عدولهم عن الثورة، فظلت النار كامدة تحت الرماد، وثابر اليهود على تغذيتها، وعلى الأخص في ظل الحكم الدستوري الضعيف، وفي هذه الأثناء أعادت الصهيونية العالمية النظر في

تطور الأمور بروسيا، فقررت إطلاق يد أحد أعضائها البارزين في الشئون الروسية، وكان هذا المختار الجديد هو يعقوب شيف (jacip schiffe) الذي كان منذ أمد بعيد يعمل لتدمير الإمبراطورية الروسية، كما قررت الصهيونية أن يكون البارون هيرش (Hirch) المعتمد المالي للشئون الروسية.

وكان هذا البارون من أكثر الزعماء تعصبًا لليهودية، وهو الذي شكَّل الفِرق الحربية اليهودية، وأقام شركة المستعمرات اليهودية في عهد الملك إدوار السابع، الذي ورَّطه في الموافقة على مشروع هيرش مستشاره اليهودي أرنست كاسل (sir Ernest Cassel) ولقد رصد هيرش لمشروعه هذا ٢٧٥ مليون فرنك من الذهب من ثروته الطائلة التي جمعها من التلاعب بأسعار الصكوك العثمانية (les pons ottoman).

ويقول هيبس عن هيرش: بأنه موَّل جميع المستعمرات اليهودية في فلسطين، فلما عهد إليه تمويل الثوار اليهود في روسيا، افتتح فرعًا خاصًا لشركته القديمة في أمريكا ووضعه تحت تصرف يعقوب شيف، وبدأت عمليات التمويل تسير بصورة منتظمة. وبعد ثورة عام ١٩٥٠ وضع شيف مخططًا جديدًا للثورة البلشفية، يتلخص بأن يمول الثوار بالمال والرجال والعتاد، فبادر إلى جمع المغامرين اليهود الذين سبق وأن طُرِدُوا من روسيا، وبدأت مراكز التدريب التي افتتحها بأميركا بتدريبهم وتأهيلهم على أعمال القتل والاغتيال، ومن ثم افتتح اكتتابًا ماليًا لمساعدة الثورة، فتبرع جميع أثرياء اليهود إلى شيف بمبالغ كبيرة؛ لأنه كان قد أقنعهم بأن روسيا ستصبح بعد نجاح الثورة دولة يهودية، باعتبار أن الطبقة الحاكمة والمسيرة للأمور فيها ستكون من اليهود، الذين سيقودون الشعب الروسي لتحقيق السيطرة اليهودية على العالم أجمع، فانهالت التبرعات اليهودية على مؤسسة شيف، وتقدم آلاف من الشباب اليهودي للتطوع في المنظمة الجديدة، فكان شيف يدرب هؤلاء الشباب، ومن ثم يزودهم بجوازت سفر أمريكية وبأموال طائلة وبالتعليمات اللازمة، ويرسلهم بعد ذلك إلى البلاد الروسية، ليعلموا في صفوف تروتسكي وأنصاره.

ومن جراء هذه العملية المتقنة ازداد عدد اليهود في روسيا، وتغلغلوا في صفوف العمال والفلاحين، يعملون ليل نهار لتحريضهم على مناوأة السلطة، ويبثون فيهم الأفكار المعارضة لتعاليم الكنيسة والتقاليد، ويقنعونهم بنبذ كل تقليد أو عرف قديم

مثل الوطنية والقومية ويدفعونهم نحو الإلحاد والإباحية.

ولما كانت طبقة العمال في روسيا تعيش في فقر مدقع[١] (القريب بطبيعة الحال من الكفر) يفقد الإنسان معه معنوياته ومُثله بسهولة، فلم يصعب على اليهود إقناع هذه الفئات بصحة نظرياتهم، بعد أن ذاقت طويلاً مرارة الذل والعبودية والظلم والفقر، وعلى الأخص أن اليهود كانوا يظهرون نحوها كل حب وتقدير، ويقدمون لها العون المادي والمعنوي بكل سخاء، وكان من الطبيعي أن يقوم تحالف وثيق بين اليهود والعارفين غرض كل صغيرة وكبيرة مما يعملون، وبين جماهير الشعب التي كان همها الوحيد أن تتخلص من حكامها العتاة، على أمل أن تجد بعد ذلك حياة أفضل، فانساقت خلف اليهود دون قيد أو شرط؛ إذ كانت تنظر إليهم نظرة منقذيها من نكبتها التي طال أمدها؛ ولهذا تركت لهم مراكز القيادة، ومهام التخطيط.

وهكذا أصبح اليهود يمثلون الشعب الروسي في الجبهة المعارضة للدولة، ولما تفاقم أمرهم عمدت القيصرية إلى منع دخول المزيد من اليهود إلى بلادها، وأوعزت إلى سلطات التنفيذ بمنع كل يهودي من دخول البلاد، ولكن هذا الإجراء جاء متأخرًا جدًّا؛ إذ كان اليهود قد تغلغلوا في كل مكان، ولم يعد لهذا الإجراء أية قيمة فعلية، والأمر الغريب في الموضوع هو أن القيصرية كانت قد أخبرت بالمخطط اليهودي بعد أن عثرت السلطات على نسخة من بروتو كولات صهيون (المنهج الصهيوني) ولكن القيصرية ظلت على تعنتها في تسيير أمور الدولة، ولم تجنح لتحسين الأوضاع أو التقرب من الشعب ومعاملته بالحسنى أو منحه حقوقه، وهذا الموقف الشائن جعل الأكثرية الساحقة في البلاد تنضم إلى المعارضة، وحتى الذين لم ينضموا إليها كانوا ضمنًا أكثر تحيزًا لها، على أمل أن تتحسن الأحوال على يديها بعد أن قطعوا كل أمل في النظام القيصري.

ولما علم اليهود بأن السلطات القيصرية منعت اليهود من دخول بلادها، دفعوا بالحكومة الأمريكية للاحتجاج على هذا الإجراء الروسي، فقامت المباحثات بين الدولتين، وأصرت على أخذ موافقة القيصر بالسماح لليهود من الجنسية الأمريكية الدخول لروسيا، حتى أن رئيس جمهوريتها تؤدور روزفلت (Theodore Roosevelt)

---

(١) مدقع: أي شديد الإلصاق بالتراب، وهو يعبر عن فقر شديد جدًّا. (دار البشير).

تدَخَّل شخصيًا بالأمر، وكتب إلى الكونت وايت (le conte witte) رئيس الوزارة الروسية كتابًا خاصًا، جاء فيه ما يلي: «عزيزي الكونت وايت، أقدم لكم ربطًا هذه الصورة التذكارية مع تحياتي المخلصة، وأشكركم لتحويلكم لنا برقية صاحب الجلالة التي يؤكد لنا فيها مشاعره النبيلة، وحفاظه على الصلات الوثيقة القائمة بين شعبينا، ونحن بدورنا نؤكد لكم تمسكنا بهذه العلاقات الطيبة، ونرجوكم إبلاغ ذلك مع أعمق احتراماتنا لصاحب الجلالة.

أما بعد، فقد رجوتكم في مباحثاتنا السابقة أن تسهلوا لمواطنينا الأشراف أمر دخولهم إلى بلادكم، نحن لا نطلب بأن يسمح لغير المرغوب فيهم بدخول بلادكم، ولكننا نرجو أن لا يكون المنع مرتكزًا على التميز العنصري أو الديني ونأمل أن تعمد حكومتكم الموقرة إلى السماح لمواطنينا من اليهود الأشراف بالدخول إلى روسيا أسوة بالمواطنين الآخرين من سكان أمريكا، وأرى أن هذا الحل هو الأنسب لخير شعبينا. وأخيرًا أبعث إليكم بأحرِّ التهاني بمناسبة عقدكم الصلح، وأرجو أن تتقبلوا أصدق الأماني القلبية» في ١٠ أيلول ١٩٠٥ أوستر باي (oyster Bay).

التوقيع: تؤدور روزفلت».

ومن فحوى هذا الكتاب يتضح للقارئ مدى ما كانت تعلقه أمريكا من الأهمية على دخول اليهود إلى البلاد الروسية، ولكن القيصر ظل مُصِرًا على عدم دخول اليهود إلى بلاده، رغم المحاولات التي قام بها وفد شف سليكمان (schiffe – sligman) مع الكونت وايت الذي حاول مِرارًا إقناع القيصر، ولما فشلت مساعي الوفد وعاد إلى أمريكا أعلن تؤدور روزفلت إلغاء المعاهدة التجارية التي كانت قائمة بين الدولتين، وهكذا قطعت أمريكا آخر علاقاتها مع الدولة الروسية إكرامًا لليهود.

ومع هذا ظل اليهود على اتصال دائم بأنصارهم في البلاد الروسية يمولونهم دون انقطاع، فسارت الأمور في روسيا من سيء إلى أسوأ، حتى حدثت الكارثة العالمية واندلعت نيران الحرب الأولى[1] التي عمل اليهود لها بكل ما أوتوه من جهد وقوة، وعندها ازداد مجددًا نشاط شيف وعصبته، وهيئوا أنفسهم للتدخل في الشئون الروسية في الوقت المناسب، وبدأت الإشاعات تتردد عن وجود ثورة في روسيا القيصرية.

---

(1) Les memoires du comte witte – Negociateur Russe a L,issue de la guerre Russo – japonaise.

والغريب في الأمر هو أن المخابرات الأمريكية (Secret Service) هي التي كانت تنشر هذه الإشاعات[١]، وتؤكد تمويل شيف ومصرف كوهن لوب (la Bandue K. loep) لهذه الثورة.

وفي ٨ آذار فوجئ العالم باندلاع الثورة في كافة أرجاء روسيا، فتنازل نقولا الثاني عن العرش للأمير ميشيل الذي رفض استلام الحكم، فسارع الثوار إلى تشكيل حكومة من أعضاء الدوما، وهكذا ظهرت للوجود أول حكومة مؤقتة انبثقت عن الجمعيات السرية اليهودية التي أشار ديزرائيلي إليها، واستلم الحكم اليهودي كيرنسكي (Kernsky) وشكل وزارة جديدة كان أكثر أعضائها من اليهود أمثال مليوكوف (MiliouKoff) ولفوف (Lvoff) وكوتخوكوف (Gouthkoff). عند ذلك بادر شيف بمطالبة كيرنسكي بإعطاء اليهود الحقوق السياسية أسوة بفرنسا، ولكن كيرنسكي لم يجرؤ على منح اليهود الحقوق السياسية بوجود المجلس النيابي، وتآمر مع شيف على العمل لإزاحة هذا المجلس، فقررا فيما بينهما الإطاحة به، فبادر شيف إلى الاتصال بالمالي اليهودي برفوس هلفاند (parvus Helphand) الذي كانت تربطه بالمستشار الألماني بتمان هالفيك (Betman Hallweg) صداقة متينة، وطلب منه أن يسعى لدى الحكومة الألمانية للحصول منها على السماح للثوار اليهود بالدخول إلى روسيا عبر حدودها، ولقد نجح بيرفوس في مسعاه؛ لأن الحكومة الألمانية كانت راغبة بالحد من الضغط الروسي على جبهتها الشرقية، وكان خير وسيلة لذلك هي اتساع نطاق الثورة بسرعة لكي ينهار الجيش الروسي، ويختفي من ساحة القتال.

فسمحت الحكومة الألمانية بمرور القطار المغلق الشهير (المرصوص) عبر حدودها الذي كان يضم تسعة وعشرين ثائر من أشهر ثوار اليهود تحت قيادة قطب الشيوعية لينين إيليانوف (Lenine Oulianov) وفي الوقت ذاته وصل تروتسكي إلى البلاد [بعد أن تدخلت الحكومة الأمريكية بشأنه لدى السلطات البريطانية التي كانت قد احتجزته مع الباخرة التي تقله مع فئة أخرى من متطرفي الشيوعية][٢]. وهكذا تمكن شيف من جمع رهط كبير من غُلاة ثوار اليهود تحت تصرفه، ومن ثم أطلق أيديهم في العمل.

---

(1) Henri pozzo – (les coupables) p. 112 ou P. H. N. P.193.

(2) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 195.

وفي مستهل شهر تشرين عمد رجال شيف إلى مهاجمة مجلس الدوما والحكومة، واشتبكوا مع القطعات التي كانت تحرس مقر الحكومة، عندئذ هرب رئيس الحكومة المتواطئ مع شيف، بينما كان جنود الحرس يبذلون دماءهم ظنًا منهم أنهم يدافعون عن كيرنسكي، وهكذا احتل الثوار مقر لحكومة والمجلس، ومن ثم أعلنوا قيام الحكومة الثورية التام، وشكلوا أول مجلس شيوعي، تكون من خمس مائة وسبعة وأربعين عضوًا، وكان أربع مائة وسبعة وأربعون منهم من اليهود المعروفين لدى الجميع، ورغم قيام القتال في المدن والشوارع بعد انهيار الجيش في الجبهات، ثابر المجلس الجديد على ترتيب أموره، وتشكلت الحكومة في ٧ تشرين الثاني ١٩١٧ تحت رئاسة تروتسكي وعضوية زينوفييف (Zenoviv) وأورتسكي (uritskyi) وسوارلوف (Swerdlov) وفايرمان (Faerman) وميخائيل (Michael) ودشنت هذه الحكومة باكورة أعمالها بإصدار قرار يمنح اليهود بموجبه كافة الحقوق السياسية دون قيد أو شرط، وبما أن دوائر الدولة والتشكيلات الشعبية كانت منذ أم بعيد قد امتلأت باليهود، فلم يصعب عليهم الاستيلاء على ما تبقى في البلاد من المراكز الحساسة، وعلى الأخص بعد أن أصبحت الأكثرية الساحقة في المجلس الشيوعي ومجلس الوزراء منهم.

وفي فترة قياسية أصبحوا يسيطرون على الدولة الجديدة برمتها دون أية معارضة، ومن ثم عمدوا إلى قمع كل حركة مناوئة لهم بأقصى الشدة حتى استتب الأمر، وتبوءوا مكان الصدارة في البلاد الروسية، ولقد قال عنهم فيما بعد قطب الثورة الروسية لينين، بأن الفئة اليهودية المثقفة هي ذخر الأمة في الملمات، ودرعها الواقي، هي الفئة الوحيدة القادرة على إدارة دفة الدولة والنهوض بالأمة، ولو أن هذه الفئة المختارة لم تثب في الوقت المناسب لما تحقق النصر للبلشفية[1]. ولقد اشتهر تروتسكي بين الشخصيات اليهودية التي عرفت بالسيطرة والنفوذ بعد سقوط القيصرية، وهو الذي أسس الجيش الأحمر، وكان يعتز به عندما كان صاحب الأمر والنهي، ولما طرد من روسيا، تنكر لكل شيء، ووصف هذا الجيش الذي كان يفاخر في الماضي بكونه مؤسسة، بأنه مكون من قردة دون أذيال، وأن ضباطه مغرورون بالمعلومات الضئيلة

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 196.

التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وأنهم يتظاهرون بالرجولة مع أنهم أجبن من على الأرض... وهذا ويبدون خجل انقلب تروتسكي على الجيش الأحمر الذي أسسه بنفسه، ونحن لا نستغرب هذا الموقف من تروتسكي لسبب وهو أنه من صميم العنصر الإسرائيلي.

وعدا عن تروتسكي فقد اشتهر الألوف من اليهود بالسيطرة والنفوذ في روسيه نذكر منهم: كامانيف روزينفيلد (Kamanef) ودون غورفيتش (Don Gourvitch) وكانيتزكي فورستنبرغ (Ganeteskyi Furstenberg) وإسرائيل لازاروفيش (Israel Lazarowich) وبوهرن (Bohrin) ومارتينوف (Martinoff) وليتفينوف (Litvinoff). ساهموا جميعهم في إخضاع الشعب الروسي للمشيئة اليهودية بكل همجية وقسوة، بحجة تطبيق النظام الجديد، بينما كان غرضهم في الواقع هو إرهاب الشعب الروسي ومنعه من التصدي لتوسع نفوذهم.

الأدلة الدامغة لتحالف الرأسمالية اليهودية مع اليسار اليهودي المتطرف

عندما شاعت تفاصيل الثورة الروسية، استغرب الناس الإشاعات والأقوال التي كانت تشير إلى مساعدة الرأسمالية اليهودية للبلشفيك، وكان أكثرهم يميل إلى تكذيبها رغم صدورها عن المخابرات الأمريكية الرسمية حليفة اليهود، ورغم تصريحات شيف وأقطاب اليهودية العالمية الواضحة، والتي كان شيف وزملائه يتبجحون فيها بمساعدتهم السافرة للبلشفية، ولكن العالم بأسره وقف مبهور الأنفاس عندما قرأ نص البرقية التي نشرتها مؤسسة الأخبار الشعبية (Committee of bublic Information) في نشرتها الرسمية في مستهل عام ١٩١٨، وكانت البرقية المذكورة موجهة من فورستنبرغ (Furstenberg) وكيل أعمال المالي اليهودي الكبير ماكس فاربورغ (Max Warberg) إلى السيد رافائيل شولاك هاباران (Rabhael Scholak Habaran) في أمريكا.

أما فحوى البرقية، فكانت بالحرف الواحد، كما يلي: «استوكهولم ٢١ أيلول سنة ١٩١٧ إلي السيد رافائيل شولاك هاباران. رفيقي العزيز، تنفيذًا لنص البرقية المرسلة إلينا من النقابي المالي فاستيفان رينلاند (W. Rhinland) يعلمكم مصرف ماكس فاربورغ وشركاه، بفتح الاعتماد اللازم لأعمال الرفيق تروتسكي. انتهي. توقيع مدير

المصرف. (ي . فورسيتنبرغ - Y Furstenberg)».

وعلى أثر نشر هذه البرقية اقتنع الناس بما كانت تذيعه المخابرات الأمريكية، وعلى الأخص بعد أن أذاع يعقوب شيف على صفحات الجرائد بأنه وزملائه أثرياء اليهود والمصارف اليهودية وقفوا جميعًا مع الثورة الروسية، وقدموا لها المال وما تحتاجه من الدعم لتنجح[1].

كما أن انتشار ترجمة البروتوكولات الصهيونية، والدعوة التي حركها اليهود على الصحافة السويسرية لنشرها تلك البروتوكولات والتي خسرها اليهود وربحتها الصحافة السويسرية زادت في يقين الناس باشتراك الرأسمالية اليهودية في إشعال نار الثورة.

ويبدو أن هولندا كانت أسبق الدول الأوربية غير المهودة لاكتشاف تحالف الرأسمالية مع البلشفية، وإدراك خطر اليهود؛ ولهذا أمرت وزير خارجيتها السيد أودنديك بإعلام إنجلترا بتفاصيل المؤامرة اليهودية، ولقد أرسل أودنديك (M. Oudendyke) تقريرًا مفصلاً عن الموضوع إلى وزير الخارجية الإنجليزية قال له فيه: «إني أعتبر القضاء على الثورة الفرنسية أكثر أهمية للعالم من كسب الحرب الحالية، ولذا أقترح إيقاف الحرب حالاً وتوجيه اهتمامنا جميعًا إلى روسيا والقضاء على ثورتها؛ لأن هذه الثورة إن تمكنت من ترسيخ جذورها في البلاد الروسية، فسوف تكون وبالاً على العالم أجمع، لا لكونها اشتراكية، ولا لأنها روسية، بل لكونها يهودية خالصة، تسير من قبل اليهود، ووفق إرادتهم، ونجاحها لن يكون إلا لصالح اليهود وحدهم، وإذا قُدِّرَ لهم السيطرة على الروس، فسوف يعمدون إلى توسيع نفوذهم وتحقيق براجهم، إن هؤلاء اليهود الذين لا وطن لهم، يسعون منذ أقدم العصور لتدمير الشعوب الأخرى، ليقيموا على أنقاضها مجدهم الذي يحلمون به، فالحذار الحذار، ولا تجنحوا إلى القول بأن هذه الفئة القليلة العدد من اليهود لن تتمكن من السيطرة على روسيا العظيمة فكيف لها أن تتحكم في العالم بأسره. أنتم أدرى من سواكم بكيفية تحكم بضعة مئات من الإنجليز بالقارة الهندية منذ عدة أجيال، رغم أن الهند تحوي على أكثر من ثلاث مائة وخمسين مليون من البشر، فلماذا يكون مستحيلاً

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 198.

على اليهود، ما هو مكن للإنجليز؟ ولذا أرجو أن لا تنكروا هذه الحقيقة الناصعة، وأن تتيقنوا من وجود الخطر اليهودي على العالم، وأخيرًا أكرر رجائي بأن تولوا الموضوع الأهمية اللائقة به، وتعلمونا قراركم. التوقيع: أودنديك»(١).

والظاهر أن أودنديك كان يجهل هوية من أرسل إليه التقرير، وإلا لما قدم على ذلك؛ لأن وزير خارجية إنجلترا آنئذٍ لم يكن سوى بلفور الصهيوني المعروف بتعصبه القومي (صاحب الوعد المشئوم) وكان حتمًا على علم بما يعنيه اليهود أكثر من سواه، عدا عن أنه كان على استعداد ليدمر العالم بأسره في سبيل تحقيق أصغر مكسب يهودي؛ ولهذا تجاهل التقرير الهولندي، فثابرت بريطانيا على الحرب، كما ثابر اليهود على إيقاد نار ثورتهم في روسيا، حتى حدث ما حدث.

وفي صدد تحالف الرأسمالية اليهودية مع اليسار، ظهرت عدة مقالات في بعض الصحف الأوربية بعد أن انكشفت ألاعيب اليهود، وكان أكثرها توفيقًا ودقة في البحث عن هذا الموضوع، مجلة المواطن الإنجليزية الحرة التي كتبت تقول: «بفضل الأضواء التي ألقيت على الأحداث التي وقعت في روسيا، والتي أحاطها الغموض سابقًا، بدأنا نفهم بوضوح أسباب اللقاء الغريب بين الرأسمالية المجرمة والثورة الروسية البلشفية، وهي أن الرأسمالية اليهودية ظهر مجدها وتكونت ثرواتها في أعقاب الثورات والحروب (بفضل قوة الاستنتاج المسبق لمصائر الثروات والحروب التي يمتلكها اليهود دون الناس أجمعين، ولما تتميز به هذه الفئة المجرمة من قدرة التخمين الصحيح لمئات الأحداث).

ولذا فهي تضع المخططات الاقتصادية المضمونة العواقب، لتعتمدها إبان الثورات أو الحروب التي تنوي افتعالها، وبما أنها قد تمرست منذ أجيال عديدة على تحقيق هذه النتائج، فإنها تؤمن أن الثورات والحروب هي الوسيلة الوحيدة لتضخيم ثرواتها التي تكتنزها لتحقيق مشاريعها البعيدة المدى؛ ولهذا فهي دائمًا على ثقة من نجاحها في أعقاب كل ثورة أو حرب تفتعلها، فلماذا تحجم إذن عن افتعالها؟ مع أنها واثقة من أن الاضطرابات الاجتماعية والطبقية تخلق الاضطرابات الاقتصادية والمالية، ومن ثم تئول إلى فقدان الثقة في الاستقرار المالي، وتنتهي إلى هبوط قيمة النقد في البلد

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 200.

المضطرب فيعمد الناس إلى تهريب أموالهم إلى الخارج، حيث تكون الرأسمالية اليهودية لهم ولأموالهم بالمرصاد. وتتلقف ما أخرجوه من المال بأبخس الأسعار التي تكون قد حددتها هي بنفسها باعتبار أنها المسيطرة على كافة أسواق النقد في العالم.

ولهذه الأسباب فهي دائمًا وراء كل ثورة أو حرب أو اضطراب، وهي أبدًا على استعداد لتنفق بسخاء على كل عمل أو مشروع من هذا القبيل (طبعًا بعد الدراسة العميقة) لأنها تعلم مسبقًا ما سيدر عليها من المكاسب المادية والسياسية.

والحرب العالمية الأولى التي عمل اليهود بكل قواهم لإشعال نارها، ما كانت لتقوم لو لم يكن لليهود فيها أكثر من غرض، ومما لا شك فيه أن غرضهم الأول كان مضاعفة ثرواتهم، والغرض الثاني تحقيق أهدافهم السياسية، وبما أنهم يلقون في البلاد الديمقراطية المهترئة آذانًا صاغية لكل ما يقولونه، فلم يجدوا صعوبة لزجها في تلك الحرب، التي حققت لهم كل ما كانوا يرجونه من المكاسب المادية والسياسية، وهم أيضًا خلف الصراع القائم حاليًا بين البورجوازية وطبقة العمال؛ لأنهم هم الذين يمولون الطبقة البورجوازية، مقابل فوائد خيالية، فتضطر البورجوازية العمياء إلى السعي خلف المكاسب غير المشروعة، لتتمكن من سداد ديونها لليهود وتأمين معيشتها، وفي سبيل ذلك تعمد البورجوازية إلى التقتير على العمال ورفع الأسعار، فيعجز العمال على تأمين معيشتهم، وتصطدم طبقتهم بالطبقة البورجوازية المرغمة على الظهور بمظهر الجشع، فتفاقم الأمور بين الطبقتين المنسوبتين للشعب الواحد، فيسارع عندها اليهود لإذكاء نار الفتنة عن طريق نشر المبادئ المادية بين طبقة العمال، بغية إحالتهم إلى قطيع مادي لا هم له إلا قوت يومه ومعاداة بني قومه، ومن الناحية الثانية يوزعون إلى البورجوازية (المرغمة على إطاعتهم بسبب ما لهم بذمتها) إن تظل على تعنتها، حتى يبقى الخلاف قائمًا والتفرقة سائدة.

وهكذا نجد أن اليهود في البلاد الديمقراطية يستثمرون البورجوازية والعمال معًا، وعندما تتفاقم الأحوال ينقضون على ما تبقي من الأموال في البلاد، ومن ثم يقفون في صفوف المتفرجين بانتظار الفرص الأخرى.

أما أساليبهم في البلاد الاشتراكية فتختلف تمامًا، فهم هناك دعاة عدالة، وحماة الطبقة الكادحة، وأعداء التمييز العنصري، وأنصار السلطات القائمة، وكل ذلك بغية

التسلل إلى الحكم والاستيلاء على مقاليد الأمور، وعندما يتوصلون إلى الحكم يعمدون إلى نشر المبادئ المناوئة للمثل والتقاليد والأديان، ليجعلوا من الشعب كتلة مهلهلة منحدرة نحو المادية المطلقة، ومن ثم يبدءون بترويضه على الخضوع للأنظمة التي يستنبطونها بحجة تأمين المصلحة الجماعية، حتى يصبح الشعب بأكمله طوع بنانهم، لا همَّ له سوى تنفيذ مآربهم، عندها يشرعون بنشر الدعوة لتحقيق الدولة العالمية الموحدة أمل الإنسانية (على حد زعمهم) في إقرار السلام، وكل ذلك بغية سوقه عندما تدق الساعة إلى الميدان الذي اختاروه له ضمن مخططهم العام.

وألد أعداء اليهود هو النظام المقرون باحترام القومية والوطنية، سواء كان ديمقراطيا أو اشتراكيًّا؛ لأن البلاد التي تطبق الأنظمة الاشتراكية المقرونة باحترام القومية والوطنية، تقطع عليهم طريق استثمار شعوبها، باعتبار أنها تنظم اقتصادياتها ضمن إطار المصلحة القومية، ومن الناحية الثانية تحرمهم من التسلل إلى الحكم والسيطرة؛ لأن أنظمتها تكون عادة منسجمة مع المفاهيم القومية والوطنية، التي لا تسمح للأغراب بحكم البلاد؛ ولذا فهم يحاربون أمثال هذه النُّظم والحكومات ويعملون كل ما بقدرتهم لتعطيلها(١).

وفيما يتعلق بتعاون الرأسمالية اليهودية مع البولشفيكية، صدرت في أوربا عدة كتب تبحث كل منها مطولاً عن الأدلة والإثباتات التي تدين الرأسمالية اليهودية، فكان أشهرها كتاب السيد هانري بوزو (Henri bozzo) الذي منع من التداول في كافة البلاد الأوربية لما كان فيه من الحقائق المذهلة، ويذكر بوزو من هذه الحقائق، قضية البارون روتشيلد، الذي كان يهرب مادة النيكل إلى ألمانيا، وذلك بشحنها من مناجم كاليدوني (Caledonie) إلى مرفأ برست الفرنسي (Brest) ومنه إلى ألمانيا، ويدلل على صحة ذلك باعتقال السلطات للباخرة روفانديت (Reventidt) التي كانت تخص روتشيلد، بينما كانت متجهة إلى ألمانيا، التي كانت في حرب مع دولة صاحب الباخرة أي مع فرنسا.

كما يؤكد بوزو تدخل المليونير بارفوس اليهودي لدى السلطات الألمانية، لتسهيل مرور الثوار اليهود إلى البلاد الروسية، مع العلم أن ألمانيا كانت تحارب الروس آنئذ

(1) The patriot (Revue Britanique) ou P. H. page 194.

على حدودهم، ويعزو بوزو سماح المستشار الألماني لليهود بالمرور من بـلاده إلى أنـه ارتشى بمبالغ طائلة دفعها له المليونير بارفوس، الذي جمع ثروته من عمليـات تهريـب الفحم الدانماركي إلى البلاد العـدوة، وفي كتـاب بـوزو (المجرمـون) مئـات الإثباتـات لتحالف الرأسمالية اليهودية مع اليسار اليهودي، وكلها معروفة الآن في جميـع أقطـار أوربا؛ ولهذا لم تعد المسالة سرية ولم يعد حولها أي جدال أو نقاش، خصوصًا بعـد أن اعترفت الرأسمالية نفسها بهذا التحالف.

اليهود والنظام الشيوعي أو السهم المرتد

«إن أعشق التوزيع وأعبد الاشتراكية، وأرحب بالنظام الـشيوعي أجمـل ترحيـب، شريطة أن لا يأتي اليهود به، وأن لا يكونوا رواده والمسئولين عنه، إمـا إذا كـانوا هـم دعاته ورواده فلن ولا أقبـل بـه قطعًـا؛ لأنهـم وعـدونا في الماضـي بتحقيـق المـساواة والأُخُوة وعاهدونا على اقتسام الخيرات في بلادنا، فصدقناهم، وسرنا في ركابهم، إلى أن استتب لهم الأمر، عندها تنكروا لنا وتركونا نتضور جوعًا، ولذا لم نعد نثـق بهـم. أما هتلر فلم يعدنا بشيء، وصارحنا القول منذ البداية، وأفهمنا أن الحـق هـو القـوة، ومع ما في قوله من المرارة، فضلناه علـى الوعـود اليهوديـة الخادعـة؛ لأنـه حـدد لنـا مواطئ أقدامنا في ظل نظامه، ولم يسلك معنا الغش والخداع مثل اليهود». من كتـاب ترهات لأحداث مذبحة (هانري بوزو)[1]. (Bagatelles bour une Massacre . Henri bozzo).

بعد أن نجحت الثورة الروسية، بادرت الصحافة اليهودية في العالم إلى حملة دعائيـة واسعة، وراحت تـشيد بالنظـام الجديـد، ومكاسـبه الـشعبية، وتـشنع بالعهـد البائـد، وتروي ألوف القصص عن مظالمه، وكان الناس يصدقون ما يقرءونه، لما كانوا يعرفونه عن مساوئ العهد القيصري، وما سمعـوا وقـرءوا عـن إنـسانية النظـام الاشـتراكي، وتعلقه بالعدالة الاجتماعية والحياة الأفضل، ولكن الحقيقة التي سادت روسيا في بداية العهد البلشفي، كانت غير ما زعمته الصحافة اليهودية، التي كانت تروم تمويه ما كـان يجري في روسيا على أيدي زبانية الصهيونية، الذين تنكروا كالعادة لمَـن سـار خلفهـم وأوصلهم إلى مراكز الأمر والنهي، فصبوا جام غضبهم على الشعب الروسـي الـذي وثق بهم وناضل معهم حتى أطاح بالقيـصرية، ورأوا ينتقمـون منـه بعـد أن سـخروه

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 209.

للثأر من الطبقة الأرستقراطية والكنيسة، فطبقوا عليه قوانين أشد قساوة من القوانين القيصرية، وأبعد ما تكون عن مفهوم الشيوعية والإنسانية، وذلك ليرهبوه نهائيًا، حتى لا يعترض طريق أهدافهم العنصرية التي خططوا لها منذ أمدٍ بعيد، وللتغرير بالروس ومنعهم من المجابهة راحوا يلوحون لهم بقصة الدولة العالمية الموحدة في ظل النظام السوفييتي، كي يطمعوهم في عظمة المستقبل الذي يهيئونه لهم، بينما في الواقع كانوا يتوخون من قسوتهم وأضاليلهم إخضاع الشعب، كي يسخروه لتحقيق الدولة العالمية الموحدة في ظل الصهيونية العالمية، التي يعملون لها منذ أكثر من عشرين قرنًا، وهذه الغاية هي التي وحدت صفوفهم في مؤتمر بال، وجعلت كل يهودي يرتبط بالقيادة الصهيونية مهما كانت نزعاته وميوله.

ولهذا أوعزت الرأسمالية اليهودية إلى صحافتها أن تعمد إلى التطبيل والتزمير مثلما ذكرنا، بغية إيهام الناس بأن الأمور تسير وفق النظريات الاشتراكية الإنسانية، بينما كان الشعب الروسي يتعرض بجميع طبقاته وأفراده دون تميز أو تفريق لأبشع العمليات الانتقامية، وأقسى أساليب التنكيل والتعذيب على أيدي اليهود الذين كانوا يعتبرون كل مَن لا يرضخ لإرادتهم من أعداء الثورة، مهما كان عريقًا في ثوريته، ومهما كان قديمًا في مناوأة القيصرية وتعسف الماضي؛ ولهذا كان كل روسي معرضًا للخطر طالما يأبي العبودية الإسرائيلية.

ومن جراء هذه الفلسفة اليهودية المستمدة من حقد اليهود الأسود، سقطت مئات الألوف من الرءوس البريئة، وعلى الأخص بعد أن قضي على العائلة المالكة وأنصارها، وكان بين الضحايا ألوف العمال وصغار التجار والفلاحون، الذين ناضلوا منذ عهد كاترينا ضد الطغيان والتعسف، ومع كل هذا لم ينلهم في مستهل الثورة إلا القتل والتنكيل، وحتى صغار الرهبان[1] أمثال القس كابون، الذي كان أول مَن أعلن الإضراب على رأس خمسة وعشرين ألف عامل عام ١٩٠٥، وتعرض مع رجاله للمذبحة الرهيبة التي وقعت في ٢٢ كانون الثاني التي ما زال الناس يذكرونها، هم أيضًا لم ينجوا من الطغيان اليهودي.

نحن لا ننكر أن البلاد الروسية كانت بحاجة للعدالة الاجتماعية وأن الشعب

---

(1) Brian Chaninov. (Histoire de Russie) page 460.

الروسي كان منذ أجيال عديدة يرزخ تحت نير عبودية فئة ضالة لا ترضخ للحق والمنطق، وأنه كان يتعجل التخلص منها ومن العائلة المالكة الغبية، فكان من البديهي أن يقضي عليهما بمجرد أن سنحت له الظروف بذلك.

أما إن تعمد مختلف الطبقات الكادحة التي لاقت طويلاً نفس المصير الأسود في ظل العهود القيصرية، وناضلت معًا للتخلص منها، إلى الاقتتال فيما بينهما بمجرد قيام الثورة وأن تترك اليهود (الذين ساهموا في امتصاص دمائها في العهود المظلمة) دون أن تمس أحدًا منهم بسوء، فلا يسعنا إلا أن نعللها بأن الزعامة اليهودية هي التي حمت أبناء شعبها، بينما كانت تحرض بأساليبها المعهودة أفراد طبقات الشعب الروسي على الاقتتال لتتأصل العداوة بينهم، وتحول دون وحدة كلمتهم، حتى لا ينزع في المستقبل أحد منهم إلى التفكير بالتخلص من سيطرتهم؛ ولهذه الأسباب كان اليهود وأنصارهم يختلقون التهم ويلصقونها بالفئات التي يشتبهون بإخلاصها للزعامة اليهودية، ثم ينقضون عليها، دون أن يتعرضهم أحد من أعضاء المجلس السوفيتي الذي كانوا يسيطرون عليه، ولذلك كانوا يفعلون في البلاد الروسية ما يحلو لهم، فيحمون مَن شاءوا، ويذلون أخصامهم بكل حرية وأمان. وفي الوقت نفسه كانوا يتعاملون مع زعمائهم من الرأسمالية والماسون في الغرب، وينفذون كل تعليمات شيف وعصابته المجرمة، وهذه السيطرة اليهودية التامة دامت عدة أعوام، ذاق فيها الشعب الروسي أمر أنواع العذاب، فالنساء الروسيات اللواتي كن يحلمن منذ أجيال بساعة الخلاص من آل رومانوف، ليركن وأفراد عائلاتهن إلى العمل والسلام، أُصبن بأعظم خيبة أمل في هذه الثورة التي كانت حلمهن، وذلك من جراء التنكيل اليهودي بأفراد أكواخهن، ولكن لم يكن لهن في الأمر حيلة سوى الصبر والانتظار.

وتفاصيل الحوادث التي وقعت في روسيا تشير أكثرها بإصبع الاتهام إلى اليهود وتدمغهم بالحقد والإجرام، ولكن الناس في حينها لم يكونوا ليجرؤا على التصريح بذلك؛ إذ كان الرعب مسيطرًا على الجميع؛ لأن اليهود استعملوا كافة الأساليب الإرهابية، وعلى الأخص علم النفس الذي سخروه للتأثير على أعضاء المجلس الأعلى، فكم شهدت قاعات الكرملين المجرم تروتسكي يثور فيها ويعربد ويهدد رفاقه في المجلس، ويؤكد لهم تطرفه في خدمة الثورة والشعب الروسي (كبش الفداء) وكم

من مرة رآه الناس وهو يخرج متصرًا على الأعضاء الذين كانوا يطالبونه بمعاملة المواطنين الأبرياء بقليل من الرحمة والشفقة، وكم من مرة سمعه الناس وهو يرفع عقيرته صائحًا بزملائه وقائلاً: إن الدواء الوحيد للتخلص من البورجوازية هو الشدة والقسوة، وإن الوسيلة الفريدة لاستئصال جذورها هي ذبحها وإفناؤها، وإن الرحمة أو الشفقة فيها سوف تهيأ لها ظروف الاتصال مع البورجوازية الغربية والتحالف معها، ومن ثم انقضاضها علينا وعلى ثورتنا، ولهذا يجب إفناؤها، وإن من لا يؤمن منكم بنظريتي هذه، فهم إما فاقد العقل والبصر وإما مخادع خائن يجب إعدامه حالاً"(١).

وهذه الأقوال المقرونة بالتهديد التي كانت تصدر عن الزعيم تروتسكي، كانت تزرع الخوف والرعب في قلوب مستمعيه؛ إذ أن كلمة واحدة ضد الثورة أو زعمائها كانت تكفي للقضاء على قائلها مهما كانت له من الخدمات للثورة؛ ولذا كان الناس يفضلون السكوت وعدم الاعتراض على تروتسكي وزمرته الحاقدة. وكان اليهود أمثال سفير ولوف وبوركوفينش يستعملون لهجة رئيسهم تروتسكي ويرددون أقواله؛ ليرهبوا بها الناس، وكأنها من صميم أقوال موسى. ولكن القدر أبى إلا أن يظهر تروتسكي وشلته على حقيقتهم، وانكشفت خيانتهم واتصالهم بالغرب وتآمرهم على الشعب الروسي وتواطؤهم مع الرأسمالية اليهودية، فسارعت الحكومة السوفياتية إلى الحد من سيطرتهم.

فهرب تروتسكي من البلاد وأبعد زينوفيف (zenoviev) وسلانسكي عن الحكم، وأُحيلو جميعًا إلى القضاء، وطهرت أجهزة الجيكا (G. P. U) من المشتبه بهم، واعتقل رئيسها يوكودا (yogode) وأودع إحدى الزنزانات حيث قضى نحبه غير مأسوف عليه.

وعلى أثر ذلك عمد اليهود إلى الإقلال من غلوائهم حتى لا ينكشف أمر مَن بقي منهم في مراكز الجاه والسلطان، ولكي يخفوا عن الشعب مآربهم الدنيئة، وسارع أدباؤهم وكتابهم إلى شن الحملة على تروتسكي وزملائه، وصبوا عليهم جام غضبهم؛ ليوهموا الناس أنهم وحدهم الخونة بين أفراد الشعب المختار، فصدقهم الشعب الروسي الطيب القلب، وعادت المياه إلى مجاريها بالنسبة لليهود. ولما تيقنوا أن

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples M[illegible]) page 199

الروس نسوا تروتسكي وزمرته الخائنة، عادوا من جديد يصبون غضبهم على الشعب الروسي، فقام حاييم آبتر (Haime Apeter) المدير العام للسجون السوفياتية ومعاونه اليهودي ماندل بيرمان (Mandel Bermann) ورجال السجون من اليهود يشددون على المعتقلين الروس، ويسومونهم سوء العذاب ويحرمونهم من الغذاء، انتقامًا لتروتسكي وعصابته، حتى مات الملايين من المعتقلين دون أي ذنب، اللهم إلا كونهم أبناء قوم اكتشف خيانة تروتسكي. ومن الناحية الثانية هب بريا (Beria) الذي عين بدلاً عن يوكودا يوسع نشاطه البوليسي، ويعتقل الأبرياء من الفلاحين والعمال بحجة مناوأتهم للنظام الجديد، ويقتل المعتقلين في أعماق السجون، دون أن يشعر به أحد، مثل الجنرال كوتيبوف (Koutiepoff) الذي اختطف وقتل جزاء انتقاده لتروتسكي.

وهكذا عاد اليهود من جديد إلى مسرح أعمال القتل والذبح، بدافع من عنصريتهم المتطرفة، ولقد دامت هذه الأحوال حتى عام ١٩٤٠.

وعندما تحالف ستالين مع ألمانيا، بادر إلى تطهير أجهزة الدولة الحساسة من اليهود ليس لإرضاء الألمان فحسب، بل لأن الأوساط الشيوعية الروسية كانت قد أيقنت من خيانة اليهود وجنوحهم إلى العنصرية المتطرفة، واكتشفت تعاملهم مع الغرب؛ ولذا أبعد موسى كاكانوفيش (lazar – Moise Kaganovich) عن الأمانة العامة للحزب الشيوعي، وميشيل موسى كاكانوفيش (Michel) عن عضوية الجمعية العمومية، وجول موسى كاكانوفيش (jules) عن أمانه سر الحزب في منطقة كوركي (Corki) وهارون موسى كاكانوفيش (Haron) عن عضوية الحزب في كييف. وزرائي كاكانوفيش (Rosai) عن رئاسة الصليب الأحمر الروسي. و س م كاكانوفيش عن مديرية صناعة النسيج. و ب م كاكانوفيش عن مديرية تموين الجيش الأحمر وقيادة الشرطة الداخلية. كما أبعدت مئات الآخرين من اليهود عن المراكز الحكومية الهامة.

ولكن مع كل هذا ظل ألوف اليهود متغلغلين في أجهزة الدولة[1]، ومن خلال هذه التسريحات التي شملت العشرات من أفراد عائلة يهودية واحدة يتضح للقارئ الكريم مدى ما كان عليه التغلغل اليهودي في الدولة، ومدى سيطرتهم على الشعب الروسي، مع العلم أن كل واحد من هؤلاء كان يحتل أكثر من وظيفة هامة في الدولة

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 810.

الروسية، ولقد أسفرت هذه التسريحات عن إطلاق ألسنة الناس، وبدا الشعب يستيقظ من غفلته التي دامت قرابة ربع قرن، ويطالب بصورة لبقة أن تضع الدولة حدًّا للسيطرة اليهودية التي طال أمدها، وصار الناس يستمعون الانتقادات الموجهة لستالين لاعتماده على أمثال مرافقة اليهودي الكولونيل يعقوب روبور (jacop Ropport) وليتيفينوف (livinov) اليهودي الذي كان يشغل منصب وزير خارجية البلاد، هذا اليهودي الوضيع الذي اعتقل عدة مرات في باريس(١) لارتكابه جرائم السرقة، وجرائم مخلة بالآداب العامة، ولم يشترك قط في النضال الثوري، وكل مميزاته لم تكن سوى إتقانه لأساليب التزلف والخداع. وهذه الانتقادات كانت وليدة اليقظة القومية في صفوف الشعب الروسي، فشعر اليهود بخطرها وراحوا يعملون لدى ستالين ليحد من شيوعها، ولقد تمكنوا من إقناعه على إصدار قوانين حازمه لردع مَن يجرؤ على المس باليهود، وعلى أثر ذلك عادت الطمأنينة لقلوب اليهود وثابروا على مؤامراتهم الخفية، وقرروا التخلص من ستالين بعد أن تيقنوا أنه لم يعد يثق بهم كالسابق؛ وإذ بالعالم يفاجأ بموت ستالين دون سابق إنذار وبنفس الداء والصورة التي مات عليها الزعيم لينين، هكذا قضى اليهود على ستالين، ولم تشفع له كل الخدمات التي قدمها لهم في غضون خمسة وعشرين عامًا من سني رئاسته للدولة، أما السبب الأساسي لاغتياله، فلم يكن سوى عمليات التطهير التي قام بها ١٩٤٠.

ولما اكتشفت السلطات الروسية سر مقتل ستالين، أمرت باعتقال جميع اليهود الذين اشتركوا في الجريمة وإحالتهم إلى القضاء، وهنا انبرت الصحافة اليهودية العالمية مرة أخرى لتدافع عن اليهود المعتقلين، وتدس أنفها في شئون روسيا الداخلية، وكانت حملتها هذه أشد الحملات قاطبة، فانهالت على الروس تتهمهم بالظلم والتعسف واضطهاد اليهود الفقراء، وتطالب مالنكوف بالإفراج عنهم، وتصفهم بالمتهمين الأبرياء، وتكيل للشعب الروسي الشتائم والسباب، وتصف النظام السوفيتي بالفساد. ولقد دامت هذه الحملة اليهودية الشعواء عدة أسابيع دون هوادة، بينما كان الضغط اليهودي في الداخل يشتد على مالنكوف يومًا بعد يوم، حتى استسلم مالينكوف وأفرج عن القتلة اليهود، فانتصر اليهود مرة أخرى، رغم كل التسريحات

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 205.

والتطهيرات الستالينية، التي كانت في الواقع تسريحات جزئية، ليس لها تأثير كبير على النفوذ اليهودي الذي كان شبه عام شامل.

وللتدليل على قوة اليهود يذكرنا بيير هيبس بأنهم كانوا حتى أواخر عام ١٩٥٤ مسيطرين على أكثر المرافق الحساسة في الدولة السوفيتية، ويدعم ذلك بالأسماء والأرقام ويقول: إن مفوضي الشعب من اليهود عام ١٩٥٤ كان يربو على أربعة عشر مفوضًا، ويعدد أسماءهم ووظائفهم كما يلي: «لوسوفيسكي (Losowsky) مفوض الشعب ووكيل وزارة الخارجية، بيريا (Beria) مفوض شعب والوكيل الثاني للخارجية، وأمين السر الأول للجيش الأحمر، تشيكشوك (Tchikchuk) مفوض شعب والوكيل الثالث لوزارة الخارجية، ويزر (wrizer) مفوض شعب، جوكولوف (Jokowlow) مفوض شعب، روشينوفيج (Ruchinowichs) مفوض شعب، بارنام (Barnamme) مفوض شعب، كيزبورغ (Guizpurg) ميشلى (Rosenholz) ليفين (levine) كارفان (karawal) روزنهولز (Rosenholz) السيدة سملياشكا (Semliachka) وجميعهم من الذين كانوا يشرفون على مختلف وزارت الدولة».

وفي بحثه عن الصحافة الروسية آنذاك يقول: «إن أكثر المشرفين عليها كانوا من اليهود أمثال طحال (Thal) ومنكس (Menkes) ونيلفر (Nilvir) الذين كانوا يحررون جريدة أسفستيا (Iswestia) وميشلى (Michiis) وجلفان (Gelfand) وأولجين (Olgin) الذين يشرفون على تحرير البرافدا.

كما أن السلك الخارجي السوفيتي كان يضم عددًا من اليهود أمثال: ماليسكي أليـاس ستيمان (Maliski Alias steimann) السفير الروسي في بريطانيا، وستين (Stein) السفير في إيطاليا، وغيكيس (Gaikis) السفير الروسي في إسبانيا، هذا عدا ما كان لليهود من العناصر المتنفذة في أجهزة الدولة الأخرى بالشرطة والجيش وأجهزة الاستخبارات والدعاية والإعلام.

أما الميادين الثقافية والتوجيهية، فكانت تخضع تقريبًا بكليتها لكُتّاب اليهود، اشتهر منهم كل من روزمبلات (Rosemplatte) وليا أهرنبورغ (I. Ehrenpourg) وسيكولوفيتش (segolowitch) وكولزوف (kolzow) وفريدلاند (Freidland) وبورودين (Borodin) وماندلسون (Mendelssohn) ومئات الآخرين.

وهذا العدد الهائل من اليهود المتربعين على كراسي الحكم، كان بكل تأكيد قادرًا على التأثير على مالنكوف أو سواه ليغير رأيه، وهذه الزمرة اليهودية هي التي أرغمت السلطات للوقوف بجانب إسرائيل، عندما أثيرت قضية فلسطين العربية، وهي نفسها التي دفعت ببعض الدول الاشتراكية لمؤازرة عصابة بن غوريون عام ١٩٤٨؛ إذ كان الكُتَّاب اليهود يكتبون المقالات المثيرة عن العرب، ويختلفون سيلاً من الأكاذيب لتضليل الجماهير الاشتراكية وجعلها معادية للعرب والعروبة، ومن ثم يمتدحون اليهود ويشيدون بما كان لهم من الفضائل المزعومة على الشعوب الاشتراكية، ويكيلون المديح والثناء في الوقت ذاته على الحكومات الاشتراكية وزعمائها، ليوهموهم بصداقة اليهود الأبدية لهم، وبفضل هذا التدجيل غرروا بهم وساقوهم خلف مقاصدهم وأهوائهم، ولكن لكل أمر نهاية، فبعد أن ظهرت إسرائيل المجرمة انكشف أمر اليهود في روسيا، ولم تعد أكاذيبهم تنطلي على أحد، وعلى الأخص عندما أظهروا تحيزهم السافر لدويلتهم، وبدءوا يعلنون تفضيلهم لها على كل ما عداها، واستيقظ زعماء الروس من غفلتهم وبادروا إلى وضع حد للنشط اليهودي، وقرروا إخراج أمتهم من شبكة الأضاليل اليهودية، فعمدت الدولة إلى إحداث هيئة التوجيه القومي، وأوضحت أهدافها بما يلي:

١ - العمل على تقوية المبادئ الاشتراكية.

٢ - توضيح السياسة الداخلية والخارجية لأفراد الشعب.

٣ - إيقاظ الشعور القومي والوطني في صفوف الشعب.

٤ - تزويد الشعب بالمصادر العلمية والثقافية الصحيحة.

٥ - مكافحة النظريات المناوئة للدولة ولمبادئها العلمية.

٦ - نبذ الأفكار الأجنبية.

ولما بدأت هذه الهيئة بنشر تعاليمها الجديدة ارتاع اليهود من عواقبها، وأوعزوا(١) إلى صحافتهم في الداخل والخارج للتشنيع بهذه الهيئة وتعاليمها، ولكن الدولة السيوفياتية كانت هذه المرة قد قررت فعلاً التخلص من هذه الطغمة الخادعة، فبادرت إلى إبعاد ليتفنوف، ولوزوفسكي، ومالسكي من وزارة الخارجية، فحاول اليهود أن

---

(١) أوعزوا: أي جعلوا الأمر في المقدمة وقدموه على غيره. (دار البشير).

يردوا على الدولة بإثارة الشغب والقلاقل في أوكرانيا، فلم يتجاوب الشعب معهم، بل بالعكس ارتد عليهم بعد أن شعر بتخلي الدولة عنهم، وأعمل مخالبه في أعناق اليهود الأوكرانيين الذين أذلوه طويلاً، فتدخلت الحكومة في الأمر وأجلت اليهود من المنطقة الأوكرانية إلى منطقة بيروبيجان اليهودية (Biropidjan).

وهنا كانت الطامة الكبرى بالنسبة لليهود، فقامت قيامة صحافتهم في الغرب وشرعت تطالب الدول الغربية للتدخل في الشئون السوفياتية، وإنقاذ اليهود من جحيمها، وتحركت أقلامهم في الداخل لتطالب الدولة بوقف تعسفها، فردت السلطات على هذا التحدي بإصدار أمرها بإغلاق الصحف اليهودية مثل صحيفة درستيرف والإيتيكيت (Etidette) وسواهما، ومنعت المطبوعات اليهودية الخاصة من الانتشار في البلاد الروسية.

وهذه الصفعة الأخيرة أطارت صواب الصحافة اليهودية والمحافل الماسونية فاندفعت جميعها، تنادي بالويل والثبور وعظائم الأمور، فصارت كل صحيفة في الغرب لا هم لها إلا التشنيع بالنظام السوفيتي وشتم الشعب الروسي وتحريض الناس على الشيوعية والشيوعيين، وذهب بعضها للتهديد والوعيد مثل صحيفة حصن الحراس (la Tour de Garde) الفرنسية المهودة، التي سبق لها أن شتمت السيد ستولبين (stolpine) ونعتته بالنازي العريق والخائن الحقير، وطلبت من السلطات الفرنسية إخراجه من البلاد[١]؛ لأنه تجرأ وقال: إن التطهير اليهودي الجزئي الذي أجراه ستالين عام ١٩٤٠، لن ينقذ الروس من براثن الشعب المختار، ومهما أحاط ستالين هذا التطهير بمظاهر الأهمية، فلن يؤثر بتاتًا على السيطرة اليهودية، وسيظل اليهود قابضين على دفة الأمور بقوة وصلابة، ولن يتمكن ستالين أو سواه من دحرهم، خاصة بعد أن أصبحوا سادة البلاد بكل معنى الكلمة، وإذا قدر للروس ففكروا يومًا في التخلص منهم، فعندما لن يتورع اليهود من ضرب روسيا ومحوها من الوجود. والواقع أن اليهود أخرجوا البلاد عن طابعها الروسي، وجعلوا منها دولة يهودية صرفة يسيطرون على كل شيء فيها، والذين ينكرون الحقيقة فهم لا شك عمي لا

(١) ستولبين هو ابن الوزير الروسي ستولبين الذي اغتاله اليهودي ماركو بوغروف (Marko Bogroff) عام ١٩١١. (دار البشير).

يفقهون.

وإذ هذه الصحيفة بالذات تكتب في عددها الذي صدر في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٥١ افتتاحية طويلة تشتم فيها الروس والشيوعية مطولاً، ومن ثم تشفعها بالتهديدات التالية فتقول: «مهلاً أيها الإخوة (مخاطبة اليهود) وليعلم هؤلاء الروس الكفار أن نبوءة دانيال سوف تتحقق، وأن الرب سوف يقيم مملكته الأبدية التي ستحطم جميع الممالك والدول، وتبقى وحدها على أنقاض تلك الدول، ولن تؤخر قيامها قوى الأرض قاطبة، فعندها ستتبوأ عرش الدنيا. واعلموا أن ساعة تحقق النبوءة أصبحت قريبة جدًّا، وسنخرج من هذه الأيام الحالكة بالنصر المبين، وسوف يظهر مسيحنا الذي سننضم إلى لوائه، وسنخوض معًا معركة النصر النهائية، وسننتصر دون شك بفضل أبطالنا الأتقياء مهما كانت قوة أعدائنا، وعند ذلك سنفرض إرادتنا على العالم أجمع، نحن لا نطالب اليوم حدًّا بإنصافنا رغم ما يكال لنا من الاتهامات والضربات؛ لأننا واثقون بأن الحق الأبلج سيكون قريبًا بجانبنا، وسنكافأ للجهود التي نبذلها لإقامة مملكة الرب التي ستدمر مملكة الإلحاد والكفر الشيوعية والدول الديمقراطية العفنة، وعند ذلك سنقيم دولتنا العالمية الواحدة تنفيذًا لإرادة السماء. ونحن إذ نعلن بكل صراحة وإخلاص قرب قيام دولتنا، ننذر أعداءنا بأنه ليس في العالم أحد يمكنه أن يحول دون تحقيق نصرنا الأكيد».

وهكذا بدلت الصحافة اليهودية لهجتها، ولم تعد ترى غضاضة في شتم السوفييت، وسب الروس، ولعن الشيوعية، بعد أن كانت تقيم الدنيا وتقعدها على مَن يجرؤ على المس بالشيوعية، وكل ذلك لأن الروس طلبوا من اليهود أن يخففوا من غلوائهم، وأن يكفوا عن الإساءة لهم، ولأنهم أبعدوا السارقين والقتلة منهم عن مراكز للنفوذ والسلطان، ومنعوا صحفهم القذرة عام ١٩٥٠ عن الصدور ومتابعة تسميم أفكار الشعب الروسي الساذج الطيب.

ولما شعر اليهود أن صحافتهم فقدت قدرتها على التأثير في توجيه سياسة الدولة الروسية، عمدوا إلى التآمر على قلب نظام الحكم في بلاد السوفيت، وتنادوا عام ١٩٥١ ليعقدوا مؤتمرًا عامًّا مع الروس البيض في مدينة شتوتغارت الألمانية، ولكن بعد عدة جلسات انفرط عقدهم دون أن يعثروا على الوسيلة المؤدية لأغراضهم،

والأمر الذي لفت انتباه العالم في هذا المؤتمر هو ظهور اليهودي كيرنسكي بين أعضائه، هذا اليهودي الخرف الذي كان قد بلغ السبعين من العمر عند قيام المؤتمر، هو نفسه الذي تآمر عام ١٩١٨ على الدولة الروسية مع رفيقه تروتسكي وسلّمه الحكم وفرَّ هاربًا، وكأنه معصوم عن الخيانة، وظل أكثر من ثلاثين عامًا دون أن ينبس بكلمة واحدة ضد السوفييت، ولكن عندما تدهورت أحوال أبناء قومية في روسيا سارع إلى الانضمام للزمرة الحاقدة ليعمل معها على الإطاحة بالدولة الروسية، مثلما عمل في صباه على الإطاحة بالقيصرية، ولكن غاب عن بال هذه الخرف أن الروس لم يعودوا كالأمس، وأنهم عرفوا اليهود على حقيقتهم وأن أكاذيبهم لم تعد تنطلي عليهم، وأنهم قرروا العمل بقول ورأي هانري بزو مؤلف كتاب (ترهات لأحداث مذبحة) واختاروا الشيوعية دون اليهود، والاشتراكية دون الطغمة الحاقدة.

في أعقاب فشل مؤتمر شتوتغارت أيقن اليهود أن دورهم في بلاد السوفييت قد انتهى، وأن حلمهم في خلود سلطتهم على الروس قد تبخر، وأن آمالهم في تسخير الشعب الروسي لتحقيق سيطرتهم العالمية قد زالت، وعلى الأخص بعد أن انبرت لهم صحيفة برافدا (Bravda) وأوضحت للعالم أجمع الأساليب الدنيئة والجرائم القذرة والأعمال الوحشية التي ارتكبها اليهود في روسيا، وفضحت مؤامرتهم القذرة الرامية لإقامة دولتهم العالمية، وتحيزهم الوقح لإسرائيل التي يعتبرونها نواة دولتهم العالمية المرتقبة.

وعندئذ أظهروا عداوتهم السافرة لروسيا، وعمدت صحافتهم على تحريض الشعوب على الدولة الروسية، وجنحوا لخيانتها وكثر عدد العلماء والموظفين والسياسيين اليهود الذين هربوا من البلاد الشيوعية، أمثال فيشنكو صاحب ومؤلف كتاب (اخترتُ الحرية) (J ai choisi la liperte).

وازداد الكُتّاب الذين هاجموا النظام الشيوعي ونعتوا روسيا بالسجن الكبير والجحيم الواسع، فأغرقوا العالم بالمؤلفات المحرضة على الروس يكيلون لهم الشتائم والسباب بلا حساب، وكأنهم ما كانوا يزعمون بالأمس القريب أن روسيا هي جنة الله في أرضه وأن شعبها أرقى شعوب العالم، ونسوا أيضًا أنهم أضاعوا صوابهم عندما سمعوا السيد سولونييفيتش (solonivitch) صاحب صحيفة كولوس روسيا

(Tarkoul) الذي هرب من روسيا يقول للجنرال الفرنسي تاركول (colosse Russia) (الذي طرده ليون بلوم من فرنسا لمناوأته اليهود) أنه فر من روسيا الشيوعية بعد أن عاش في دوامة الأضاليل والأكاذيب اليهودية سبعة عشر عامًا من حياته، وشاهد بأم عينيه المذابح الوحشية التي أقدم اليهود عليها في بلاده، بحجة صيانة مكاسب الثورة والإخلاص لمبادئها، مع أن القتلى كانوا في أكثر الأحيان من أشد أنصار الاشتراكية، وممن عملوا أعواما طويلة لتحقيقها، ولكن رفضوا الخضوع للزعامة اليهودية، فكان جزاؤهم القتل، بحجة أنهم أعداء الثورة، وهكذا كان اليهود يذبحون أبناء قومي، الذين ثاروا للخلاص من الظلم والاستبعاد، وإذ بهم يقعون تحت حكم اليهود الطغاة؛ لأنهم فكروا في بداية الثورة بالأمور الثانوية، ودافعوا عن أغراض رخيصة، بينما أهملوا الدفاع عن وطنهم وقومهم وحتى أنفسهم وتركوا مقاليد كل ذلك بين أيدي أحط أنواع البشر (أي اليهود) فأذلونا واستبعدونا، فلم يعد بإمكاني تحمل كل ذلك فهربت من براثنهم.

اليهود في بريطانيا

«بعـد أن هيمنـت الهيئـة الـصهيونية المـسماة بالغريـت روسـل سـتريت (Great Russel street) على رئاسة الوزارة (10 Downing street) التي تشرف بدورها على المخابرات الإنجليزية (Inteligence service) التي تعتبر أهم وأقوى أجهزة الدولة (منذ عهد مؤسسها كرومويل) والتي تتدخل حتى في شئون التـاج البريطـاني، لم يعـد النفوذ اليهودي محصورًا في الأحزاب الـسياسية فحسب، بل تعداها إلى السيطرة التامـة على مقدرات الأمة بأسرها، وهكذا أصبح اليهود في بلدنا فوق الجميع».

من أقوال الـصحيفة الإنجليزيـة الحـرة (Free Press) نقـلاً عـن الكتـاب المقـدس الجديد للشعوب المغلوبة على أمرها لمؤلفه هيبس (صحيفة ٢٨٣).

يستهل التاريخ بحثه عن اليهود في الجزيرة البريطانية، بذكر محادثة طردهم منها عام ١٢٩٠ من قبل الملك إدوار الأول (Edouard 1er) وهو وإن كان لا يـشير لأحـوالهم فيها قبل هذه الحادثة، إلا أن الإجراء الذي اتخذه الملك يعني صراحة أنه كـان لليهـود في المملكة البريطانية شيء من الأهمية والتأثير، أساءوا التصرف فتعرضوا للطرد[(١)].

ومن سير الأحداث التي وقعت في عهد هـانري الثـامن (Henry VIII) يتـضح أن هذا الطرد لم يكن عامًا كما زعمتـه المـصادر اليهوديـة، وإلا لـما وجـدت فيهـا جمعيـة الإنسانيين المشهورة بتحيزها لليهود، والتي ساندت الملك الذي كان يتذوق فلسفتها في صراعه مع الكنيسة مع ما كان لها ولمبادئها من اللون والطابع اليهودي، والنتائج الـتي أسفرت عنها الأحداث تشير أيضًا إلى آثار الأصابع اليهودية التي سـاهمت فيهـا؛ لأن الأشخاص الذين اعتمدهم هانري الثامن لقيادة الحملة على الكنيسة كانوا جميعًا مـن مجهـولي الأصـل والمنبـت والمـشكوك في قـوميتهم أمثـال تومـاس كرومويـل (T. Cromwell) تاجر الصوف المغبون الذي كانـت جميـع الـدلائل تـشير إلى أنـه يهـودي الأصل رغم ادعائه بأنه إنجليـزي، والـذي كلفـه هـانري الثـامن بقيـادة الحملـة ضـد الكنيسة لما اشتهر به من الكفر والإلحاد، وكان كرومويل عند حسن ظن الملك، فطغى في البلاد، وأحرق الكنائس، وقتل الرهبان دون رحمـة أو شـفقة، حتـى اسـتحق عـن

---

(1) Andre Maurois (Histoire d,Angleterre) 193.

جدارة لقب جزار الرهبان بعد أن كان جزار الخراف الحقير[١]، ويلاحظ من ذلك أن التأثير اليهودي في بريطانيا كان قويًا منذ البداية.

ومن غرائب الصدف التي تجعل المراقب التاريخي لا يستبعد نظرية احتمال انتساب توماس كرومويل إلى اليهودية، هو ظهور سمي له (بعد قرن من الزمن يتميز مثله بغموض الأصل) على مسرح السياسة البريطانية، وهو النائب أوليفير كرومويل (Oliver Cromwell) الذي اشتهر بين أترابه بالميل والانطواء على النفس، بزغ نجمه فجأة وقاد ثورة المجلس ضد الملك شارل (Chares 1er) وخلعه عن العرش، ثم ثار مجددًا على رأس الجيش ضد المجلس، وأعلن قيام الحكم الجمهوري، بعد أن زعم أن يهوى أوحى له بذلك باعتباره رسولاً أوفده لينقذ الشعب البريطاني من الخطيئة، وكان يتشبه بالقاضي اليهودي جدعون (Gedeon) ويلق بجنوده بجنود يهوى، ويستمد نظرياته من تعاليم التوراة والتلمود، وينادي في المناسبات العامة بحرية الدين، بينما كان يتعصب ضمنًا لتعاليم التوراة، وينكل بمَن يناوئها، كما اشتهر باحتقاره للأناجيل وأتباعها، والاعتماد فقط على البوريتان (puritains) أصحاب التوراة.

وهو الذي أصدر أمرًا بعودة جميع اليهود إلى بريطانيا منحهم جميع الحقوق التي كانت ممنوحة للبوريتان (الطبقة المختارة) وادعى النبوة وقال: إنه خليفة النبي حزقيال، وأنه مخمور بحب يهوى مثله، ونفى أن يكون إله الأناجيل إلهًا صادقًا، ومنع البوريتان من الاعتراف به، وأمرهم بأن لا يعترفوا أيضًا بالمسيح، وأن لا يحترموا سوى يهوى إله الجنود، ثم أصدر قانونًا حرم بموجبه العمل على المسيحيين أيام السبت، وأرغمهم على قراءة التوراة طيلة أيام الأحد، وألغى جميع الطقوس الدينية المسيحية، وحرم على الناس دخول الكنائس، وقتل كل مَن دخلها، وجرب إقامة مجلس كهنوتي أعلى على غرار المجلس اليهودي (Sanhedrin) ليطبق شريعة التوراة الحرفية في البلاد، ويجعل من بريطانيا دولة يهودية تامة، وكان يدعي أن الرب اختار بريطانيا بديلاً عن إسرائيل لتقوم بتحقيق الوعود التي وعدها لليهود، وكان طيلة أيام حكمه التي دامت حتى عام ١٦٦٠ يطبق في البلاد الشرائع اليهودية بحذافيرها، ولقد ذاقت البلاد إبان حكمه مر العذاب، إلى أن قيض الله لها الفرج بعودة النظام الملكي إليها من جديد[٢].

---

(1) Andre Maurois (Histoire d,Angleterre) page 291 – 296 – 300.
(2) Andre Maurois (Histoire d,Angleterre) page 441- 442- 443.

وهذا المسلك اليهودي الصرف الذي سلكه أوليفير كرومويل، والـذي يتفـق مـع مـسلك تومـاس كرومويـل وتـشابه اسميهمـا وتوافـق أصـليهما، يـوحي إلى الناقـد بانحدارهما من أصل يهودي واحـد، أو انتـسابهما لإحـدى العـائلات اليهوديـة الـتي أعلنت اعتناقها النصرانية لتتقي الطرد من البلاد، ومن هنا يستنتج أن طرد اليهـود في عهد إدوارد الأول لم يكن إلا عملية تطهير جزئية، نجا منها الكثير مـن اليهـود الـذين عادوا لشريعتهم الأصلية بمجرد اختلاف هانري الثامن مع الكنيسة، ومن ثـم عمقـوا جذورهم في الأرض الإنجليزية بـصورة جديـة في عهـدي المجلـس النيـابي وجمهوريـة كرومويل.

فلما عادت الملكية مجـددًا إلى الـبلاد كـان اليهـود قـد رسـخوا أقـدامهم في جميـع مرافقها، واستعادوا نفوذهم في سوق المضاربات (البورصة) الذي مكَّنهم من السيطرة على مقدرات البلاد المالية، فاحتاجت إليهم الدولة والطبقة الأرستقراطية التي كانـت إحداث هانري الثامن وإحـداث عهـد كرومويـل الداميـة هـدت قواهـا، واسـتنزفت مواردها المالية، وسلبتها أكثر أملاكها، فاضطرت في عهد شـارل الثـاني (Charles II) أن تستنجد بأثرياء اليهود، لتقترض منهم المال اللازم لها، فتقربـت إلـيهم تـسترضيهم وتخطب ودهم، فلبى اليهود مطالبها مقابل فوائـد خياليـة، أعجـزت فيمـا بعـد أكثـر أفرادها من سداد ديونهم، فاضـطر بعـضهم للتخلـي عـن ممتلكاتـه لليهـود، وأرغـم البعض الآخر على تسوية ديونه بقبول مصاهرة اليهود والاندماج في مجتمعهم بعد أن كانوا يحتقرونهم ويعزفون عن الاقتران اللواتي كان اليهود يسعون دائمًا لتزويجهن من نبلاء الإنجليز، بغية تهويدهم عرقيًّا، بعد أن هودهم كرومويل فكريًّا ودينيًّا.

فلما وجدوا النبلاء المفلسين بحاجة إليهم استعملوا جميع وسائل الإغراء والتهديد ليرغموهم على الاقتران ببناتهم، فلم يسع النبلاء إلا الرضوخ للأمـر الواقـع، فكثـر عدد النبلاء الذين تزوجوا مـن يهوديـات، وهكـذا دخلـت اليهوديـة أعـرق البيـوت الإنجليزية، وأصبحت فيها الآمرة الناهية وأم أطفالها سادة مستقبلها.

وبفضل هذه المصاهرات مُنِحَ بعض اليهـود أضـخم الألقـاب، وحـصل الـبعض الآخر عليها عن طريق رشوة الملوك والأمراء، واختلطت الدماء اليهودية بدماء نـبلاء الإنجليز، وسيطروا على مقدرات هذه الطبقة، حتى لم يعد لها خلاص من نفوذهم إلى

الأبد.

وفي هذا الصدد يحدثنا الكاتب الإنجليزي الكبير هيللر بللوك (Hilaire Belloc) ويقول: إن تهويد الإنجليز وخاصة طبقة النبلاء منهم بلغ حدًّا، استعصى معه التفريق بين النبيل الإنجليزي واليهودي العادي، حتى أنه عندما يسافر أحد النبلاء إلى خارج البلاد، يظنه الناس يهوديًا، لما في شكله ومنظره ومظهره من الطابع اليهودي الشهير المغاير لكل ما عرف عن شكل ومظهر النبيل الإنجليزي العريق، ولهذا أصبح التفريق بينه وبين اليهودي مستحيلاً.

أما النبلاء الخالون من الدماء اليهودية فهم أندر وجودًا من العنقاء في القرن العشرين[1]، ومما يحز في نفس الإنسان هو أن يسمع اليهود يتبجحون بهذا النصر الذي أحرزوه على الإنجليز، ويفاخرون ببقائهم بمعزل من الاختلاط بهم، مثل الوزير اليهودي ديزرائيلي (Disraeli) الذي فاخر بقوميته وكتب يقول: إن أي شعب أو قوم لا يمكنه الحفاظ على تراثه ومناقبه الأصلية، وخصائصه القومية وتقاليده الاجتماعية والوطنية، إلا إذا حافظ على دمائه نقية، وظل بمنأى عن الاختلاط بالأقوام الأخرى.

لأن عناصر التفوق العرقي تكمن في الدماء الخاصة النقية، والميزات العرقية تنتقل إلى الأجيال عن طريق الوراثة، وعندما تتعرض دماء الأجيال إلى الاختلاط بدماء غريبة، تفقد خصائص قومها، وتجرد من مقوماتها المميزة لها عن سواها، والشعوب الأوربية التي تلوثت دماء أجيالها بمختلف الدماء الغريبة فقدت كل أصالتها، وأضاعت ما كان لها من مميزات، ولم يبق لها ما يفرقها عن سواها، أما نحن اليهود الذين حافظنا على دمائنا النقية من غير شائبة، وامتنعنا عن الاختلاط بالآخرين، ما زلنا نملك كل المقومات الخاصة بنا.

مع العلم أن ديزرائيلي كان يتظاهر باعتناق النصرانية، ويمثل الشعب البريطاني بصفته وزيرا في دولته، ومع ذلك لم يتورع عن التفاخر بأصله والتبجح بقوميته بكل لؤم وقحة، وليت تعصب ديزرائيلي ليهوديته وقف عند التبجح بها، ولكنه تعداه إلى فتح جميع أبواب الدولة البريطاني، أمام أبناء قومه، حتى أحال الدوائر الحكومية إلى منطقة نفوذ يهودي، وكأن اليهود أصحاب البلاد الحقيقيين، بينما سد أبواب الرزق في

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 280 – 281.

وجه شباب الإنجليز، وحرمهم من حق العمل في الدولة، ومع كل هذا، لم يجرؤ أحد على معارضته؛ لأن الطبقة الأرستقراطية المهودة كانت تناصره، وتخرس مَن ينتقد أعماله.

ويفضل مؤازرة هذه الطبقة المهودة لديزرائيلى، وعدم اهتمامها بشئون الدولة، سيطرة اليهود على جميع مرافق الدولة البريطانية، واتسع نفوذهم، بينما انطوى البريطانيون على أنفسهم، واستكانوا للقدر المحتوم.

وفي الربع الأول من القرن الثامن عشر أحدث اليهود أول محفل ماسوني في لندن، وأسندوا رئاسته للعاهل الإنجليزي بالذات، ليستغلوا نفوذه لتحقيق غاياتهم الخاصة[(١)].

ويحدثنا السيد هيس عن نتائج قبول الملك لرعاية هذا المحفل ويقول: إنه منذ ذاك اليوم لم يعد بين رجالات بريطانيا السياسيين والبارزين مَن لم ينتسب لهذا المحفل، الذي يوجهه اليهود حسب أغراضهم وأهوائهم.

وفيما يخص النفوذ اليهودي في بريطانيا يحدثنا الكاتب الشهير لامبولان (Lampelin) في مؤلفه المسمى «مملكة اليهود في بلاد الأنكلوساكسون» ويقول: «لقد توصل اليهود عام ١٩٢٢ إلى أن يكون لهم في بريطانيا ٢٦ بارونا و ٦ فرسان (knights) و ٦ مستشارين لدى البلاط، و ٦ أعضاء في مجلس بلدية لندن، وهذا عدا من المئات والألوف من الكُتّاب والأدباء المشهورين، وأصحاب الشركات، ووكالات الأنباء، وأصحاب الصحف، أمثال جوزيفات بير (josephat Beer) مؤسس وكالة روتر (Reuter) وسواه». ويضيف قائلاً: إن ثلاثة من اليهود شغلوا مركز نائب الملك في الهند، وحكموا تلك القارة الواسعة مدة ربع قرن باسم الأمة البريطانية، وهم: مانتاكو (M. Mantago) وويليام ماير (s. w. Mayer) والكونت ريدنك (le comte Reading).

وفي نفس الموضوع يحدثنا السيد موريس بليولوغ (Maurice pleologue) في كتابة المسمى «على أبواب القضاء الأخير» (Aux du jugement dernier) ويقول: إن الأمير البير (prince Alpert) زوج الملكة فيكتوريا وجَدُّ جميع أمراء بريطانيا، كان ابنًا غير

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 283.

شرعي لأحد اليهود، وأن أمير الغال (prince des galles) الذي أصبح فيما بعد ملكًا على بريطانيا باسم إدوارد السابع (Eddouard vll) كان يقترض الأموال الطائلة من أثرياء اليهود دون فائدة، ولا يردها لهم، بل يعدهم بتحقيق مآربهم عند اعتلائه العرش، ولما أصبح ملكًا، اضطر أن يفي لليهود بوعوده الكثيرة السابقة، فمنح أكثر دائنيه الألقاب الضخمة مثل اليهودي ليفي لوسون (levy lawson) الذي منح لقب لورد، وأصبح يعرف باسم اللورد برونهام (Burenham) وأنعم أيضًا على اليهودي أرنست كاسل (E. Cassel) بلقب البارونية، وزوج ابنته لأحد اللوردات الإنجليز ليقوي له مركزه السياسي، ثم عيَّنه أمينًا لشئون البلاط المالية.

ويبدو أن نفوذ اليهود في بريطانيا بلغ أوجه في عهد جورج الخامس (Monte fore) بأنه أعظم شخصية في إمبراطوريته، الذي كان يعتمدهم في كل شئونه، حتى أنه كان يقول عن اليهودي مونتفيور: ولقد تجلى النفوذ اليهودي قبيل الحرب العالمية الأولى، إذا أصبح تسعة منهم أعضاء في مجلس العرش الذي يضم اثنى عشر عضوًا فقط، وهو أعظم سلطة في البلاد بعد الملك مباشرة[1]، كما أن المجلس الاستشاري الأعلى كان يضم عددًا كبيرًا من اليهود يرأسه اليهودي موريس هانكي (Maurice Hanky) وفي مجلس اللوردات كان لهم أحد عشرا لوردًا وعلى رأسهم اليهودي هوربليشا الشهير والسيدة سمبسون (simbson) التي اقترن بها إدوار الثامن كانت هي أيضًا يهودية معروفة.

والغريب أن النفوذ اليهودي في بريطانيا ازداد يومًا عن يوم، حتى أن المرشحين لرئاسة بلدية لندن عام ١٩٤٢ كانا من اليهود وهما صمويل جوزيف وفرانك بوليتزر، وكأن لندن خلت من الإنجليز ولم يعد فيها سوى اليهود.

وفي عام ١٩٥١ أرغم اليهود السير تشرشل على تعيين اليهودي شارفيل (Charwelles) وزيرًا لشئون الطاقة الذرية، رغم معارضة أكثرية أعضاء المجلس لهذا التعيين، لما لهذا المركز من الأهمية القومية والوطنية.

ومما تقدم يتضح للقارئ الكريم مدى ما وصل إليه اليهود من السيطرة والنفوذ في بريطانيا، وكل ذلك بفضل توماس كروميل، الذي قضى على الكنيسة الكاثوليكية،

---

(1) P. Hepess (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 283.

وسميه أوليفر كرمويل الذي تمكن فيما بعد من محو أثر النصرانية في الجزيرة، بإرغامه الإنجليز على اتخاذ التوراة بدلاً عن الإنجيل وفتحه أبواب بريطانيا لأفراد الشعب اليهودي ومساعدته إياهم لتهويد البلاد بالشكل الذي سبق شرحه، وهكذا أصبحت الأمة الإنجليزية مهودة برمتها، ولهذا نجدها اليوم وغدًا تسير في ركابهم، ولا تتخلى عنهم مهما كان الأمر، وهي التي حقّقت لهم أكثر رغباتهم منذ أكثر من مائتي عام خلت حتى اليوم.

الجرائم اليهودية في ألمانيا

أيقنتُ أن اليهود أناس غلاظ الأكباد، انحرفوا عن شريعة موسى، وزوروا كتبه وأقواله، أما معابدهم فما هي إلا مواخير للفسق والفجور، فيجب علينا إحراق كتبهم المزورة وتدمير معابدهم القذرة، لننقذ شعبنا من خطرها، فلو عاد موسى بنفسه للحياة لأمر بحرقها وإزالتها من الوجود. واليهود لا يهمهم إلا النهب والسلب، وهم وحوش ضارية، وأفاع سامة يجب مطاردتهم حيثما كانوا، والقضاء عليهم كما يقضي على الكلاب المسعورة. من أقوال المصلح الألماني (Luther)(١).

في مستهل القرن السادس عشر (عهد النهضة) شرعت جمعية الإنسانيين بنشر آرائها ومبادئها في المقاطعات الألمانية أسوة بالبلاد الأوربية الأخرى وأصدرت مئات المصادر الداعية للإلحاد والإباحية، فانهال الناس عليها يقرءونها بنهم زائد، وبادر اليهود بدورهم إلى نشر النظريات المنبثقة عن التوراة والتلمود بعد أن ظهرت الطباعة وأصبح الطبع سهلاً أكثر من ذي قبل، فغرق الناس في بحر من المطبوعات المناوئة لتعاليم الكنيسة القديمة، ينهلون منها الفلسفات الشرقية المخالفة للإنجيل واللاهوت المسيحي، فسادت الفوضى الفكرية والدينية في ألمانيا، وحار الناس في أمورهم الدينية التقليدية، وضعف إيمانهم بالكنيسة التي كانت في حينها ترزح تحت سيطرة الرأسمالية اليهودية، التي تسللت إلى حرمها بواسطة اليهودي المالي يعقوب فوجر (gacob

(١) «مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) راهب ألماني، زعيم حركة الإصلاح الديني البروتستانتية بألمانيا، حيث دعا الكنيسة إلى العودة إلى تعاليم الكتاب المقدس، وانتقد الكنيسة في بيع سكوك الغفران للمخطئين، ورأى أن العلاقة بين الإنسان وربه يجب أن تكون بدون وسيط. وقد أمسك لوثر بعض الحقائق الأساسية، مثل أن اليهود منافقون، وأنهم حرفوا التوراة من أولها إلى آخرها، وأن تلمودهم من أشر الكتب الوثنية. وله كتاب يتحدث فيه عن ذلك وهو كتاب «اليهود وأكاذيبهم» حيث يناقش فيه أسس حل مسألة اليهود فيدعو قومه إلى:

- اجتناب اليهود ومعابدهم ومدارسهم والحذر منهم بل منعهم من أن يكون لهم معابد.
- أن لا يكون لهم شيء من المال حيث هم غرباء وما في أيديهم لوطنه.
- أن ينزع منهم كتاب التلمود لما فيه من النفاق والأكاذيب.
- أن يمنع الربا حيث هم الذين اخترعوه وتعاملوا به». انظر اليهود وأكاذيبهم ٨ - ١٣. (دار البشير).

Fugger) الذي فرض نفوذه عليها، وأصبح يتحكم بمقدراتها المالية، وبعد أن أقرضها المال الكثير في محنتها، فعجزت الكنيسة حينًا من الزمن عن تسديد ما بذمتها، وهكذا رضخت لمشيئة اليهود، واستكانت لرغباتهم فاستغلوا ضعفها، وسارعوا إلى نشر كل ما كان يسيء لها وللنصرانية.

وفي خضم هذه البلبلة الفكرية التي سيطرت على الألمان، ظهر على مسرح الأحداث المصلح لوثر (Luther) الذي اعترض على الكنيسة لإصدارها صكوك الغفران بغية سداد ديونها، فقام النزاع بين لوثر وقداسة البابا ليون العاشر (Leon x) في عام ١٥١٥ فتفاقمت الأمور لمدة طويلة، ثم أسفرت عن خروج لوثر وكنيسته عن الكنيسة الكاثوليكية وأعلن لوثر قيام الكنيسة الألمانية المستقلة التابعة لحواريين بطرس وأوكوستين (Ssint baul et saint Augustin) مما أدى إلى التفاف أمراء المقاطعات الألمانية حول الكنيسة الجديدة، تهربًا من تعسف الكنيسة القديمة، فاندلعت نيران الحروب الدينية بين أنصار المصلح لوثر والملك شارلكان (Charles Quint) حامي الكنيسة القديمة، فوجد اليهود في هذه الحروب فرصتهم الذهبية ليدمروا الكنيسة القديمة (عدوتهم التقليدية) ويحققوا المكاسب المادية، فسارعوا إلى وضع أموالهم تحت تصرف لوثر ومن شايعه من الأمراء، مقابل فوائد خيالية، ولما كان لوثر وأنصاره بحاجة للمال رحبوا بالمساعدة اليهودية وبغية معاملتهم بالمثل ضمنوا حمايتهم، ومنحوهم كافة الحقوق الممنوحة للألمان، وسهّلوا لهم أمورهم التجارية، حتى أن لوثر كان ينتقد البابا وكرادلته في معاملتهم لليهود ويقول: إن الأساليب التي اتبعها البابا وكرادلته لإدخال اليهود في النصرانية، هي أساليب همجية بربرية لا تمت إلى الدين المسيحي بصلة؛ إذ كانوا يسومونهم سوء العذاب ويضطهدونهم ليرغموهم على الدخول في طاعتهم، في الوقت الذي كان عليهم أن يحسنوا معاملتهم، ويدعونهم بالرفق واللين والإقناع إلى اعتناق النصرانية، فلو كنت يهوديًا وطلب مني أن أعتنق النصرانية بمثل هذه الأساليب الوحشية لفضلت أن أكون خنزيرًا على أن أعتنق المسيحية. وهذا العطف الذي بدر من لوثر نحو اليهود أطمعهم في الشعب الألماني، فاستغلوه لأقصى حد ممكن فأمّنوا مصالحهم الخاصة، واستولوا على أكثر الصناعات والأعمال الحرة تحت حماية لوثر والأمراء، ثم وسعوا أعمالهم المصرفية وافتتحوا

المصارف وأسواق البورصة في أكثر المدن الألمانية، فسيطروا على النقد في جميع أنحاء البلاد.

ومن الناحية الأخرى ازداد نشاطهم في نشر الإلحاد واللاأخلاقية بين أفراد الشعب الألماني، وعاونهم الماسون وأعضاء الجمعية الإنسانية على أوسع نطاق، فانهارت الأخلاق العامة، وازداد استخفاف العامة بالمثل العليا كالوطنية والقومية، وأصبح الفرد الألماني يستهجن تعاليم الكنيسة ويسخر منها، ويستعيض عنها بالفلسفات الجديدة المنبثقة عن التلمود والمصادر المعادية للدين المسيحي.

ولما انتهت الحروب الدينية واستولى الأمراء على ممتلكات الكنيسة القديمة، بادر اليهود إلى المطالبة بديونهم مع فوائدها العالية، فعجز الأمراء عن تسديدها، فاضطروا على التخلي لليهود عن جميع الأملاك التي أخذوها من الكنيسة الكاثوليكية، مقابل ديونهم، مع أن تلك الأملاك كانت تساوى عشرات أضعاف الأموال التي اقترضوها من اليهود.

وهكذا خرج اليهود من الحروب الدينية بحصة الأسد، وحققوا جميع الأهداف التي توخوها من هذا النزاع الذي دام عدة أعوام، دفع الشعب الألماني فيه مئات الألوف من الضحايا على مذبح الشهوات اليهودية.

ولما وجد اليهود الشعب الألماني بدأ يميل إلى التخلي عن الكنيسة، عمدوا إلى دعوة الناس للدخول في شريعتهم، واستعملوا في دعوتهم كل أساليب التغرير المادية والمعنوية، ولما تفاقم أمر دعوتهم، لاحظ لوثر جسامة الخطأ الذي ارتكبه في حماية اليهود، فقام بعمل مضاد، ودعاهم بدوره لاعتناق مذهبه، واستعمل لذلك جميع الأساليب الإنسانية اللبقة، ولكن اليهود ردوه على أعقابه خاسرًا، ولم يقبل أحد منهم الدخول في مذهبه، وسخروا من دعوته بكل قحة، فاضطر لإعلان رأيه فيهم مثلما أوردناه في مطلع هذا البحث ومن ثم أمر حكام المقاطعات التابعة لكنيسته بجمع نسخ التلمود وحرقها، وفرض على اليهود القيود الصارمة لمنعهم من التبشير بشريعتهم الخاصة.

فرضخ اليهود للأمر الواقع، وخففوا من غلوائهم، وتظاهر بعضهم أمثال سبينوزا (Sbinoza) بالسعي للتوفيق بين اليهود والألمان، ودعا بني قومه للخروج عن عزلتهم،

والاختلاط بالشعب الألماني، وإعادة النظر في تعاليم التلمود وجعلها منسجمة مع تعاليم المذهب البروتستانتي المنبثق عن التوراة، لإزالة الفوارق الكائنة بين الدينين باعتبارهما مشتقين من نفس الكتاب، وكان يهدف بدعوته هذه التغرير بالألمان وإيهامهم بنزوع اليهود إلى الانصهار في بوتقتهم، ليوفر على بني قومه بعضًا من الاضطهاد الذي تعرضوا له، ريثما تسمح لهم الفرص للعودة إلى إكمال مشاريعهم الرامية إلى السيطرة على الشعوب التي يعايشونها، ولكن غلاة اليهود رفضوا مقترحاته، وظلوا على تمسكهم بالانعزالية، ففشلت مخططات سبينوزا رغم جهوده الواسعة[١].

وفي مستهل القرن الثامن عشر عمد اليهود إلى إبدال أساليبهم القديمة، وظهر في ألمانيا اليهودي موسى ماندلسون (Moise Mendelssohn) الذي أتى من الريف إلى مدينة برلين معدمًا فقيرًا، وفي بضعة أعوام أصبح من أشهر أغنياء العاصمة الألمانية، وترجم قسمًا من التلمود إلى اللغة الألمانية، وحوره بما يتناسب مع أغراضه القومية، وبما يوحي بعدم وجود الفوارق المذهبية بين الشريعة اليهودية واللوثرية، ثم اتفق مع أعضاء الجمعيات المهودة مثل الماسونيين والإنسانيين والمثقفين، وافتتح لهم الندوات الأدبية العديدة، ليجتمعوا فيها مع نخبة من شباب الألمان لينشروا بينهم الفلسفات الشرقية المناوئة للدين المسيحي، ويخرجوهم عن معتقداتهم وتقاليدهم القديمة، ويقتلوا فيهم روح القومية والوطنية، وأقام على إدارة هذه القاعات الأدبية التي أغدق عليها الكثير من أمواله الطائلة أجمل السيدات اليهوديات، أمثال اليهودية هنرييت هيرز (Henriette Hirz) التي اشتهرت بجمالها وثقافتها العالية، وتهتكها رغم أنها كانت ابنة أحد الحاخاميين، وتلقت دراستها في مدارس الراهبات الكاثوليك، وتزوجت من يهودي تلمودي، ثم طلقته وانضمت لمندلسون لتدير أشهر ندواته الأدبية وتبشر بين أفراد الشعب الألماني بالإلحاد والفسق والفجور، وتصيد خيرة شبابه وتوقعهم في حبائلها لتلفظهم فيما بعد، وقد أصبحوا لا يملكون شيئًا من المثل والقيم التي شبوا عليها، سوى السجود تحت أقدامها وأقدام أترابها من الفاسقات اللواتي كن يعملن معها، حتى أن أكثر شباب الألمان كانوا يلقبونها بربة الأدب الحزينة.

---

(1) J. J. Tharaud (Le chemin) page 121.

وقد اشتهرت ندواتها بأنها مركز الماسونية، ومنبع الأفكار الثورية المناوئة للدولة الألمانية، وناشرة الإباحية واللاأخلاقية، وبؤرة الفساد والخلاعة، وكان يرتادها أشهر رجالات أوربا المناصرين لليهود ليجتمعوا فيها بزعماء الماسون والصهيونية، ويتدارسوا معهم المخططات اليهودية الرامية إلى قلب الأوضاع الأوربية، حتى أن ميرابو (خطيب الثورة الفرنسية) الشهير زارها قبيل الثورة بمهمة رسمية، وتدارس مع الماسون تفاصيل الثورة الفرنسية التي كان اليهود والماسون يعملون لإيقاد نيرانها، ولما عاد إلى فرنسا راح يمتدح المشرفة عليها، ويثني على اليهود[1] أمام رفاقه من الفرنسيين ويقول: إذا شئتم أن يصبح اليهود أناسا خيرين، فأفسحوا لهم المجال، وافتحوا لهم جميع الأبواب، وأدخلوهم في مجتمعكم دون أن تأخذوا عليهم انتسابهم للشريعة الموسوية، عندها سترون أنهم من خيار الناس.

ونحن لا نستغرب هذا الدفاع عن اليهود من ميرابو، باعتبار أنه كان ماسونيًا عريقًا يعيش على خيرات اليهود (أمثال ماندلسون) الذين كانوا يمولونه ويوجهونه حسب إرادتهم، ويأتمر بأمرهم ليدافع عن حقوقهم في المجلس الوطني الفرنسي، حتى أوصلهم جميع غاياتهم السياسية، ولم يكتسب شهرته بأنه خطيب الثورة إلا بفضل الدعايات اليهودية التي كانت تنطلق لتملأ الدنيا كلما قام ليخطب في الجمعية الوطنية دفاعًا عن اليهود، وزَوْدًا عن حقوقهم، وهو في الواقع لم يكن سوى خطيب اليهود على حد قول أكثر نقاد التاريخ الحديث.

سبق وقلنا إن ندوة هنريت لم تكن الوحيدة في ألمانيا، بل كانت هناك ندوات مماثلة عديدة، تعمل جميعها لنشر المبادئ الداعية للإلحاد والتهتك، وتبشر بأنصاف اليهود، وتدعوا لمعاملتهم على قدم المساواة مع الألمان، ولكن السواد الأعظم من الشعب الألماني أبى أن ينجرف في تيار دعايات هذه الندوات، وخاصة بعد أن رأى موقف اليهود المعادي للمذهب اللوثري، وبعد أن كشف لوثر الستار عن محتويات التلمود، وأوضح للشعب الألماني كنه الشريعة التلمودية وعداءها المكين للمسيح والمسيحية؛ ولذا ظل اليهود تحت المراقبة الشعبية حتى اندلعت الثورة الفرنسية، وحصل اليهود في فرنسا على حقوقهم السياسية، فهبت صحافتهم تطالب الدول

---

(1) J. J. Tharaud (Le chemin) page 133.

الأوربية بمنح اليهود في بلادها حقوقهم السياسية أسوة بفرنسا، ومع هذا ظلت الدولة الألمانية حذرة في معاملة اليهود لعدم ثقتها بهم، ولكن ظهور نابليون على مسرح السياسة الأوربية، وانحيازه لليهود، وانطلاق جيوشه لفتح البلاد الأوربية بتحريض من اليهود، أفسح المجال أمام زعماء اليهود ليحرروا أبناء قومهم في البلدان الأوربية من القيود التي كانت مفروضة عليهم، وذلك بفضل تحكمهم في شئون نابليون المالية، ولما دخلت جيوشه ألمانيا سارع نابليون إلى منح اليهود الحقوق المدنية والسياسية، وأصبحوا سواسية مع أهل البلاد، ثم بادروا إلى استغلال صداقته لهم، وفرضوا إرادتهم على الشعب الألماني مثلما فرضوها على الشعوب الأوربية الأخرى طيلة عهد سيطرته على أوربا.

وهكذا كانت فتوحات نابليون وبالاً على الشعوب الأوربية، بقدر ما دَرَّت الخير والبركة على اليهود الذين طعنوا نابليون من الخلف فيما بعد وفي الوقت المناسب، أي عندما استنفذوا أغراضهم من مناصرته.

ولقد استغل اليهود سيطرة نابليون في ألمانيا على أوسع نطاق، وتمكنوا من الاستيلاء على مقدراتها المالية والاقتصادية، واحتلوا مراكز الجاه والسلطان في كافة مرافقها، فأصبح منهم مستشارون في الدولة، وامتهنوا الحرف الحرة، حتى بلغ نسبة الأطباء منهم ٨٠ ٪ ونسبة المحامين ٧٠ ٪ وسيطروا على الميادين الصحية والعدلية، وتركوا أحياءهم القديمة ليعيثوا في الأحياء المسيحية فسادًا وفسقًا، ويستولوا على أسواق البورصة والتجارة الخارجية، ووسعوا عملياتهم المصرفية، لدرجة غدت ألمانيا معها شبه مزرعة يهودية.

وفي صدد نفوذ اليهود في ألمانيا يحدثنا تارود قائلا(١): رغم أن نابليون منح اليهود في ألمانيا جميع الحقوق السياسية، إلا أن الدولة الألمانية منعتهم من ممارستها جزئيًّا، ولما اندلعت ثورة ١٨٤٨ التي أسفرت عن ازدياد نفوذ اليهود في فرنسا، عمدوا إلى الضغط على حكومتها للتوسط لدى الدولة الألمانية لمنح اليهود الحقوق السياسية، فانصاعت الحكومة الفرنسية لمطالبهم وتوسطت في الموضوع، والمؤسف هو أن الدولة استجابت لرغبة فرنسا ومنحت اليهود مطالبهم، ولم يعد محرمًا عليهم إلا قيادات الجيش ومراكز

---

(1) J. J. Tharaud (Quand Israel n,est plus Roi) page 66 – 67.

وزارة الخارجية العليا، أما مراكز الدولة الأخرى فأصبحت في متناول أيديهم، والدليل على ذلك أن غليوم الثاني (Guillaume II) عيّن اليهودي بالن (Ballin) مستشارًا للتجارة الخارجية، وأسند إلى اليهودي إميل روتونو (Emile Rotheam) مهمة الإشراف على أكبر شركة كهربائية، وسمح لليهودي فورستنبرغ (Furstenberg) بإنشاء الشركة الصناعية العامة (B – H) الألمانية، وأسند إلى اليهودي ديرنبرغ الأملتة العامة للمستعمرات الألمانية، وعهد إلى اليهودي فريدلاندر بتأسيس شركة مناجم سيليسيا الكبرى، ومن ثم عينه عضوًا في مجلس الأمراء، وأنعم على اليهودي سفاباخ برتبة قائد في الحرس الإمبراطوري.

وهكذا تسلل اليهود في ألمانيا إلى مراكز الجاه بفضل التدخل الفرنسي، وانتشروا في دوائر الدولة يعملون في تخريب أجهزتها، ومع ذلك لم يكفوا قط عن التذمر من معاملة الألمان لهم؛ لأنهم كانوا يحرمونهم من المناصب الوزارية، ولقد تفنن اليهود في تهويل هذا الأمر حتى أقنعوا الرأي العام بمظلوميتهم، فصارت الصحافة الأوربية تتناول من وقت لآخر قصة حرمان اليهود في ألمانيا من المناصب الوزارية، وتصف سلوك الدولة الألمانية في هذا الصدد بالظلم والتعسف، أو التطرف غير الإنساني..... إلخ.

وهذه الحملات الصحفية الظالمة هي التي أرغمت الشعب والدولة الألمانية على التساهل مع اليهود، فتركت لهم أبواب جميع المرافق الأخرى مفتوحة للتعويض عليهم عن حرمانهم من المناصب الوزارية، ولقد أدى هذا التساهل الألماني إلى استيلاء اليهود على مرافق الأمة الحساسة كالصحافة والطب، والفنون والثقافة، وإدارة الجامعات ووكالات الأنباء، إلى أن أصبحوا وكأنهم الأكثرية الساحقة في البلاد، وكان عدد الألمان العاملين في هذه الحقول ضئيلاً لدرجة أن أصبح الناس يتندرون به ساخرين: إذا فكر اليهود يومًا أن يهجروا برلين، فستصبح هذه المدينة الكبرى وكأنها صحراء قاحلة؛ إذ لن يجد فيها المرء هجرة اليهود أثرًا للطب والمحاماة والصحافة، ولا حتى ناديًا أو مسرحًا أو سينما، ولن تبق في البلد أية حركة من بيع أو شراء.

ومن مغزى هذه النكتة يتضح للقارئ ما وصل إليه اليهود في ألمانيا من السيطرة على حياة شعبها، ومدى ما كانوا يجنونه من خيرات أهلها، ومع كل هذا ثابروا على

التذمر من الألمان وتحينوا الفرص للانقضاض عليهم.

ولما هزمت ألمانيا عام ١٩١٨ وانهارت معنويات شعبها الذي غُلِبَ على أمره، انكمش على نفسه، خاصة بعد أن شاهد اندلاع الثورة التي أطاحت بالقيصرية، واستبدلتها بالجمهورية التي أعلنت في أعقاب مؤتمر فيمار اليهودي (Assemble Weimar) والتي لم يتحمس لقيامها الألمان لمعارضتها لأنظمة الحكم الذي اعتادوه، فوقفوا مبهوري الأنفاس يراقبون ما يدور حولهم بقلوب واجفة على مستقبل بلادهم التي مزقتها أيدي الحلفاء واليهود الحاقدين، فهنا احتلال وهناك ثورة، وفي منطقة أخرى انفصال، زد على ذلك الغرامات الحربية الطائلة التي فرضت عليهم دون أن يؤخذ رأيهم فيها أو يستشاروا في أمرها، وإزاء كل هذه المصائب وجد الألمان أنفسهم وكأنهم أيتام في مأدبة اللئام ولم يسعهم إلا الصبر والانتظار.

وفي هذه الأثناء كان اليهود يعملون بسرعة فائقة لاستثمار الانهيار الألماني قبل أن يستيقظ الألمان من صدمتهم، فأرسلوا إلى يهود بولونيا ليسارعوا بالعودة إلى ألمانيا، ليحتلوا المراكز التجارية والصناعية التي شغرت من أصحابها الألمان، وفي ظل حراب الدول الغربية انقضوا على المصانع والمتاجر الألمانية التي استولى عليها الحلفاء يبتاعونها بأبخس الأثمان، ويعيدون تسيرها من جديد تحت إشرافهم، ثم أقاموا الدعاوي على المواطنين الذين اقترضوا منهم الأموال في الماضي، وأدانوهم أمام المحاكم التي كانت تحت سيطرة الحلفاء، وحصلوا من مدينيهم على فوائد خيالية، مما اضطر أكثرهم للتخلي عن كل ما يملكه لليهود، ثم راحوا يستولون على جميع الحرف العالية في البلاد، ويمنعون الألمان من ممارستها بدعم من الجيوش الحليفة، وفي زمن قياسي تضاعف عددهم في البلاد وأصبحوا يملكون ٩٠ ٪ من الثورة الألمانية، فازدادت أطماعهم وعمدوا إلى إذلال الألمان وتحقيرهم دون خوف أو وجل.

ولكن لكل أمر نهاية، فاستيقظ الألمان من الصدمة، وهالهم ما وجدوه من السيطرة اليهودية في البلاد، وما وصل اليهود إليه من التحكم في شئونهم وعلى الأخص عندما شاهدوا اليهودي كورت أيزنير الدخيل يقتطع لنفسه المنطقة البافارية التي كانت منذ اثني عشر قرنًا إمارة ألمانية تعتز بألمانيتها، ويفصلها عن الوطن الأم ويعلنها جمهورية مستقلة، ويتخذ من ميونيخ مقر أمرائها عاصمة لجمهوريته، وينصب

نفسه رئيسًا عليها، ويحشد اليهود فيها ويطلق يدهم في إدارة شئونها وكأنها أمارة يهودية[١].

كما شاهدوا الفوضوية اليهودية روزا لوكسانبورغ (Rosa Luxemburg) وزميلها كارل ليبكنيت (Karl Liebknecht) يعيثان في عاصمة بلادهم فسادًا، ويتحكمان في شئونها، ويفتعلان فيها المظاهرات الصاخبة، ويدفعان بأهلها إلى الاقتتال في الشوارع دون وعي أو إدراك وتحت سمع وبصر الحكومة المركزية التي خلقها اليهود بعد مؤتمر فيمار، الذي عُقِدَ عقب انهيار الملكية في ألمانيا، فاستاء الشعب من موقف الحكومة المخزي، وأعلن استنكاره، فخشيت السلطات عاقة تذمر الشعب، وبادرت إلى قمع المظاهرات واعتقلت زوزا لوكسامبورغ وزميلها، فأحيلا إلى القضاء الذي أصدر قراره بإعدامها، فأُعدما في اليوم الثاني.

وفي نفس الوقت تفاقمت الأحوال في الجمهورية البافارية من جراء استفزاز رئيسها كورت لشعور أهلها، فأقدم احد نبلاء بافاريا المدعو كونت أركوفاللي (Le comet Arco Vally) على اغتيال اليهودي كورت، ولكن اليهود سارعوا إلى إسناد رئاسة الجمهورية إلى اليهودي اللاجئ أوجين لوفينيه أحد زعماء ثورة ١٩٠٥ الروسية الفاشلة، وكان منذ دخوله إلى البلاد يعمل للقضاء على دولتها.

فلما استلم الحكم عمد إلى إملاء مراكز الدولة باليهود المتطرفين في عنصريتهم، وأطلق يدهم في إذلال الشعب الألماني فوقف الشعب يناهضه، فسادت الفوضى في أنحاء بافاريا، فلم يسع الحكومة المركزية إلا التدخل في الأمر، وأرسلت قواتها إلى ميونيخ، واحتلتها بعد أن قتل أوجين، وأعادت ربط بافاريا مجددًا بحكومة برلين[٢].

ولكن الشعب الألماني لم يفته أن الحكومة المركزية التي انبثقت عن مؤتمر فيمار، لم تكن إلا صنيعه اليهود، الذين قرروا أحداثها لتكون وسيلة لتنفيذ مخططاتهم؛ لأن الناس كانوا يعملون أن أكثر أعضاء المؤتمر كانوا من اليهود أمثال والتر راتينو (Walther Rathenau) الذي أصر على قيام الجمهورية المركزية، واختار لإدارتها الماسون وأتباع اليهود، كما كانوا يعرفون أن جمهورية بافاريا كانت من صنع اليهود أمثال

---

(1) J. J. Tharaud (Quand Israel n,est plus Roi) page 222.
(2) J. J. Tharaud (Quand Israel n,est plus Roi) page 238- 239.

كورت وماكس لوفنبورغ (Max Loewenburg) وماكس روتشيلد (Max Rothschild) كما شاهدوا أن مفتعلي المظاهرات الصاخبة الرامية إلى تقسيم البلاد، كانوا أيضًا من اليهود، ومن جهة ثانية لاحظوا أن الرأسمالية التي كانت تحكم في لقمة عيش الشعب كانت يهودية برمتها أيضا، فتبين لهم أن جميع العناصر التي كانت تتحكم في مصير بلادهم تنتسب إلى اليهود وأنها تتعاون فيما بينها على أوثق شكل ممكن، رغمًا عن اختلاف مبادئها، وتفاوت مظاهرها، فأيقن الألمان أن اليهود أحكموا الطوق حولهم، وأن جميع فئاتهم تتعاون فيما بينها لتدمير شعبهم، وخاصة بعد أن رأوا خضوع الحكومة المركزية التام لرغبات الحلفاء واعتمادها على الرأسمالية اليهودية دون سواها لتغطية الغرامات الحربية مقابل فوائد خيالية، وسيرها في ركاب أثرياء اليهود دون تردد.

كما شاهدوا كورت وأنصاره يقدمون الألوف من العمال الألمان للحلفاء لتسخيرهم في إنشاء الطرقات الفرنسية التي دمرت أثناء الحرب، ومن ثم يعتذرون للمنتصرين بصورة مذلة عما بدر عن الجيش الألماني إبان الحرب، ويتبرعون بإلصاق التهم المشينة بالأمة الألمانية التي زعموا تمثيلها رغمًا عنها، فكان من الطبيعي أن يقف الشعب الألماني من كل هذه الفئات المشبوهة موقف اليقظة والحذر ويفقد ثقته بالمارشال هندنبورغ (Hindenburg) الذي انزلق في متاهات اليهود، وينعته بالخرف، ومن ثم يبادر إلى البحث عن مخرج لورطته، التي جعلت من ملايينه الثمانين تخضع لمشيئة ستمائة ألف يهودي دخيل.

ولكن القدر سد المخارج في وجهه، إلى أن ظهر أدولف هتلر الذي كان يراقب منذ أمد بعيد أعمال اليهود، فانبرى لهم وشرح لبني قومه مخططاتهم، وكشف الستار عن مراميهم، فالتف الشعب حوله، وأسلمه القيادة، فشكل الحزب الاشتراكي الوطني، الذي تصدى لليهود، وحطم آمالهم في استعباد ألمانيا وأنقذ وطنه من شرورهم إلى حين.

الجرائم اليهودية في أسبانيا

لقد أسهبنا في أبحاثنا السابقة في الحديث عن الأحداث التي تعرض لها اليهود منذ القرن السادس قبل الميلاد، والتي أسفرت عن انتشارهم تباعًا في البلاد الواقعة على سواحل البحر الأبيض المتوسط، ونوَّهنا عن سلوكهم حيثما حلُّوا، وفصلنا وقائع جرائمهم ضد المسيحية في القرون الأولى، وخاصة في أفريقيا الشمالية، حيث تضاعف تعدادهم رغم الضربات القاسية التي تلقوها في العهد الروماني، وما تلاه من العهود، ومع ذلك ظل اليهود متغلغلين في أكثر أقطار أفريقيا، يعودون من وقت لآخر لمقارعة النصرانية التي انتصرت عليهم، ولم يقطعوا الأمل قط في التغلب عليها، إلى أن ظهر الإسلام الذي طهَّر جزيرة العرب من أدرانهم، ودفع بهم بعيدًا عن منطقة نفوذه.

ولما اندفعت جحافل العرب نحو أفريقيا الشمالية، تكتسح ما يعترضها من القوى المعادية، تجددت آمال اليهود في استعادة مجدهم الزائل، عن طريق دفع العرب نحو البلاد الأوربية التي كانت مركز الثقل النصراني، آملين أن يطول النزاع بين المسيحية التي كان اليهود يتربصون لها منذ عدة قرون والإسلام العدو الجديد، الذي قلم أظافرهم في المشرق العربي، ويخرج الطرفان من نزاعهما منهوكي القوى، لينقضوا عليهما معًا، ويزيلوهما من الوجود، فبادر اليهود إلى التطوع لنصرة العرب، والظهور بمظهر مَن يروم فوزهم، وتقربوا منهم (وكأنهم لم يتآمروا بالأمس القريب على سيد العرب ومفجر ثورتهم) ووضعوا أنفسهم تحت تصرفهم، يمدونهم بالمعلومات عن النصرانية، ويتجسسون على تحركاتها، فرحب العرب بمساعدتهم وقربوهم، واعتمدوهم في كثير من الشئون ، فصار اليهود يحرضونهم على فتح أسبانيا، ويطمعونهم بخيراتها، ومع الزمن اختمرت الفكرة في رءوس قادة العرب؛ إذ كان غرضهم من الفتوحات نشر المبادئ الإنسانية النبيلة، وتعميم الدين الحنيف، فقرروا اجتياز المضيق الذي سُمِّي فيما بعد بمضيق طارق بن زياد، وحطوا رحالهم على شواطئ أسبانيا، ومن ثم اندفعوا كالإعصار نحو الشمال ،واحتلوا الجزيرة الأسبانية في مدة وجيزة (عام ٧١١) ودانت لهم البلاد، فبادر اليهود إلى المطالبة بثمن خدماتهم، فأطلق لهم العرب حرية العمل والتمركز في تلك البلاد، فراح اليهود يؤسسون

الجاليات اليهودية في كل بلد، وينشئون المعابد الخاصة بهم، ومَن ثـم اسـتولوا علـى مرافق أسبانيا التجارية، وتمكنوا بفضل مساعدة العرب لهم من الإثراء بصورة فاحشة، حتى غدوا يمتلكون جميع ثروات البلاد.

وبغية الثأر من النصارى، امتهنوا تجارة الرقيق التي كانت تؤمن لهم الانتقام الوحشي من المسيحية من جهة، والكسب المادي الكبير من جهة أخرى، ولتحقيق هذا الهدف المزدوج، عمدوا إلى مواكبة الجيوش العربية التي اندفعت نحو المناطق الشمالية، وكانوا يبتاعون منها الأسرى من الفرنج، ليعاودوا بيعهم بأسعار باهظة في الأقطار الأخرى، أو إعادتهم لأقربائهم مقابل أتاوات خيالية، وفي أكثر الأحيان كانوا يذيقون الأسرى شتى أنواع العذاب قبل بيعهم، وحتى أنهم يقدمون على قتل البعض منهم تشفيًا وانتقامًا، رغم أن العرب كانوا يمنعونهم من الإساءة للأسرى، ويفرضون على مَن يسيء إليهم أشد العقوبات، ولكن اليهود كانوا أمكر من أن يقعوا تحت طائلة العقاب؛ ولذا عمدوا إلى التنكيل بالأسرى الفرنج سرًّا، وفي الأمكنة الخافية عن عيون العرب.

ولما استتب الأمر تمامًا للعرب، ازداد تقرب اليهود منهم، وتظاهروا بالإخلاص اللامتناهي، فتورط أمراء العرب في احتضانهم، وأسندوا إليهم المناصب الرفيعة، وحتى المناصب الوزارية، والتاريخ الأسباني يذكر لنا أن اليهودي هيسدائي بن شبروط (Hasdai ben chabrout) كان من أبرز شخصيات الدولة الأندلسية، وأنه ظل طيلة حياته وزيرًا للمالية، رغم تعصبه العنصري[١].

ويبدو أن اليهود كانوا في الأندلس أشد وطأة وأعمق تأثيرًا على الأسبان من العرب، حتى أن المصادر التاريخية الغير رسمية تنسب إليهم ارتكاب ألوف الجرائم بحق أهل البلاد، كما تعزو إليهم أسباب تذمر الأسبان من الحكم العربي، والظاهر أن اليهود لاحظوا هذه الناحية، فبادروا نحو عام ١٠٠٠ إلى التقرب من الأسبان حفظًا لخط الرجعة، ولما قامت الثورة الموزار (Almouzar) اتصلوا به سرًّا وتحالفوا معه، ومدوه بالمعلومات عن جيوش الخليفة، فشعر العرب بخيانتهم، واحتاطوا لغدرهم، ولكن مع كل أسف بعد فوات الأوان؛ إذ ازدادت حوادث التمرد في البلاد، وتداعت

---

(1) J. J. Tharaud (Quand Israel n,est plus Roi) page 89.

الإمارات العربية الواحدة تلو الأخرى، وقامت مكانها الإمارات الأسبانية، ولما تمكنت البرتغال من تحرير نفسها، أسفر اليهود عن نواياهم وانحازوا علنًا للأسبان، وفي القرن الرابع عشر اتفقوا مع الأمارات الأسبانية الحديثة، وانقضوا على آخر إمارة عربية إمارة الكاستيلا (Castille) التي ظلت تقارع الأسبان وحدها، فتغلبوا عليها، وهكذا أزالوا آخر دولة عربية من أسبانيا[١].

وبفضل خدعتهم المزدوجة هذه منحهم الأسبان نفس الميزات التي كانت لهم في عهد العرب، ولكي يستغلوا النصارى، وضعوا أموالهم الطائلة تحت تصرف أمراء الأسبان، الذين قربوهم من أنفسهم، حتى أن إيزابيل الأراغونية أسندت وزارة المالية لأحدهم المدعو إسحاق أبربانال (Issac Abrabanal) واتخذته أمينًا لأسرارها، ثم أغدقت على اليهود الخيرات والميزات، فغدوا سادة البلاد، وكان أحدهم يعرف بين العشرات من الأسبان بما يلبسه من الثياب الغالية التي تميزهم عن باقي أفراد الشعب الفقير.

ولكن أمورهم بدأت تتدهور عندما انسحب العرب كليًا من البلاد، وعاد الأسبان بالذاكرة إلى الجرائم التي ارتكبها اليهود بحقهم إبان الفتح العربي، فجنح بعض الأمراء إلى التضييق عليهم، فهالهم الأمر، وشعروا بالأخطار المقبلة، فسارع أكثرهم إلى التظاهر باعتناق المسيحية، وبدءوا يترددون على الكنائس الكاثوليكية، ويشاركون النصارى في شعائرهم الدينية، بالوقت الذي كانوا يثابرون فيه خفية على ممارسة شعائرهم الخاصة، ويلقنون أطفالهم سرًا الشعائر الموسوية، ويوصونهم بالتظاهر أمام الأسبان باعتناق النصرانية، كما أنهم تظاهروا بقطع علاقاتهم مع اليهود الآخرين، مع أنهم ظلوا على اتصال وثيق مع جميع جالياتهم في البلاد الأخرى.

والغالب أن هذه الخدعة انطلت على الأسبان مدة طويلة من الزمن، تمكن اليهود في أثنائها من التسلل إلى صفوف الرهبان، فأصبح منهم البطاركة والمطارنة الذين كانوا يتظاهرون بالتعصب للمسيحية، بينما ينشرون في صفوف النصارى المبادئ الهرطقية سرًا، ومع الزمن انكشف أمرهم وشعرت الملكة إيزابيل بخدعتهم فأوعزت إلى الكنيسة بمراقبتهم والحد من شططهم، فقامت الكنيسة بفضح ألاعيب هذه الفئة التي

(1) Pierre Vilar (Histoire de L,Espagne) page 10 – 25.

عرفت في التاريخ باسم فئة المرتدين (Les Marranes) وأحدثت محكمة خاصة لمحاكمة أفرادها سميت بمحكمة التفتيش وأسند أمرها إلى المدعو توركمادا (Torqumada) الذي اشتهر بعدائه لليهود، فاعتقل عشرات الألوف من المرتدين، وأثبت على أكثرهم تهمة خداع الكنيسة، وممارسة المعتقدات الموسوية سرًا، فأعدم مَن أعدم، وفر من البلاد مَن سنح له الهرب(١).

ثم أصدرت الدولة أمرًا يقضي بتنصير جميع اليهود الذين يودون العيش في أسبانيا، وتهجير مَن يرفض اعتناق النصرانية، وعلى الأثر هاجر منهم ثلاث مائة ألف، رحلوا إلى البلاد الهولندية والتركية، حاملين معهم كنوز الشعب الأسباني التي جمعوها في غضون ستة قرون من دماء هذا الشعب المسكين، ولما حطوا رحالهم في هولندا وتركيا، تظاهروا في البداية بالاستكانة والاستقامة، فاكتسبوا شفقة وثقة أصحاب البلاد، فأطلقت لهم حرية العمل في كل من هولندا وتركيا، فاستغل اليهود كالمعتاد هذه الثقة وبادروا في هولندا إلى الاستيلاء تدريجيًا على أسواق المضاربات المالية، ثم وضعوا أيديهم على تجارة التحف والجوهرات، وفي غضون عامين أصبحوا يتصرفون بمقدرات هولندا المالية بكل معنى الكلمة.

أما في تركيا فقد تمكنوا من السيطرة على التجارة البحرية في نفس المدة، واستولوا على جميع المرافق التجارية في مدينتي أزمير وأدرنة، ولقد أدت سيطرتهم المالية هذه فيما بعد إلى السيطرة السياسية في كل من البلدين المذكورين.

ولكن تنصير اليهود وتهجيرهم من أسبانيا لم ينقذ الأسبان من شرورهم، ولم يمنع اليهود من المثابرة على الكيد للأسبان حتى بعد عدة قرون؛ إذ أنهم أبو الانهزام، وآلوا على أنفسهم أن يثأروا من الأسبان ولو بعد حين، ولهذا رأيناهم في عهد نابليون يضعون أموالهم تحت تصرفه ليحتل أسبانيا، ويساعدون شقيقه جوزيف الأول ليمهدوا له طريق اعتلاء عرشها، ويسندون إليه رئاسة محفل الماسون؛ ليستغلوا نفوذه في النيل من الأسبان وامتصاص دمائهم.

وفي القرن العشرين رأيناهم مجددًا يظهرون على مسرح الأحداث في أسبانيا، ويقدمون المساعدات للثوار الذين دفعوهم لمقاتلة الملكية والكنيسة، ويحرضون على

(1) J. J. Tharaud (Quand Israel n,est plus Roi) page 104- 105.

دولتها جميع الدول المهودة التي كانت تخضع لمشيئتهم، رغم تنافر مبادئهـا، واخـتلاف أنظمتها، ولقد رأينا في بريطانيا ذات النظام الملكي تساعد الثوار وترحب بأن يقام في عاصمتها مؤتمر اشتراكي تحت زعامة هيريو، رئيس مجلس النواب الفرنسي الأسبق ليتداول المؤتمرون فيه شئون الثورة الأسبانية، وكل ذلك نزولاً عند رغبة اليهود ومجلسهم الأعلى، وأنصارهم الماسون المتحكمين الفعليين في مقدرات هذه الدولة الرأسمالية العريقة.

كما رأينا الحكومة الفرنسية تساهم في معاونة ثوار أسبانيا، وتسمح لليهود بتزويدهم بالسلاح والرجال، وعند فشل الثورة تحتضن الثوار الهاربين وتفتح لهم جميع الأبواب لينزلوا في بلادها على الرحب والسعة والدولة الروسية، التي كانت آنئذ تحت رحمة زمرة كاكانوفيتش وليتفنوف (Kaganovitch et Litinov) شاهدناها هي أيضًا تقدم السلاح والرجال لثوار أسبانيا، وتستقبل الفارين منهم في بلادها على أحسن صورة؛ لأنها كانت في حينه غير قادرة على رفض رغبات اليهود، الذين كانوا يسيطرون على مقدراتها(١).

ولقد استغرب العالم آنذاك هذا التحالف الغريب، الذي قام بين تلك الدول المتنازعة، وتساءل الناس عما دفع بالدولة البريطانية لترضى بأن يعقد في أرضها مؤتمر مناوئ لمبادئها، وأن تسمح له بأن يصدر للثوار الأسبان التعليمات المعادية للمسيحية، والرامية إلى القضاء على المعابد النصرانية ورجالها، وإمحاء كل أثر يرمز إلى مسيحية أسبانية وأن يستعاض عن كل ذلك بشعائر الماسون والشيوعية. كما تساءلوا عن أسباب مساعدة الجمهورية الفرنسية الكاثوليكية ثوار الأسبان، رغم عدائهم السافر للكاثوليك، واستغربوا أيضًا لموقف الروس من تلك الثورة وتعاونهم لإنجاحها مع بريطانيا وفرنسا، اللتين كنتا تتنازعان مع الروس في جميع الميادين الأخرى، وفات العالم آذاك أن اليهود كانوا يسيطرون على هذه الدول ويسيرونها حسب أهوائهم، وكان لهم ثأر قديم مع الأسبان فاستغلوا الفرصة، وأشعلوا في بلادهم نيران تلك الثورة، وراحوا يغزونها من جميع الجهات، ويقودون سيرها، ويحرضون الشعوب الأخرى على مناوأة الدولة الأسبانية، كما أرغموا الدول التي بحثنا عنها على مساعدة

(1) P. Hepess (La Couvelle Bible des peoples Martyrs) page 50.

الثوار الذين كانوا يخضعون للزعامة اليهودية، ويعملون تحت أشرافها وتوجيهها؛ لينتقموا لها من الأسبان، ويحققوا مصالحها الخاصة في بلادهم، وفي طليعتها الإطاحة بالنظام الملكي، الذي طردهم في الماضي عن البلاد الأسبانية، وتمزيق وحدة شعبه، وإخراجه عن معتقداته وإفقاره وسلب أمواله، ومن ثم إخضاعه لنظام مَن صنعهم يرحب بالانضمام لمعسكر الدول الغربية الدائرة في فلك الأهداف اليهودية الرامية إلى السيطرة على العالم.

هذه السيطرة التي عمل اليهود ما عملوه بغية التأهب لتحقيقها، حتى أهَّلُوا كلاً من فرنسا وإنجلترا للسير في الدروب المؤدية إليها، وأملاً بتمهيد الطريق لهذا الهدف، أشعل اليهود في مستهل هذا القرن نار الحرب الكونية الأولى ليستفيدوا من نتائجها، وفي سبيل نفس الغاية، زعم اليهود نبذ تقاليدهم ومعتقداتهم القديمة، وتظاهروا باعتناق المبادئ الاشتراكية في روسيا، ليغرروا بشعبها ويجروه إلى المعسكر الموالي لهم، وكادوا أن ينجحوا لولا أن ظهرت إلى الوجود دويلتهم إسرائيل، التي تمخضت الحرب الكونية الثانية عنها، والتي أطارت صواب اليهود فرحًا، وحركت كوامن نفوسهم الطافحة بالتعصب العنصري والتطرف القومي، وأسقطت عن وجوههم الأقنعة المزيفة التي خدعوا الروس بها، فاتضح تحيزهم العلني لإسرائيل ومَن أوجدوها، فخانوا الاشتراكيين والاشتراكية، وانكشف تحالف غلاة الدعاة بالاشتراكية منهم مع الرأسمالية اليهودية، فأيقن الروس بخطل الاعتماد عليهم، فأبعدوهم عن مناصب النفوذ والجاه وحدث بينهما ما حدث كما سبق البحث عنه.

ولكن خاب فأل اليهود وفشلت الثورة الأسبانية التي دعموها، وفوجئ العالم باعتراف إنجلترا وفرنسا بنظام فرانكوا الجديد، وكأنهما ما كنتا بالأمس القريب تساعدان الثوار وتسمحان لهيريو واليهود بعقد المؤتمرات لتوجيه تلك الثورة ومدها بالسلاح والعتاد، فاستغرب الناس هذا التحول غير المنتظر، وتساءلوا عن أسبابه التي لم تكن سوى إرادة اليهود، الذين أرادوا ستر تدخلهم بالثورة الفاشلة، التي لم يحققوا منها إلا الشطر الأول من أغراضهم، والذي تمثل بفوزهم بالقضاء على الملكية، وتمزيق وحدة الشعب الأسباني وإخراجه عن معتقداته، وإفقاره على يد عصابة تهريب الأسلحة التي أحدثوها في فرنسا تحت زعامة اليهوديين سيرف (Cerf)

وكولدبرغ (Goldberg) والتي كان يمولها اليهودي ناتان (Nathan) ويحميها ليون بلوم رئيس الوزارة الفرنسية آنذاك، الذي سمح لأبناء قومه اليهود أن يؤسسوا مكاتب الدعاية الرسمية للثورة الأسبانية في فرنسا، وسهل لهم أمر إدخال النشرات المعادية لفرانكو عبر حدود بلاده(١).

وعصابة الأسلحة هذه هي التي أفقرت أسبانيا؛ إذ كانت ترسل للثوار مختلف أنواع الأسلحة والعتاد مقابل أثمان خيالية، يسددها الثوار بالتحف والجوهرات التي كانوا يسلبونها من الكنائس والأديرة، ومن أموال خزائن الدولة في المدن والدساكر التي سيطروا عليها، أو من الأتاوات التي كانوا يفرضونها على أفراد الشعب الأسباني، حتى أن جميع ما كانت تملكه الكنائس الأسبانية التي اشتهرت بثرائها أصبح في أعقاب الثورة ملكًا خالصًا لليهود، أما الزمرة اليهودية التي كانت تدير المكاتب التي تصدر النشرات المحرضة على الثورة وتدعوا الأسبان لمناوأة الكنيسة، وتشجعهم على الإلحاد والإباحية، فكانت مكونة من إدوارد هيريو الذي كان يترأسها، واليهودي ليون بلوم رئيس الحكومة الفرنسية، واليهودي ميدلارسكي (Midlarski) وكان مقرها في قصر المليونير اليهودي ناتان، الذي كان يمول عصابة تهريب الأسلحة، وكان الجميع يجتمعون في هذا القصر ويتداولون شئون الثورة الأسبانية، ويخططون لها حول مائدة تزخر بأطيب المأكل والمشرب المبتاعة بدماء الشعب الأسباني التعس الذي تورط في المتاهات اليهودية، وارتضى طائعًا مختارًا أن يسفك دماءه على مذبح شهواتهم الدنيئة.

وهذه الزمرة هي التي أوعزت إلى فرنسا وإنجلترا بأن تعترفا بفرانكو، بعد أن أيقنت بفشل الثورة، لتغطي جرائمها العديدة التي ارتكبتها بحق الشعب الأسباني، فاكتفت مؤقتًا ما حققته من المرابح المادية الطائلة والانتقام الشنيع من النظام الملكي والشعب الأسباني، بانتظار الفرص المواتية لتعود إلى تحقيق الشطر الأخير من أغراضها، وهو بسط نفوذ اليهود على الدولة الأسبانية في المستقبل، وجرها إلى معسكر الدول المهودة.

ولكن افتضاح أمر اليهود في روسيا السوفيتية، قضى على مطامعهم في أسبانيا،

(1) P. Hepess (La Couvelle Bible des peoples Martyrs) page 219.

التي أيقن شعبها مثلما أيقن الشعب الروسي فيما بعد بعدم جدوى الوثوق باليهود، وتبين له أن اليهود هم قبل كل شيء يهود، وأنهم ما زالوا على تقاليدهم القديمة الداعية إلى التعالي والغطرسة، وعلى معتقداتهم المبنية على التعصب العنصري، وعلى الحقد وحب السيطرة، وأنهم لا يؤمنوا بكل ما عداها من المبادئ، وما تظاهروا بالاشتراكية في أسبانيا إلا لتحقيق مصالحهم، والتغرير بشعبها مثلما غرروا بالشعب الروسي في البداية.

ولقد احتاط فرانكوا منذ البداية لأمرهم، وقطع دابر ألاعيبهم في بلاده قبل أن يكشف أمرهم في بلاد الروس، وهكذا تخلص منهم ولم يقع في أحابيلهم، ومن ثم خرجت روسيا من نطاق نفوذهم وأظهرتهم على حقيقتهم للعالم أجمع، وهكذا تمزقت أستار أحابيلهم في بلاد السوفيت.

ورغم كل ذلك ظل نفوذ اليهود تفاقم يومًا عن يوم في الدول الغربية، حتى أصبحت هذه الدول وكأنها تنتسب أصلاً لجدعون ودبورة، مثلما كان يزعم أوليفيه توماس في بريطانيا، ومن هنا تنهض شعوبها من كبوتها، وتتخلص من المخدر الصهيوني، فتنقض على اليهود والمهودين لتمحوا أثرهم من الوجود.

وقبل أن نختم هذا البحث نُذَكِّر القارئ الكريم بأن اليهود حققوا في الثورة الأسبانية أحد أهدافهم المقدسة وهو جمع المال، هذا الهدف الذي قال عنه أحد مشاهيرهم المدعو ليفي إليفاس (Maitre E. Levy): إنه غاية سعادة الإنسان هي التي يكمن فيها مزيتان إلهيتان: العظمة والقدرة على العطاء[١].

---

(1) P. Hepess (La Couvelle Bible des peoples Martyrs) page 218.

الجرائم اليهودية في المجر

على أثر معاهدة فيرساي (Versailles) التي قضت بتمزيق دولة المجر تعددت في ربوعها الأحزاب، وتطاحنت فيما بينها للفوز بمقاعد الحكم، فتدهورت الحالة العامة وسادت الفوضى أرجاء البلاد وتخاذل رئيس حكومتها كارولى (Karolyi) وانهارت هيبة الحكم، فانتهز اليهود هذه الفرصة التي ترقبوها طويلاً، فوحدوا جهودهم للقيام بما يؤمن مصالحهم العامة، وأرسلوا يستنجدون بتروتسكي.(Trotski) ليمدهم بالعون والمشورة، فأوفد إليهم عشرين مفوضًا من خيرة أنصاره تحت قيادة اليهودي المعروف بلاكون (Bela Kun) لمناصرة يهود المجر في الوصول إلى الحكم.

ولما وصل بلاكون إلى المجر وجد الجو مناسبًا لإثارة أعمال الشغب والفوضى، فعهد بذلك إلى أشهر مساعديه من غلاة الثوار في روسيا أمثال الصحفي السابق اليهودي تيبور سماولي (Tibor Szamoelli) الذي كان يلقب بالضبع الأسود، ونـدل الفنادق الشهير اليهودي رابينوفيتش (Rabinovitch) واليهودي فاكا (Vaga) واليهودي بلافاركا (Bela Varga) واليهودي ديزسوبيرو وبوكاني (bogany) وماتياس راكوزي (Mathias Rakosi) فقام هؤلاء بدراسة الوضع، ووضعوا المخططات اللازمة لإنجاح عملهم، ومن ثم جمعوا أنصارهم، وحددوا لكل منهم منطقة عمله، وزودهم بالمال والرجال، ومن ثم باشروا أعمالهم التخريبية بحجة حماية اليهود الذين لم يكن عددهم يتجاوز ١٥٪ من مجموع السكان، وبغية إرهاب المواطنين أصدر هارون كوهن الملقب ببلاكون أوامره إلى أنصاره باغتيال زعماء الأحزاب المناوئة، واستعمال القسوة والوحشية في قتالهم مع الآخرين، فشرع هؤلاء أوباش بأعمال القتل والاغتيال على أوسع نطاق وأرهبوا الأحزاب الأخرى، فتوارت كل منها بدورها عن الساحة، وتضاءل نفوذ الحكومة، فأعلن بلاكون عليها الثورة، فانهارت تحت ضرباته الوحشية وانتزع الحكم من كارولي، وتربع على عرش المجر يحيط به زبانيته من اليهود والمغرر بهم (١).

وهكذا بدأ الحكم اليهودي في المجر في أول شهر مارس عام ١٩١٩، وبادر بلاكون إلى إعلان المجر دولة تابعة لتروتسكي، فالتف حوله الماسون يدعمونه بالمال والأنصار،

(1) P. Hepess (La Couvelle Bible des peoples Martyrs) page 216.

ويشجعونه على البطش والتنكيل بالشعب دون تمييز، فغدت البلاد جحيما لا يطاق؛ إذ عمت المجازر الرهيبة كافة أوساط الشعب، وشملت حتى الاشتراكيين من غير اليهود، وحُرمت المظاهرات على الطلاب ومنع العمال من الاحتجاج أو النزوع إلى الإضراب، وكان جزاء مَن يقدم على الإضراب أو الاحتجاج هو الإعدام شنقًا دون سؤال أو جواب.

ولقد برهن اليهود في حينه على أنهم ما زالوا على وحشيتهم التي تدمغهم توراتهم بها، فقتلوا ألوف العمال والفلاحين، واقتلعوا عيون أخصامهم، وبقروا بطون نساء معارضيهم، فامتلأت أقبية السجون والمعتقلات، وحتى قاعات المجلس النيابي بجثث ضحاياهم.

وكان اليهودي كلن كورفن (Klein Corvin) الذي يدير المباحث الجرية لا يتورع عن إصدار أوامره لأنصاره، بأن يجردوا نساء أخصام الحكم من ثيابهن أمام الناس وفي رابعة النهار، وأن يعتدوا على عفافهن على مشهد من المواطنين، ومن ثم يقتلهن بالرصاص كالكلاب المسعورة في قارعة الطريق، كما أن ضفاف الدانوب شهدت إبان حكم بلاكون من المآسي الوحشية ما يعجز عن وصفه القلم واللسان؛ إذ كان اليهود يقودون نساء الفلاحين ليلاً إلى رياض الدانوب، ويغتصبونهن أما أزواجهن وأطفالهن ويقتلعون عيون أقربائهن وأطفالهن أمامهن، وللحيلولة دون سماع الناس استغاثاتهن، كانوا يديرون المحركات الكبيرة ليغطي هديرها أصوات استغاثة ضحاياهم التعساء.

وكان أشهر اليهود في الوحشية والهمجية هو تبور الملقب بالضبع الأسود، الذي أضاف إلى كل هذه الجرائم، جريمة جديدة كان يرمي من ورائها إلى إظهار عبقريته في فنون التعذيب والقتل، والترفيه عن رجاله قبل انتهاء سهراتهم الصاخبة، وهي أنه بعد أن يطلق العنان لرجاله بالاعتداء على النساء وبقر البطن وقلع العيون، وكان يأمرهم بأن يجمعوا الأحياء من هؤلاء التعساء الذين اقتلعت عيونهم، ويجرب فهم مختلف العقد المعروفة لحبال المشانق، ويحصي الزمن الذي تستلزمه كل عقدة منها لإنهاء حياة الضحية، ثم يعمد إلى تفسير أسباب الزمن الذي اقتضته كل عقدة لإنهاء الدقائق الأخيرة للضحية التعيسة[١].

(1) P. Hepess (La Couvelle Bible des peoples Martyrs) page 217.

فكان من الطبيعي أن يستكين الشعب الأعزل أمام هذه القسوة الوحشية، فاستغل اليهود استكانته، فأغاروا على مقدساته يدنسونها دون رهبة أو خجل، فقتلوا الرهبان وأحرقوا الأناجيل والكنائس، ونهبوا محتويات المعابد، فلم يعد في إمكان الشعب المجري تحمل هذه المآسي فعمد إلى المقاومة، ولكنه كان أعجز من أن يتغلب على اليهود بمفرده، فاستنجد بالشعب الروماني الذي كان يراقب ما يجري في المجر بعيون ملؤها الحزن والأسى، فاضطرت الدولة الرومانية تحت ضغط شعبها للتدخل في الأمر، وأرسلت جيشها بقيادة الأميرال هورتي لإنقاذ المجر من تعسف بلاكون وأتباعه، ولما شعر اليهود باقتراب الخطر أشاروا على بلاكون بأن يتوارى عن الأنظار قبل وصول الجيش الروماني إلى البلاد، فسارع إلى جمع الأموال والتحف التي سلبها من الشعب المجري، والتي قدرت أثمانها بمائتي مليون كورون، وفرَّ هاربًا مع أتباعه إلى خارج المجر، بعد أن حكمها مدة مائة وثلاثة وثلاثين يومًا أذاق فيها الشعب المجري أمر أنواع العذاب، وقتل من أفراده أكثر من ثلاثين ألف شخص.

بيد أن خروج بلاكون لم ينقذ الشعب المجري المسكين من السيطرة اليهودية، إذ كان اليهود منذ أقدم العصور قد تغلغلوا في صفوفه، وعمقوا جذور قواعدهم في أرضه، وسيطروا منذ أمد بعيد على كافة مرافقه الصناعية والتجارية، وامتلكوا صحافته وزمام كل الحرف الحرة الفنية كالطب والمحاماة؛ لأن الشعب المجري كان يعزف بطبيعته عن امتهان هذه الأعمال؛ لأنه كان منذ القدم منقسمًا إلى ثلاث فئات، تمتهن كل منها حرفة معينة، ولا تقبل عنها بديلاً، وهذه الفئات كانت فئة المزارعين الذين لا يتعاطون سوى الزراعة، وفئة العمال اليدويين الذين كانوا يمارسون الأعمال اليدوية التقليدية، وفئة المتحضرين الذين كانوا يمتهنون الجندية والسياسة فقط، ولذا تمكن اليهود بكل سهولة من احتلال المرافق الهامة الأخرى التي أصبحت في مستهل القرن العشرين المقومات الأساسية لكل بلد، ولهذا ظل نفوذهم قائمًا حتى بعد فرار بلاكون وعصبته من المجر.

ولكن أعمال بلاكون الوحشية أيقظت الشعب المجري، ودفعت به إلى التفكير بالتخلص من اليهود، فشرعت بعض الأحزاب بدراسة الطرق المؤدية إلى التخلص من اليهود والحد من سيطرتهم، فقام بعض الساسة أمثال سالاسي (Szallassy) الذي

كان يترأس الحزب الاشتراكي الوطني بشن حملة واسعة ضد اليهود، وطالب الدولة بأن تجردهم من الأموال التي سلبوها من الشعب المجري عبر الأزمان، وأن تؤمم مصانعهم التي أنشئوها بدماء اليد العاملة المجرية، فالتف الناس حوله وخاصة طبقة العمال لما اشتهر عن سالاسي من طهارة اليد وصدق العزيمة والإخلاص لبلاده[1]، فاشتد ساعده، فخشي اليهود مغبة حملاته عليهم، فاعترضوا طريقة، وحملت صحافتهم عليه، واتهمته بالنازية واختلقت الأكاذيب عنه لتغرر بالحكومة والمواطنين، فجزع أولو الأمر من تفاقم نفوذ سالاسي وتحالفوا مع اليهود، وافتعلوا حادثة إلقاء قنبلة على كنيس يهودي بالاتفاق مع اليهود، فاتهمت الصحافة أنصار سالاسي بإلقائها، فبادرت الحكومة إلى اعتقاله وحل حزبه وتشريد أنصاره، ولم تقم له بعدها بقائمة، وهذه الحادثة أرهبت أعداء اليهود الآخرين، فركنوا إلى الهدوء، وسلم اليهود رغم كل الجرائم التي ارتكبوها في عهد بلاكون.

وفي أعقاب الحرب الكونية الثانية، واحتلال الجيش الروسي لبلاد المجر، عاد اليهود مجددًا لاتهام سالاسي بالنازية والتعاون مع هتلر، ولفقوا عليه مئات التهم الأخرى، فاعتقلته السلطات الروسية، وسلمته إلى اليهود، الذين عذبوه أمر العذاب، ثم شنقوه في إحدى ساحات العاصمة المجرية، وكأنه مجرم أثيم، مع أن سالاسي لم يسيء قط لليهود، وجل جرمته تتلخص بالدعوة للاشتراكية الوطنية التي لا تناسب اليهود، فحقدوا عليه، فلما هبت رياحهم ألقوا القبض عليه، وأعدموه ليتخلصوا منه.

---

(1) P. Hepess (La Couvelle Bible des peoples Martyrs) page 364.

الجرائم اليهودية في بولونيا

مع أن التاريخ لم يحدد الزمن الذي بدأ فيه اليهود تمركزهم في بولونيا، إلا أننا نستنتج من التلميحات العابرة الواردة عنهم في المصادر الباحثة عن أوربا الشرقية، وأنهم كانوا منتشرين في أكثر الأقطار السلافية، وخاصة في المناطق التي كانت تعتبر آنذاك متخلفة فكريًا ودينيًا.

ومن هنا يبدو أنهم دخلوا بولونيا قبل أن تنتشر النصرانية في ربوعها، كما أن المصادر التاريخية المختلفة تشير إلى أن اليهود هاجروا إلى بولونيا من مختلف الأقطار الأوربية وعلى مراحل عدة، فمنهم مَن دخلها مع الجيوش الغازي المغولي باتي (Baty) (ولربما كان هؤلاء من يهود الخزر الذين كانت تربطهم بالمغول روابط الجوار) ومنهم من أتى إليها من ألمانيا على أثر ظهور الوباء الأسود في أوربا (في القرون الوسطى) وآخرون التجئوا إليها في أعقاب الغزو التركي لبيزنطة، ومنهم مَن نزح إليها أيضًا من ألمانيا بعد أن اختلفوا مع مصلحها لوثر.

وهذه الهجرات المتوالية ضاعفت تعداد اليهود في بولونيا التي كانت تعتبر متخلفة عن سواها من الأقطار الأوربية؛ لأنها كانت ما زالت بعيدة عن التطورات الدينية والفكرية، التي بدأت تجتاح أوربا منذ مستهل القرن الخامس عشر، عدا عن أن شعبها كان على الفطرة ينقسم إلى فئتين لا ثالث لهما. فئة السادة أصحاب الأطيان الواسعة، وفئة المسخرين الذين يعملون في الحقول التابعة للفئة الأولى، وهذا الوضع الاجتماعي ناسب اليهود جدًا؛ إذ أتاح لهم أن يكونوا بمثابة همزة الوصل بين الطرفين، لما كانت لهم من شهرة في الأعمال المالية والمحاسبة، التي كان رجال الإقطاع بأمس الحاجة إلى مَن يتقنها لضبط مواردهم والإشراف على نفقات أطيانهم، فرحبوا بمقدم اليهود منذ البداية، وأسندوا إليهم أمورهم المالية، فاستثمر اليهود ثقة السادة على أوسع نطاق، وانتشروا في كافة أنحاء البلاد، فجنحوا إلى الظلم والتعسف، خاصة في عهد الأمير كازمير لاديسلاس (Casimir Ladislas) الملقب بسيجيزموند (Sigismond) الذي أجرهم الكنائس والمعابد، وعهد إليهم جباية الضرائب العامة من الشعب وأطلق لهم الحرية التامة في الحصول على عائدات الدولة، فانقض اليهود يغترفون من خيرات

البلاد دون رادع أو حساب، واستولوا على جميع مرافقها التجارية والصناعية، فتكدست في خزائنهم الأموال، وأصبحوا يضاهون سادة البلاد في الثراء والجاه[١].

وبغية تقوية مركزهم الاجتماعي، استدعوا كثيرًا من يهود ألمانيا والبلاد المجاورة، ثم عمدوا إلى إقامة المعابد الخاصة بهم، وأوجدوا في كل مدينة بولونية حيًا خاصًا بهم، ولما أيقنوا أنهم في غفلة من الأمراء باشروا بالتشهير بشريعتهم ودعوا الناس لاعتناق مذهبهم، بينما كان السادة يغطون في ثباتهم العميق، ولا يهتمون إلا بما يجنونه من الأموال التي كان اليهود يجبونها لحسابهم، ولكن البولونيين أبوا أن ينحرفوا خلف الدعايات اليهودية، فعمد اليهود إلى رفع نسب الضرائب المفروضة على الشعب، ومن ثم استحدثوا ضرائب جديدة باسم الكنيسة ليثقلوا بها كاهل الشعب، ويحولوا دونه وممارسة الشعائر الدينية التي أصبحت باهظة التكاليف بعد كل الضرائب التي استحدثوها، ومع هذا قاومهم الشعب ورفض اتباع شريعتهم، فجنحوا إلى تحريض أصحاب الأطيان على الفلاحين، حتى تورط الملاك وخفضوا حصص الفلاحين من الغلال إلى نصف ما كانت عليه سابقًا (وهكذا شرع اليهود بتطبيق أسلوبهم القديم الذي استنبطه أحد أسلافهم يوسف بن يعقوب في القرن السابع عشر قبل الميلاد في مصر، ليرغم أهلها على عبادة سيده فرعون) ومع ذلك ظل الشعب البولوني يقاوم اليهود فترة طويلة، رغم ما ساموه من الذل والعذاب، وما فرضوه عليه من المكوس والضرائب الغريبة كضريبة العبادة، وضريبة ارتياد الكنائس وسواها.

فاستاء اليهود من مقاومة الشعب الضارية، ضد الإجراءات التعسفية، فشددوا عليه النكير، ففقد البولونيون الصبر، فلم يعد بإمكانهم تحمل الشطط اليهودي، وعلى الأخص عشائر القوزاق التي سامها اليهود الذل والهوان طويلاً، فهبت هذه العشائر وأعلنت الثورة على الدولة اليهودية معًا، وهاجمت المدن والدساكر تحت قيادة شملنيكي (Chemelniki) وساعدها الشعب، فدامت ثورة القوزاق طويلاً، وقتلوا كثيرًا من اليهود، فعجزت الحكومة عن قمع ثورتهم، فتخلت نسبيًا عن حماية اليهود، مما اضطرهم على الفرار من بولونيا حاملين معهم الأموال الكثيرة التي نهبوها من

(1) J. J. Tharaud (Le chemin d,Israel) page 189.

الشعب البولوني، الذي رحَّب بمقدمهم وأواهم في بلاده عدة قرون.

وهكذا تخلصت بولونيا من شرورهم مؤقتًا، ولكن ظهور نابليون على مسرح الأحداث الأوربية، أعاد لهم مجدهم الزائل في بولونيا، فعادوا إليها مع جيوشه، واستولوا على كل ما راق لهم فيها، وفرضوا سيطرتهم التامة على شعبها، ثم اتخذوها مركزًا لدسائسهم ومؤامراتهم ضد الشعوب الأوربية الأخرى، فكانوا يعقدون في مدنها أشهر مؤتمراتهم الصهيونية، ويهيئون في مجتمعاتهم مخططاتهم القومية الخاصة علنًا، حتى سميت بولونيا قبل الحرب العالمية الأولى بجنة اليهود في أوربا الشرقية، وفي الفترة الفاصلة بين الحربين وصلوا فيها إلى أوج السيطرة والنفوذ، ومن خلال المعلومات التي تتناقلها محطات الإذاعة الآن يستنتج بأنه ما زال لهم بعض النفوذ فيها.

الجرائم اليهودية في رومانيا

طيلة مدة الحكم القيصري في روسيا، كان اليهود يعتبرون رومانيا ملجأهم الأمين، الذي يلوذون به كلما تعرضوا لنقمة السلطات القيصرية؛ إذ كانوا يجدون فيها الترحيب والمساعدة، ويحتمون بحكومتها التي يسيطر عليها الماسون وأعضاء الجمعيات المناصرة لهم، فلما فشلت ثورة عام ١٩٠٥ في روسيا، التجأ اليهود الذين اشتركوا فيها إلى الدولة الرومانية فحمتهم، وقدمت لهم المساعدات الكثيرة، رغم أن الشعب الروماني كان يكرههم، ولا يرضي عن سلوك حكومته معهم؛ لأنه كان يعرف الكثير عن مساوئهم، ولقد ازداد حقده عليهم بعد الحرب العالمية الأولى عندما شاهد ما صنعه بلاكون بالشعب المجري الشقيق، ففكر بالحد من نشاط اليهود الذي بدأ يزداد في بلاده، بعد أن أصبح عددهم فيها يربو على المليون نسمة، ولكن سيطرة الماسون في البلاد حالات دون إرادة الشعب الروماني.

وفي عهد حكومة الماسوني تيتولسكو (Titulesco) ازداد نشاط اليهود وتعاظمت سيطرتهم[1]، فامتلكوا الأطيان الواسعة بأساليبهم المعروفة، واستولوا على المصارف ومرافق التجارة الخارجية وأخضعوا الصحافة برمتها لمشيئتهم، وفتح تيتولسكو لهم أبواب دوائر الدولة، فاحتلوا أحسن المراكز فيها، وسيطروا على مقدرات الشعب الروماني بأكملها، وباشروا بتضييق الخناق على أهل البلاد ليذلوهم ويخضعوهم لإرادتهم، فدامت سيطرتهم هذه على الرومان حتى وقعت الحرب العالمية الأولى، فعمدوا إلى التخفيف من غلوائهم ريثما تنجلي غبار الحرب.

ولما انتهت الحرب عادوا لسيطرتهم بصورة أشد وأقسى، فلم يسع الرومان تحمل ظلمهم، واستيقظ الشعور القومي في صفوفهم، فبادروا إلى مقارعة الماسون واليهود، حتى تمكنوا من إيصال السيد كوكا أوكتافيا (Coga Octavia) الذي اشتهر بحبه لوطنه وبني قومه إلى الحكم، فبادرت الحكومة الجديدة إلى أخذ الترتيبات اللازمة للحد من غلواء اليهود إرضاءً لرغبات الأكثرية الساحقة من المواطنين، ولكنها فشلت في مبتغاها، لما لاقته من عناد الماسون في محاربتها، وما كان لليهود من سيطرة على

(1) P. Hepess (La Couvelle Bible des peoples Martyrs) page 367.

الصحافة الرومانية التي هبت برمتها تهاجم رئيس الحكومة كوكا، وتشنع بسيرته وأعماله، وتصفه بالعنصري المتطرف والعرقي المتوحش، وتتهمه باضطهاد اليهود وتنعته بجلاد الشعب اليهودي، وحرضت عليه الصحافة الغربية التي سارعت بدورها إلى العزف على نغم الصحافة الرومانية، وطالبت حكوماتها بالتدخل لصالح اليهود، وإرغام حكومة كوكا على احترام نصوص معاهدة باريس (١٩١٩)، القاضية بمنح اليهود كافة الحقوق السياسية في جميع البلاد الموقعة عليها، فباشرت الدول الغربية بالتضييق على الحكومة الرومانية، فاتصل سفراؤها بكوكا وطالبوه باسم حكوماتهم بالكف عن اضطهاد اليهود، ومنحهم الحقوق التي نصت عليها معاهدة باريس، باعتبار أن حكومته كانت إحدى الدول الموقعة على المعاهدة المذكورة.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد، ولكنه تعداه إلى حد تدخل جمعية الأمم بالموضوع، فطالبت بدورها رومانيا بمراعاة نصوص معاهدة ضمان حقوق الأقليات اليهودية، ودخلت الحكومة الفرنسية أيضًا بالأمر، فأوفدت وزير خارجيتها دلبوس (Delbos) إلى بخارست ليباحث حكومتها باسم كلاً من البيرلوبرن ودالاديبه (A. Lebrun et Daladier) لتتوقف عن اضطهاد اليهود المزعوم، ولدى مغادرته رومانيا عهد بملاحقة الموضوع إلى سفيره أدرياند تييري (Adrien Thierry) صهر البارون اليهودي روتشيلد، ولم يكتف بمطالبة الحكومة الرومانية بعدم حرمان اليهود مما نصت عليه معاهدة باريس فحسب، بل طالبها بأن تمنح الحقوق لكل لاجئ يهودي جديد يصل إلى رومانيا، فرفض كوكا هذا الطلب، وبرهن عن كذب مزاعم اليهود، ثم طلب بدوره من الحكومات الغربية، أن توقف سيل الهجرة اليهودية إلى بلاده، واقترح أن يوفد اليهود إلى أوغاندا، أو أي بلد آخر ليتخلص منهم.

عندها فكر اليهود بطريقة أخرى للتخلص من كوكا العنيد، فاتصلوا بزعماء الماسون، وطلبوا منهم أن يقنعوا الملك كارول الروماني الذي كان ينتسب للماسونية، بضرورة إسقاط وزارة كوكا المعادية لليهود، ولكن كارول لم يجسر على تلبية هذه الرغبة.

ولما شعر كوكا بما يحاك له من المؤامرات، استنجد بهتلر وطلب منه إيقاف هجرة اليهود من بلاده إلى رومانيا، ولكن هتلر خيب رجاءه، وأجابه بأنه وإن كان يؤلمه أن

يرى اليهود يتكاثرون في رومانيا، إلا أنه يفضل ذلك على بقائهم في بلاده.

واتصال كوكا بهتلر كان وبالاً عليه؛ إذ أوغروا صدر الملك عليه، فتحالف مع بريطانيا وفرنسا للكيد لكوكا، فازداد ضغط هذه الدول المهودة على رومانيا، ونشطت المحافل الماسونية والصحافة اليهودية من جديد، وشنت هجومًا ضاريًا على حكومة كوكا، وثابرت عليه إلى أن أسقطت كوكا، وعادت السيطرة اليهودية إلى البلاد، وباشر اليهود عمليات الثأر ممن ساندوا كوكا، وتابعوا حملاتهم الصحفية عليه، ولكن كوكا ظل على عناده في مقارعة اليهود، ولما ألحق هتلر النمسا بالرايخ الثالث، ألقى كوكا بهذه المناسبة محاضرة توجيهية على بني قومه في جامعة بخارست، أعلن فيها رأيه في اليهود وقال: إن إلحاق النمسا بالدولة الألمانية يعتبر هزيمة لبني إسرائيل، وإنقاذًا لعاصمتها فيينا (Vienne) التي ترزخ تحت كابوس اليهود منذ عدة أجيال، حتى كادت أن تصبح مدينة يهودية أصيلة. أما المسئولية التاريخية في هذا الإلحاق، فتقع كليًا على عاتق اليهود، الذين أبوا التوقف عن جرائمهم وجشعهم في النمسا حتى دفعوا بشعبها إلى أحضان هتلر لينقذه من الطغمة اليهودية الفاجرة، والواقع أنه أنقذه وضمض جراحاته بطرد اليهود من بلاده، وكم أتمنى أن أرى بلادي تحذو حذو هتلر، وتطهر نفسها من هذا الوباء الوبيل.

وفي أعقاب هذا التصريح زادت نقمة اليهود عليه، وبعد بضعة أيام عثر عليه جثة هامدة في إحدى غرف منزله، ولم يعرف قاتله، وهكذا ذهب ضحية إخلاصه لبلاده وقومه، ولم يتمكن أحد من الثار له من اليهود المجرمين(١)، ولكن نضال كوكا لم يذهب سدى، بل أثمر وأينع في رومانيا، وأيقظ الشعور القومي في صفوف أبنائه، وكثر عدد الشباب الذين حقدوا على اليهود، ولقد برز من بينهم كودريانو (Cordreano) الذي انحدر من عائلة فقيرة كانت تجاور اليهود، فشب كودريانو في الوسط اليهودي، وشاهد بأم عينيه كثيرًا من الجرائم التي ارتكبها اليهود بحق شعبه، وشعر بكرههم وحقدهم على بني قومه، فنذر نفسه لمحاربتهم، ولما شب عن الطوق شرع بمناوأة اليهود، وتزعم حزبًا سياسيًا لم يلبث أن تكاثر عدد أعضائه لثقتهم بزعيمه الذي اشتهر بإخلاصه لبلاده، ومن ثم اشترك في الانتخابات النيابية، ونجح نجاحًا باهرًا، ومثل

---

(1) P. Hepess (La Nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 368.

حزبه في المجلس خير تمثيل، فالتف الناس حوله، فجزع اليهود من عواقب فوزه الكاسح وأثره بقلوب المواطنين، فعمدوا إلى الإيقاع به، فحرضوا أحد أنصارهم المدعو مانسان (Mancin) الذي كان يشغل آنذاك وظيفة مدير الشرطة في بخارست، على الاعتداء عليه، فأقدم مانسان على شتمه وصفعه أمام الناس، فلم يحتمل كودريانو الإهانة، فأخرج مسدسه وافرغه في رأس غريمه المأجور فقتله حالا، وأُحيل كودريانو إلى القضاء، فبرأ القضاء ساحته معتبرًا عمله دفاعًا مشروعًا عن النفس.

وعلى أثر هذه الحادثة ازداد أنصاره وأصبح أقوى زعماء رومانيا بأسرها، فخشيت السلطات الحاكمة من تفاقم أمره، وتحالفت مع اليهود والماسون على إزاحته من الطريق، فدبرت له المكائد والمؤامرات لعلها تناله، ولكن مساعيها باءت بالفشل؛ إذ كان كودريانو أجرأ من أن يتخاذل فرد على العنف بالعنف، وعلى التحدي بالتحدي، ولما تكاثر أعداؤه بادر إلى إيجاد تشكيلات حربية ضمن حزبه، وأطلق عليها اسم الحرس الحديدي (عام ١٩٢٨) فلم ترقَ هذه التشكيلات للماسونس دوكا (Duca) الذي يترأس الدولة الرومانية آنذاك، وأصدر أمره إلى قوات الأمن بحل هذه المنظمة (خلافًا للقانون) وتشتيت شمل أفرادها بالقوة، ولإيجاد المبررات لإجرائه المعادي لكودريانو، أوعز إلى ستيلسكو (Stilesco) زعيم أحد الأحزاب المناصرة لليهود وعميل الرأسمالية اليهودية، بأن يأمر أنصاره بالاعتداء على أنصار كودريانو، فسارع ستيلسكو وأنصاره إلى الاعتداء على الحرس الحديدي، فتدخلت السلطات في النزاع بحجة حماية الأمن ونكلت بأنصار كودريانو، فقام كودريانو بهجوم مضاد، وهزم أنصار ستيلكو، ومن ثم أمر رجاله باغتيال الرئيس دوكا، فقتلوه في رابعة النهار كما قتلوا بعده ستيلسكو وشتتو حزبه، وغدا كودريانو رجل الساعة، ولكن الرئيس كالينكسو (Clinesco) أضمر له الشر مثل سلفه، وتحالف مع الماسون واليهود وشرعوا يهولون للملك كارول أمر كودريانو، ويخيفونه من نواياه، ويرفعون له التقارير الكاذبة الملفقة بحقه، وفي النهاية سلطوا عليه عشيقته اليهودية السيدة لوبسكو (Lubesco) ابنه اليهودي المعروف فولف (Wolff) التي كان لها نفوذ قوي على الملك، فرضخ لمشيئتها، ورضي أن يذل بني قومه إكرامًا لأخت استر الشهيرة، فأصدر في ٢٧ شبط ١٩٣٨ مرسومًا مليكًا يقضي بإعلان الأحكام العرفية في البلاد، وحل المجلس

النيابي وجميع الأحزاب الرومانية وعطل الدستور(١).

ثم أطلق يد كالينسكو الأعور في إدارة شئون البلاد وتنفيذ المرسوم المذكور، فاستهل كالينسكو باكورة أعماله الجديدة بإصدار الأمر إلى جميع قوى الأمن بمطاردة أعضاء الحرس الحديدي، وإغلاق مقر حزبهم، واعتقال مَن يعترض على هذه الإجراءات، فاعترض كودريانو على هذه التعليمات، فاعتقلته السلطات وزجّته في السجن بتهمة مقاومة السلطات، ثم بادر كالينسكو إلى طرد جميع أنصاره من الوظائف الحكومية والجيش وقوى الأمن بحجة انتسابهم للمنظمات المعادية للدولة، واستبدلهم بموظفين من اليهود والماسون.

ولما حوكم كودريانو جند كالينسكو ضده الشهود من كل فج، فاتهموه بتحريض المواطنين على الثورة، فأُدين بجرم الخيانة العظمى، وحكم عليه بالسجن عشرة أعوام مع الأشغال الشاقة، وحرمانه من الحقوق المدنية.

وبعد أن تخلص كالينسكو من كودريانو ثابر على التنكيل بكل مَن انتسب لحزبه، حتى ظن الملك وأعداء الشعب من الماسون واليهود أن الأمر استتب لهم، ولكنهم أخطئوا التقدير، وتبين لهم أن الشعب استيقظ من غفلته، وسيثابر على مقاومتهم طالما كان كودريانو وأنصاره في الوجود، فاتفق الملك مع اليهّود على إزاحة سجينهم عن الطريق، فعمدوا إلى تهيئة الجو المناسب لتنفيذ مآربهم، فدفعوا بعض الرعاع من أنصارهم إلى الاعتداء على اليهودي عميد الجماعة، كما أوعزوا إلى فئة أخرى أن تلقى قنبلة على إحدى الراقصات اليهوديات، ثم ادعوا أن أنصار كوردريانو هم الذين أقدموا على هذه الجرائم بغية إيهام الشعب بأن هؤلاء ليسوا سوى قتلة وأوباش، ليصرفوه عن مناصرة كودريانو، ولقد تخيلوا أن سواد الشعب اقتنع بمزاعمهم، فأمر الملك أن يبعد كودريانو ورفاقه المساجين إلى إحدى المعتقلات البعيدة، وفي نفس الوقت جهز كالينسكو زمرة من أنصاره أوعز إليهم بأن يتظاهروا بمهاجمة قافلة السجن، وكأنهم يهدفون كودريانو، حتى إذا أخرجوه من السيارة، نصحوه أن يهرب في اتجاه معين، بينما هم يهربون في الاتجاه المعاكس، ولقد تمت تمثيليتهم مثلما أرادوها، وهوجمت قافلة السجناء من قِبل أتباع كالينسكو، وأخرجوا كودريانو ورفاقه من

(1) P. Hepess (La Nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 369.

السيارات وأوعزوا إليهم بالهرب إلى جنوب الطريق، بينما هم لاذوا بالفرار نحو الشمال، فقام رجال الدرك بملاحقة كودريانو ورفاقه العُزّل، وأطلقوا عليهم النار، فقتلوهم عن بكرة أبيهم.

وفي اليوم التالي خرجت الصحف اليهودية على الشعب تصف له الحادث بالصورة التي رسمها كارول وزمرة اليهود المجرمة، وألقوا تبعة المجزرة على عاتق أنصار كودريانو، وهكذا أسدل الستار على هذه الجريمة القذرة التي مثل إدوار البطولة فيها الملك كارول الذي استباح دماء بني قومه على مذبح المآرب اليهودية، فاستحق شكر عشيقته والصحافة اليهودية مقرونًا بلعنة الأجيال الرومانية[١].

ولكن بعد فترة وجيزة انكشف أمرهم ولم تنطلِ خدعتهم على الشعب، فعاد لمقارعة اليهود وأنصارهم؛ إذ كانت ثمار المبادئ التي زرعها كودريانو في قلوب أبناء شعبه قد أينعت، وراحت بعض الصحف الحرة تسخر من سذاجة تمثيلية كارول، وتطلق عليها اسم رواية الملك الهزلية، وتحض الشعب على المطالبة بمحاكمة قتلة كودريانو، فتدهورت الأحوال، فجنحت الحكومة إلى البطش بالشعب، فتكاثرت الاشتباكات بين اليهود وأفراد الشعب، فكان يسقط كل يوم عشرات القتلى من أفراد الشعب الأعزل، ومع ذلك أبى هذا الشعب أن يرضخ لمشيئة اليهود رغمًا عن عمليات الانتقام الوحشية التي تعرض لها، وأساليب التعذيب التي طبقت عليه والدماء الغزيرة التي أهرقها في سبيل إنقاذ وطنه من السيطرة اليهودية، وعمد إلى توسيع نطاق مساعداته إلى الدكتور باسيل كريستيسكو (Basil Cristescu) خليفة كودريانو، فازدادت الحالة سوءًا، فقامت الحكومة بحملة واسعة النطاق على جماعة كودريانو، واعتقلت الدكتور باسيل وأعدمته دون محاكمة مع عشرات الآخرين من مساعديه، ومع ذلك ظل الشعب على ولائه لكودريانو، وتابع مقاومته دون خوف أو وجل.

ولما اشتد ضغط الرئيس كالينسكو على أنصار كودريانو، عيل صبرهم وهاجموه في رابعة النهار وأردوه قتيلاً، وسارعت السلطات واعتقلت المهاجمين، ولما سئلوا عن الأسباب التي دفعتهم لقتل كالينسكو، اعترفوا بأنهم من أنصار كودريانو، ومن

---

(1) P. Hepess (La Nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 370.

المنتسبين لفرقة الموت التي أقسم أفرادها على الثأر لكودريانو، وبرأ بقسمهم قتلوا الرئيس كالينسكو الذي دبر مقتل زعيمهم، فأعدمتهم السلطات وثابرت على مطاردة فلولهم وقتل مَن يعثر عليه منهم دون رحمة أو شفقة، ومثلت بجثثهم وعرضتها على المواطنين بقصد إرهابهم.

ومع كل ذلك رفض أنصار كودريانو الاستسلام، حتى أنهم هاجموا في إحدى المرات قطار الملك كارول بقصد قتله، ولكنهم لم يعثروا عليه؛ لأنه اختبأ مع عشيقته التي كانت ترافقه في حمام حافلته، ونجا بذلك من الموت بأعجوبة.

ولما اندلعت نيران الحرب الكونية الثانية، واحتل الجيش الألماني البلاد الرومانية، فرّ الملك كارول مع عشيقته اليهودية والتجأ إلى البلاد الغربية ومات في المنفى عام ١٩٥٣ غير مأسوف عليه.

وعندما هُزِمَت ألمانيا واجتاح الجيش الروسي رومانيا، اغتنم اليهود الفرصة، وعادوا مجددا للتنكيل بالشعب الروماني، فقتلوا خيرة شبابه، وصلبوا رجال الدين على أبواب الكنائس، وهتكوا أعراض نسائه المصونات، حتى بلغ عدد من قتلوا في غضون بضعة أشهر عدة مئات من الألوف[١].

وإمعانا في الثأر طلبت أنه بوكر (Anna pouker) التي كانت تشرف على الشئون الرومانية، من السلطات الروسية أن تطلق يدها في تطهير رومانيا من المناوئين للنظام الجديد، فرفضت السلطات الروسية طلبها، فنزعت هذه اليهودية الحقودة، إلى الاستئثار بالحكم، فشعرت الدولة الروسية بتمردها، فأمرت ممثليها في رومانيا بأن يزيلوها من الوجود، فلاقت (أنه بوكر) جزاءها العادل، وعاد السلام لربوع البلاد الرومانية.

---

(1) Lisez la 25eme heure et la seconde chance. par Vergil Gheorghiu paris 1952.

الجرائم اليهودية في تركيا

عاش اليهود في الإمبراطورية التركية، تحت ظل تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، التي كانت تفرض على الحاكم حماية أتباعه دون تمييز، وبفضل هذه التعاليم انتشر اليهود في أكثر مدن الإمبراطورية يعيشون فيها بسلام وأمان، ولما بدأت الكنيسة باضطهاد اليهود (على حد زعم مصادرهم) وإجبارهم على اعتناق النصرانية أو الهجرة من بلادها، طلب اليهود من العاهل التركي مراد الثاني أن يقبلهم في بلاده، فأجارهم مراد دون شرط أو قيد، عملاً بالتقاليد الإسلامية، وحُبًّا بالمبادئ الإنسانية، فدخل اليهود تركيا وانتشروا في المدن الساحلية، حيث رحب بهم الأتراك وأحسنوا وفادهم، على أنهم لاجئون مساكين (حتى أن بعض المصادر التاريخية أثنت على مراد الثاني لعطفه على اليهود، ولقبته بالرجل الإنساني الكبير).

فاستغل اليهود هذا العطف، وتسللوا إلى المرافق التجارية والصناعية، ولقد استعفتهم الأموال الطائلة التي كانت في حوزتهم على إحداث المراكز التجارية الهامة التي طغت على تجارة المواطنين الأصلاء، وزحفوا على كل المشاريع التي توسموا فيها الخير زحف الجراد، وفي فترة وجيزة غدوا أصحاب أكبر المحلات التجارية في أزمير وسلانيك وحتى في إسطنبول نفسها.

والغريب أن الساسة الأتراك وعلماء الدين كانوا يعرفون الشيء الكثير عن أخطار تكاثر اليهود في أي بلد كان، كما كانوا يعرفون حق المعرفة أن اليهود هم الذين حاولوا في الماضي اغتيال السلطان محمد الفاتح، ومع هذا لم يعترضوا على السماح لليهود بأن يستوطنوا في بلادهم، ولم ينبس أحد منهم ولو بكلمة احتجاج واحدة (وهكذا وبكل بساطة استوطن اليهود في تركيا رغم كل الجرائم التي ارتكبوها بحق الإسلام في عهد الرسول، ثم في العهود العباسية والفاطمية، وفي مستهل قيام الإمبراطورية العثمانية، وأعجب من هذا، هو ثناء المصادر التاريخية على مراد الثاني لتحقيقه هذا الغزو اليهودي، وترحيبه بهذا الوباء الذي ما زال يفتك في مقومات الشعب التركي منذ ذاك التاريخ إلى يومنا هذا، فيا ليت مراد الثاني لقي وجه ربه قبل ارتكابه هذه الجريمة النكراء التي أثقلت كاهل الأتراك يومًا بعد يوم، وأضعفت

معتقداتهم وتقاليدهم، وجعلتهم أنصار الدولة الحانية على الصهيونية المجرمة) وكأن الأمر لا يعنيهم.

بينما كان اليهود يفكرون بكل كبيرة وصغيرة، ويحتاطون لكل الفرضيات الممكنة، ولهذا أوعز مجلسهم الأعلى إلى بعض أتباعه، بأن يتمثلوا بالمرتدين في أسبانيا (Marranes) ويتظاهروا باعتناق الإسلام، ليسهل عليهم التغرير بالأتراك وكسب ثقتهم، بغية التسلل إلى مراكز الجاه والسلطان، حتى يتمكنوا في المستقبل من حماية أبناء شعبهم وتحقيق أهدافهم العامة، فبادر أبرز أفراد اليهود إلى التظاهر باعتناق الإسلام، وبدلوا أسماءهم بأسماء إسلامية، ثم اندمجوا في صفوف الشعب، وراحوا يعملون في الخفاء لتحقيق أغراضهم القومية، تحت ستار التظاهر بالإسلام. ولقد جندوا لمناصرتهم كثيرًا من الأتراك أصحاب الضمائر القذرة، واستخدموهم فيما يعود على المصالح الصهيونية بالخير والفائدة.

وفيما يتعلق بالجرائم التي ارتكبها اليهود والدونما (اليهود المتظاهرون بالإسلام) بحق الشعب التركي يحدثنا المؤرخ التركي الكبير السيد جواد أتيلهان[1] ويقول: حال وصول اليهود إلى تركيا بادروا إلى ترويج الإشاعات وإطلاق الأضاليل والأكاذيب للتشنيع بالدولة العثمانية التي رحبت بقدومهم، فاستنبطوا القصص الخيالية لتشويه سمعة السلاطين، وللحط من قدر الإسلام والمسلمين، وكانوا يرسلون تلك الأخبار الملفقة والقصص المختلفة إلى صحافتهم المهودة في أوربا، لتنشرها على أوسع نطاق، بغية الإساءة لَمن أحسنوا إليهم.

ثم عمدوا إلى تأسيس المحافل الماسونية في مختلف أنحاء البلاد، وورطوا خيرة رجال الأمة في الانتساب إليها، كما أسسوا عدة جمعيات سرية للتغرير بالطلاب الأتراك في الداخل والخارج وإدماجهم في صفوف الماسون والهيئات السياسية العاملة لمصلحتهم، ومن ثم أحدثوا جمعية تركيا الفتاة (Jeune Turdues) التي رعوها، ومولوها حتى اشتد عودها، عندما دفعوا بها لإعلان تمردها الشهير، الذي أسفر عن انقلاب ٣١ آذار، وإعلان المشروطية وإشهار الشعارات الماسونية، والجدير بالذكر هو أن أكثر زعماء هذه الحركة كانوا من اليهود الدونما (Marranes) الذين أقدموا في الماضي (١٨٧٦)

---

(1) C. R. Atilhan (islam ve Beni israil). page 210.

تحت زعامة الدونما مدحت باشا على اغتيال الملك عبد العزيز، واستبدلوه بمراد الخامس المعتوه في أحرج أيام الإمبراطورية العثمانية التي كانت جيوشها تقاتل آنذاك في البوسنة والهرسك، ولكن الدونما ضربوا بمصالح الإمبراطورية عرض الحائط، وساروا خلف مصالحهم الخاصة التي قضت بإزاحة السلطان عبد العزيز، الذي كان يفضل الأرمن على اليهود، ويبعدهم عن المراكز الحساسة في الدولة، فاستاء اليهود منه وتآمروا عليه، وأزاحوه عن طريقهم، مع العلم أنه كان حفيد مراد الثاني الذي أنقذهم من جور وظلم الكنيسة الكاثوليكية(١).

وعندما استلم الحكم السلطان عبد الحميد الثاني، أصدر أمره باعتقال مدحت الخائن ونفاه من البلاد، ولكن هذا الإجراء جاء متأخرًا؛ إذ كان اليهود الدونما قد تغلغلوا في البلاد، وتفشت المبادئ الماسونية بين صفوف الشعب، خاصة بعد أن أحدثت فيها عدة محافل ماسونية تعمل جميعها لصالح اليهود، فاضطر عبد الحميد للتراجع نسبيًا.

أما اليهود فثابروا على تنفيذ مشاريعهم، وكان في مقدمتها الاستيلاء على اقتصاديات تركيا التي كان الأرمن يتحكمون فيها، فقام بينهما صراع مرير دام عدة سنوات، لاحظ اليهود في نهايته عجزهم عن النيل من الأرمن في ميدان الصراع المكشوف، فتحولوا إلى الصراع الخفي، واعتمدوا فيه على المحفل الماسوني في سالونيك، الذي كان يضم أشهر رجالات البلاد من الأتراك والدونما، فأوعزوا إليه بأن يكلف أعضاءه بالدس على الأرمن لدى البلاط والمقامات المسئولة، وانصاع أعضاء المحفل للتعليمات التي صدرت إليهم، وراحوا يطلقون الإشاعات المسيئة للأرمن، ويختلقون الأضاليل ويلصقونها بهم، كما تطوع بعضهم لخدمة القصر وتزويده بالمعلومات الكاذبة المضللة لتحريض الملك وأولي الأمر على الأرمن، ولقد اشتهر من بين هؤلاء الجواسيس، المحامي أمانوئيل (قره صو) الذي كان يقدم يوميا عشرات التقارير للملك يتهم فيها الأرمن بالتجسس أو بالتأهب لاغتياله، أو بتهريب الأموال إلى الخارج... إلخ.

وبغية نشر الشقاق بين المواطنين ركز هؤلاء الجواسيس جهودهم على تلفيق

(1) P. Hepess (La Nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 2.

المؤامرات الخيالية، وكانوا يشيعون أن الأرمن يتأهبون للقيام بثورة قومية لتحرير أنفسهم من النير العثماني، ومرة أخرى يزعمون أن العرب اتصلوا بالدول الأجنبية، وطلبوا مؤازرتها للقيام بعصيان عام بغية طرد الأتراك من بلادهم، وعندما كانت السلطات تقوم بتحقيق عن كنه هذه الشائعات، يسارع اليهود وأنصارهم إلى الحيلولة دون وصول المحققين إلى معرفة الحقيقة، وعندما كانوا يعجزون عن تضليل التحقيق، يعمدون إلى رشوة المحققين، ليطمسوا الحقيقة كي يظل الشك قائمًا، إمعانًا في بلبلة الأفكار، وزرع بذور التفرقة وعدم الثقة بين الأتراك والطوائف الأخرى في البلاد.

ولإرغام الطلاب على الانضمام لصفوفهم، عمدوا إلى رشوتهم وتمويلهم، وعندما كانوا يصطدمون بمَن يعزف عن المال والرشوة ويأبى الانضمام إليهم، يلفقون له تهمة الانتساب لجمعيات سرية مناهضة للملكية، ليوقعوا به حتى يكون عبرة لسواه من الطلاب الذين يرفضون الانضمام إليهم، ومن جراء هذه الوشايات اليهودية الملفقة أعيد كثير من الطلاب الذين كانوا يدرسون في الخارج وفرضت عليهم العقوبات الصارمة، وسجن الألوف من المواطنين الأبرياء دون ذنب اللهم إلا لتمردهم على اليهود[1].

وهذا المسلك اليهودي الغادر أوقع الدولة العثمانية في أكثر من مأزق، مثل إقدامها على اضطهاد الأرمن والطوائف الأخرى، بناءً على الوشايات اليهودية المضللة، التي كان اليهود يختلقونها للإيقاع بين الأتراك والطوائف المختلفة التي كانت تعيش تحت ظل الإمبراطورية العثمانية، ولقد نجح اليهود في بغيتهم، واضطهدت الدولة الطائفة الأرمينية، وأبعدتها عن الميادين الاقتصادية، فهب اليهود ليحتلوا مكانها في المرافق الاقتصادية، وخاصة في إسطنبول وأزمير وسالونيك، ومع أن تكالب اليهود على احتلال مراكز الأرمن في البلاد التركية فضح حقيقة مراميهم، إلا أن الدولة العثمانية ظلت سادرة في غفلتها، حتى ظهر للميدان الزعيم الصهيوني هرزل، الذي شرع بمطالبة الدول الغربية بإنشاء وطن قومي لليهود، بناءً على المقررات التي انبثقت عن مؤتمرهم الأول (في مدينة بال السويسرية) الذي اشترك فيه جميع زعماء اليهود في العالم، وفوضوا هرزل بالعمل على تحقيق مقرراتهم، وفي مقدمتها الاستيلاء

(1) C. R. Atilhan (islam ve Beni israil) page 212.

على فلسطين، وبعد أن تداول هرزل الموضوع مع الدول الغربية، وفد إلى استانبول وقابل السلطان عبد الحميد، وطلب منه أن يتنازل لليهود عن فلسطين مقابل أي شرط أو مبلغ يحدده ثمنًا لفلسطين، فرفض عبد الحميد عروض هرزل، وأمر بطرده حالاً من تركيا.

وهنا قامت قيامة اليهود في العالم، وأشهروا الحرب على السلطان عبد الحميد، فباشرت صحافتهم بمهاجمته، وتلفيق التهم له، وتحريض الدول الغربية والشعوب الخاضعة لنفوذه، كما ازداد في داخل البلاد العثمانية نشاط الماسون والأحزاب الموالية لليهود، وعلى رأسها جمعية تركيا الفتاة التي كانت تدعى بجمعية الاتحاد والترقي، والتي دعت الشعوب إلى التمرد على عبد الحميد، فتدهورت الحالة العامة في البلاد، وفي الوقت نفسه تمكن الماسون من التغرير بمحمود شوكت باشا قائد الجيش التركي في سالونيك (مركز الثقل اليهودي) وحرضوه على التمرد، فقام القائد محمود شوكت باحتلال العاصمة (تموز ١٩٠٨) واعتقل السلطان ونفاه إلى سالونيك، فسارعت الدول الغربية إلى الاعتراف بالانقلابيين، وخاصة بعد أن نشر في فرنسا مضمون التقرير الذي قدمه الصحافي التركي الماسوني الخائن الدكتور رفيق نوزت إلى الحكومة الفرنسية، والذي وصف فيه المظالم التي زعم أن السلطان ارتكبها، وفي مقدمتها إعدام توفيق نوزت شقيق صاحب التقرير الذي دافع عن هرزل وعصابته، وطلب من السلطان إعطاءهم فلسطين، فاعتبر السلطان عبد الحميد مسلكه خيانة وطنية وأمر بإعدامه، ونفذ الحكم فيه جزاءً وفاقًا.

فاستغلت الصحافة الغربية المهودة فحوى هذا التقرير، واعتبرته كافيًا لإدانة عبد الحميد، وطالبت حكوماتها بالاعتراف بالوضع التركي الجديد، ثم أشفقت على موت توفيق نوزت ولقبته بالشهيد البريء، وكان الخيانة لا تعتبر خيانة عندما تكون لصالح سادة الماسون والديمقراطيات الخاضعة للطغمة اليهودية المجرمة.

وفي أعقاب اعتقال السلطان، استلم الحكم في البلاد أعضاء الاتحاد والترقي، وكلفوا ثلاثة من غلاة الماسون بالإشراف على أمور الدولة وتنفيذ شعاراتها الجديدة، وكانوا جلهم من اليهود الدونما وهم: جاويد، وقره صو، والمتر سالم، فلم يرق انتقاؤهم للقائد محمود شوكت الذي لم يكن ماسونيًا ولا خائنًا، فاصطدم بهم، فأوعزوا

إلى أنصارهم باغتياله، وفي نفس الوقت افتعلوا مذبحة بين الأرمن والأتراك، وزعموا أن الحادثين كانا من فعل أنصار الماضي، بينما سهلوا الفرار لقتلة محمود شوكت، وقمعوا الاشتباك الشعبي بكل شدة ووحشية ليرهبوا المواطنين، ويمنعوهم من معارضة النظام الجديد، وفي أثناء التحقيق في الحادث الشعبي، أظهروا تحيزهم السافر للأتراك، ليوغروا صدور الأرمن عليهم، لعلهم يقدمون على حماقات تبرر للماسون واليهود أقدامهم على التخلص نهائيًا منهم لإحلال اليهود في مراكزهم.

ولتوطيد حكمهم أوفدوا إلى باريس وفدًا مكونًا من الماسون، ليعرض صداقتهم على الدولة الفرنسية، فنجحت لعبتهم بفضل مساعدة المحفل الفرنسي لوفدهم، ودعمت فرنسا حكمهم، فاستتب لهم الأمر، وكلفوا طلعت وأنور باستدعاء محمد رشاد ومفاوضته ضمن شروطهم الخاصة لقبول العرش، فكان لهم ما أرادوه، واعتلى محمد رشاد العرش عام (١٩٠٩) دون أن يكون له من السلطة والنفوذ إلا بقدر ما تسمح له بذلك جمعية الاتحاد والترقي التابعة للماسون.

وهكذا سيطر اليهود على مقدرات الدولة العثمانية من وراء الستار، ومن ثم زجوا بها في تلك الحرب الضروس بعد أن اختاروا لها الجانب الذي استنسبوه على مقررات المؤتمر الصهيوني الثاني، التي قضيت بإزالتها من الوجود، وتمزيق ولاياتها وتقسيمها بين الدول التي قدر المؤتمرون انتصارها، ليسهل عليهم الاستيلاء على فلسطين.

وفي الوقت نفسه أشاع اليهود وأنصارهم البلبلة في داخل الإمبراطورية، ودفعوا بأنصارهم من القادة أمثال أنور وجمال لارتكاب الجرائم والحماقات، ليستفزوا شعور الناس (وخاصة العرب) ضد الدولة العثمانية، فقام هؤلاء بدورهم خير قيام، فقتلوا المئات والألوف، وظلموا الشعوب التي تخضع لسلطانهم، فغدت كلها معادية لتركيا، وكان اليهود يغذون العداء في كل مكان، فتمرد بعض الأرمن على الدولة، فاتخذها الدونما حجة للفتك بالأرمن وإحلال اليهود في مكانهم، كما دفعت وحشيتهم العرب إلى الانحياز للمعسكر الحليف، فقضى على الصداقة التركية العربية، وانهارت الدولة العثمانية، وتمزقت إمبراطوريتها التي حالت طويلاً دون احتلال اليهود لفلسطين[(١)].

---

(1) P. Hepess (La Nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 25.

هذا الاحتلال الذي كان اليهود يعتبرونه هدفهم الأسمى، فلما عارضهم عبد الحميد في تحقيقه ناصبوه العداء، وقرروا القضاء عليه وعلى إمبراطوريته، وفي سبيل ذلك بذروا بذور العداء بين الأرمن والأتراك، ليستولوا على مراكز الأرمن في تركيا، لينفردوا بخيراتها ولينفقوها على التأهب لتحقيق حلمهم المذكور، وفي سبيله أوجدوا التفرقة بين العرب والأتراك ليحولوا دون اتفاقهما في المستقبل، حتى يخلو لهم الجو لبلوغ غايتهم هذه.

وفي صدر الجرائم التي ارتكبها اليهود بحق الشعب التركي يزيدنا السيد أتيلهان علمًا ويقول: إن الثورة التي انفجرت عام ١٩١٤ في كرواتيا والجبل الأسود، كانت من صنع اليهود، وبتحريض منهم، ومُوِّلَت من قبلهم.

ويؤكد أن المالي اليهودي يعقوب شيف هو الذي مول هذه الثورة وأشرف على إدارتها، ولقد أرسل تعليماته لإشعال نارها مع نصف مليون دولار إلى اليهودي أفرام بنرويا (A.Bonaroya) الذي كان يرأس المحفل البلغاري، وأمره بالمباشرة في إيقاد نيرانها، فقام بنرويا بجولة إلى سالونيك، وأدرنة، وسلافيونيا وألبانيا، حيث أبلغ تعليمات شيف إلى رؤساء فروع محفله وزودهم بالمال، وأوعز إليهم بإعلان التمرد على تركيا.

وفي عام ١٩١٥ أرسل إليهم مجددًا مبلغ سبع مائة وخمسين ألف دولار ليثابروا على مقاومة الأتراك، كما أن بنرويا هذا قاد كلاً من ثورتي اليونان وألبانيا، وكان شيف هو الذي يمولها فيهما.

وفي بحثه عن الثورات في بلاد البلقان يذكر أتيلهان في مكان آخر من كتابه بأن جميع زعماء الثورات البلقانية كانوا من الماسون واليهود، ويقول بأن بلاكون اليهودي الماسوني هو الذي دربهم جميعًا، وأن كل من كومولكا البولوني، وأنه بوكر الرومانية، وأمري ناجي وكادار المجريين يدينون بالولاء لأستاذهم بلاكون جلاد المجر، كما أنه يؤكد بأنهم جميعًا من اليهود المعروفين بعدائهم للشعوب النصرانية[(١)].

وفي بحثه عن أحداث الحرب العالمية الكبرى الأولى في تخوم مصر، يذهب إلى القول بأن اليهود في مصر كانوا يحرضون المصريين على مقاتلة الأتراك، ويقدمون لهم

(1) C. R.Atilhan (Islam ve Beni israil). page 231 – 237.

المغريات المالية والعينية، ليشجعوهم على التطوع في الجيش البريطاني.

أما في فلسطين حيث كان السيد أتيلهان رئيس الشعبة الثانية في الجيش التركي، فيعزو انحدار الأتراك في الجاسوسية اليهودية، ويسرد مئات الحوادث التي أقدم اليهود فيها على التجسس لحساب الحلفاء، ويذكر أنه بنفسه أوقف عشرات الجواسيس اليهود أمثال، ساره، وسرشون، وسوزي، وسيمون، ونعمان بلكنت، وجوزيف طوبن، وكيماس، وموسس، وسواهم. والذين كان له شرف استجوابهم وإحالتهم في القضاء الذي أدانهم جميعًا، وأعادهم إليه ليعدمهم جزاء خيانتهم.

ومن ثم يقول أتيلهان: إن جميع الأخطاء التي ارتكبها الأتراك في البلاد العربية في مستهل هذا القرن، كانت وليدة دس الماسون واليهود على العرب. ويزعم بأن الأخطاء التي ارتكبت بالمقابل من قبل العرب بحق الأتراك، كانت ناتجة عن تحريض اليهود لهم، وتشويه الحقائق التاريخية التي كانت تربط العرب بالأتراك؛ إذ كانوا يزعمون للعرب بأنهم معهم ليوصلوهم إلى الحرية والاستقلال، بينما كانوا في أوربا يعملون دون هوادة لرسم الخطط لتمزيق البلاد العربية بعد الحرب، والاستيلاء على فلسطين، في الوقت الذي يكون العرب في شغل شاغل عنهم.

ويختتم بحثه بالقول بأن اليهود استغفلوا العرب والأتراك وخانوهما معًا، واستولوا في غفلة عنهما على فلسطين، أما تبعة ذلك، فيقع على عاتق السلطان مراد الثاني الذي أجار اليهود، ليصبحوا فيما بعد وبالاً على أمته وبلاده.

وبعد كل ما رويناه عن جرائم اليهود في تركيا، يظهر لنا أن اليهود ما زالوا حتى اليوم يسيطرون عليها مثلما كانوا يسيطرون على مقدراتها في الأمس، ولربما أكثر؛ إذ أن الزائر المراقب لتركيا يلاحظ بوضوح تغلغل الدونما في جميع مرافقها، ويمكنه أن يلمس سيطرتهم على صحافتها لمس اليد، أما اقتصادياتها فتخضع تقريبًا برمتها للدونما، مع أن الشعب التركي برمته يكرههم، ويحقد عليهم، ولكنه أعجز من أن ينالهم لأن السيطرة الماسونية تقف وتتصدى لكل مَن يجرؤ على المس باليهود، ويبدو أن الدولة التركية نفسها أضحت بعض الشيء تحت رحمتهم؛ ولهذا فهي تتسامح معهم في ما يرتكبونه من المساوئ والجرائم بحق شعبها.

الجرائم اليهودية في قبرص

يبدو أن الخطيئة التي ارتكبها السلطان مراد الثاني في ترحيبه بمجيء اليهود إلى بلاده، لم تكن الفريدة في سجل سلاطين الأتراك؛ إذ أن التاريخ يذكر لنا بأن السلطان سليم الثاني أقدم أيضًا على رعونة مماثلة، وذلك عندما أجار الثري اليهودي إلياس يوسف ناسي (Elias joseph Nassi) الذي فرَّ من البندقية وجاء يحتمي في تركيا وهو يهودي من أتباع أسبانيا، هرب منها قبل بضعة أعوام، واحتمى بمدينة أنفرس (Anvers) حيث تمكن بفضل أمواله الطائلة من التقرب إلى الملكة ماري الهونغارية (Marie Hongrie) وتوثقت الصداقة بينهما، واتخذته الملكة أمينًا لأسرارها، وفوضته بعقد الاتفاقات باسمها مع شارلكان، وهانري الثاني (Henri II).

فذاع صيته في المحافل الدولية حتى استجد به الملوك أمثال سيجيسموند (sigismond) البولوني وهانري الثاني الفرنسي، واقترضوا منه الأموال الطائلة، فتعاظم شأنه بين الدول، وكان يهوديًا متعصبًا لقوميته، لا يتورع عن إظهار تعصبه في أيام مناسبة، ومن أعماله الدالة على تطرفه العنصري إقدامه بكل وقاحة على كتابة صيغة المعاهدة التي وقعت بين تركيا وفرنسا عام (١٥٦٩) باللغة العبرية، والتي حفظت في ملفات وزارتي الخارجية في كل من تركيا وفرنسا.

وقبل التجائه إلى تركيا، هجر ناسي أنفرس واستوطن في البندقية، واتخذها مركزا لاتصالاته مع الجاليات اليهودية التي يقدم لها العون المادي والأدبي، ولقد أكرمته جمهورية البندقية، وأطلقت يده في الإشراف على الجالية اليهودية في بلدها، فطمع في المزيد من السلطة، ونزع إلى البحث عن إقامة دولة يهودية في إحدى جزر البحر الأبيض المتوسط، ولما شعرت حكومة البندقية بنواياه وضعته تحت المراقبة، فأحس بالخطر، ففر من البندقية، والتجأ كما ذكرنا إلى السلطان سليم الثاني.

وفي تركيا تمكن بسرعة فائقة من كسب ود السلطان، وغدا مستشاره الأول، فعادت مطامعه تراوده من جديد، فصار يباحثه بضرورة احتلال قبرص؛ لأنها تشكل خطر على سلامة مملكته، وتعهد له بالاتفاق على الحملة، فيما إذا وافق السلطان على مقترحاته.

وكان سليم الثاني مولعًا بمعاقرة الخمرة، فاستغل ناسي إحدى ساعات أنسه، وورطه بإقرار غزو قبرص، بعد أن أخذ منه وعدًا بتنصيبه ملكًا عليها تحت اسم دوق دو ناكسون صاحب البحر الأبيض، أو جوزيف الأول ملك قبرص، عندها تخيل أنه أصبح فعلاً من الملوك، وأعلن لقبه الجديد على العالم، وثابر على تحريض السلطان على تحقيق قراره، حتى انصاع سليم الثاني لإصراره، وأرسل عام (١٥٧٠) أسطوله لاحتلال قبرص، وحاصرها مدة من الزمن، ثم احتل الأتراك مدينة فاماكوستا واستسلم قائدها براكادينو (Bragadino) ولكن الدولة الأوربية سارعت لنجدة قبرص، واشتبكت كل من أسبانيا والبندقية والفاتيكان بحرب طويلة مع الأتراك، انتهت كما هو معروف، دون أن يستفيد منها أحد، بعد أن أهرقت فيها الدماء من الطرفين، على مذبح الأغراض اليهودية القذرة[١].

(1) P. Hepess (La Nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 267. Copie sur le livre de jacop Roznik (Le Duc josebh de Naxon) h istorire juive du 16 eme siecle.

الجرائم اليهودية في أمريكا

إن الذين يسخرون من سعينا لسيادة العالم، فاتهم أننا أصبحنا نملك ثروات العالم برمتها، وهي تنمو في حوزتنا يومًا بعد يوم، بفضل اتحادنا وتفوق تفكيرنا وحسن إدارتنا. وهذه السيطرة المالية ستمكننا من إخضاع شعوب العالم لمشيئتنا، كما أخضعنا في الماضي شعب كنعان، وستضمن لأحفادنا رغد العيش وسيادة البشر، وسيصاب المشككون بخيبة الأمل عندما يشاهدوننا نحقق للإنسانية حلمها المنشود في السلام والأُخُوة في ظل دولتنا العالمية المرتقبة.

من أقوال الكاتب اليهودي دومسنيل الواردة في مؤلفه (السياسة الاقتصادية للأقوام القديمة) الذي صدر عام ١٨٧٨.

(L Histoire de l economie politidue des peuples Anciens) par du Mesnil – Marigny – paris 1878.

عندما اكتشفت أمريكا وفاضت خيراتها على أوربا، بهر بريق ذهبها أبصار اليهود، وفكروا بوسيلة تنيلهم حصتهم من هذا المعبود اليهودي القديم، ولما أعيتهم الحيل، قرروا المغامرة، فاندس غلاة مغامريهم في قوافل المهاجرين بشتى الأساليب والحجج، فوصلوا إلى القارة الجديدة، حيث انهمك رفاقهم بشتى الأعمال، بينما استهدف اليهود جمع المال واكتنازه دون سواه، وفي زمن قياسي حصلوا منه على إضعاف ما حصل عليه الآخرون، وهذه المكاسب الوفيرة السهلة أطمعت إخوانهم في أوربا، فبادروا إلى اللحاق بهم، فتضاعف عددهم، وبدأ المهاجرون يشعرون بوطأتهم، ولكنهم عجزوا من إبعادهم عن القارة، بفضل ما قدموه من الرشوات لحكام المستعمرات الذين كانوا أبدًا بحاجة لمزيد من المال.

ولما اندلعت نيران الثورة الأمريكية، ازداد طمع اليهود، فاستثمروا أحداث الثورة على أوسع نطاق، فتاجروا بالأسلحة وتجسسوا لحساب الطرفين، فدرت عليهم هذه الأعمال المال الوفير، واحتاج إليهم المقاتلون، فاستغل اليهود هذه الفرصة الجديدة، وعمدوا إلى تمويل الجبهتين بالمال والمعلومات، بغية إطالة أمد الحرب لتزيد فوائد أموالهم التي كانوا يقرضونها للمتخاصمين، وكان المثقفون من الأمريكيين يعلمون ما يرمون إليه اليهود، ولكنهم فضلوا السكوت عنهم، خشية أن ينحازوا إلى أعدائهم

البريطانيين. ولما حصلت أمريكا على استقلالها واجتمع مجلسها التأسيسي (The constitutional convention) عام ١٧٨٩، تطرق المجتمعون إلى البحث عن وضع اليهود في بلادهم، فقام بنيامين فرنكلن بطل التحرير الأمريكي، وأبرز أعضاء المؤتمر وألقى كلمة تحذيرية في المجتمعين قال فيها: «أيها السادة لا تظنوا أن أمريكا نجت من الأخطار بمجرد أن نالت استقلالها، فهي ما زالت مهددة بخطر جسيم لا يقل خطورة عن الاستعمار، وهذا الخطر سوف يأتينا من جراء تكاثر عدد اليهود في بلادنا، وسيصيبنا ما أصاب البلاد الأوربية التي تساهلت مع اليهود، وتركتهم يستوطنون في أرضها، إذ أن اليهود بمجرد تمركزهم في تلك البلاد عمدوا إلى القضاء على تقاليد ومعتقدات أهلها، وقتلوا معنويات شبابها بفضل سموم الإباحية واللاأخلاقية التي نفثوها فيهم، ثم أفقدوهم الجرأة على العمل، وجعلوهم ينزعون إلى التقاعس والكسل بما استنبطوه من الحيل لمنافستهم في كسب لقمة عيشتهم، وبالتالي سيطروا على اقتصاديات البلاد، وهيمنوا على مقدراتها المالية، فأذلوا أهلها، وأخضعوهم لمشيئتهم، ومن ثم أصبحوا سادة عليهم مع أنهم يرفضون الاختلاط بالشعوب التي يعايشونها، حتى بعد أن يكتموا أنفاسهم، فهم يدخلون كل بلد بصفة دخلاء مساكين، وما يلبثون أن يمسكوا بزمام مقدراتها، ومن ثم يتعالون على أهلها، وينهمون بخيراتها دون أن يجرأ أحد على صدهم عنها، ولقد رأينا في الماضي كيف أذلوا أهل أسبانيا والبرتغال، وما يفعلونه اليوم في بولونيا وسواها من البلاد، ومع كل هذا جعلوا التذمر شعارهم حيثما وُجِدُوا والتشكي ديدنهم، فهم يزعمون أنهم مضطهدون طالما كانوا مشردين، ويطالبون بالعودة لفلسطين مع أنهم لو أمروا بالعودة إليها لما عاد واحد منهم إلى فلسطين، ولظلوا جميعًا حيث هم، أتعلمون أيها السادة لماذا؟ لأنهم أبالسة الجحيم وخفافيش الليل، ومصاصو دماء الشعوب، فلا يمكنهم أن يعيشوا مع بعضهم البعض؛ لأنهم لن يجدوا فيما بينهم مَن يمتصون دمه، ولهذا يفضلون البقاء مع الشعوب الشريفة التي تجهل أساليبهم الشيطانية، ليثابروا على امتصاص دماء أبنائها، ولينهبوا من خيراتها، وللأسباب التي أوضحتها لمجلسكم الموقر أتوسل إليكم أيها السادة أن تسارعوا باتخاذها هذا القرار، وتطردوا هذه الطغمة الفاجرة من البلاد قبل فوات الأوان، ضنًا بمصلحة الأمة وأجيالها القادمة، وإلا سترون بعد قرن واحد أنهم

أخطر مما تفكرون، وستجدونهم وقد سيطروا على الدولة والأمة، ودمروا ما بنيناه بدمائنا وسلبوا حريتنا وقضوا على مجتمعنا، وثقوا بأنهم لن يرحموا أحفادنا، بل سيجعلونهم عبيدًا في خدمتهم، بينما هم يقبعون خلف مكاتبهم يتندرون بسرور بالغ بغائبنا، ويسخرون من جهلنا وغرورنا.

أيها السادة أرجو ألا يجنح مجلسكم الموقر إلى تأجيل هذا القرار، وإلا حكم على أجيالنا القادمة بالذل والفناء، أيها السادة لا تظنوا أن اليهود سيقبلون يومًا الانصهار في بوتقتكم، أو الاندماج في مجتمعكم، فهم من طينة غير طينتنا، ويختلفون عنا في كل شيء، وأخيرًا أهيب بكم أن تقولوا كلمتكم الأخيرة، وتقروا طرد اليهود من البلاد، وإن أبيتم فثقوا أن الأجيال القادمة ستلاحقكم بلعناتها وهي تئن تحت أقدام اليهود».

ولكن المجلس التأسيسي رد هذا المشروع ولم يقره، ليس لعدم قناعته بوجاهة ما قاله فرنكلن، بل لعدم اتفاق أعضائه على هذا الإجراء؛ لأن بعضهم كان من الماسون، والبعض الآخر كان قد ارتشى مسبقًا، فرفض هؤلاء الموافقة على القرار المقترح، كما أن الحكومة كانت غير راضية عن هذا القرار؛ لأنها كانت بحاجة ماسة للمال، وكان اليهود قد وعدوها بتلبية رغبتها إن هي حالت دون إقرار المشروع، كما أن الجمعيات المحلية كانت تساند اليهود؛ لأن أكثرها كانت تعيش على أموالهم، فتضافرت جميع الجهود وأسقط القرار من حساب المجلس.

وهكذا انتصر اليهود، وظلوا مقيمين في أمريكا بأمان، ولقد برهنت الأيام على أن فرنكلن كان على حق في كل ما قاله، وللتأكد من ذلك يكفي أن نلقي نظرة على حالة أمريكا اليوم، ليظهر لنا جليًا صديق نبوءة فرنكلن، ومدى ما كان عليه من إخلاص لقومه وبلده، إذ أن واقع أمريكا اليوم ينبئ بأن اليهود هم سادتها دون ريب، وليس فيها مَن يجرؤ على رفع إصبعه في وجههم، والعالم أجمع يشهد بأن أمريكا هي قلعة الصهيونية الحصينة، ومركز الرأسمالية اليهودية، وهي ليست أقل تهودا من بريطانيا، وهما يعتبران بحق مركزي الثقل للصهيونية العالمية، وعلى الأخص بعد أن اتبع الأنكلوساكسون العهد القديم دون سواه من الكتب المقدسة.

وقوة اليهود في أمريكا ليست موضع نقاش، فهم يتحكمون في أكثر مرافقها الحيوية، ويسيرونها حسب أهوائهم وأغراضهم، وسيطرتهم على الانتخابات النيابية

أصبحت مضرب المثل في العالم، فهم يرفعون إلى سدة الرئاسة الأولى مَن يريدونه، وكم من مرة تمكنوا من رفع أحد أبناء جلدتهم إليها.

وعلى سبيل المثال نذكر أن السيد فرنكلن روزفلت الذي حكم أمريكا أثناء الحرب العالمية الثانية، لم يكن في الأصل إلا يهوديًا، وانحدر من عائلة يهودية هجرت أسبانيا عام ١٦٢٠، وتشرد أفرادها في الأقطار الأوربية حقبة من الزمن، ثم انتهى بهم المطاف إلى أمريكا(١)، وكانت عائلته تدعى في الأصل بروزوكامبو (Rossocompo) ثم أصبحت تدعى روزنبرغ (Rosenperg) وفيما بعد روزنفلت (Rosenvelt)، وأخيرًا روزفلت (Rosevelt) كما أن زوجته أيضًا يهودية معروفة تدعى سارة دولانو (sara delanoe) عرفت طيلة حياتها بالعمل لصالح اليهود، أما روزفلت فقد دَلَّل مرارًا على تمسكه بعنصريته وتحيزه لليهود والصهيونية.

وكان إبان حكمه يوجه بمناسبة عيد رأس السنة العبرية تهانيه ليهود العالم علنًا، ويرسل للحاخام الأكبر الهدايا الكثيرة، ويتقبل بركاته بصفته أحد أتباعه، ولقد بادله اليهود الحب والتقدير، وللتعبير عنهما أهداه مؤتمر الشباب اليهودي الثاني أقدم نسخه للتوراة عربونًا لولائه له، بينما قدم له اليهود في مدينة نيويورك وسامًا من الذهب نقشت على أحد وجهيه صورة روزفلت، وعلى وجهه الثاني النجمة السداسية، وقد كتبت في منتصفها باللغة العبرانية الجملة التالية (الرفاة والحكمة لفرنكلن روزفلت، نبينا الجديد الذي سيعيدنا إلى الأرض الموعودة في ظل خاتم سليمان بن داود) وذلك اعترافًا بفضله، وإشارة لما وعدهم به.

كان روزفلت لا يعتمد في إدارة شئون أمريكا إلا على اليهود، ولقد أحاط نفسه بزمرة منهم أمثال فيليكس فرانكفورتر (Felix Frankfurter) وكوردل هول (cordell Hull) المهود صهر المالي اليهودي الشهير كوهين لوب (Kuhin loep) ومستشاره الخاص صموئيل روزنمان (samuel Roseenmann) والقاضي برانديس (Brandeis) والمستشار الثاني صموئيل أنترماير (samuel untermayer) وبرنار باروخ (bernard Baruch) صاحب كتاب الدولة اليهودية وهانري مورجانترو(Henry Morgentrau) وكيل خزانته وجيس ستراوس (Jesse strauss) وليو فولمان (leo Wallman) رئيس

(1) P. Hepess (Le dernier bal du grand soir) page 286.

رابطة أصحاب العمل في القصر الجمهوري، ولاغوارديا (laGuardia) محافظ نيويورك السابق، ومئات آخرين من أشهر رجالات اليهود في أمريكا، وكانوا جميعًا يعملون في تخطيط شئون الدولة كأنها دولتهم، أما مهمة روزفلت، فكانت تنحصر في إقرار وتوقيع ما يشرعه هؤلاء اليهود والإشراف على تنفيذه.

والنفوذ اليهودي في أمريكا لا يقتصر على التحكم في شئون الدولة فحسب، بل يتعداه إلى السيطرة التامة على كافة أحزاب البلاد حتى اليسارية منها، ومن هنا رأينا المظاهرات التي قامت في أعقاب الحرب الكونية يقودها زعماء من اليهود أمثال هيرش (Hirche) واديلمان (Adelman) وهاري بريدجز (Harry Bridges) وجوزيف كوهين (joseph cohen) وجوزيف جاكوب (joseph jacop) وغليكشتاين (Gleckestein) ولهمان (lehmann) وصول نيتزبيرغ (sol Nitezperg) وجلهم من أصحاب الأعمال المعروفين في أمريكا، وكانت التبرعات السخية تنهال عليهم تشجيعًا لهم، وللمتظاهرين من كافة الجهات اليهودية، وعلى الأخص من سادة صناعة السينما التي تعتبر خامسة الصناعات الأمريكية، إذ يقدر رأس مال العاملين فيها بعدة مئات من الملايين. واليهود يملكون منها ٩٥٪ وأكثر العاملين فيها هم أيضًا من اليهود. وهم يحاربون كل مَن يتجرأ لمناوأتهم في ميدانها. ولقد منعوا أكثر الشركات غير اليهودية من العمل فيها، وذلك عن طريق التضييق عليها تدريجيًا، ومن ثم دفعها نحو الإفلاس وإرغامها على الانسحاب من ساحة صناعة السينما نهائيًا.

ولقد ضجت بعض الصحف من هذا المسلك اليهودي، فكتبت صحيفة الأخبار المسيحية الحرة (christian Free News) تقول: إن صناعة السينما في أمريكا هي يهودية بأكملها، ويتحكمون فيها دون أن ينازعهم في ذلك أحد. ويطردون منها كل مَن لا ينتمي إليهم، وجميع العاملين فيها هم إما من يهود أو من صنائعهم، وهوليود تعتبر اليوم سدوم العصر الحديث، حيث تنحر الفضيلة، وتنتشر الرذيلة، وتسترخص الأعراض، وتنهب الأموال دون رادع أو وازع. والمشرفون عليها يرغمون كل مَن يعمل لديهم على تعميم ونشر مخططهم الإجرامي تحت أستار خادعه كاذبة، وبهذه الأساليب القذرة أفسدوا الأخلاق في البلاد، وقضوا على مشاعر الرجولة والإحساس، وعلى المثل العليا لدى الأجيال الأمريكية، فأوقفوا هذه الصناعة المجرمة؛

لأنها أضحت أعظم سلاح يملكه اليهود لنشر دعاياتهم المضللة الفاسدة.

ومجلة الأخبار المسيحية الحرة هذه تصدر في مدينة لوس أنجلوس (los Angeles) وهي تكتب في أكثر الأحيان عن الفضائح اليهودية بنفس القوة الظاهرة في مقالها الآنف الذكر، الذي ورد في عددها الصادر في مستهل شهر تشرين الأول لعام ١٩٣٨، ولكن مع كل أسف، فإن صرخاتها الداوية ذهبت سدى؛ لأن أمريكا خلت ممّن يجرؤ على الوقوف في وجه اليهود أو يتصدى لما يعملونه.

وقوة اليهود في أمريكا تتجلى خاصة في أيام الانتخابات؛ إذ نرى المرشحين يتسابقون في خطب ودهم، ويغدقون عليهم الوعود ويأخذون على أنفسهم العهود تجاههم، وكأنني بهم يمثلون بيهوى التوراة. والغريب في الأمر هو أن اليهود ينجحون دائمًا مرشحيهم، ويسقطون أخصامهم بكل يسر وسهولة، رغمًا عن أن عددهم في أمريكا لا يربو على العشرة ملايين، ومع هذا رفعوا روزفلت في الماضي إلى سدة الرئاسة، وهم الذين ساندوا ترومان الماسوني على الفور بعد أن قدم ولاءه لوايزمان الذي زار في حينه أمريكا، لقد أهداه نسخة من التوراة إشارة لتحالفهما، كما أن اليهود كانوا خلف فوز آيزنهاور وإيصاله إلى سدة الحكم، وعندما جرت الانتخابات التي فاز بها آيزنهاور، شاهد الناس رجال الدين اليهودي يتجولون في شوارع نيويورك، ويدعون الناس لمؤازرة آيزنهاور، فاستغرب المواطنون هذا الحماس اليهودي الغير منتظر، ولكن الأمور اتضحت بعد أن نجح آيزنهاور، وعرف أن اليهود دعموا آيزنهاور؛ لأنه وعدهم بتخفيف الحكم عن الجاسوس اليهودي روزنبرغ الذي اعتقل في عهد ترومان بتهمة التجسس لحساب الروس، وكان اليهود يسعون لدى السوفييت في نفس الوقت لإنقاذ بعض اليهود الذين أُعْتِقلُوا في روسيا بتهمة التجسس لحساب الغرب، فاشترط الروس تخفيف الحكم عن روزنبرغ (Rosenperg) مقابل تخفيفهم الأحكام على اليهود المعتقلين في بلادهم، فساوم اليهود آيزنهاور واتفقوا معه على أن يساعدوه في الانتخابات مقابل أن يخفف الحكم عن روزنبرغ، فقام كل من الطرفين بتعهده على أكمل وجه، وأنقذ اليهود المجرمون في كل من روسيا وأمريكا، وهكذا انتصر اليهود على أعظم دولتين، وحالوا دونهما وإنزال العقاب بأبناء قومهم الخونة.

ومما يؤسف له، هو أن الشعب الأمريكي يشعر بوضوح بوطأة اليهود على حياته

ومصيره، ولكنه يعجز عن وضع حد لسيطرة اليهود عليه؛ لأنه أيقن أن لا جدوى من معارضة اليهود في ظل نظامه الحالي، وخاصة بعد أن رأى فشل كل مَن نزع إلى مخاصمة اليهود من أبنائه.

ولقد سئل الصناعي الأمريكي الكبير السيد هنري فورد (Henry Ford) عن سر توسع النفوذ اليهود في بلاده(١)، فأجاب قائلاً: إن المسئول الأول عن توسع نفوذ اليهود في بلادنا، هو طراز الحكم فيها (يعني الحكم الديمقراطي) هذا الحكم الذي يتساوى في ظله جميع المواطنين بصرف النظر عن أصلهم، ويحق لكل فرد أن يكتب ويقول ويعمل كما يحلو له، وهذه الحرية المطلقة استثمرها اليهود على أحسن وجه، فاختاروا العمل الجماعي ضمن مفاهيم التعاون والتآخي فيما بينهم، فتكتلوا منذ البداية، وتعانوا فيما بينهم منذ الساعة التي حطوا رحالهم فيها بهذه البلاد، بينما تمسك الآخرون بفرديتهم، وعمل كل منهم بمفرده دون معين؛ ولذا نجح اليهود أكثر من سواهم بفضل اتحادهم الذي يتمسكون به لمجابهة الشعوب الأخرى؛ لأنهم يعرفون أن جميع الشعوب تكرههم وتحقد عليهم بسبب ما افتعلوا من الكوارث منذ فجر التاريخ، وما اصطنعوه من مآسٍ في كل من فرنسا وألمانيا، وما ارتكبوه مؤخرًا من الجرائم في روسيا والبلقان؛ ولذا فهم يخافون من نَقمة الناس عليهم، وهذا الخوف هو الذي يرغمهم على التعاون الوثيق فيما بينهم، وبالتالي يحضهم على تجنب الآخرين، وعدم الثقة بهم، وشرائعهم أسهمت كثيرًا في نجاحهم؛ إذ أنها تنصحهم بأن لا يعزفوا عن أي عمل مدر للمال، وعملاً بهذه التعاليم البينة، وأغار اليهود على الأعمال التي يأنف منها سواهم، والتي تحرمها الشرائع السماوية الأخرى، فمارسوها بكل شجاعة وقحة، واعتمدوا في حرية ممارستها على ما يتقنونه من أساليب الغش والخداع لمجابهة القوانين والأنظمة الرادعة عن تعاطي هذه الحرف المعيبة، ولقد درَّت عليهم هذه الحرف القذرة أضعاف ما تدره المهن الشريفة على الآخرين، ولما توفر لهم المال، تسللوا إلى حرم الصناعات الثقيلة والمرافق الحيوية، وبفضل تعاونهم الوثيق تمكنوا من الاستيلاء عليها، وهكذا حققوا ما لهم اليوم من النفوذ في البلاد.

ويبدو أن السيطرة اليهودية في أمريكا ليست محصورة في نطاق الأحزاب،

---

(1) C. R. Atihan (slam ve Beni israil) page 49 – 50.

والتصرف في مجرى الانتخابات، ولا في امتلاك زمام المصارف والبنوك، ولا في التحكم في صناعة السينما وحرفة الصحافة، بل تعدت كل هذا، ووصلت إلى حد المقدرة التامة على إزالة كل مَن يعترض طريقها مهما سما مركزه أو عظم شأنه، وللتدليل على ذلك، وعلى سبيل المثال، نذكر مقتل السيناتور ماك آرتي (R.MCCarty) أمين سر لجنة الدفاع الأمريكية، الذي اشتهر بمناوأة اليهود، لما كان يعرفه عن جرائمهم وخياناتهم، وكان يفضح أسرارهم ويعلنها للمواطنين بقصد تقليص نفوذهم، فجزع اليهود من موقفه المعادي لهم، وقرروا فيما بينهم القضاء عليه، وفي أحد أيام حزيران عام ١٩٥٧، وجد ماك آرتي مقتولاً في فراشه في المستشفى الذي دخله على أثر وعكة خفيفة ألمت به، ولدى التحقيق لم يعرف سبب الوفاة وطويت قضيته، مع أن الجميع كان يعرف أن ماك أرتي اغتيل بيد اليهودي[1].

والمتتبع للأحداث التي سبقت مقتل أرتي، ولما نشرته الصحافة عنه قبل وبعد مقتله، لا يسعه إلا أن يعترف بأنه ذهب ضحية غدر اليهود، وهذه الأحداث وما نشرته الصحافة عنه تتلخص بما يلي:

في أعقاب إحدى حملات أرتي على اليهود، عقد زعماؤهم اجتماعًا، ضم كلاً من فريد كيرشفاي، وفيكتور برنستين صاحبي صحيفة الأمة (The Natio) وليؤنيلسيمون صاحب صحيفة العرض (Exbose) ومدير صحيفة الصوت اليهودية بكاليفورنيا (The Calfornia Voice) ومدير صحيفة الشعب في لوس أنجلوس المدعو آل ريتشموند (Al Richmond) وشريكه هاري كرامر (Hary Kramer) وماير (Mayer) صاحب صحيفة بريد واشنطن (Washington bost times Herald) وأصحاب الجريدة الرسمية لجمعية بني بريت اليهودية الشهيرة بالبولتان (A. D. L Bulletin) وصاحب صحيفة الحياة اليهودية (Gewish Life) وماكس أسكوبي (Max Ascobi) صاحب صحيفة المخبر (The Reborter) والمليونير اليهودي أرثور سوليزبيرجر وشريكه جوليوي أدلر (Arthur Sulzberger – gulius Adler) صاحبي جريدة نيويورك تايمس (The new york times) وعشرات الزعماء الآخرين. وبعد تداول أمر السيد ماك أرتي قرروا فيما بينهم محاربته حتى النهاية، وعلى الأثر بدأت المقالات النارية في الصحافة

(1) C. R. Atihan (islam ve Beni israil) page 121 – 122 – 123.

اليهودية تنهال على ماك آرتي، كما شرع بعض زعماء اليهود بتوجيه الإنذارات إليه.

ولقد كتبت الصحيفة اليهودية بني بريت ميساجر (Bne Breith Messager) في إحدى أعدادها تقول: «لسنا من محبي التكهنات، ولكن سلوك ماك أرتي وأعماله توحي لنا بأن نهايته ستكون سيئة جدًّا، ولربما مات بصورة تدهش العالم، كما مات النائب هوي لونج (Huey Long) الذي كان يسير على غراره».

كما صرح الزعيم الصهيوني المعروف و. ز. فوستر (W. z. Foster) بأن على ماك أرتي أن يبتعد عن الميدان السياسي متطوعًا، وإلا أبعد عنه قسرًا، وإذا عجز الآخرون عن إقناعه، فسأضطر لتنظيف الساحة السياسية منه نهائيًّا.

ولكن لم تلن قناة ماك أرتي الصلبة أمام تهديدات اليهود وثابر على محاربتهم واتهامهم بالخيانة، ولقد كتبت صحيفة لوك (Look) في عددها الصادر في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩٥٥ تقول: «إن جميع الأسماء التي يقدمها ما أرتي إلى مجلس الأعيان، والتي يتهم أصحابها بالخيانة هم جلهم من اليهود».

وفي أعقاب هذه المقالة اشتد الصراع بين ماك أرتي واليهود، ودام اليوم الثالث من حزيران عام ١٩٥٧ الذي فوجئ العالم فيه بنعي ماك أرتي إليه من قبل جريدة مانشستر يونيون ليدر (Manchester union leader) ببعض الكلمات المقتضبة، اختتمتها بقولها: قتل ماك أرتي في المستشفي وانتهي الأمر.

وفي ١٢حزيران سنة ١٩٥٧ علقت صحيفة نيويورك ساندي نيوز (New – York Sunday News) على مقتل ماك أرتي وقالت: إن الرجال الشجعان أمثال ماك أرتي يرهبون اليهود ولذا يتعرضون لسخطهم، وعندما تتأكد دوائرهم السرية الخاصة من تفاقم خطر هؤلاء الرجال يسارع اليهود إلى القضاء عليهم وإزاحتهم عن الطريق مهما كلفهم الأمر. وفي ٢٣ تموز سنة ١٩٥٧ صدرت صحيفة بتسبورغ صن تليغراف (bittsburg sun Telegrabh) لتعلن للناس على لسان الكاتب اليهودي لويس بورتس (Louis Bortez) أن أطباء البحرية الأمريكية لم يتمكنوا من معرفة أسباب موت ماك أرتي.

ومع كل هذا ظلت السلطات المسئولة تتجاهل الموضوع، رغم أنها كانت تعلم أن السيد جورج برن (George Bern) سبق وأن نشر عام ١٩٥٤ أسماء ثلاث مائة جمعية

ومئات من رجالات اليهود في صحيفة نيويورك وأتهمهم بالتآمر على حياة ماك أرتي، وكما أنها قد اطلعت على ما نشرته جريدة ديلي سن (Daily Sun) اليهودية التي تصدر في لوس أفاكاس، والتي قالت صراحة بأن جمعية (The committee for aneffective congress) المكونة من ثمان مائة عضو (سبعمائة وخمسون منهم هم من اليهود) هي التي عملت على إزاحة ماك أرتي عن مسرح السياسة الأمريكية، كما أنها استمعت إلى شهادة السيناتور جورج ممثل جورجيا وزميله فيركيزون نائب مقاطعة ميشيغان، اللذين شهدا بأن بريد ماك أرتي كان يفتح يوميًا من قبل رجال المنظمات اليهودية وبصورة منتظمة، ولكن هذه التصريحات والشهادات ظلت في نظر السلطات وكأنها لم تكن، وطويت قضية ماك أرتي وكأنها من أتفه القضايا.

والأغرب من ذلك نرى أن التاريخ يعيد نفسه في أيامنا هذه، وتظهر لنا السلطات الأمريكية بنفس المظهر، وبنفس العجز أمام السيطرة اليهودية، وذلك في قضية مقتل الرئيس جون كندي، الذي اغتاله اليهودي أوزوولد (Oswoold) الذي فوجئنا بمقتله بدوره، وطويت القضية وكأن أوزوولد كان المسئول الوحيد عن هذه الجريمة التي هزت مشاعر الناس، بينما العالم أجمع يعلم أن أياد عريقة في الأجرام كانت وراء أوزوولد دأبت على العمل في الخفاء، دون أن تترك وراءها من الآثار إلا القليل جدًّا، ولكن هذا القليل كان دائمًا وأبدًا يكفي ليشير إليها في النهاية، ولكن بعد فوات الأوان.

ومسألة إتقان اليهود إخفاء آثار جرائمهم في أمريكا في غنى عن البيان، ولا تحتاج إلى نقاش، وذلك بفضل ما يملكونه من الجمعيات السرية التي يدفعونها للقيام بأعمال القتل والاغتيال، ولقد اشتهرت من بينها جمعية القبالّلو (Caballo) التي تدين أعضاؤها بكتاب القبال، وهذه الجمعية تقوم في أمريكا مقام جمعية الهسقالا (Hascala) اليهودية التي تعمل في البلاد الاشتراكية، وكلتاهما تأتمران بإمرة منظمة الكحال اليهودية العالمية.

ولجمعية القبال شروط ومواصفات لقبول الأعضاء، منها أنها تنتقي أعضاؤها من بين أطفال العائلات العريقة في يهوديتها، وتأخذهم منذ الصغر تحت رعايتها، وتنشئهم ضمن نظام معين وتلقنهم مبادئ خاصة بها، ومن ثم تعينهم في منظماتها،

حسب ميول وغرائز كل منهم وتنقسم منظماتها إلى فئات، ولكل فئة اختصاصها، فمنها مَن تخصصت في الشئون العلمية، ومنها مَن تخصصت بأعمال القتل والاغتيال، وينتظم الأطفال في هذه الفئات، ويتمون في صفوفها تدريبهم الخاص بالفئة التي انتسبوا إليها.

ولقد اشتهر أعضاء هذه الجمعية بتعصبهم القومي، وتطرفهم العنصري وهم أخطر أفراد الشعب اليهودي قاطبة، لا مكان للرحمة عندهم. ولقد قاموا في أمريكا بعدة جرائم تميزت بقسوتها، وفي هذا الصدد يحدثنا السيد أتيلهان[1] ويروي لنا إحدى قصص القبال ويقول: كان لعائلة يهودية غنية في مدينة شيكاغو الأمريكية ابن يدعي فرانك بولي، فوقع اختيار القباللو عليه لضمه إلى صفوفهم، فانصاعت عائلته لإرادتهم رغمًا عنها، وانضم فرانك إلى الجمعية وكلف بأن يعمل مع يهوديين آخرين وهما ناتان ليوبولد، وريشارد لوب وكانا مثله من أبناء الأغنياء، فنفذ فرانك التعليمات وباشر بعمله معهما، ولكنه فوجئ بعد مدة بغرابة التعاليم التي كانت تلقن لهم؛ إذ لاحظ تعارضها مع المبادئ الإنسانية، وخروجها على سنن الأخلاق والشرف، وتحريضها على الشر والعداء للإنسانية جمعاء، ونزوعها إلى الإرهاب والوحشية والقسوة اللامتناهية.

ولما كان فرنك محبًا للخير، ويعترف بفضل أمريكا والأمريكيين عليه وعلى بني قومه، وأقرب إلى النصرانية منه إلى اليهودية هاله الأمر، وأظهر امتعاضه من هذه التعاليم الداعية للحقد والكراهية، وصرح بأنها عقيمة، ولن تجدي اليهود شيئًا؛ لأن أهدافها خيالية وقذرة، ونصح رفاقه بالعدول عنها، واكتساب صداقة النصارى والتقرب إليهم، فعلمت قيادة الجمعية بتذمره، فعمدت إلى تنبيهه وإرجاعه إلى الانسجام مع تعاليمها، ولكن فرانك أبى إلا أن يثابر على دعوته للخير والإنسانية، فأمرت الجمعية باعتقاله في مكان سري حيث عُذِّب مرار، وفي إحدى المرات لاحظ جلادوه أن يحمل معه أيقونة مسيحية، فجن جنونهم فقتلوه وأذابوا جثته في الأحماض (أسيد) جزاء اعتناقه النصرانية، ولكن شاء القدر أن تكتشف الشرطة جثته، فظهرت الجريمة. وكلف المفوض ريكس واطسن (Rex Watson) أشهر رجال شرطة شيكاغو

---

(1) Atihan (islam ve Beni israil) page 108 – 109.

بالتحقيق في القضية.

ولما بدأ واطسون تحقيقاته تعرض لحملات الصحافة اليهودية طويلاً، كما كان يتلقى التهديدات، ولكنه ثابر على عمله، وتمكن من اعتقال قاتلي فرانك. وأحيلا إلى القضاء واعترفا بما جنته أيديهما، ولكن دون أن يبوحا بأسماء شركائهما، ولقد دامت محاكمتهما مدة طويلة (بدأت عام ١٩٢٠ وانتهت عام ١٩٢٥) وكان واطسن يمنع من حضور أكثر جلسات المحكمة حتى يحال بينه وبين إثبات الجريمة على اليهود، وأخيرا صدر الحكم القاضي بسجن قاتلي فرانك التعس بضعة أعوام رغم بشاعة جريمتهما، أما الصحافة الأمريكية فظلت صامته طيلة مدة المحاكمة، ولم تشر ولو بكلمة واحدة إلى هذه القضية المروعة.

وهكذا ظل الشعب الأمريكي جاهلاً تفاصيل هذه الجريمة البشعة، كما أن المفوض واطسن لم ينج من انتقام اليهود، وفوجئ بالتسريح من الخدمة بمجرد انتهاء القضية، مع أنه كان لم يزل في شرخ شبابه وبعد فترة وجيزة أنقذ الجرمان، وهكذا انتصر اليهود وهزم واطسن الشريف الذي ناصر العدالة، ليضع حدًّا للجرائم اليهودية في وطنه.

وهذه الجريمة ليست الوحيدة من نوعها بين الجرائم العديدة التي ارتكبها أعضاء القابالو، ففي أعقاب الحرب العالمية الثانية فوجئت أمريكا بجريمة أخرى: وهي أن الشرطة عثرت على الملياردير اليهودي سيرج روبنشتاين (Serge Rubinstein) مقتولاً في منزله بصورة محيرة؛ إذ لم يترك الجناة وراءهم أي أثر يشير إلى هوياتهم، فكلف المفوض الشهير روبير لويد (Robert lloyd) في التحقيق عن الحادث، رغم الأساليب التي استعملها لم يجد أي أثر عن القتلة. اللهم إلا أيقونة غريبة عثر عليها في كف القتيل، وهي من البلاتين وعليها صورة شيطان يرقص طربا عىى شعلة من النار.

وكان وجهها الثاني يحوي كلمة عبرانية عجز مفتش الشرطة عن قراءتها، ولكنه أيقن أن لهذه الأيقونة علاقة وثيقة بمقتل سيرج لما كان يبدو على القتيل من مظاهر الخوف والهلع الذي تعرض لهما قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، فحمل روبير الأيقونة وذهب لعند السيد ألن كودبريج (Allen Goodbridge) أستاذ اللغة العبرية في الجامعة، وطلب منه أن يترجم له معنى الكلمة المنقوشة على الأيقونة، فلما شاهد ما نقش

عليها كاد يقع صريع الرعب، وبعد أن استرد وعيه قال للمفتش: إنها تعني الإعدام (Harem) باللغة العبرية، وأن طرفها الثاني يرمز إلى منظمة القابالللو الشهيرة، وأن الأيقونة تعني أن المنظمة حكمت على سيرج بالإعدام، ونفذته.

وإزاء هذه المعلومات الصريحة لم يسع السلطات إلا متابعة التحري عن القضية، فتبين لها أن سيرج كان من يهود روسيا، وأنه انتسب منذ نعومة أظفاره إلى جمعية القابللو، وقدم لها خدمات جلى، مما أدى إلى ترقيته إلى أعلى المراتب في صفوفها، حتى أضحى أحد زعمائها الكبار، كما تضخمت ثروته بصورة عجيبة حتى اعتبر من أكبر أغنياء أمريكا، وهذه المعلومات اكتشفتها الشرطة من أوراقه الخاصة التي عثرت عليها في قصره الكائن في إحدى ضواحي مدينة من مدن ولاية كولورادو (colorado)، وكانت هذه الأوراق نصف محترقة مع مفكرة صغيرة خاصة به تحوى الجمل المتقطعة التالية: «يبدو أننا أصبحنا نحكم كل شيء في الوجود، ولم يعد في العالم مَن هو قادر على مجابهتنا، وأن كل قوى الأرض أعجز من أن تقاومنا... إن التعليمات التي أصدرتها إلى إسحاق نفذت حرفيًا، وهذا يعني أننا لن نصطدم بأي عقبة حتى في المرحلة الأخيرة... إن أوضاع أستر تبدو مضطربة بعض الشيء... نعم إن القباللو هي فوق الجميع، ولكن سيرج روبنشتاين أعني أنا سأكون في قمتها وسأحكمها مع العالم أجمع عاجلاً أو آجلاً، ماذا بإمكانهم أن يفعلوا معي؟ فأنا أعرف جميع أسرارهم وسأبوح بها إن هم وقفوا في وجهي... هم يجهلون كل شيء عني... وهم يفشون لي أعظم أسرارهم... ربما وقع ما لم يكن بالحسبان... يجب أن أحتاط لسلامتي تمامًا، وأن أموه عنهم جميع برامجي... إن أحد الممثلين الثلاثة بدأ يشك بي، ولكن سأسعى قريبًا لإزالته... إن عدم ورود الأخبار عن صديقي الكائن في الشرق يعجزني بعض الشيء، ولكن آمل أن تسير الأمور على ما يرام... يقول جاك: (إن الوضع يتطلب السرعة)... غدًا سأذهب مع مرغريت إلى البحر (البلاج) وفيما بعد، ربما بعد غد سأتوجه إلى جاك... إن الشيء المهم هو تدخل نيكسون في الوقت المناسب ولكن نيكسون... وهذه أيضًا مفاجئه سارة... يا ترى لماذا تاه نيكسون... قبل كل شيء هذه القضية...

ومن فحوى هذه المقاطع، استنتج أن سيرج بعد أن أصبح أغنى رجال القابالللو،

غرَّه الطمع ونزع إلى التمرد على الجمعية وفرض سيطرته عليها، فعلمت الجمعية بمراميه، وحكمت عليه بالزوال قبل أن يتمكن من إخضاعها. ورغم تحريات الشرطة، وانكشاف الأمر فقد حفظت قضية سيرج ضد مجهول، وأهملت السلطات تعقب أعضاء القابالّلو، وذهب سيرج ضحية غروره (وعلى الأصح ضحية طبيعته اليهودية التي لا تحجم عن الغدر حتى بأبناء قومه).

وذهب سيرج وانقضى أمره، ولكن الصحافة اليهودية لم تكتشف بإزالته، بل تعمدت الانتقام منه حتى بعد موته، فكتبت صحيفة الملاحظة (opservation) اليهودية تقول عنه، بكل شماتة: إن هذا المخادع الذي لم يسبق للعالم أن أرى مثيلاً له، كان سافلاً منحط الأخلاق، بقدر ما كان غنيًّا، ولقد طرد من فرنسا وإنجلترا لسوء سيرته وانحراف سلوكه، ولما عزم الالتجاء لأمريكا، غرر بأحد نبلاء البرتغال، وحصل منه على وثائق تثبت أنه ولده بالتبني، مقابل أن يدفع له في المستقبل بعض المال.

ولكن أين لسيرج أن يفي بوعده وهو الذي اشتهر بالدناءة، فعوضنا من أن يتوارى عن الأنظار بعد أن حصل على بغيته، عمد إلى التغرير بابنة البرتغالي الذي أحسن إليه، واعتدى على عفافها، ثم لاذ بالفرار ودخل أمريكا، فلما علم البرتغالي بالأمر فَقَدَ صوابه وانتحر وامتثلت به ابنته أيضًا.

وهكذا قضى سيرج على هذه العائلة المسكينة بسفالته وغدره، وكانت الفتاة قد كتبت قصتها مع سيرج وأرسلتها إلى السلطات في أمريكا، ولما حقق معه في الموضوع، أنكر سيرج القصة وأثبت أمام القضاء عن طريق استئجار شهود زور من أبناء قومه بأنه الابن غير الشرعي لهذا النبيل البرتغالي من امرأة يهودية، وهكذا لم يتورع هذا القذر حتى من اتهام والدته المتوفاة بالرذيلة أمام القضاء؛ لينقذ نفسه من التهمة الحقة الموجهة إليه. ولقد قال عنه القاضي ماك كوكي (Mc Gokey) الذي حقق معه أنه من أسفل المجرمين الذين رأتهم عيناي طيلة حياتي.

وهذا السافل أتى إلى فرنسا في شرخ شبابه، وبفضل إتقانه أساليب الخداع تمكن من أن يكون مديرًا عامًّا للمصرف اليهودي في فرنسا، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وبعد مدة وجيزة أخبر لافال (Laval) أن سيرج يقوم بأعمال غير شرعية فطرده من فرنسا، فالتجأ سيرج إلى بريطانيا، حيث تمكن مجددًا من لفت الأنظار إليه،

فأسندت إليه مديرية مصرف تشوسن ليمتد (Choso Ltd) وبعد فترة وجيزة اختلس أموال المصرف وأعلن إفلاسه، ولم يتمكن أحد من إثبات الاختلاس عليه، فطردته الحكومة البريطانية من الجزيرة، فخرج منها حاملاً ملايينه العديدة وساخرًا من غباء الإنجليز، فوصل إلى أمريكا بالشكل الذي سبق ذكره، وتضخمت ثروته بسرعة، وأصبح قبلة الأنظار حتى أن روزفلت اتخذه صديقًا ومستشارًا خاصًا له، ولقد اتهم سيرج عدة مرات بجريمة الاعتداء على القاصرات، ولكنه كان ينجو كل مرة من العقوبة بفضل نفوذه وأمواله، حتى كانت نهايته بالأمس بالصورة التي استحقها.

وهكذا لاحقت الصحافة اليهودية المغدور سيرج بعد موته، لتصرف الرأي العام عن الاهتمام بمقتله، وكأنه لم يكن يومًا من زعماء القابالل ومن أشهر أعضائها، وهذا المسلك اليهودي المشين إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى ما يصل إليه الحقد اليهودي الأسود على مَن يتعرض طريقهم، حتى ولو كان منهم، ومن الناحية الثانية تكشف عن مدى سيطرة القابالل في أمريكا.

ولجمعية القابالل في أمريكا نشاط سياسي واسع، بلغ حد إصدار النشرات التوجيهية الدورية وتوزيعها سرًا على اليهود، بغية تشجيعهم على التمسك بقوميتهم، وحضهم على متابعة النضال تحت إشراف جمعية الكحال. وفيما يتعلق بهذه النشرات يحدثنا السيد (أتيلهان) عنها مطولاً في كتابه (الإسلام وبني إسرائيل) ويقول: إنه تلقى عددًا من هذه النشرات التي أرسلها إليه بعض أصدقائه من الأمريكان المخلصين لبلادهم. ولقد ترجم السيد أتيلهان بعض هذه النشرات ودوّنها في مؤلفه الآنف الذكر.

ونظرًا لما تحويه هذه النشرات من الأمور الغريبة التي تفضح الكثير من أسرار اليهود، وتوخيًا لاطلاع القارئ الكريم عليها، ندون فيما يلي ترجمة أحدها كما أوردها السيد أتيلهان، وهي تبدأ بالنداء التالي الموجه إلى اليهود: «يا أبناء الشعب المختار، تحياتنا الصادقة، نحن على يقين بأنكم تتلهفون شوقًا لبلوغ اليوم الذي سيلتئم فيه شملنا، ونسترد فيه هويتنا الأصلية، هذا اليوم الذي سيعرف فيه العالم على سادته الحقيقيين، لابد أنكم مللتم الانتظار الطويل، وفرغ صبركم، وتسرب اليأس إلى نفوسكم، ولكن ثقوا أيها الإخوة، أننا نعمل ليل نهار وبدون كلل، لنقود العالم إلى

حيث يجب أن يقاد، واعلموا أن جهودنا ومساعينا لن تذهب سدى، وسترون عما قريب كيف أن شعوب العالم ستخر ساجدة على أقدامنا، فمهلاً أيها الإخْوة نحن ننتظر أيضًا مثلكم بزوغ فجر اليوم الذي سنعلن فيه سيادتنا على الدنيا، فلا تيأسوا واعلموا أن الموعد قد اقترب، فأبشروا بالخلود، وعما قريب ستشاهدون ملك صهيون وقد امتلك زمام أمم الأرض قاطبة، وسترونه قد وضع على مفرقه تاج عرش الدنيا، عندها سيتهي انتظاركم الممل البغيض، وستستعيضون عنه بالسعادة الأبدية، وكل هذا بفضل المناهج والدراسات التي وضعها لنا حكماؤنا (يعني حكماء صهيون) والتي بدأت تتحقق شيئًا فشيئًا. واعلموا أن العهود المظلمة التي عشنا فيها تحت ظل العبودية والظلم قد ولت إلى الأبد، وأن قطعان الماشية التي تسمى نفسها بشعوب العالم (يعني الشعوب غير اليهودية) بدأت أخيرًا تخضع لنا وتنحني لرغباتنا. أيها الرفاق لا تظنوا أننا وحدنا في هذا الصراع المرير، فلنا عدد لا يحصي من الأنصار والأتباع في صفوف تلك القطعان، وهم ممن غررنا بهم وأخضعناهم لرغباتنا، فأصبحوا أتبع لنا من ظلنا، فانتشروا في القارات الخمس يعملون لتحقيق مآربنا، ونشر تعاليم منظماتنا التي يتسبون إليها، ويخلصون لنا لدرجة العبادة، حتى أن واحدهم لا يحجم عن بذل دمه في سبيل إرضائنا؛ لأننا سلبناهم الإرادة، وغدوا لا يفقهون شيئًا، ولا يهتمون إلا بتنفيذ أوامرنا، وإذا اقتضى الأمر لا يتورعون عن الاقتتال فيما بينهم صونًا لأهدافنا، أيها الإخْوة ألم تروا كيف أوقعنا بين أفراد الحزب الواحد في المجر، حتى اقتتلوا فيما بينهم؟ أما شاهدتموهم وهم ينفذون مخططاتنا التي تقضي بأضعاف ثقة الناس ببعضهم البعض، حتى وان كانوا أفراد حزب واحد أو إخوة أشقاء؟ وذلك كي لا يسود التفاهم بينهم ويعمدوا في المستقبل لمناهضتنا، ثقوا أيها الإخْوة بأننا سنحول دون أي تفاهم أو اتفاق بين الشعوب والفئات، ولتغذية هذا النزاع بينها سيثابر مصنع أضاليلنا على ابتكار المزيد من المبادئ المتضاربة التي سنلقمها إلى هذه الشعوب والفئات كل على حدة، وستتبناها كالعادة وكأنها وحي يوحى، وسيقوم كل شعب أو فئة بالدعوة لمبادئه، ويتمسك بوجهة نظره، وسيحتدم النزاع بينه وبين الشعوب الأخرى، وهكذا سيظل الصراع قائمًا إلى الأبد بين الشعوب، وسنعمد إلى إبقاء الكفة متعادلة بين المتقاتلين، حتى لا ينتهي الصراع بانتصار فئة على أخرى، وبهذا الأسلوب سنطيل

القتال ويبقى سجالاً إلى أن يعجز الجميع عن القراع، وتضمحل قواهم، وتتمزق وحدة الفئات والشعوب من جراء تعدد الكوارث والنكبات، فتسود الفردية والمادية في كل بلد، ويفقد الناس الثقة ببعضهم البعض، ويعم الفقر والفاقة، فيتنكر الوُلد لأبيه والأخ لأخيه، وعندها ستفقد الشعوب مقوماتها الأساسية، وسيصبح أفرادها ماديين، لا يعيش واحدهم إلا لنفسه، كمثل الحيوان الأعجم الذي لا غاية له سوى البحث عما يملأ معدته الخاوية، وهكذا سنعيد البشر إلى ما كانوا عليه قبل ألوف السنين.

وفي هذا الوقت نكون نحن قد وصلنا إلى أوج القوة والعظمة، بفضل تعاوننا على تنفيذ مناهجنا القويمة، ومحافظتنا على وحدتنا القومية وتمسكنا بتقاليدنا ومعتقداتنا، عندئذ سيهون علينا إعلان سيطرتنا على العالم، ولكي نقترب من هذا اليوم نتوسل إليكم أن ترصوا صفوفكم وتوحدوا جهودكم، وثقوا أيها الإخْوة أننا سنصل إلى غاياتنا؛ لأننا وهبنا ميزة التقدير الصحيح والتفكير العميق، التي حرمتها الطبيعة على سوانا من البشر، ولذا لن يشعروا بما نبيته لهم، فهم دائمًا كما عهدتموهم أغبياء سذج يصدقون كل ما يقال لهم؛ لأنهم عاجزون عن التفكير والتقدير، ولهذا فهم دائمًا بحاجة إلينا، لنستنبط لهم المبادئ، ونوجد لهم الشعارات ليأخذوها عنا، ويتبنوها وكأنها صالحة، دون أن يناقشوها أو يتحروا عن مراميها، مع أننا نلقنهم إياها لنقودهم في دروبها إلى حتفهم، فلو علموا ما نرمي إليه منها لعزفوا عنها، ولكنهم يجهلون مقاصدنا، ولن يعرفوا أبدًا ما نرومه؛ لأنهم عاجزون عن التفكير والتقدير؛ ولذا نقول لكم أيها الإخْوة: لا تخشوا النتائج، وكونوا أقوياء، وانبذوا الأوهام والمخاوف، وثقوا بنا وبالمستقبل الباهر الذي ينتظرنا، واعلموا أن تقديراتنا لا تخطئ أبدًا.

أما رأيتم كيف أوجدنا قضية الزنوج في أمريكا ليتصارع السود والبيض، ويتلهوا بمصيبتهم عن مراقبة ما نفعله وما نحققه من مصالحنا الخاصة أنسيتم كيف زججنا بدول العالم الغبية في الحرب العالمية الأولى لتتذابح شعوبها مدة أربعة أعوام، دون أن يكون لها في هذا الصراع غرض إلا تحقيق غاياتنا، وهل غاب عنكم أننا عدنا في الأمس القريب إلى دفع تلك الشعوب مرة أخرى، لتسفك دماء أبنائها على مذبح أهدافنا، التي أراد هتلر وموسوليني ومَن كان معهم أن يمنعونا من الوصول إليها، أما

شاهدتم بأم أعينكم ما فعلته هذه الشعوب المسخرة بهتلر وموسوليني، ألا تتساءلون أين أصبح هتلر وشعبه الجبار وأين موسوليني وجيوشه الجرارة؟ نعم أين هم جميعًا؟ لقد ذهبوا مع الريح لأنهم وقفوا في وجهنا، ثقوا أيها الإخْوة أن الأوباش (غير اليهود) لا مناص لهم من تنفيذ رغباتنا، فهم يجهلون أننا نحكم أكثر دولهم، وهم يختارون دائمًا لحكم بلادهم من نرشحهم من أتباعنا، حتى المنظمات العمالية تخضع لمشيئتنا وأفرادها يختارون ممثليهم من بين أتباعنا الذين هيئناهم منذ أمد بعيد لهذه المهام.

والتعليمات التي نصدرها لهم تباعًا، هي التي تكفل لهم النجاح بين أترابهم، وهذه التعليمات تصدر إليهم بصورة غير مباشرة، ومن وراء الستار، حتى لا ينتبه أحد إلى كونها صادرة عنا، وهي تصلهم مع المعونات المادية عن طريق أفراد من جنسهم، وهكذا نسيطر على الجميع دون أن يشعر بذلك أحد.

أيها الرفاق لقد زعم بعض سياسي أمريكا أنهم اكتشفوا بأننا نسيطر على الحزبيين الأمريكيين؛ ولهذا عمدوا إلى تشكيل وإيجاد حزب ثالث على أن يكون خاليًا من أنصارنا، فاعلموا أن هذا الحزب الجديد سيكون أيضًا تحت سيطرتنا، وسيخضع مثل سواه لمشيئتنا.

أيها الإخْوة كونوا على يقين أن كل مَن يجرؤ على التدخل في شئوننا سنلحقه بالسيناتور ديس (Dies) والسيناتور ماك أرتي والسيناتور إستلاند (Eastland) والسناتور ووكر (Walker) والكونت برنادوت (Bernadotte) والسيناتور فورستال (Forstal) الذي قضينا عليه مؤخرًا بقذفه من إحدى نوافذ منزله، أما ما فعلناه بمناوئنا اللدود الجنرال ماك أرثر (Mc Arthur) فهو في غنى عن البيان وكلكم يعرفه حق المعرفة.

أيها الإخْوة، كان الأغبياء (غير اليهود) يصفوننا بالجبناء، ولكنهم واهمون، نحن اليوم أقوياء ونمتلك القوة الذرية في كل البلاد التي تدعي ملكيتها، والمستقبل سيكشف هذه الحقيقة لِمَن كانوا يزعمون أننا جبناء، نحن نعمل دون كلل، ولقد سلبنا شعوب الأرض أكثر أموالها، وسنسلب ما تبقى منها لديهم بحجة توطيد نظام التكافل المالي والاقتصادي الذي استنبطناه.

واعلموا أيها الإخوة أننا أعددنا لكل شيء عدته، وبفضل فرية السلام العامة، التي جعلناها بمثابة الصلاة اليومية للإنسانية جمعاء، لكثرة ما تحدثت عنها إذاعاتنا، سوف نحطم أعصاب البشرية برمتها، وسنركز جهدنا على تذكير الناس بالأهوال المرتقبة من الحروب، لنرهبهم ونجعلهم يلتمسون تجنبها مهما كان الثمن، عندها سنخرج عليهم بفكرة الدولة العالمية الواحدة، بحجة أنها الوسيلة الفريدة للحيلولة دون قيام الحرب، بينما سيكون هدفنا الحقيقي منها التمهيد لإزالة الفوارق العنصرية والدينية، لتنصرف الشعوب المعادية لنا عن مراقبتنا والتحري عن خفايا مناهجنا، ومن ثم أضعاف النزعات القومية والوطنية بين أفرادها، ولإيهامها بنبل دعوتنا، سنروج لفكرة التعاون الاقتصادي بين الدول بحجة السعي لرفع مستوى الشعوب المتخلفة، وسنشجع الدول الرأسمالية الخاضعة لنا على منح القروض للدول الأخرى، ولإغفالها عن مراقبتنا سنبادر إلى الإسهام بقسم من هذه القروض، ومن المؤكد أن الدول الكبرى ستلبي دعوتنا لتظهر بمظهر المحبة للخير والإنسانية، ومن جهة ثانية لتسيطر بزعمها على الدول التي ستتلقى منها القروض (وإن صح زعمها هذا، فتكون في الواقع أخضعت تلك الدول لمشيئتنا بصورة غير مباشرة، باعتبار أنها هي نفسها خاضعة لنا) وبهذه الطريقة سنوزع ما تبقى من الثروات في حوزة الشعوب الأخرى (دون أي أمل في تحقيق الغاية الاقتصادية المرجوة من هذا التوزيع على العالم).

أما نحن فنسترد أموالنا التي ساهمنا بها مضاعفة، بفضل مصانعنا التي بلغت نسبتها ٩٠ ٪ من مجموع مصانع العالم، والتي ستضطر الدول النامية لابتياع ما ستحتاجه من الأدوات اللازمة لإقامة المصانع وقطع تبديلها. بينما الدول الدائنة ستفقد حتمًا أموالها؛ لأن الدول المدينة لن تتمكن من رد فلس واحد منها؛ لأنها ستفقد أموالها دون أن توصل إلى تطوير صناعتها التي ستصطدم بمنافسة مصانعنا، فتنهار اقتصادياتها من ذي قبل.

وفي نفس الوقت تكون أجهزتنا الأخرى، قد توصلت إلى تعميم المبادئ والأفكار الداعية للإلحاد واللاأخلاقية والمسفهة للنزعات القومية والوطنية، والمشجعة على المادية والفردية، وهكذا ستوصل إلى تجريد العالم من ثرواته ومعتقداته ومثله،

وسنغرقه في المادية والفردية، ليصبح جاهزًا لتقبل سيادتنا في الوقت الذي ستختاره بأنفسنا.

وثقوا أيها الإخوة أننا خطونا في تحقيق هذه المناهج خطوات واسعة خاصة بعد أن فزنا بثقة الكفرة (يعني غير اليهود) في الميادين العلمية، بفضل العلماء والعباقرة أمثال سغموند فرويد (S. Freud) وألبير أينشتاين (Albert Einstein) وجواناس سالك الذين أوجدناهم، وهم اليوم يعتبرون من قبل الأجيال الصاعدة آلهة العلم والعبقرية؛ لأنها تجهل حقيقتهم، أما نحن فنعرف كيف ولماذا أوجدناهم؛ لأننا قدرنا أن بإمكانهم التأثير عن طريق العلم على المعتقدات الشعوب وإضعافها، وذلك بإجراء مقارنات بين النظريات العلمية الملموسة وبين النظريات الروحية المبهمة، لإثبات وضوح نظرياتهم أمام الناشئة بغية دفع الشباب إلى التشكيك بالنظرات الروحية وبالتالي إلى نبذها، والتعلق بالنظريات العلمية المادية.

ومن خلال النتائج التي توصلنا إليها أيقنا أن نجاحنا في هذا المضمار كان واسعًا جدًّا، بدليل أن الكفرة الأغبياء عمدوا إلى نبذ كل معتقد غير ملموس، انسجامًا مع ما تلقنوه عن علمائنا الذين يعتبرونهم أكثر قدرة على الخلق والإبداع من خالق الطبيعة، ومن هنا انزلقوا في متاهات الكفر والإلحاد، وانهارت معتقداتهم وأخلاقهم، وشرعوا ينظرون إلى رسلنا العصريين نظرة إجلال وإكبار، ولا يرون اليوم غضاضة في احترامنا وتقديرنا باعتبارنا أبناء الشعب الذي أنجب هؤلاء الرسل.

ومن الجهة الثانية تمكنا بفضل صعاليكنا أمثال بيكاسو، وجيتراند ستين، وجاكوب أبستين من إفساد الذوق الفني لهذه الشعوب، ومحو أثر الفنون اليونانية والرومانية العريقة التي لا تمت إلينا، مع أن فنانينا ما هم إلا صعاليك معتوهين، أبعد كل هذا هل يمكن لأحد أن يشك في قدرتنا على سيادة الشعوب؟

أيها الإخوة، إننا لم نعد نخشى أحدًا، ولن يجرأ أحد بعد اليوم على مناصبتنا العداء، ولو قُدِّرَ لأحد الأغبياء أن يتصدى لنا، لما احتجنا لأكثر من أن نوعز لصحافتنا لتشهر به، وتوصمه بالنازي واللاسامي والعنصري، فلا يلبث أن يجد نفسه محتقرًا منبوذًا من قبل العالم أجمع، فيضطر للتواري عن الأنظار قبل أن تحل به الكارثة التي حلت بسواه، ولقد نجحنا مرارًا في اتباع هذا الأسلوب القديم، وأيقنا أنه من

أمضي أسلحتنا، أتدرون لماذا؟ لأن الكفرة (غير اليهود) تخلوا لنا نهائيًا عن حقهم في التفكير والتوجيه، وعلى الأخص بعد أن سيطرنا على كافة وسائل الإعلام والصحافة؛ ولهذا فهم دائمًا بانتظار ما نقوله وما نوجههم إليه، فيتخذون أقوالنا ليرددونها دون وعي أو إدراك، ويتقبلون توجيهاتنا دون تحقيق أو جدال، والبرهان على غفلة الكفرة هو أن الروس اكتشفوا منذ نصف قرن نوايانا، وذلك عندما عثروا على منهاجنا السري (بروتوكولات الصهيونية) (Les brotocoles de Sion). فلما عمدوا إلى تعميمه، أنكرناه وكذبنا انتسابه إلينا. وتوصلنا إلى إيهام الناس أنه من مستنبطات أعدائنا، فصدقنا العالم وكذب من عثروا عليه، وهكذا طمسنا معالم الجريمة، قبل أن يشعر أحد بخطرها، وكل ذلك لأن الأغبياء لا يرون إلا بأعيننا، ولا يفكرون إلا بما نوحيه إليهم، ومسلكهم هذا هو أكبر برهان على صدق قول التلمود الذي نستمد منه منهاجنا، هذا الكتاب المقدس الذي نعتهم بالحيوانات المسخرة لنا.

أيها الإخوة فكروا جيدًا، ألا يحق لكم بعد كل هذا أن تفاخروا بكونكم منا، نحن الذين نملك الصحافة والمطبوعات في العالم، ونوجه ثقافة الشعوب، ونسيطر على السينما والراديو (الإذاعة) وجميع وسائل التوجيه والإعلام، ثقوا بأننا نوجه العالم حيث نشاء، فالشعوب تصفق لِمَن نصفق له، وتحتقر مَن نحتقره، ولا تفكر إلا بما نفكر به، انظروا إلى هذه الكتل الحيوانية، كيف تتصارع لتقضي على النزعات الوطنية والقومية، واسمعوا كيف يتبارى خطباؤها للنيل من كل ما يسمى بالقومية والوطنية، وكيف ينعتون المناهج القومية العنصرية بالمناهج البغيضة، وكيف يصفون التقوى بالتعصب الديني الكريه، وكل ذلك لأنهم سمعونا نقول بعدم إنسانية المبادئ اللاسامية، ورأونا نساند حقوق الإنسان، ونندد بكل مَن يخالف أقوالنا، فراحوا ينادون بما سمعوه كالببغاوات العجماوات، دون أن يدركوا أن تنديدنا باللاسامية كان لحماية أنفسنا، وترويجنا للأفكار المعارضة لها ما كان الغرض منه إلا استرداد حقوقنا السياسية في بلادهم التي لا يربطنا بها أي رباط، ولكن عجزهم عن التمييز جعلهم يتطوعون لخدمتنا هكذا وبدون تفكير.

إن السيطرة التوجيهية التي نمتلكها لا حد لها، فعندما نلاحظ مثلاً أن بعض أساليبنا المالية التي أوجدناها في الماضي لم تعد في مصلحتنا، نسارع إلى التنديد بها

ونستبدلها، فلا يلبث العالم أن يندد بالأساليب القديمة وينبذها، ويتبنى ما أحدثناه مجددًا، كان نقوله هو وحي يوحى. وعندما يتصدى لنا أحد الزعماء والقادة، نبادر إلى قرع أجراس الخطر، فتهب صحافتنا وسائل التوجيه التي نمتلكها إلى مقارعة المتصدي، وتنهال عليه على مبادئه بالتقريع والتكذيب والتشويه والتسفيه، ونلفق له ولمبادئه كل ما يحط من قدره وقدرها، ونصر على ترديد كل ما يشين المتصدي دون كلل أو ملل، حتى يقف العالم أجمع في صفنا، فيتحطم المتجاسر وينهار إلى الأبد[١].

ثقوا أيها الإخوة أن الأجيال الصاعدة هي ملك أيدينا، ولقد وجهناها حسب رغباتنا فهي اليوم لا تهتم إلا بما لقّناها إياه، وأفرادها لا يعملون إلا لتحقيق الانتصارات الشخصية الهزيلة، وواحدهم لا يفكر إلا بمصلحته الخاصة، كالحيوان الأعجم تمامًا، فلم يعد لمسائل القومية والوطنية أو الجماعية أي قيمة لدى الأفراد، فهم يسيرون وفق المثل القائل: لكل امرئ ما جناه. إن المناهج الدراسية التي وضعناها والتي تبنتها كافة الشعوب لا تناسب إلا مقاصدنا وحدها، والكتب الحاوية عليها وضعت وفق توجيهاتنا، ولهذا تجدون أن الطلاب يقضون ستة عشر عامًا من حياتهم في مطالعة ودراسة ما أردناهم أن يطلعوا عليه، ولما كانت المناهج خالية من كل أنواع التوعية، أو الداعية لدقة التفكير، فإن الطلاب يتخروجون من معاهدهم، وأدمغتهم محشوة بعلوم ومبادئ معينة، أرغموا على تعليمها واعتناقها، فلا يسعهم فيما بعد إلا السير ضمن النطاق الذي شبوا فيه، ومن هنا يصبحون مسيرين، لا ينزعون إلى التفكير والإحداث، بل للتقليد والاقتباس، وهكذا يظلون حيث خططنا لهم، بينما أولياؤهم الأغبياء الذين صرفوا عليهم ما ملكت أيديهم، ينظرون إليهم بفخر واعتزاز كلما سمعوهم يتشدقون بالمبادئ والكلمات الجوفاء التي ملأنا أدمغتهم الصغيرة بها، وبفضل هذه المناهج أصبحت الأجيال المتعاقبة تعيش طبق نطاق مفاهيمنا.

أيها الرفاق إن سيطرتنا على الانتخابات في الولايات المتحدة تشير بوضوح إلى مدى تأثيرنا على المجتمع الأمريكي، فعندما نساند أحد المرشحين يبادر المواطنون

(١) ملاحظة: لقد أضيف على قاموس الشتائم والتهم اليهودية في السنين الأخيرة كلمة شيوعي إضافة إلى النعوت السابقة كالنازي والفاشي واللاسامي، وذلك بعد أن عبد الروس في بلادهم إلى تقليص ظل النفوذ اليهودي والحد منه. (دار البشير).

لانتخابه تأييدًا لمزاعمنا، وبهذا الأسلوب، وبفضل قوة وسائل دعايتنا رفعنا روزفلت إلى سدة الرئاسة في الماضي، ويجب علينا الآن أن نسلك نفس السبيل وأن نختار مرشحنا من بين من نثق بهم، حتى لا نصاب بخيبة أمل.

أيها الإخوة كنا في الماضي نوجه إليكم نشراتنا باللغة اليديشية (اليهودية العامة) ولكننا لاحظنا أن أكثركم يجهل هذه اللغة؛ لهذا قصدنا هذه المرة أن نوجه إليكم نشرتنا بالإنجليزية بغية تعميمها على الجميع، وبما أنه من الممكن أن تسقط في أيدي أعدائنا، نوصيكم أن تكونوا حريصين على إخفائها، وإذا صدف وأن اشتهر أمرها، نطلب إليكم أن تنكروا نسبتها إليكم، وأن تعلنوا أنها مدسوسة عليكم من قبل اللاساميين وأعداء اليهود، وثقوا أن الناس سيصدقونكم لأننا عودناهم على حسن الظن بنا.

أخيرًا يا أبناء إسرائيل، اسعدوا واستبشروا خيرًا، لقد اقتربت الساعة التي سنحشر فيها هذه الكتل الحيوانية (غير اليهود) في إسطبلاتها، وسنخضعها لإرادتنا، ونسخرها لخدمتنا، ومن المعتقد أن يظهر الشعب الأمريكي نحونا بعض العداء في المستقبل، ولكن سوف نتغلب عليه ونروضه عن طريق إقامة الدولة العالمية الواحدة، دولة بني إسرائيل العالمية، واعلموا أننا قريبون جدًّا من تحقيق هدفنا هذا، وسنكون في القريب العاجل سادة الأرض، وسينتشر السلام في الدنيا تحت ظل عَلَمِنا، فرددوا معنا: عاشت أمتنا»[1].

التوقيع/ ملك الصهيونية المنتصرة على العالم

ويعلق الجنرال أتيلهان على هذا التعميم اليهودي فيقول: «نعم إن الجنرال ماك أرثر استقال من منصبه في الجيش لأسباب سياسية عديدة، ومن جملتها تدخل اليهود في الشئون الدفاع الأمريكي، ولكنه ليس صحيحًا بأن اليهود هم الذين طردوه من الخدمة. ولكن العالم أجمع يعرف أن ماك أرثر أصر على استقالته رغم المحاولات العديدة التي بذلت للاحتفاظ به، وأكبر دليل على تقدير الشعب الأمريكي وكذب مزاعم اليهود هو ذاك الاستقبال الرائع الذي استقبله به الشعب الأمريكي عند عودته إلى أرض الوطن؛ إذ كان عدد المستقبلين يربو في مدينة نيويورك وحدها على

---

(1) C. A. Atilhan (islam ve Beni israil) page 125 – 127.

الثمانية ملايين نسمة، ولقد حملته الجماهير المحتشدة على الأعناق حتى مقره، صحيح أن اليهود أرادوا أن يلوثوا سيرة ماك أرثر النقية، عندما أشاعوا انتسابه للماسونية زُورًا وبهتانًا، ولكن الشعب الأمريكي كَذَّب هذه الإشاعات ولم يصدقها، كما أن ماضي ماك أرثر وشهرته في مناوأة الصهيونية والماسونية، كانا بمثابة أدلة قاطعة لدحض الإشاعات اليهودية، فلم تنطل الأكاذيب التي زعمت أنه ماسوني على أحد، وكان اليهود وأنصارهم يرومون من هذه التهمة الباطلة، وصم ماك أرثر بالتبعية لليهودية، ولكن خاب فألهم وذهبت مساعيهم أدراج الرياح.

أما ما جاء في النشرة عن مقدرة اليهود في رفع شأن مَن يرضون عنه عن طريق الدعاية له بواسطة ما يمتلكونه من وسائل الإعلان والإعلام، فنحن نقر بكل أسف بقدرتهم هذه؛ لأننا نعلم الكثير عن الأساليب التي اعتمدوها لإيصال بعض رجالاتهم كاينشتاين سواه إلى قمة المجد والشهرة، مع أن أبطالهم كانوا يفتقرون لكل المقومات اللازمة لبلوغ تلك الشهرة، فمثلا نعرف أن أينشتاين لم يكن في عام ١٩٠٥ سوى مسجلاً للاختراعات الحديثة في الدائرة الفنية في سويسرا، وكانت مهمته تنحصر في قيد وتسجيل ما يرده من الاختراعات أو النظريات العلمية الحديثة ومقارنتها بسابقاتها، حتى لا يكون هناك ازدواج في الاختراعات أو النظريات الحديثة، كي لا تتورط الدولة في منح إجازات أو براءات (batent) مكررة، ومهنته هذه كفلت له الاطلاع على كل النظريات العلمية التي أوجدت في تلك العهود، ولما كان ذو إلمام كافٍ في العلوم الرياضية، بادر إلى الاستفادة مما كان يرده من المعلومات الجديدة، وعمد إلى المقارنة والتدقيق، ومن ثم حَوَّر بعض النظريات بصورة جزئية، وزعم أنه واضعها أو موجدها، ومن جملتها نظرية التحول التي سبق العالم لورانتز (Lorantez) أن أوجدها، فما كان من أينشتاين إلا أن حور طريقة حلها إلى طريقة غاليله (Galilee) وادعى ملكيتها وبنى عليها نظريته الخاصة (النسبية) التي اشتهر بها، مع أن التباين في طريقة الحل لا يعتبر خطأ في معالجة المسائل العلمية طالما كانت القواعد والنتائج واحدة.

ولقد قيل: إن اينشتاين ساهم في الأبحاث الذرية، مع أن مساهمته في هذا المضمار لم تتعد حدود التعمق في النظريات التي أوجدها سواه، خاصة ما وضعه العالم الألماني

أتو هاهن (Otto Hahn) وماكس بلانـد (Max blanck) الـذي اكتـشف تكـوين المـادة وحدد جزئيات الذرة، وأثبت نوعية الإشعاعات وطريقة انتـشارها منـذ عـام ١٩٠٠. وهذه المعلومات التي كانت في متناول يد أينشتاين بحكم عملـه، هـي الـتي هيأت لـه ظروف التعمق في دراساته العلمية فاستثمرها في حسابه الخاص، ونسبها إلى نفسه مـع أنها كانت أصلاً مما وجده العالم بلانك.

وفيما يتعلق بالنظريات العلمية التي وجدت في القرن العشرين، نشر العالم الـذائع الصيت لوى دوبروغلي جدولاً يتضمن أسماء أصحاب النظريات العلمية قـال فيـه: إن ماكس بلانك هو الذي أوجد نظرية الطاقة وانتشار المادة السوداء عام ١٩٠١، وأن اينشتاين وجد نظريته النسبية عام ١٩٠٥، المنبثقة من نظريتي لورانتز وغاليله. والعـالم روت هيرفور (Rut Herfort) أوجـد نظريـة الـدائرة أو الـدورة الذريـة الـسيارة عـام ١٩١٠، ومن ثم أوجد نظرية القذرة الإشعاعية الاصطناعية عام ١٩١٩».

ويثابر أتيلهان في تعداد النظريات العلمية الـتي أوجـدت في مـستهل هـذا القـرن، ويؤكد اعتداء أينشتاين على حقوق أصحابها وسرقتها منهم ونسبتها لنفسـه، وراحـت أجهزة الدعاية اليهودية تهلل له، ولما سرقه من النظريات العلمية، حتى توهم النـاس أنه رب العلوم الحديثة وسيد عباقرة الأرض، بينما هو ليس إلا لـصًا عاديًـا، جعلـت منه الأبواق اليهودية ما هو عليه من الشهرة.

ويقصد أتيلهان من تعليقه هذا إثبات قدرة أجهزة الدعايـة اليهوديـة علـى جعـل الباطل حقًا، بفضل قوتها، وغباء الشعوب غير اليهودية، كما أن أتيلـهان يرجـو مـن وراء تعليله تنبيه البشرية إلى خداع اليهود، الـذي لم يعـد معـه إمكـان لمعرفـة حقـائق الأمور[1].

ويزيدنا أتيلهان علمًا بالجرائم اليهودية في أمريكـا، ويقـول: إن في أمريكـا جمعيـة وطنية تصدر نشرات دوريـة بكـل مـا يتعلـق بـالأمن الـوطني الأمريكـي تحـت اسـم الصليب والعلم (The Cross and the flag) ولقد أصدرت هذه الجمعية في أواخر عام ١٩٥٥، نشرتها الدورية التي تبحث عن قصة عجيبة تتعلـق بنـشاط اليهـود الهـدام في أمريكا تحت عنوان: الحاخام جواشيم برنز يـشرح وثـائق المخطـط الـسري اليهـودي

(1) C. A Atilhan (islam ve Beni israil) page 130 – 131.

الأخير، وأرفقت العنوان بالتحدي التالي: «إن هذا الخبر مع كل ما يحويه من المعلومات، قدم إلينا من قبل مخبر يهودي تطوع بملء إرادته ليقصه علينا في عقر دار مجلتنا، فإذا أراد أحد القراء أو إذا شاءت دائرة مراقبة النشاط المعادي لأمريكا أن يتأكد من صدق روايتنا، أو أن يحصل على معلومات إضافية، فإننا نعلن منذ الآن، بأننا على أتم الاستعداد لإثبات خبرنا، ولتقديم المزيد من التفصيلات، حتى لتهيئة مقابلة وجاهية[١] للشخص أو الجهة السائلة مع مخبرنا اليهودي صاحب الخبر».

ومن ثم استهلت قصتها بما يلي: في تمام الساعة الحادية عشر والنصف من ليلة الثاني عشر من حزيران، بينما كنا ثلاثة من موظفي مجلتنا، نقوم بعملنا المعتاد، ونتفحص أكداس الأوراق الموجودة على مكتبنا المشترك، وقد أغلقنا النوافذ بعد أن خلت الدائرة من الموظفين الآخرين، وإذا بأحدنا المدعو توني يرمي من يده أحد التقارير، ويقول مخاطبًا: يبدوا أن الحمر يبذرون الأموال الطائلة في بلادنا لدعم سياستهم فيها، ويظهر أن بعض رجال المال يساعدونهم بذلك، إذ أن جلب كل هذه الأموال الطائلة من روسيا إلى مدينة لوس أنجلوس في كاليفورنيا دون أن ينتبه إليها أحد يكاد أن يكون مستحيلاً، ومن هنا أرى أن الأموال اللازمة لهذه الدعاية تقدم محليًا، ومن قبل بعض الأغنياء الأمريكيين بالذات، أما القول بأن هذه الأموال تجمع من العناصر الشيوعية الفقيرة، فيبدو لي أنه من الهراء بمكان؛ لأن جمع هذه المبالغ الكبيرة من تلك الأقلية الفقيرة لا يمكن تصديقه بتاتًا، وعلى الأخص أن هذا التقرير يشير إلى صرف مبالغ خيالية في سبيل الدعاية الماركسية، فالمظنون هو أن الرأسمالية اليهودية هي التي تقدم هذه الأموال، وأعتقد أنكم توافقونني على رأيي هذا».

وأردف يقول: «ولكن كما تعلمون فإن افتقارنا للمعلومات الأكيدة يَحُول دوننا وكشف الستار للجمهور عن ذلك».

ومن ثم نظر إلى ساعته وهتف قائلاً: يا إلهي لقد تأخرنا كثيرًا، إن زوجتي العزيزة هي الآن حتمًا قلقة لغيابي الطويل. فأجابه رفيقنا شارل مبتسمًا: عزيزي توني إن كل مَن يتزوج حديثًا يكون عادة على شاكلتك، ولكن لا بأس سوف تعتاد، ستنسى زوجتك في المستقبل عندما تكون منهمكا في عملك في المكتب، ولكن كل هذا لا ينفي

---

(١) أي وجهًا لوجه. (دار البشير).

أننا تأخرنا أكثر من المعتاد فهلموا بنا إلى منازلنا. وفي هذه اللحظة بالذات رن الهاتف على المكتب المجاور بشدة مزعجة، فتوقفنا نحن الثلاثة نحملق بوجوه بعضنا البعض، ونتساءل عمَّن يمكن أن يكون هذا الهاتف المتأخر. ولكن الآلة ظلت على رنينها المتواصل، وعندها تقدم منها أكبرنا سنًا بكل وقار ورفع السماعة إلى أذنه، واستمع إلى الصوت، المردد لكلمة: ألو ألو، هل هنا إدراة الصليب والعلم؟ أرجوكم الجواب، أجيبوا مَن هنا.

فعندئذ رد عليه زميلنا الوقور قائلاً: نعم هنا إدارة الصليب والعلم، ولكن كيف علمتَ أننا في هذه الساعة المتأخرة ما زلنا هنا؟

فرد صاحب الصوت المجهول: إنه عرف ذلك من الضوء القليل المتسرب من خلال فتحات الستائر. ومن ثم أردف قائلاً: وعلى كلٍّ ليس هذا هو الأمر المهم، ولكن الأهم هو أنني أروم مقابلة السيد جيرالد سميث (Gerald smith) لأعرض عليه أمرًا هامًا ومستعجلاً جدًا.

فأجابه رفيقنا: إن صاحب مجلة الصليب والعلم سميث هو الذي يحادثكم. وتغضن وجهه وهو يلقى هذا الجواب؛ لأنه تبين أن محدثه يتكلم بلهجة أهل غاليسيا (Galicie) ومن ثم أردف يقول: فماذا تريد مني؟

فأجابه الصوت المتردد: أروم مقابلتك حالاً لأعطيك معلومات تتعلق بما تبيته روسيا ضد أمن أمريكا. عند ذلك أجابه سميث دون تردد: تعالى فأنا بانتظارك.

ومن ثم ترك الهاتف والتفت إلينا وقال: يبدو أن هناك أمرًا هامًا نحن الآن على وشك اكتشافه، فإما أننا سنتوقف لاكتشاف منجم من ذهب، أو أن هناك من نصب لنا كمينًا، فإذا شئتما البقاء فلا مانع لدي، وعلى الأخص أن الأمر يتعلق بالموضوع الذي تدارسناه الآن.

وعلى الأثر قرر الشابان العودة إلى مقعديهما بانتظار وصول الشخص المجهول. وبعد انتظار طال تقريبًا أكثر من ربع ساعة، ظن خلالها الجماعة أن رجلهم المنتظر عدل عن الحضور، وبدءوا يتساءلون عن سبب تأخره، وإذ بالباب الخارجي يفتح ويدلف من رجل يسير بخطى مترددة، وأنفاس لاهثة سمعت عبر الباب الخارجي، ومن ثم دخل الغرفة، فلما شاهد فيها ثلاثة رجال اصفرَّ لونه وكاد أن يُكِرَّ راجعًا.

فبادره سميث بصوته الجهوري يدعوه للدخول، معلنًا أن الموجودين هم من رفاقه وزملائه، وأن بإمكانه أن يثق فيهم ثقته به. فلم يعد للزائر بد من الدخول، والتوجه إلى المقعد الذي عين له، فتهالك عليه وهو يلهث بشكل يلفت الأنظار. وبدون أن يرفع نظره أسرع قائلاً: إنني صعدت الدرج خشية أن ألتقي بأحد في المصعد؛ ولهذا أراني متعبًا قليلاً.

وعلى الأثر قدم له سميث رفيقيه بصوت حنون وقال له: هما مساعداي طوني سكوت (Tony Scott) وشارل روبرتسون (Charles F. Robertson)

ومن ثم قدم طوني للزائر زجاجة من الكوكا المثلجة، فتقبلها بنظرات الشكر والامتنان، واطمئن نفسيًّا بأنه في حضرة أناس طيبين، خلافًا لما قيل له عنهم بأنهم من الوحوش الكاسرة أعداء اليهود. وبعد ذلك أجال نظره في وجوه الحاضرين، وبدأ حديثه قائلاً: إنني أحد أثريا اليهود الذين أتوا إلى البلاد من أوربا، وكنت في بلادي القديمة سعيدًا في حياتي ومحترمًا من قبل الجميع، ولكن المجلس اليهودي الأعلى في وطني قرر الإطاحة باقتصاديات البلاد، تنفيذًا لمخططاته السرية، ولما كنتُ منهم وكانوا يحرصون على أن لا أصاب بما سيصاب به أغنياء النصارى، أمرني المجلس أن أغادر البلاد مع أموالي، وأتمركز في أمريكا، فكان من البديهي أن أنفذ التعليمات، فأتيت إلى أمريكا قبل أن تصاب اقتصاديات بلادي بما يبيتوه لها، وهكذا سلمت أنا وأترابي من أغنياء اليهود، ويبدو أن المجلس كان له غرض آخر من إرسالنا إلى هنا، وهو تكديس الرأس مال اليهودي في هذه البلاد بالذات، ومنذ أربعة عشر عامًا وأنا هنا في أمريكا أعيش تحت سيطرة هذا المجلس، وألبي كافة طلباته أسوة بغيري من أغنياء اليهود، فالمجلس يطلب منا دائمًا معونات يرسلها للجهات المتعددة، بزعم مساعدة المناضلين من أبناء قومنا، وحتى عندما قامت المعارك في فلسطين، فرض المجلس عليّ مبلغًا ضخمًا من المال قدمته حالاً. والحق يقال: إنني استفدت الكثير من هذه البلاد، ولقد عوملت من قبل أهلها منذ فجر وصولي إليها بأحسن المعاملة، وكنت سعيدًا، حتى أرغمت على الانضمام إلى المجلس اليهودي الأعلى، وأسندوا لي فيه مركزًا مرموقًا جدًّا، ومن ثم فرض المجلس علينا اجتماعات دورية نعقدها في مقر المجلس، حيث تلقى علينا المحاضرات السياسية المتعلقة بإقامة الدولة اليهودية العالمية، ويشرحون لنا

الأمور السرية المنبثقة عن بروتوكولات صهيون، وينفشون في نفوسنا مبادئ الحقد والكره للشعوب غير اليهودية، ويدربوننا على الأساليب المعادية لغير اليهود، ويؤكدون لنا أن ليس لليهود أصدقاء سوى أبناء جلدتهم؛ ولذا يطلبون منا عدم الثقة بغيرهم، والعمل على تدمير كل ما يخص الشعوب الأخرى من الأمور المادية والمعنوية، كما أنهم أرغمونا على حفظ مواد البروتوكولات عن ظهر القلب، وجميع أثرياء اليهود ملزمين بحضور هذه المحاضرات للاستماع إليها، حتى تتأصل في نفوسنا فرية كوننا فوق الأمم. ونعمل لتحقيق سيادتنا على العالم أجمع. وهكذا كانوا يلقوننا الحقد والكراهية نحو الشعوب الأخرى، وهذا النوع من التوعية السخيفة عملت في نفوس أكثرنا عملها، وبدأ أكثرنا يظنها حقيقة واقعة، ولكن أنا شخصيًا كنتُ منزعجًا منها. وكم من مرة قررت الانقطاع عن حضور هذه الاجتماعات؛ لأنها تلقننا مبادئ اللأخلاقية، وتحفزنا لنكران الجميل والتنكير لهذه البلاد التي أوتنا ولأبنائها الذين أحسنوا معاملتنا، وحمونا من غوائل الدهر وأعدائنا. ومن ثم فكرت بولدي البكر الذي قتل في الحرب العالمية الثانية دفاعًا عن أمريكا وتحت علمها، وتخيلته وهو يعاتبني على انجرافي خلف هذه الفئة اللئيمة الحاقدة، التي تكيد لهذا البلد الذي أقمنا فيه بكل اعتزاز وفخر، والتي سفك ابني دمه في سبيل نصرته.

فانتابني الخجل، وقلت أحاسب نفسي: أليس الأحرى بنا أن نصادق أبناء هذا البلد الكريم، وأن نخلص له ونقاتل مع أبنائه لنصرته، لنفي ببعض ما له ولأهله من فضل علينا، كي نضمن حبهم وتقديرهم بدلاً من أن نعمد إلى الغدر به وبأهله دون أي وازع من ضمير أو أي اعتراف بالجميل، عندها كبر الأمر في نظري، واحتقرت نفسي.

وفي إحدى الأمسيات وبعد خروجي من الاجتماع، قررت أن أعود لإنسانيتي، وأعمل للحيلولة بين المجلس الأعلى وما يروم تحقيقه، ولكنني كنتُ أجهل السبيل لذلك؛ لأنني كنت على ثقة من أن إفشاء أسرار بني قومي إلى الصحافة هو أمر غير قابل التحقيق؛ لأن الصحافة هي ملك أيديهم، ومجرد البوح لها بما اعتزمت عليه، كان يكفي للقضاء عليَّ دون أن تتسرب كلمة واحدة مما سأقوله لها إلى الشعب. وبما أنني وحيد لا معين لي، وأخصامي يعدون بالألوف بل بالملايين احترت في أمري، ومع

هذا ظللت على إصراري في عمل شيء مهما كان الأمر، وكتمت أمري هذا بانتظار الوقت المناسب.

وفي أحد الأيام حدث ما لم يكن في الحسبان، وهو أن بنيامين شولتز (Beniamin Schultz) حاخام مدينة نيويورك وأحد أعضاء المجلس الأعلى اليهودي، خرج على المجلس وأعلن الحرب السافرة عليه، وجمع حوله لفيف من أنصاره، ومن ثم أصدر بيانًا شجب فيه المبادئ الهدامة وتعليمات البروتوكولات، وقضية التعاون الصهيوني الشيوعي، وطلب في بيانه من جميع اليهود في العالم، أن يخلصوا للبلاد التي يقطنونها، ويوحدوا جهودهم مع أبناء البلاد التي يعيشون فيها، وينبذوا الأفكار والمبادئ المسيئة لمصلحة البلاد التي يقيمون فيها.

وبصدور بيان شولتز، جُنَّ جنون الصحافة العالمية المهودة، ونادت بالويل والثبور، وكالت لشولتز التهم جزافًا، ووصفته بصديق هتلر القديم، والنازي العريق، والمرتشي من المحافل النازية السابقة، والفاشي القذر، المستحق لأقصى العقوبات لوقاحته وسفالته، وشتمه شعب الله المختار..... إلخ.

ولكن شولتز لم يجزع ولم تخر عزيمته، وتصدى للتحدي بالتحدي، ووسع نشاطه المناوئ للمجلس الأعلى، فسرى الرعب في الأوساط اليهودية وأصدر المجلس لنا أمره بعقد اجتماع عام، فلبينا جميعًا رغبته وانعقد الاجتماع الذي حضره خلق كثير، وكان على رأس المجتمعين مائتان وخمسين شخصًا من أغنى رجال اليهود في البلاد، وكان المكان واسعًا جدًا ومحاطًا بسور مرتفع أُحيط برجال مدججين بالأسلحة الرشاشة، يراقبون بدقة تامة كل كبيرة وصغيرة، وبعد أن اكتمل عقد المجتمعين، اعتلى زعيمنا المنصة يرافقه شخص آخر قدمه لنا باسم السيد مرغانستيرن (Morgenestern)، ومن ثم أردف قائلاً: «إن السيد مورغانستيرن هو موفد اللجنة الروسية المختصة بمراقبة الشئون الأمريكية، وقد حضر لأمريكا ليطلع عن كثب على ما توصلنا إليه، كما أنه أشهر أخصائي روسي في شئون الدعاية المضادة، وهو من خيرة إخواننا اليهود، وسيتحدث إليكم الآن بشأن الإهانة التي لحقتنا جميعًا على يد المارق المدعو شولتز».

وهنا تقدم مورغانستيرن من المذياع، واتخذ لنفسه موقف الرجل العالم بكل شيء، وانتفخت أوداجه تيهًا واعتزازًا بنفسه، ومن ثم تنحنح طويلاً كمن يروم إصلاح أوتار

صوته، ويبدأ حديثه بقوله: «اعلموا أن شولتز وهو أحد أبناء إسرائيل، تجاسر على توجيه الإهانة إلى بني قومه بكل وقاحة وسفالة، وموقفه هذا أغضب المشرفين على دائرة (M.V. D) ودفع بهم إلى الاهتمام بالأمر، ونحن بدورنا سارعنا إلى اتخاذ كافة الاحتياطات الواجبة لمجابهة موقف شولتز هذا، ومن بينها أننا دسسنا بين أتباعه بعض رجالنا، لنكون على علم مسبق بكل ما يدبره لنا من المكائد».

ومن ثم انتقل الخطيب فجأة إلى الحديث عن التعاون بين الصهيونية والشيوعية، ومتانة هذا التعاون، والنصر اليهودي المنتظر الذي سيحققه هذا التعاون، وعن المكاسب التي سيظفر بها اليهود على أثر هذا النصر المرتقب، وأنهى خطابه بالبحث عن قرب قيام الدولة اليهودية العالمية، نتيجة لهذا التعاون القائم بين الصهيونية العالمية والشيوعية.

وبعد هذا الخطاب الفارغ انفض الاجتماع، وخرجنا من القاعة واليأس أخذ مني كل مأخذ؛ لأنني كنت قبل أن أسمع تصريحات مورغانستير مزمعًا على الانتساب لجماعة شولتز، ولكن بعد أن سمعت بوجود الخونة في صفوفه، خارت عزيمتي، فلم يسعني إلا العدول عن الانتساب إليه، واكتفيت بأن بعثت له برسالة شرحت فيها كل ما سمعته، وأسباب عدولي عن الانتساب لجماعته، وأعقب هذا الاجتماع عدة اجتماعات أخرى دعينا إليها كالعادة، كما عقد المجلس عدة اجتماعات مماثلة في جميع المستعمرات اليهودية، حيث أُلقيت الخطب الرنانة، ووُجِّهَت التهديدات بسحق كل مَن ينضم إلى شولتز.

ومع كثرة التهديدات التي كانوا يسمعوننا إياها، كانت عزيمتي تشتد أكثر فأكثر؛ لأن ضميري لم يعد يحتمل كل هذا السبيل من المساوئ بحق الإنسانية، ولكنني كنتُ عاجزًا عن العثور على المخرج المناسب لتحقيق رغبتي، وفي غضون هذه الأيام العصيبة كنتُ أسمع حولي همسًا يدور عن وجود خطة سرية، فلفتَ هذا الهمس انتباهي وصرتُ أبحث عن الوصول إلى حقيقة الموضوع الذي يدور حوله الهمس، وكان الناس عند بحثهم عن هذه الخطة السرية، والتي أطلقوا عليها اسم خطة (ب) (B) يخفضون أصواتهم ويخرجون الكلمات من أفواههم، وهي أشبه بالفحيح منها بالكلمات، وذلك خشية أن يتسرب أمر خطتهم إلى خارج المحيط اليهودي، وكنت

أتساءل عن كنه هذه الخطة وأقول في سري: أهي خطة لإزالة شولتز من الوجود، أم أنها خطة لتدمير بعض المنشآت الأمريكية المناوئة لمصالح بني قومنا.

وبعض الأحيان كنت أظن أنها ترمي إلى قيام بعمليات تخريبية واسعة، أو البحث عن وثائق تتعلق بالأسلحة النووية، أو ربما كانت تعني عمليات تجسس واسعة النطاق، ولكن تكهناتي كلها ذهبت سدى، وعلمتُ فيما بعد أن الخطة ليست إحدى هذه الأمور، بل هي في مظهرها تافهة جدًا، ولكن في مراميها ونتائجها كانت أشد خطرًا من كل ما تكهنا بها جميعًا. وهنا توقف محدثنا الذي أطلقنا عليه اسم رافئيل فيتز جيرالد (Rafael Fitzgerald) صونًا لحياته، وإخفاءً لهويته الأصلية عن الكلام، وتنفس عميقًا ورشف قليلاً من الكوكاكولا، وظهرت على محياه علائم الارتياح، وكأن عبئا ثقيلاً أزيح عن كاهله، وكنا طيلة حديثه نستمع إليه وكأن على رءوسنا الطير.

فلما توقف بادره سميث بالقول: نحن نعلم أنك يهودي، ومع ذلك نرى أنك تفشي لنا أسرارًا خطيرة أنت أدرى من سواك مدى ما يترتب عليك من الأخطار فيما إذا أفشيت هذه الأسرار، فلماذا تحدثنا عنها وترمي بنفسك في التهلكة؟

فأجابه رافائيل دون تردد: أولاً لأنني واثق كل الثقة منكم، ومن ثم أعلم حق العلم أنكم لن تتخلوا عن ولدي وزوجتي فيما إذا حدث لي مكروه.

فسارع شارل ليقول له: لا تحزن يا صديقي ليس في هذا الأمر ما تخشاه، وإذا وقع ما لم يكن في الحسبان، فلن نكون وحدنا، بل ستهب أمريكا بأسرها لتحميك من كل شر، وعلى الخصوص ستبقى هويتك مجهولة ولن يعرفها أحد، وسنحرص على سلامتك بكل ما أوتينا من قوة وعزيمة.

فرد عليه رافئيل قائلاً: على كل حال أرى من واجبي أن أعطيكم اسمي وعنواني الكاملين، حتى تتمكنوا من الاتصال بي عندما تجدون أنفسكم بحاجة إلى ذلك.

فلما قدَّم لنا هويته أخذنا العجب إذ تعرفنا عليه جميعًا، وهو من أشهر أثريا اليهود وصاحب مؤسسات تجارية معروفة في طول البلاد وعرضها.

ومن ثم تابع اليهودي حديثه وقال: هل تمكن أحدكم من استنتاج ما تعنيه خطة (B) أو قدَّر ما يمكن أن يرمز إليه حرف (B) فأرجو أن تحذروا إن كنتم أذكياء، فبدا

ثلاثيتنا نعدد له كل الكلمات الإنجليزية التي تبدأ بحرف (ب) (B) والتي خطرت ببال كل منا، ولما استنفذنا ما نملكه من الكلمات البادئة بحرف (B) التفت اليهودي إلى طوني وسأله إذا كان ما زال يفطن ما هي الكلمة الثانية من بين الكلمات التي عددها فأجاب طوني بالإيجاب، وقال: إنها كانت (beace). فقال رفائيل: إنها هي بالذات التي يرمز إليها حرف (b) وهنا انتابنا شعور بالاستغراب، ونظر كل منا للآخر، وكأننا نتساءل عما إذا كان هذا اليهودي جادًا أم أنه يسخر منا، ويبدو أن رافئيل شعر بما يجول في خواطرنا، وتابع حديثه قائلاً: نعم خطة السلام السرية أو عملية السلام، أو إذا شئتم فسموها خطة السلام القاتلة، أو خطة إفناء الشعوب، نعم إنها هكذا. ولقد عرفناها منذ ثلاثة أيام فقط. وذلك عندما دعينا لاجتماع عام، وكان المكان محاطا أكثر من المعتاد بالحراس المسلحين، فلما دخلنا قاعة الاجتماع وجدتُ فيها كثيرًا من الوجوه المعروفة لدي، والتي ما كانت سابقًا ترتاد اجتماعاتنا، كما أن الأعضاء الدائمين كانوا جميعًا في القاعة. وكان السكوت يخيم على الحضور في جو مشبع بالخطورة.

وبعد مضي فترة وجيزة أغلقت الأبواب، ومن ثم دخل القاعة الحاخام جواشيم برنز، تحيط به زمرة من الرجال الأشداء، فقمنا جميعًا احترامًا له. وأنشدنا النشيد الصهيوني المعروف بـ (هاتكفاه) (Hatikvh) ومن ثم أشار إلينا الحاخام جواشيم برنز (Rabbi goahchim brinz) بالجلوس، ومن ثم اعتلى منصة الخطابة وبدأ حديثه قائلا[١]: أيها السادة كلكم يعرف مدى الصداقة الكائنة بيننا وبين اليهود في روسيا، وما لهم من أياد بيضاء في مساعدتنا، وعلى سبيل المثال أذكركم بموقفهم منا إبان حرب فلسطين، وهذا الموقف الذي عدل كفتنا، ومكنا من طرد العرب الفاتحين عن أرض وطننا المقدس. ولو لم تكن الأسلحة التي أمدونا بها، والتي نقلتها إلينا طائرات أصدقائهم في الوقت المناسب، لما قامت إسرائيل أبدًا، والأسلحة التي ندافع بها اليوم عن حدودنا في إسرائيل، هي أيضًا مما أرسلها لنا إخواننا اليهود الموجودين هنالك[٢]،

---

(1) C. Atilhan (islam ve Beni israil) page 245 – 263.

(٢) إشارة للأسلحة التي ابتاعتها إسرائيل عام ١٩٤٨ من تشيكو سلوفاكيا، مع العلم أن إسرائيل تزودت فيما بعد بالأسلحة من الدول الغربية دون استثناء، وعلى الأخص من أمريكا وإنجلترا

هذا عدا عن أن روسيا كانت على رأس الدول التي اعترفت باستقلالنا، كما أنها أقامت منطقة بيروبيجان (Birobidgan) اليهودية في أخصب بقعة من بلادها، وهي التي سمحت بالتحاق الألوف من يهود بلادها بالقوات الإسرائيلية ليساعدونا في معارك التحرير. ومع كل هذا لم تزل تساعدنا حتى اليوم، نظرًا لما قدمناه لها من خدمات عظيمة في ثورتها، وتنظيم شئونها، وتثبيت دعائم الشيوعية في أرجائها. هذه الخدمات المتبادلة هي التي تربطنا بها بأوثق الروابط عدا عن أننا نعتبرها المركز الرئيسي لتحقيق سيطرتنا الكونية، ولهذا فهي بمثابة وطن ثان لأن نظامها ودولتها من صنع أيدينا.

أما إسرائيل فليست حتى الآن مركزًا أدبيًا ودينيًا، ومنطقة لمبادئنا وتعاليمنا التي نصدرها للشعوب الأخرى، ومع أنني لا أنكر ما لها من أهمية إستراتيجية (أهمية عسكرية وسياسية) لوقوعها على سواحل البحر الأبيض المتوسط، هذا البحر الذي سيكون يومًا بحرنا؛ لأن مَن يمتلك إسرائيل يسهل عليه امتلاك البحر الأبيض المتوسط والبلاد الواقعة على سواحله، شريطة أن يحسن التأهب لذلك، والآن أيها الرفاق لنعود إلى موضوعنا الأساسي وهو أن الرفاق في بلاد السوفييت اتفقوا على المثابرة لتبادل المعونة معنا، وهذا يعني العمل الدائب لمصلحتنا؛ لأن انتصار السوفييت في الوضع الراهن هو انتصار لنا، ولقد اتفق الجانبان على مخطط موحد، وأرسلت التفصيلات إلينا، لنقوم بدورنا بما يترتب علينا، والتخطيط المتفق عليه هو بسيط في مظهره، وسهل التنفيذ ولا يعرض العاملين لتحقيقه لأي نوع من الخطر، وكل ما في الأمر يتلخص بكتمان الغرض من الدعوة لهذا المخطط حتى لا يكتشفه أحد. ولقد أطلق على هذا المخطط اسم مخطط السلام، والعمل لتحقيقه لا يتطلب منا سوى الإلحاح والمثابرة على الدعوة للحفاظ على السلام، والغرض منه ينقسم إلى جزأين، الأول: هو الحصول على الوقت اللازم لنا ولحلفائنا، لكي نتمكن من تسليح جيوشنا وتقوية أجهزتنا الحربية؛ لأننا في الواقع لسنا حاليًا على استعداد لخوض حرب عالمية

وفرنسا، والدليل على ذلك ما تستعمله منها منذ عام ١٩٤٩ حتى اليوم، ومن هنا يتضح أن ما صرح به الحاخام لم يكن إلا بقصد الدعاية لغرض معين، وهو ظنه آنذاك أن الروس سيظلون تحت السيطرة اليهودية مثل السابق، ولكن خاب فأله، وداروا لهم ظهر المجن. (دار البشير).

ثالثة تكفل لنا النصر.

والجزء الثاني هو إيقاف سباق التسلح السائد حاليًا في ربوع الدول المناوئة لنا ولحلفائنا، وإرغامها على تدمير أسلحتها الذرية وتقليص عدد جيوشها الجرارة، وقتل الروح العسكرية في الأوساط الشعبية، ودفع الجماهير إلى اللاجندية، بينما سنثابر نحن وحلفاؤنا على التسلح لأبعد مدى ممكن، ولكي نتوصل إلى هذه الأهداف عليكم العمل دون هوادة على دعوة الناس لمناصرة السلام، وتسفيه كل منهاج أو رأي ينادي بالتسلح، والتنديد بكل مَن يناصر الجندية، وإثارة الأفكار ضد كل مشروع دفاعي، وتحريض الناس على التمنع عن المساهمة في الأغراض العسكرية، والتنديد بكل نفقة مالية تصرف للأغراض الحربية، ومن ثم الدعوة للمبادئ الشيوعية الدولية، فإذا أجدنا دورنا في هذا المضمار، فسوف ترون في المستقبل القريب أن جميع الدول ستنساق خلف هذه البدعة، وتنبذ مشاريعها الحربية وتقلص عدد قطعاتها العسكرية، كما ستشاهدون الشعوب، وقد انجرفت بدرها في هذا التيار وأصبحت مناوئة للجندية والتسلح، ودب الفساد الخلقي بين أفرادها، وتنكرت لمبادئها وتقاليدها، وضربت صفحًا عن المفاهيم الوطنية والقومية، وانساقت في متاهات الصراع الطبقي والحزبي وأضاعت كل مقوماتها الوطنية والقومية، وعندئذ فقط نكون نحن قد اقتربنا فعلاً من النصر الأكيد.

أيها الإخوة، ربما استغرب أحدكم انقلابنا المفاجئ، وتساءل عن الأسباب التي حَدَت بنا لنكون دعاة سلم، بعد أن كنا دعاة حروب وثورات، فاعلموا إذن أن الأسباب التي دفعتنا في الماضي لإشعال نار الثورة الفرنسية، ثم الثورة الروسية ولافتعال الحربين العالميتين، هي نفسها تحضنا اليوم على الدعوة للسلام لأول مرة في التاريخ، وهذه الأسباب ما هي إلا ما تعرفونه من أهدافنا الخاصة، والتي يتطلب تحقيقها تجريد أخصامنا من أسلحتهم، ريثما نتمكن من التسلح والتأهب لجولاتنا القادمة، والآن وبعد أن شرحت لكم الأمر، أرجو أن يعمل كل فرد منكم بكل قدرته على الدعوة للسلام، وبغية تعميم الفكرة أطلب إليكم أن تنقشوا على مصنوعاتكم ما يرمز إلى فضائل السلام، وما يحبذ الحفاظ عليه، فلتصنع مصانعكم كبريت السلام، وصابون السلام، وأقلام السلام..إلخ. حتى نغرق الناس في جو السلام، ولتقم

أجهزة إعلامكم وصحافتكم بالإصرار على الدعوة للسلام، وتشيد بفضائله وحسناته، وتندد بالحرب وتعد مساوئها وتهول ويلاتها، كي نخيف الناس من الحرب في كل مكان، ونحرضهم على من يبحث عنها، وفي نفس الوقت، نكون نحن قد أتممنا استعداداتنا، ووسعنا شبكات تجسسنا في أجهزة الدول المعادية لنا، وأوصلنا أتباعنا إلى مراكز الجاه والنفوذ في كل مكان، واستولينا على إدارات المؤسسات المختلفة، وهكذا ستصبح جميع أسرار أعدائنا في متناول أيدينا، كما ستكون مقدرات بلادهم بين أيدي أنصارنا، عندها سنختار الزمان والمكان لزج العالم في حربه الثالثة؛ إذ يكون ميزان القوى قد اختل تمامًا، وأصبح التفوق في العدد والعتاد رهن إشارتنا، وعندما تحين ساعة الصفر، سنوعز للأحزاب التابعة لنا في كل مكان أن تهب لنشر الفوضى، وتعميم الصراع الطبقي في كل بلد طبقًا لتعاليمنا وأوامرنا، كما ستعمد أجهزتنا الخفية إلى توسيع نطاق الدعايات الرامية للإلحاد والإباحية والمسفهة للمثل والقيم الأخلاقية، وعندما نتيقن من نجاح مخططاتنا هذه تكون ساعة الصفر قد أزفت، فتزحف جيوشنا إلى الميادين المعينة لها، وتقضي سريعًا على مقاومة أعدائنا، التي ستكون حتمًا هزيلة، ونزيل الدول المنهارة من طريقنا، ثم نعلن للعالم انتصارنا، ونفرض عليه سيادتنا تحت ظل الدولة العالمية الموحدة وعلمها ذي النجمة المقدسة (Magen David).

وبعد ذلك سنمحوا كل أثر للمدنيات العريقة، ونحرق المؤلفات غير اليهودية دون استثناء، وسنفرض على العالم ثقافتنا. ومن ثم سنقضي على كافة اللغات المستعملة حاليًا، وسنرغم الشعوب على دراسة اللغة اليديشية وحدها (اللغة اليهودية العامية التي تتكون من مفردات اللغات المختلفة كالألمانية وسواها مع العبرانية) التي ستكون اللغة العالمية لكافة الشعوب، وسنختص نحن اللغة العبرانية الأصلية (لغة السادة والشعب المختار). وسنمنع استعمال اللغات الأخرى، ونلقن العالم تاريخنا وحده، أما ما تبقى من الحضارات والمؤلفات، فسندمرها عن بكرة أبيها، حتى لا يبقى في العالم سوى حضارتنا، وفي غضون بضعة أجيال سوف لن يبق في الكون سوانا (شعب الله المختار) والشعب اليديشي الجديد (الشعب المستعبد).

وحال انتصارنا سوف نقاضي جميع مجرمي الحرب، والقادة المثقفين، وكل مَن

ناوأنا عبر الأزمان، وسنقضي عليهم القضاء المبرم (أسوة بما فعلوه بمحاكمات نورمبرغ) ثم سنعمد إلى إجراء تبادل بين سكان البلاد. فننقل مثلا المصريين إلى إيطاليا، والطليان إلى مصر، لنقضي على نزعة تعلق الشعوب بأوطانها، كما أننا سننظم طريقة لتنشئة الأجيال على أسس جديدة، وذلك بأخذ الأطفال من أقربائهم في سن معينة، وتدريبهم على تقبل عبوديتنا، والانصياع لرغباتنا، وهكذا سنزيل من أدمغة الأجيال القادمة كل ميل للتفكير والاستنتاج، ونلقنها نظرياتنا الحديثة حتى لا يبق في العالم مَن ينزع للتفكير في مقاومتنا، أو مَن يجرؤ على الادعاء بوجود جنسية أو قومية غير القومية اليهودية.

والجدير بالذكر هو أننا أوعزنا إلى عملائنا في أروقة الأمم المتحدة أن يعملوا ضمن هذا المخطط، وبما أن أكثرهم يحتل المراكز الحساسة في هذه المؤسسة التي تعتبر النواة الأولى لمؤسستنا العالمية المقبلة، فإنهم جميعًا الآن على أتم الاستعداد لنشر مبادئنا الجديدة والعمل لإنجاحها، ويبدو أنهم خطوا في هذا المضمار خطوات واسعة؛ لأن البوادر تشير إلى أن الدعوات القومية والوطنية في الأمم المتحدة أصبحت مكروهة من قبل الجميع، وتمجها نفوس أكثر أعضاء هذه المؤسسة، كما أننا نلاحظ أن الأمم المتحدة أصبحت تحبذ الاختلاط بين الشعوب، وتعمل لصهر القوميات في بعضها البعض، وبالتالي تدعو لقيام الدولة العالمية الواحدة انسجامًا مع مخططاتنا، ولقد تبنت ألوان علمنا لتشكل منها علمها الذي يظلل ممثلي دول العالم، ومع كل هذا لم يتنبه أحد إلى سلوكها، ولم يخطر ببال ممثلي دول العالم، إن دعوتها لإقامة الدولة العالمية الموحدة، وسعيها لتوسيع نفوذها على العالم هي مما أوحى إليها من قبل الرئيس روزفلت (نبينا ونصيرنا في القرن العشرين) وإن تحقيقها لن يفيد أحدًا سوانا، وهؤلاء الأغبياء يظنون أن الدعوة لإقامة الدولة العالمية، والسعي لبسط نفوذ مؤسسة الأمم المتحدة ستقودهم إلى إنشاء دولة أممية، وأن الدعوة للسلام هي الوسيلة الوحيدة لإنشائها، مع أن الدولة العالمية التي ينشدونها لن تكون سوى دولتنا، والدعوة للسلام هي السلاح الخطير الذي سيخضعهم في النهاية لسيادتنا (سيادة بني إسرائيل) لأنهم لا يعلمون أن هذه الدعوة هي المخدر الذي نستعمله لتنويمهم، لنتمكن من إكمال استعداداتنا التي ستقضي على وجودهم، وسيرون أي سلام سعوا لتحقيقه وإدامته،

وذلك عندما يدفعون ثمن غفلتهم هذه غالبًا.

وثقوا أيها الإخْوة، أن هذه المرة لن يتمكن أحد من شل تقدمنا نحو أهدافنا، ولن نسمح بعد اليوم لأناس أمثال هتلر وموسوليني، ومن وقف بجانبهما في الماضي، أن يعكروا صفو أيامنا المقبلة؛ ولذا أرجوكم أن تضاعفوا الجهود، وتتوسعوا في الدعوة للسلام، حتى نصل بسرعة إلى أهدافنا ونرضي يهوى الذي منحنا بركاته، وقيض لنا هذه المناهج القويمة التي وضعها حكماؤنا لتحقيق رغباتنا.

أيها الرفاق، إن أسلافنا جاهدوا آلاف السنين لتطبيق تعاليم حكمائنا، وضحوا في سبيلها بدمائهم، وعرَّضوا أنفسهم للمخاطر والعذاب، وتحملوا من الآلام ما تنوء تحت ثقلها الجبال، وكل ذلك ليمهدوا لنا لقاء هذا اليوم السعيد.

فيا بني إسرائيل، إن يومنا الموعود هو في متناول أيدينا، ولن تمنعنا قوى الأرض مجتمعة عن لقائه، وإن أوجب الأمر، فلن نتردد في إزهاق ملايين الأرواح من غير اليهود، وتدمير ألوف المدن بقنابلنا الذرية في سبيل تحقيقه؛ ولهذا يحسن بنا أن نسرع في تجريد أعدائنا من قواهم الدفاعية ليصبحوا لنا لقمة سائغة.

أيها الرفاق، هنيئًا لكم بقرب تحقيق وعود يهوى وأدوناي الكبير (Adonai) رب الأرباب، هذه الوعود هي أكثر مما نستحق، فلنتضرع إلى الآلهة لتستجيب دعاءنا، يا بني إسرائيل، إنني أرى وأشعر قرب قيام مجد عجلنا الذهبي، فلترتفع أصوات أبواقنا، ولتنهار قلاع الأعداء أمامنا.

وهنا رفع الجميع عقيرته بترتيل دعاء الشكر، وتعالت الأصوات الصاخبة، وبدأت الحركات الهستيرية تحت قيادة الحاخام جواشيم برنز، وفجأة تعالت أصوات الأبواق من كل حدب وصوب، فكنت ترى الحضور يتعانقون ويتبادلون القبل، وبعضهم طفرت الدموع من مآقيه فرحًا، وهكذا ساد المكان نوع من الهرج الجنوني وأصبح خانقًا للأنفاس، أما المظاهر الهيستيرية التي سادت المجتمعين، فكانت مما تمجه النفوس، فلو حضر هذه الجلسة موسى بنفسه، لما وجد خيرًا من أن يبصق في وجوه الحاضرين؛ لأنهم لا يستحقون أكثر من هذا. أما أنا فلم أحتمل طويلاً هذا الجو، وانسللت خارجًا حتى لا أُلفت انتباه الآخرين، ولما وجدتُ نفسي خارج القاعة لعنتُ الساعة التي انتسبت فيها لهذه الزمرة الفاجرة.

والآن وقد سنحت لي الفرصة لأن أقابلكم، فإنني أخبركم بالواقع إرضاء لضميري، واعترافًا بجميل هذا البلد، وأخيرًا حفاظًا على الجنس البشري وإنقاذه مما تبيته له هذه الطغمة الكافرة من الشرور الرامية لتدمير كل شيء في هذا الوجود، وعلى الأخص لهذا البلد الذي أكرمني، والذي سفك ابني البكر دمه دفاعًا عنه، وبعد أن أعلمتكم بكل شيء أرجو أن تبادروا إلى إيقاظ أمريكا والعالم أجمع، وان تفهموا الدنيا كلها أنه كفاها غفوة وغفلة، وأن تدفعوا بالشعوب لتضع حدًّا لشرور هذه الفئة الضالة المضللة، وأخيرا أرجو أن تبقوا هويتي مجهولة، ولكن إذا اقتضى الأمر مقابلة أي مسئول في هذا البلد، فاعلموا أنني على أتم الاستعداد لتلبية أي طلب، كما أنني أرجو أن لا تظنوا أن جميع اليهود هم على شاكلة هذه الزمرة الجاحدة، فإن بيننا العديد من الطيبين، الذين يرمون إيقاف جواشيم وأنصاره عند حدهم؛ لأننا نعلم أنهم يقودننا في الطريق الذي رسمه لهم شيطانهم الأكبر هرزل. وأننا نتمنى أن يأتي اليوم الذي نقضي فيه عليهم وعلى مخططاتهم؛ ولذا نرجو أن تساعدوننا، وبما أنني قد أزحت عن كاهلي عبء هذا الواجب المقدس وألقيته على كواهلكم أنتم الثلاثة، فأرجو أن تسمحوا لي بالعودة إلى عائلتي بسلام.

عندها أجابه سميث: إننا هنا أربعة مواطنين أمريكيين لأنك واحد منا، وأننا سنعمل سويًّا للقيام بواجبنا نحو وطننا المشترك. ومن ثم خرجنا جميعًا وأوصلنا رافائيل إلى منزله، وعدنا لنخبر العالم بهذا الحديث الخطير.

مما سبق ودوناه في هذا الفصل، يتضح للقارئ الكريم مدى ما وصل إليه اليهود في أمريكا من النفوذ والسيطرة، وخطورة الأطماع التي ينادون بها، وكل ذلك نتيجة لإهمال أهلها لنصيحة المغفور له بنيامين فرانكلين، التي قدمها في مستهل استقلال بلادهم، ومن ثم لاستخفافهم بأصوات التحذير التي أطلقها المواطنون الشرفاء أمثال ماك أرتي، وهذا الإهمال والاستخفاف أديا إلى وقوع الأمريكيين في براثن الصهيونية العالمية، حتى أنه لم يعد بإمكانهم اليوم أن يأتوا بحركة أو سكنة دون موافقة اليهود.

أما قصة رافئيل التي ترويها مجلة الصليب والعلم، فيبدو أن حوادثها وقعت قبل حدوث النفور بين اليهود والسوفييت، أو بالأحرى قبل أن يشعر الشيوعيون بما كان اليهود يبيتونه لهم، وقبل أن يعمدوا إلى تطهير بلادهم وأجهزة الحكم فيها من زبانية

هذا الشعب الخثون، والبرهان على ذلك هو ما تحويه خطبة الحاخام برنز من الكلمات والجمل المعسولة الموجهة للسوفييت، والتي تشعر بأن التحالف كان ما زال قائمًا بينهما، ومن هنا نؤكد أن عهد هذه القصة يعود إلى الزمن الذي كان اليهود يظنون فيه أنفسهم سادة الكرملين، أي العهد الذي خُيِّلَ لهم فيه أنهم قضوا على كل ما يسمى لدى الروس بالقومية والوطنية، وأنهم أصبحوا سادتهم وموجهيهم، إذ كانت المحافل اليهودية قبل الحرب العالمية الثانية تعتبر الشعب الروسي مجرد أداة مسخرة لتنفيذ رغباتها، وكانت تظن أن بإمكانها تسييره إلى الأبد في ركابها، وهذه الظنون والأحلام هي التي دفعت بها إلى مساعدة الحركة البلشفية، وبذل الأموال الوفيرة بغية إنجاحها.

وفي صدد أمريكا واليهود، لنا كلمة صغيرة عابرة لا بد من قولها، وهي أن مع كل ما نعرفه عن النفوذ اليهودي في أمريكا ما زال هناك بعض العرب الداعين لإيجاد نوع من الصداقة معها، فلو أن أمريكا كانت محررة من السيطرة اليهودية لكان بالإمكان أن يؤخذ بنظرية هؤلاء المغرر بهم، أما وإنها على ما هي عليه من الرضوخ للمشيئة الصهيونية، فالأجدر بنا أن نترحم على كل زعم بإمكان قيام الصداقة بينها وبين العرب.

رأي المحافل اليونانية الرسمية في الشعب اليهودي

يظهر أن الدولة اليونانية انفردت بين الدول، واتعظت بالأحداث التاريخية، واستفادت من تجاربها القديمة؛ ولذا نراها دائمة اليقظة والانتباه لكل مستنبط أو بدعة يهودية، ثم يبدو أنها ما زالت تتذكر مواقف اليهود المخزية منها، ورغم كل التسهيلات والميزات التي قدمتها لهم إبان عيشهم في ظلها، ومع أنها قطعت علاقاتها بهم منذ عدة قرون، فهي دائمة الحذر من غدرهم لما تعرفه عن مكرهم العظيم؛ ولهذا فهي تراقبهم ولا تغفل عن أبسط حركاتهم، وإمعانًا في اليقظة، تثابر وبصورة رسمية على تذكير أبنائها، وعلى الأخص رجال جيشها، بتفاصيل كل الأحداث التاريخية التي افتعلها اليهود، والتي تظن أنهم سيفعلونها، وذلك عن طريق إصدار نشرات دورية ورسمية تبحث هذه الناحية بالذات، بغية تنوير الشعب وتنبيهه إلى كل ما يُشتَم منه رائحة غدر أحفاد المكابيين[١]؟

وعلى سبيل إحاطة القارئ الكريم علمًا بالمنهج المتبع من قبل الدولة اليونانية في مضمار هذه التوعية الرائعة، ندون فيما يلي نص المقال التوجيهي الذي صدر في شهر آب عام ١٩٥١ عن قيادة الجيش اليوناني والقائل حرفيًا: «إن عام ١٩١٧ كان عام شؤم وبلاء بالنسبة لأمم الأرض قاطبة؛ إذ فيه انتصرت زمرة من المغرر بهم من قبل أعداء الله والإنسانية على الشعب الروسي، وأطاحت بالنظام القيصري، وقتلت جميع أفراد العائلة المالكة بصورة مفجعة، ومن ثم سَلَّمت الحكم إلى الوحش الصهيوني ذي الرءوس الستة (أي أنصار النجمة السداسية المسماة بنجمة داود) ليورثنا سلسلة من الجرائم المتتابعة التي عمَّت العالم منذ ذاك اليوم المشئوم».

إن أحفاد إسرائيل الذين تعرضوا منذ أجيال عديدة التي عقوبات صارمة، جزاء ما اقترفوه من الجرائم البشعة بحق الإنسانية في كل زمان ومكان، لم يرتدعوا عن غيهم، وما زالت أوهامهم تسيطر على مجتمعهم الخسيس، واليوم يركضون خلف أهدافهم الخيالية أكثر من أي وقت مضى؛ لأنهم يحلمون بالسيطرة على العالم وإخضاع

---

(١) المكابى: هو زعيم العائلة اليهودية التي ثارت على الدولة السيلوسيدية اليونانية في القرن الثاني قبل السيد المسيح ومن ثم استسلمت للرومان. (دار البشير).

شعوبه، وهم في سبيل ذلك لن يتورعوا عن خلق الأسباب التي يظنونها مفيدة لمراميهم، ولو أدت إلى سفك دماء الملايين من بني البشر، وهم اليوم أكثر تفاؤلاً من أي وقت مضى بقرب انتصارهم، اعتمادًا على السذج الذين غرروا بهم، وما جندوه في خدمتهم من العناصر الحاقدة الملحدة، التي أحسنوا تدريبها ومرسوها على تنفيذ تعليماتهم دون تفكير أو مناقشة، وأخطر هذه الفئات الضالة: هي فئة الماسون التي أصبحت أكثر ملكية من الملك في خدمة اليهود، فهم دائمًا خلف المستنبطات اليهودية، فكلما استنبط اليهود مبدأ أو فكرة، يسارع الماسون لاعتناقه، ويدعون الناس لتبينه، ويروجون له وكأنه انزل عليهم من السماء.

والكارثة التي حلت بالشعب الروسي كان سببها الماسون وحدهم؛ إذ هم الذين باشروا في نشر تعاليم ماركس في الأوساط الروسية، ولقد آمن الشعب الروسي ببدعتهم؛ لأنه كان يجهل أنهم من خدم اليهود وأنصارهم، ومن الناحية الثانية التي كانت الأرض الروسية صالحة لتقبل هذا النوع من المبادئ بسبب ما كان يسودها من فساد الحكم والتعسف الإقطاعي واللامبالاة القيصرية، وهكذا أينعت جهود الماسون وجاء اليهود عام ١٩١٨ ليقطفوا ثمارها، وفرضوا سيطرتهم على الشعب الروسي بزعم أنهم يحققون له الحرية والمساواة، وانطلت خدعتهم على الروس واستكانوا لها، ومن ثم راح الوحش الصهيوني ذو الرءوس الستة يمتص تباعًا دماءهم، وكلما فرغ من امتصاص دماء فئة، لعق شفتيه، وراح يطلب المزيد من الدماء الروسية البريئة، ولما استتب له الأمر في روسيا، أغار على بلاد البلقان، وأعمل في شعوبها القتل والذبح بغية إخضاعها وضمها إلى معسكر عبيده وضحاياه.

وفي هذا الوقت بالذات فوجئنا في سالونيك بقيام حزب جديد أطلق على نفسه اسم الحزب الاشتراكي، ولما بحثنا عن أسرار قيام هذا الحزب، تبين لنا أن أثرياء اليهود والماسون أوعزوا إلى يهود هذه المدينة المشئومة بتشكيل هذا الحزب، وقدموا لهم أموالاً طائلة ليغرروا بها العمال الكادحين، ويجتذبوهم إلى حزبهم الجديد، ولما كان أكثر سكان هذه المدينة من اليهود هان عليهم تحقيق ما يعود على شعبهم بالخير، وهكذا قام هذا الحزب، ودشن باكورة أعماله بمهاجمة الحكومة، والمطالبة بإلغاء الملكية وإقامة النظام البروليتاري بدلاً عنها.

وفي عام ١٩٢٠ أعلن الحزب انضمامه رسميًا لموسكو، وغيَّر اسمه السابق وأطلق على نفسه الحزب الشيوعي اليوناني (k. k. E.) وتوسع في نشر دعوته، فعمت الفوضى البلاد، وازدادت أعمال العنف والإرهاب، وتدفق الذهب اليهودي على البلاد، وبادر اليهود إلى شراء الضمائر في ظل إرشادات اليهودي البلغاري أورام بنارويا (Aorram Benoroyas) الذي أدخل الشيوعية إلى اليونان والذي كان يشغل في فارنا (varna) رئاسة المحفل الماسوني من الدرجة (٣٣). وكان ممن يعملون تحت قيادة المليونير اليهودي يعقوب شيف (jacop chiff) زعيم التنظيمات الثورية اليهودية الذي قاد عمليات الثورة الروسية، وأوفد أنصاره إلى مختلف البلاد البلقانية ليحدثوا فيها الثورات والفتن حتى تنضم بدورها إلى البلاد الروسية، التي كان اليهود يعتبرونها مركزًا للانطلاق نحو هدفهم الأسمى (أي السيطرة على العالم وإقامة دولة إسرائيل العالمية).

أما صلات بنارويا بالمالي شيف، فتعود في الواقع إلى عام ١٩١٤؛ إذ كان شيف قد كلَّفه منذ ذاك التاريخ بتأليف أحزاب شيوعية في مختلف البلاد البلقانية، على أن تكون تحت إشراف الماسون واليهود، وأرسل له مع أحد اليهود من أمريكا نصف مليون دولار والتعليمات السرية اللازمة، ليحقق له ما طلبه، فلم يخيب بنارويا أمل شيف، بل سارع إلى المدن الرئيسية في البلقان، وأوجد في كل منها نواة حزب شيوعي، ومنها حزب سالونيك اليوناني، وفي نفس الوقت أوقد شيف إلى تركيا أحد أنصاره وهو لافرانتي بيريا (Beria) الشهير بمهمة مماثلة لمهمة بناوريا، ولقد ظهر بيريا اليهودي التفليسي (Tifis) في إسطنبول عام ١٩١٥ بعد أن تمكن من الإفلات من روسيا حيث كان معتقلاً، فاحتضنه كل من جاويد اليهودي (javid) الدونما (يعني المرتد) وزميله المحامي سالم (Maitre salem) اليهودي، ومن ثم اتصل بالماسون واليهود الدونما في أزمير، واشترك الجميع في وضع المخططات الآيلة إلى إشعال نار الثورة في تركيا. ولما انتهت مهمته في تركيا تسلل منها إلى سالونيك مزودًا بألف ليرة ذهبية قدمها له جاويد الدونما، ومن ثم التحق ببنارويا ليعملا معًا في كل من ألبانيا واليونان، فاتصلا بكافة أقطاب الماسون أمثال يوركي ديميروف وآبوستولوس كروسوس، ومن ثم عاد بيريا إلى روسيا، حيث لمع نجمه وأصبح من أكبر الزعماء والسادة، حتى ظهرت خيانته

للسوفييت مؤخرًا وأُعْدِمَ جزاءً ما جنت يداه.

وفي عام ١٩٢٤ ازدادت الأحوال سوءًا في اليونان، حتى كاد أن يقع الانفجار، لولا أن اكتشفت الدولة اليونانية المؤامرة الدنيئة التي كان قد أعدها كل من يني يوانيدي (yani yuanidi) ودوسان داسكولوف (dusan Daskolov) زعيم الحزب الشيوعي البلغاري ورئيس المحفل الماسوني فيها، والصحفي الدونما صباح الدين على والدكتور كمال اليهودي من زعماء الماسون في تركيا. وكانت مؤامراتهم تهدف إلى إعلان الثورة في البلاد الثلاثة معًا، عملاً بالتعليمات التي تلقوها من يعقوب شيف.

ولكن يقظة الشعوب والحكومات الثلاث أحبطت المؤامرة في مهدها بفضل المعلومات التي قدمتها دوائر المخابرات اليونانية، ولكن اليهود لم ييأسوا من آمالهم، وظلوا يثابرون على تمويل حزب سالونيك ودعمه محليًا ودوليًا؛ إذ أنهم يعتقدون أن جميع ما جاء في التلمود من الوعود الكاذبة سوف تتحقق، وأن جميع مناهج البروتوكولات الصهيونية (les protocoles des sages de sion) ستنجح فيما إذا طبقت بدقة وإصرار، وعلى الأخص بعد أن تحققت بعض هذه المناهج فازدادوا يقينًا بجدواها، فظنوا أن ما تبقى منها ستنجح، طالما ثابروا على العمل لتجسيدها، وهذا الاعتقاد هو الذي يدفعهم منذ أقدم العصور إلى الإصرار على محاولة تطبيقها، وخاصة بعد أن توسع نفوذهم في مستهل الثورة الروسية، وأصبح لهم في مجلسها الأعلى ٤٤٧ عضوًا من أساس ٥٤٧ عضو سوفيتي، وإصرار الماسون واليهود على تحقيق مناهجهم هو الذي جعل البلاد اليونانية تتخبط في ظلمات الفوضى طلية الأعوام التي سبقت الحرب الكونية الثانية؛ إذ كان اليهود في أثنائها يثابرون على تحريض الناس ضد أمن الدولة، ويجندون السذج أمثال أبوستولوس كروزوس (Markos volyadis) وماركوس فوليادس (Apostolos Grozos) ونقولا زخريادس (Nicolaos Zahariydis) ويوفدونهم إلى معاهدهم الخاصة في روسيا، ليدربوهم على أساليب نشر الدعايات المضللة في البلاد، وفي أثناء الاحتلال الألماني عمد اليهود إلى تهريب أنصارهم بعيدًا عن البلاد، حتى لا يقعوا في أيدي الألمان، وهكذا ترك عبيد اليهود الشقاء مخيمًا على الشعب ولاذوا بالفرار، وكأن لا ناقة لهم ولا جمل في هذه الوطن.

ولما تحررت البلاد، عادوا إليها يعيشون فيها الفساد من جديد، فافتعلوا

الإضرابات، وحرضوا الشعب على التمرد والعصيان، فاندلعت الثورة عام ١٩٤٦، وأعلن زعيمها يني يوانيدي انفصاله عن اليونان، وقيام الجمهورية الشيوعية في شمال البلاد وعيَّن نفسه رئيسًا عليها، وهكذا أصيبت البلاد بكارثة جديدة، ودام القتال الأهلي حتى كان عام ١٩٤٩، فزحف المرشال باباغوس على الثوار وانتصر عليهم في موقعة كراموس فيتشي (cramos vitchi) فهرب زعماؤهم ومئات الألوف من أنصارهم إلى روسيا، حيث أودعوا في معسكرات خاصة، وهكذا أُنقِذ الوطن من شرور اليهود، واستتب فيه الأمن من جديد.

أما أغراض اليهود في دعم الحركات الشيوعية، فتتلخص بأن اليهود كانوا يتخيلون دوام سيطرتهم على روسيا، وعن طريقها كانوا يعللون أنفسهم بالسيطرة على البلاد الأخرى، وفرض نفوذهم عليها؛ ولذا سعوا لنشْر الشيوعية في البلاد البلقانية ليضموها إلى محور موسكو ويسخروها معًا لتحقيق أهدافهم التي لا حصر لها، ولذلك عمدوا إلى إثارة القلاقل في أنحاء العالم كله، بحجة السعي لخير الإنسانية وإيصالها إلى أسمى درجات العيش الكريم، وبغية إيهام الناس بصدق عزيمتهم جندوا العناصر التي ذكرناها، وأوهموها بأنها طليعة جيش العدالة الاجتماعية، ودفعوا بأفرادها للعمل في ظل الشعارات الماسونية، التي لا يؤمن اليهود بها، رغم كونها من مستنبطاتهم، وهم ما انفكوا يروجون لها منذ قرون عديدة، مع أنهم يصرحون في مناهجهم أنها وهمية، وغير قابلة التحقيق اللهم إلا بعد إيصال الإنسانية جمعاء إلى أعلى درجات الثقافة والإدراك، واعتناق كل فرد من البشر للمبادئ الداعية لتقديس الإنسان للإنسانية ذاتها، وعلى أساس تبني الفرد للقيم الروحية، وتقديسه للمثل الإنسانية العليا، وابتعاد الفرد والمجتمع عن المادية وعن كل ما يشوه جمال جلال الإنسان، ولهذا فهم يبشرون بها على طريقتهم الخاصة المعاكسة تمامًا للمبادئ والمقومات اللازمة لتحقيقها، ويزعمون إمكان الوصول إليها عن طريق الاستهانة بالفرد والمجتمع، وبذر بذور الحقد والكراهية بين فئات الشعب، وتشجيع المبادئ المغايرة للمثل العليا، بزعم السعي لإزالة الخرافات البالية والطبقية البغيضة، ويعتمدون في ذلك على القوة وإراقة الدماء، ونشر المادية واللاأخلاقية التي يعلمون أنها ستؤدي بالإنسانية إلى التطاحن المستمر، ثم إلى التمزق والاضمحلال، وأخيرًا إلى

قبول الذل والعبودية في سبيل تأمين لقمة العيش التي ستحتل بعد هذا الصراع الطويل المكان الأول في تفكير الإنسان، فعندما ستصبح البشرية قطيعًا كبيرًا لا هم له إلا المرعى (على حد زعم البروتوكولات الصهيونية) فيخضع لإرادة اليهود (الغاية التي يسعون لتحقيقها منذ أقدم العصور).

ونعود الآن إلى إكمال نص مقال قيادة الجيش اليوناني، الذي يبحث عن نشاط اليهود الهدام في العالم ويقول: «إن اليهود لم يكتفوا بما صنعوه في أوربا؛ لأن برامجهم التخريبية هي أوسع من أن تنحصر في قارة واحدة من العالم؛ ولذا توسعوا في نشاطهم حتى بلاد الصين، أملاً بأن يخضعوها هي الأخرى لمشيئتهم، ويربطوها بعجلة المبادئ المنبعثة عن تعاليمهم التي تلزم مريديها بإطاعتهم (على زعم اليهود سابقًا) والسير في ركابهم، والانضمام في المستقبل تحت لواء الدولة الصهيونية الموحدة، ولتحقيق ذلك أوفدت هيئة السيونو - ماسونو - كومينست (siono j Macono communiste) التي كان يتزعمها يعقوب شيف أحد أتباعها المدعو شيشنكي (chichindui) عام ١٩٢٠ إلى بلاد الصين لينشر فيها المبادئ المشتركة، ويبدو أن شيشنكي هذا فشل في مهمته، فأوفدت الهيئة عميلاً آخر في عام ١٩٢٦ وهو المدعو آ. أدولف زوف (A. Adolf zoff)، فتمكن هذا الأخير من القيام بمهمته، وجند الكثير من شبان الصين وأوفدهم إلى روسيا، حيث دربوا على أيدي أكبر أساتذة الماسون والصهاينة. ومن الأعمال التي قام بها زوف هو اتصاله بالدكتور سن يات سن (sun yat sen) وجرب أن يضمه إلى الجبهة الصهيونية الجديدة، بَيْدَ أن سن يات سن أبى الاستمتاع إلى مع كونه كان ماسونيًا معروفًا، ولكن الظاهر أنه لم يقنع بالمنهج الجديد، أو أن وطنيته تغلبت عليه، فرفض السير في ركاب السيونوكومينيست (ولهذا اعتبر زوف موت الدكتور سن يات سن فيما بعد بمثابة نصر شخصي له) ولكن زوف تابع نشاطه فأوفد له يعقوب شيف نصير آخر، وهو المدعو كروسنبرغ (Grusenpurg) (الصديق المخلص ليعقوب شيف، وخريج جامعة نيويورك وأحد مشاهير الماسونو كومينيست في أمريكا) وهو الذي سبق واعتمده شيف، ليوصل إلى الزعيم لينين (٣١٢) مليون دولار أمريكي لينفقها

على مشاريعه بعد أن اجتاز الحدود الألمانية بالقطار المغلق المشهور[١].

وكروسنبرغ هذا هو الذي لقن الشباب التركي أولى مبادئ السيونو كومينيست، ولما أوفده شيف إلى الصين فتح له اعتمادًا غير محدود، وهو الذي عرف فيما بعد باسم ميشيل بورودين (Michel Borodin) والذي اشتهر بنشاطه في كل من الصين وروسيا، وبوصول بورودين إلى الصين أصبح فيها ثلاثة من أكبر أقطاب الماسونية المجرمة، أما ثالثهم فكان اليهودي الألماني (أحد زعماء الماسونية سابقًا في بلاده) الذي اشتهر في الصين باسم لي ته (li- the) وكان قبل الثورة الروسية من أقرب الناس إلى القيصر، بينما كان يعمل خفية على تقويض الملكية، ولقد أوفد إلى الصين ليشرف على تنظيم الجيش الصيني من قبل ينين، وفيما بعد أسندت إليه رئاسة الشعبة الثانية في الجيش الصيني الكبير، وإلى هؤلاء الثلاثة يعود الفضل في جر الصين إلى المعسكر الشيوعي، وهكذا نرى أن الصهيونية والماسونية تعملان جنبًا إلى جنب لتنفيذ المخططات اليهودية في كافة بقاع الأرض، والماسون الذين يباشرون عادة عمليات التخريب في مستهل الأمر، وعندما يتحقق لهم نصر يبادر اليهود إلى قطف ثمار الجهد الماسوني والتربع على مقاعد الحكم والسلطان، مثلما حدث في المجر، فالماسون هم الذين أسسوا الحزب الشيوعي المسمى بالأفو (A. V. o.) فلما تمكن الحزب من السيطرة ترك الماسون مقاليد أمره في أيدي اليهود، وانزووا وكأنهم لم يكونوا. فلما تحققت السلطة لليهود سارعوا إلى طرد ألوف المثقفين من أهل البلاد ليخلوا لهم الجو وحدهم.

والماسون هم الذين أوجدوا هيئة الديفانسيا البولونية (Defencia) كما أوجدوا الحزب الشيوعي الإيطالي أوفرو (ovro) وفي عهد بيريا كانت مصلحة المخابرات الروسية (N. k. v. D.) تعج بهم إذ كان ثلاثة أخماس موظفيها من الماسون، وثلاثة أرباع مستخدميها من النساء من أصل يهودي؛ ولهذا كانت سيطرة بيريا في بلاد السوفييت أوسع من سيطرة أي زعيم آخر.

---

(١) هذه المعلومات نقلت من كتاب «الإسلام وبني إسرائيل» لمؤلفه جواد أتيلهان، وهي موجودة ما بين الصفحة ٢٦٣ – ٢٧٨. ولقد نقلها جواد أتيلهان من المجلة اليونانية العسكرية المسماة ستراتيو تيكانيا (Stratiotika – Nea). (دار البشير).

وتزخر أروقة الأمم المتحدة أيضًا باليهود والماسون؛ لأن كلاً من المعسكرين الشرقي والغربي يثق بهم، ويعتمدهم في تمثيله، وعلى سبيل المعلومات نذكر أن ببلر (Bepler) مُمَثِّل يوغوسلافيا ومينوفلينسكي (Menovlineski) مثل أوكرانيا، ونيفارا (Nevarah) مُمَثِّل بلغاريا، وأكثر مُمَثِّلي البلاد الغربية هم جميعًا من اليهود، وهكذا نرى أن الإنسان يصادف حيثما كان وفي أي زمان أحد هؤلاء اليهود أمامه، فهم كالسرطان في جسم الإنسانية، وهم جميعًا يعملون لخلق الإمبراطورية التيوقراطية (Theocraidue) الإسرائيلية، فمهما كانت نزعاتهم أو ألوانهم وفي أي معسكر كانوا فهم دائمًا وأبدا يهود قبل كل شيء، وأعداء الشعوب الأخرى مهما أظهروا من التزلف والخداع، وهم الآن مسيطرون على المعسكرين معًا، وسيطرتهم هذه هي التي أنجحت أقذر مؤامرة يهودية اشترك العالم بأجمعه لتحقيقها لصالح اليهود على حساب الشعب العربي الأعزل، بحجة تحقيق وعد سابق صدر عن وزير يهودي (آثر بلفور) (Arthur Balfour) كان يمثل بريطانيا في الحرب الكونية الأولى التي افتعلها اليهود، ولما نشب القتال بين اليهود والعرب في فلسطين سارع كل من المعسكرين يمد يده إلى اليهود بالعون المادي والمعنوي، بينما كان العرب يبحثون عن طلقة واحدة ليردوا على أسلحة اليهود العديدة.

ومن ثم وقفت الأمم المتحدة بكل خسة لتفرض على العرب رغبات اليهود الذين ضربوا بمقرراتها عرض الحائط، وتشكلت اللجنة الثلاثية من الماسون واليهود لتحل النزاع، فكان من البديهي أن تنتصر هذه اللجنة المهودة لأصدقائها اليهود، حتى أن تركيا الدولة المسلمة التي اشتركت في عضوية هذه اللجنة كان ممثلها من أعتى اليهود، وهو حسين مجاهد الذي عرف في تركيا بتطرفه لعنصريته اليهودية، وهكذا انتصر اليهود رغم حق العرب الصريح، ورغم أنف الواقع والتاريخ، بفضل أنصارهم في الأمم المتحدة وغفلة شعوب العالم، وقضية فلسطين هي أكبر برهان على سيطرة اليهود على العالم، كما أنها أكبر دليل على عدم جدوى وجود الأمم المتحدة، اللهم إلا لتحقيق المصالح اليهودية والانتصار لليهود الذين يعتبرونها نواة لدولتهم المنتظرة في مستقبل الأيام».

التوقيع/ رئيس تحرير المجلة العسكرية اليونانية (Straitotika Nea) في شهر آب ١٩٥١

وهذه المجلة ليست الوحيدة التي تسعى في بلاد اليونان لإيقاظ شعبها وتحذيره من اليهود، بل هنالك مجلات وصحف عديدة تتبع هذه النهج القويم، ومنها: المجلة المسماة (بمجلة المسيحيين الديمقراطيين) (Hirstianika Dimokratias) التي كتبت في عددها الصادر في أواخر عام ١٩٥٥ مقالاً تحت عنوان الزمرة الحاقدة، فقالت: «لا ريب أن اليهود كانوا خلف كل المصائب التي حلّت بالشعب اليوناني الباسل، منذ أقدم العهود، وهم الذين دفعوا قواد الإسكندر إلى ارتكاب أبشع الجرائم بحق الأمة اليونانية، وهم أول مَن خانوها في الماضي، وفي الأمس القريب أتوا بأساليب جديدة، ليستغلوا بها شعبنا العريق، ولقد تستروا خلف أسماء يونانية وتظاهروا باعتناق المسيحية، ومن ثم راحوا يغررون بالبسطاء من أبناء شعبنا، ويسخرونهم لتحقيق أغراضهم المشئومة، ومما يؤسف له حقًا، هو أنهم توصلوا إلى توريط عدد كبير من مواطني هذا البلد، ولقد اشتهر من بين هؤلاء التعساء: نقولا زخرياديس (Nicolaos zahariyadis) الذي ولد في أدرنه عام ١٩٠٣ من أبوين مشبوهي الأصل، ولما بلغ سن الحادية عشرة، ربط مصيره بالجاسوس اليهودي هازداي (Hazday) الذي كان يعمل لحساب الحكومة البلغارية، فأوفده أستاذه إلى إسطنبول عام ١٩١٨ ليتصل بالمهاجرين البلغار، ويحصل منهم على معلومات خاصة يرسلها بدوره إلى سيدة هازداي. ولما شب عن الطوق تمامًا انتسب إلى يعقوب شيف، وأصبح يعمل حسب توجيهاته، وهو الذي كان يمول السيونوكومينيست في تركيا بالأموال التي كان يتلقاها من شيف، وفي عام ١٩٣٥ تقلد رئاسة المحفل الماسوني في بيرية (piree) وبعد ذلك أسندت إليه أمانة سر الحزب الشيوعي اليوناني، وقاد بعض حركاته. ومن ثم عين رئيسًا لوزارة الحكومة الجبلية عام ١٩٣٦- ١٩٤٦. ولما انهارت الجمهورية هرب مع أنصاره إلى تيران، ومنها إلى روسيا، حيث اتصل مع الشيوعيين اليونان الذين كانوا يقيمون في معسكرات طاشقند، وطلب منهم أن يعيدوا انتخابه رئيسًا عليهم، ولكن هؤلاء الفقراء الذين غرر بهم في الماضي، أبو أن يولوه ثقتهم مرة أخرى، فاحتدم الجدال بينهم، حتى كادوا أن يفتكوا به فلاذ بالفرار من هناك، ومن ثم اعتقلته السلطات السوفيتية وأودعته سجن لوبي (lupiyanko) مع خمسة عشر من أنصاره.

أما زعيم الحزب الشيوعي اليوناني الحالي المدعو أبوستولوس كروسوس

(Apostos Grozos) فهو من مواليد عام ١٨٩١ وابن المدعو (Grozos) بائع الخضر، ووالدته كانت تدعى إليزابيث (Elisabeth) وهي يهودية بلغارية، ولقد عمل أبوستولوس في مستهل حياته عاملاً في مصانع التبغ، ومن ثم أصبح نقابيًا، وفي عام ١٩٢٠ انتخب أمينًا للحزب الشيوعي في البلاد، وبعد ذلك أُوفد إلى روسيا حيث تلقى التدريب المهني مدة ثلاثة أعوام، عاد بعدها وأسندت إليه رئاسة محفل الكوفالا (covala) وهؤلاء ومَن لفَّ لفهم هم جميعًا من صنائع اليهود، وهم الذين أضلوا الخمسة وسبعين ألف مواطن يوناني، الذين يقيمون اليوم في المعسكرات القريبة من طاشقند، مع عشرات ألوف السذج، غرباء عن بلادهم يسومهم الكولونيل اليهودي إسحاق (Issac) سوء العذاب بحجة تدريبهم.

واليهود هم الذين خرجوا من كل هذه الجرائم بالمكاسب، وهم يعتقدون أنهم سيتمكنون من ارتكاب الجرائم بواسطة هؤلاء وأمثالهم في كل قطر وبلد، وبنفس السهولة التي ارتكبوا بها فظائعهم إبان الثورة الفرنسية، حيث قتلوا ألوف الرهبان، واعتدوا على ألوف الفتيات القاصرات، بزعم نشر الحرية والعدالة، ولكنهم كانوا على خطأ؛ إذ أن ألاعيبهم اكتشفت منذ اليوم الذي طردهم فيه السلطان عبد الحميد من قصره، هذا العاهل التركي الذي أوضح للعالم أجمع نوايا اليهود الخبيثة، ومنعهم من الاستيطان في فلسطين، فراح اليهود يعملون ضده حتى أزاحوه عن طريقهم بعد أن قاومهم مدة ربع قرن من الزمن، بواسطة حزب الاتحاد والترقي الذي موله اليهود وأقاموه في الوطن التركي ليثور في ٣١ آذار، ويطيح بالدولة العثمانية، ومن ثم يحطم الوحدة التركية، وينشر الفساد والدمار في أنحاء الإمبراطورية العثمانية، وهذه المؤامرة كلفت تركيا ستين ألف ضحية بريئة، عدا مئات الأبرياء الأتراك الذين قتلهم يهود مقدونيا، وهكذا تمكن اليهود من ترسيخ أقدامهم في الوطن التركي، مثلما سبق لهم ترسيخها في فرنسا، وتوجوا كل هذه الجرائم بجريمتهم الكبرى التي ارتكبوها في روسيا، هذه الجريمة التي ذهب ضحيتها ملايين من الأبرياء، الذين كانوا ينتظرون الانعتاق من العبودية القيصرية منذ عدة أجيال، وإذ بهم يقعون في براثن اليهود الذين غرروا بهم بالتلويح لهم بالصداقة والأُخُوة والعمل المشترك لاستعادة الحرية المفقودة، أما الطليعة في تحقيق كل هذه الانتصارات اليهودية، فكانت دائمًا وأبدًا هي الماسونية

التابعة لها منذ عدة قرون، والماسون هم المسئولون عن كل هذه النكبات التي حلت بالعالم؛ ولهذا ننصح أبناء شعبنا بالابتعاد عن مكائدهم؛ لأننا نعتبرهم جميعهم جواسيس إسرائيل دون تمييز أو تفريق، وبانتظار استيقاظ الشعب الروسي والشعوب الأخرى من غفلتها التي سوف تمحو اليهودية وأنصارهم من الوجود، نرجو أن لا نخدع مرة أخرى مثلما خدعنا مرارًا في الماضي»(١). (مجلة المسيحيين الديمقراطيين اليونانية).

---

(١) نقلاً عن كتاب «الإسلام وبني إسرائيل» ص ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ لمؤلفه الجنرال أتيلهان الذي بدوره عن العدد الأول لمجلة المسيحيين الديموقراطيين (Hiristianik Dimokratias) لعام ١٩٥٥. (دار البشير).

الأصابع اليهودية في الشرق الأقصى

في أعقاب انهيار النظام الملكي في الصين، أشارت بعض الصحف اليابانية من طرف خفي إلى تدخل اليهود والماسون في أحداث الصين، فانبرى بعض السذج ليسفهوا رأيها، ولما ظهرت طلائع الثوار الشيوعيين على مسرح الأحداث الصينية، واشتبكت مع الجيوش اليابانية التي كانت تقاتل آنذاك جيوش الجمهورية الصينية (بقيادة تشانكاي تشيك) عادت الصحافة اليابانية من جديد إلى اتهام السيونو ماسون (siono Macon) بالعمل مع كل من الشيوعيين والجمهوريين، فاستهجن الناس هذه الاتهامات، وعزوها إلى تحامل اليابان على الماسون؛ لأنهم تخلوا عنها بعد أن حالفوها في حربها مع روسيا القيصرية، ودللوا على وجاهة رأيهم بالتناقض الكائن بين النظام الجمهوري، والنظام الذي كان الثوار يريدون تطبيقه في الصين.

وساندت الصحافة العربية المهودة هذا الرأي، وسفهت أقوال الصحافة اليابانية، فأهمل الناس الموضوع ولم يهتموا بما قالته الصحافة اليابانية، مع أن الأحداث التي سبقت انهيار الملكية، والتي رافقت النظام الجمهوري وما أعقبه من البوادر المشيرة إلى ازدياد النشاط الماسوني في الشرق، ومساندة اليهود لـ«سن يات سن» وإلى خلفه تشانكاي تشيك، والمساعدات العلنية التي قدموها لكلا الجبهتين معًا، تؤيد كل ما قالته الصحافة اليابانية عن تدخلهم في الصين، كما أن بعض المراقبين كانوا متفقين مع الصحافة اليابانية في وجهه نظرها، ولقد اعتمدوا في ذلك على الوقائع التي سبقت ورافقت أحداث الصين.

وفي هذا الصدد يحدثنا السيد هيبس[1] ويقول: إن الأدلة التي تدمغ اليهود بالتدخل في شئون الصين، هي أكثر مما يظنها المدافعون عن البراءة اليهودية، ومنها: النشاط المعادي للملكية الذي قام به السيونو ماسون في الصين في أعقاب المؤتمر الصهيوني (1897) الذي اشترك فيها زعماء اليهود في الشرق الأقصى، وازدياد عدد الجمعيات السرية المعادية للإمبراطورية، والعطف الذي كانت تظهره بريطانيا نحو أعضاء هذه الجمعيات؛ إذ كانت تحمي اللاجئين منهم إلى بلادها، مثل الدكتور «سن يات سن» الذي تدخل العامل البريطاني شخصيًا (باعتباره عميد الماسونية في

(1) P. Hepess (La Nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 220.

بريطانيا) لإنقاذه من براثن السفارة الصينية التي اختطفته لتعيده إلى بلاده.

وإذا أضفنا إلى هذا إسراع أمريكا وبريطانيا تحت الضغوط السيونو ماسون إلى الاعتراف بحكومة سن يات سن، ومن ثم مساعدة اليهود لخلفه تشانكاي تشيك الذي اعتمد على اليهود في إدارة جميع شئون بلاده، حتى أنه اتخذ الطباخ السابق اليهودي ويليام دونالد (Wiliam Donald) مساعدًا ومستشارًا خاصا له، وأسند إلى اليهودي هيغو لوستنيغ (Hugo lusting) إدارة جميع المصانع الحربية، كما أسند إلى اليهودية أنا إيركسماير (Anna Irexmaier) مهمة تموين جيوشه بالذخائر، ثم تكليفه مئات اليهود الآخرين بالإشراف على أمور دولته، وأخيرًا منحه الميزات لليهود في بلاده، فيتضح لنا من كل هذا مدى ما كان للسونو ماسون من العلاقة الوثيقة بالأحداث الصينية.

وفيما يتعلق بدور اليهود في التطورات التي وقعت في الصين، يحدثنا السيد جواد أتيلهان[1] ويقول: «لم يعد خافيًا على أحد بأن اليهودي بورودين (Borodin) وزميله أدولف جوف أو زوف (A. goffe) ويهودي ثالث (لم يذكر الكاتب اسمه، واكتفي بالقول عنه أنه كان من الماسون المقربين إلى القيصر حتى آخر أيامه، ولما حدثت الثورة في روسيا خان القيصر وتعاون مع اليهود الثائرين) هم الذين نظموا شئون الفرق الشيوعية الصينية، وقادوها في نضالها ضد كل من اليابان وجيوش تشانكاي، الذي فر أمامهم والتجأ إلى جزيرة فورموزا.

أما أسباب تخلي اليهود عن اليابان فتعود إلى أنهم استنفذوا أغراضهم من تحالفهم معها، والتي لم تكن سوى القضاء على القيصرية الروسية، فلما زالت الأسباب، عادوا مجددًا للكيد لليابان، والتفتوا إلى الصين التي كانوا يسعون لضمها إلى أحد معسكريهم؛ ولذا لجئوا إلى طريقهم المعهودة، وهي أنهم انقسموا إلى فئتين، يعمل كل منهما في إحدى الجبهتين الصينيتين، على أن تعمل كل منهما لضم الصين إلى المعسكر التي تتظاهر بالانتساب إليه (المعسكر الغربي الذي كان يمثله مَن يعمل مع تشانكاي تشيك، والمعسكر الشرقي الذي كان يمثله بورودين وزملائه) لأن اليهود كانوا واثقين من بقاء الغرب مواليًا لهم إلى الأبد، كما كانوا يعتقدون ببقاء سيطرتهم على الروس، هذا الاعتقاد الذي انهار فيما بعد وأفقدهم جميع آمالهم التي كانوا يعقدونها على

(1) C. R. Atihan (islam ve Beni israil) page 270.

المعسكر الشيوعي.

ويبدو أن نواياهم الدنيئة انكشفت للشيوعيين في الصين، فأبعدوا عن التدخل في شئونها بمجرد أن استتب الأمر للنظام الشيوعي فيها، ومع هذا خرج اليهود من الصين بالمليارات العديدة التي سلبوها من أموال الشعب الصيني، بفضل مؤازرة ومساعدة تشانكاي تشيك لهم، وهذا عدا عن أنهم تمكنوا من إشغال القوات اليابانية مدة طويلة، وكبدوها خسائر فادحة من جراء إرغامها على القتال في جبهتين، ومن ثم أوجدوا لمصانعهم الحربية في أمريكا وإنجلترا أسواقا عديدة في الشرق وعلى الأخص في الصين التي كانت تبتاع جميع ذخائرها عن طريق أنا أيركسماير، التي كانت تتعامل مع المصانع اليهودية في الغرب.

ويبدو أن اليابان كانت على علم وثيق بما يدبره اليهود في الصين، حتى صرح ممثلها فُوجيفارا (M. Fugiwara) أمام لجنة الأمن والتوعية القومية بما يلي[1]: من المُسَلَّم به أن ليس في اليابان حاليًا يهود يحملون الجنسية اليابانية، ولكن أساتذة الجامعات والأطباء والموسيقيين اليهود، الذين طردهم هتلر من ألمانيا، بدءوا يفدون بكثرة ويتمركزون فيها، دون ضجة وبكل هدوء، مثلما تفعل الجراثيم عند غزوها جسم الإنسان، فهي تنسل بهدوء إلى الأمعاء حيث تعشش فيها، ومن ثم تنتشر في أنحاء الجسم لتفتك به دون إنذار مسبق، وأكبر دليل على بدئهم بالتخريب، هو هذا السيل الكاسح من الكتب والنشرات الأوربية التي أوجدها اليهود، والتي بدأت تكتسح المجتمع الياباني، وهذه النشرات والكتب هي التي تنفث في مجتمعنا المبادئ الفتاكة بالقيم الأخلاقية، والممزقة للوحدة القومية، والداعية للنزاع الداخلي والطبقي، وهم بذلك يرمون تحطيم اليابان وتدمير تقاليدها ومثلها، كما حدث في الصين التي دفعوها إلى مقاتلتنا ليتمكنوا من سلبها ثرواتها وامتصاص دمائها عن طريق بيعها سلع مصانعهم التي تكتظ بها البلاد الغربية، ولهذا أدعوكم أيها السادة إلى اليقظة والانتباه لكل الحركات والسكنات اليهودية.

والحرب الدائرة اليوم بيننا، ليست في الواقع بيننا والصين الجارة العظيمة، بل هي اليابان مع السيونو ماسون الممثلة بشانكاي تشيك ومستشاره اليهودي ويليم دونالد،

(1) P. Hepess (La Nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 221.

وأننا إذ نصرح بهذه الحقيقة، نأمل منها إلفات نظر الشعوب المغرر بها من قبل وكالات الأنباء اليهودية، ونرجو أن تتفهم واقع هذه الأحداث الدموية، وتتأكد من أن الحرب القائمة، هي من وضع وتصميم اليهودية العالمية، وأنها فرضت على الجبهتين المتقاتلتين من قبلها وحدها، لتحقق لنفسها المكاسب المادية الفورية والمكاسب السياسية البعيدة المدى، ولهذا نعلن أننا سنثابر على القتال رغم أننا سفكنا فيه حتى اليوم دماء ستين ألف مواطن ياباني، إلى أن ننتصر على هذه الطغمة الفاجرة، لعل تضحياتنا تنفع الشعب الصيني، ويتلخص من هذا الغول ذي الرءوس الستة المسمي بالسيونو ماسون.

ومما أوردناه يظهر بجلاء أن الصهيونية العالمية كانت قد أقرت منذ مؤتمرها الأول، إدخال الصين ضمن مخططاتها، وعمدت إلى نشر الماسونية فيها، ولما قويت شوكتها سارعت إلى ضرب الملكية واستبدلتها بالجمهورية، وبعد أن حصلت على هدفها الأول، وهو امتصاص ثرواتها عن طريق إشعال نار الحرب الصينية اليابانية، عادت ودفعت بها في دروب مخططها الجديد، وهو إخضاعها للشيوعية وأتباعها للدولة السوفيتية التي كانت تسيطر عليها في ذلك الوقت سيطرة كاملة، لتسخرها بدورها في تحقيق حلمها الكبير، وهو إقامة الدولة اليهودية العالمية عن طريق النظام البروليتاري الذي كان اليهود يتخيلون بقاء سيطرتهم عليه.

ولكن الرياح جرت على غير ما اشتهوها، وتخلصت كل من روسيا والصين من نفوذهم، ولهذا نرى اليوم الماسونية والصهيونية المسيطرة على الدول الغربية تعارض وتصر على عدم إدخال الصين في الأمم المتحدة، وتتمسك بالقزم الماسوني تشانكاي تشيك، لتظل الصين منقسمة على نفسها، ومن هنا نرى أن التدخل اليهودي في الشرق كان أكثر من تدخل عادي فحسب، بل كان تدخلاً منظمًا، ومقسمًا إلى مراحل موقوتة بدقة متناهية.

ومما يجب ذكره هو أن اليهود لم يغفروا لليابان مناوأتها لهم واحتراسها منهم، وتحريض الشعب الأمريكي ببلاغاتها عليهم؛ ولذا انزلوا بها الكارثة الذرية عندما سنحت لهم الفرصة، وذلك على يد يشوعهم ترومان خليفة موساهم الجديد روزفلت، وهكذا دفعت اليابان ثمنًا ليقظتها من المناورات اليهودية مئات الألوف من الضحايا البريئة.

موسوليني والصهيونية أو الثأر اليهودي

إن أكبر خطيئة ارتكبها موسوليني في مستهل حياته السياسية، هي مجاهرته باحتقار الماسون وعدائه لليهود؛ إذ أن تسرعه في كشف نواياه نحو السونو ماسون (Siono Macon) جعل أفراد هذا الاتحاد يحتاطوْن للمستقبل، قلما تقلد موسوليني مقاليد الأمور، عمدت الرأسمالية الصهيونية إلى تهريب ثرواتها من البلاد، لخلق الضائقة المالية التي عمت إيطاليا في بداية حكم موسوليني، كما أوعزت إلى خلاياها السرية بالعمل خفية ضد النظام الجديد، وإمعانًا في الحذر أمرت الماسون، وعلى الأخص القادة والضباط منهم أن يسلكوا مع موسوليني مسلك المهادنة والترحيب بنظامه، فعلم موسوليني بمخططاتهم جميعها، غير أنه غفل عن لعبة الماسون، ووثق بهم واعتبرهم من أنصاره المخلصين، وبعد أن سوى أمور البلاد الاقتصادية، ونجح في تحطيم المؤامرة اليهودية بالقدر الكافي لإغاظة مدبريها، أسفر عن وجهه في مخاصمة اليهود، وعلى الأخص إبان حرب الحبشة وثورة أسبانيا، التي كان اليهود يعملون في كلتيهما لإحباط مساعيه، ولتحريض الدول الغربية المهودة عليه، مما أدى إلى فرض العقوبات الاقتصادية على إيطاليا.

ولما اندلعت نيران الحرب الكونية الثانية، شمر الماسون (حلفاء اليهود) عن سواعدهم وبدءوا بأعظم عملية تخريب في الجيش الإيطالي، كي يَحُولُوا دون انتصاره في أفريقيا الشمالية، وعندما اندحرت الجيوش الحليفة في طبرق، هال اليهود الأمر وسارعوا إلى إصدار أمرهم إلى أنصارهم الماسون أمثال بادوليو (Badoglio) وكراندي (Grandi) وفيدرزوني (Federzoni) والبيني (Albini) أن يشددوا النكير على الجيش، فعمدوا هؤلاء إلى تقنين المحروقات اللازمة للعمليات الحربية، وحرموا الجيش من الثياب الموسمية زودوه بالذخائر الفاسدة، وانقصوا من غذائه ولوازمه الطبية، رغم إلحاح الجيش في طلب هذه المواد الحيوية.

ولما تفاقم النقص في التجهيزات الحربية بدأ الجوع والمرض يفتكان في أفراد الجيش، فانهارت معنوياته، وتضاءلت مقاومته أمام ضربات الجيوش الحليفة، وانتهى به الأمر إلى إلقاء السلاح والاستسلام، وأعقب ذلك انهيار إيطاليا برمتها واعتقال موسوليني، ولكن شاءت الأقدار أنّ ينقذه المقدم الألماني سكروزني (Skrozeny) وأن

يتمكن موسوليني من العودة إلى النضال، ويعتقل بعض هؤلاء القادة الخونـة، ويحقـق معهم، وان يعترفوا له بأنهم خانوه، بناءً على التعليمـات الـتي تلقوهـا مـن محافلـهم، ولكن الظروف لم تسمح لموسوليني أن يستعيد نفوذه، وانهزمت قواتـه مـرة أخـرى في شمال إيطاليا، فاضطر إلى الهرب مع لفيف مـن أنـصاره إلى مدينـة دونكـو (Dongo) الواقعة على شاطئ بحيرة كومة (Come) حيث حاصـرته العنـصر اليهوديـة المـساعدة لجيوش الحلفاء، والتي كانت تعمل تحت إمـرة اليهـودي كـارولو أورتللـي (Carlo – Ortelli) الذي قاد فيما بعد إحدى كتائب الهاغانا (Hagana) في فلسطين، واشـترك في معركة ماسوت هامالا (Masut Hamala) وكـان يـساعده كـل مـن اليهـودي توكـايي (Tugayi) وبدرو (bedro) الـذي كـان يلقـب ببلـيني سـتيل (Bellini Stelle) ونـاري (Nari) أشهر كُتّـاب اليهـود في إيطاليـا ولينـو سـاندريو (Lion – Stelle) وبونزانيكـو (Bonzanigo) ولقد تمكنت هذه العصابة اليهوديـة مـن أسـر موسـوليني، فاقتيـد مـع أنصاره إلى الجبل، حيث شرع اليهود بتعذيبه مع رفاقه.

ولما علم الجنرال الأمريكي بـاتون بـالأمر، أرسـل كتيبـة مـن مدرعاتـه إلى مكـان الحادث لتنقذ موسوليني من أيدي اليهود، ولكن العصاة علموا بأمر باتون، فـسارعوا إلى تنفيذ الحكم بموسوليني، فأعدمه اليهودي فالتر أوديزيو (Walter Audizio) الملقـب بفاليريو (Valerio) قبل أن تصل كتيبة باتون بمدة وجيزة جدًا[١].

وهكذا انتقم اليهود من موسوليني زعـيم إيطاليـا في القـرن العـشرين، والمـصادر اليهودية لا تنكر هذه الجريمة، بل بالعكس تتبجح بها بأنها إحدى بطولاتهم، حتى أن صحيفة كرونيكـل اليهوديـة (The gewish Chronicle) الـتي تـصدر في لنـدن، رددت تفاصيل مقتل موسوليني عدة مرات، وتفاخرت بأن من قاموا باعتقاله والـذين نفـذوا حكم الإعدام به، كانوا من أبناء قومها، وكأنها كانت تقصد إيهـام الـرأي العـام بـأن هذه الجريمة هي السبب في كسب الحلفاء الحرب العالمية الثانية.

---

(1) C. R. Atihan. (islam ve Beni israil) page 286.

محكمة نورمبرغ
(NUREMBERG)
أو ضريح العدالة

منذ فجر التاريخ وللحروب أعراف وتقاليد يحترمها المتقاتلون، ويعملون بمقتضاها، وإن كانت تتبدل من حين لآخر، ولكنها تظل أبدًا ضمن نطاق المثل العليا، وتدور دائمًا حول محور الشرف والرجولة؛ ولذا كان المفروض بالمنتصر، الذي استعمل أثناء المعركة أشد أنواع البطش والوحشية، أن يعمد بعدها إلى التعالي عن الصغائر ويتصف بالحلم والشهامة، وأن يعف عن خصمه المغلوب، ويرد عنه كل منكر، والتاريخ يحفل بالأحاديث الشيقة التي تروى لما مدى ما كان عليه أبطال العصور الغابرة من النبل والرجولة، ومنها مواقف الفراعنة الكريمة من أعدائهم بعد النصر؛ إذ كانوا يعاملونهم أكرم معاملة، ويجلونهم عن الذل والمسكنة، تقديرًا لما أظهروه من البطولات في المعركة، ومنها أيضًا مواقف أبطال الفرس واليونان والرومان على مَن تغلبوا عليهم، هذه المواقف التي كانت تبلغ حد إعادة الملك المغلوب إلى عرشه، والقائد المهزوم إلى قيادته؛ إذ كان المفهوم السائد آنذاك هو إكرام البطل الشجاع إن غالبًا أو مغلوبًا.

أما ما يرويه التاريخ عن النبي محمد ﷺ في هذا المضمار، فهو أروع الأمثال، في كل ما قيل وسيقال عن مواقف الشهامة والشرف؛ إذ يقول: إنه عندما انتصر نصره النهائي على اليهود (الذين سبق له وعفا عنهم أكثر من مرة، فنكلوا به وخانوا عهده مرارًا) جاءوا إليه يلتمسون حلمه، ويسألونه أن يفرض عليهم ما يشاء من العقاب والجزية، على أن لا يعودوا بعد ذلك إلى الغدر به، فلم يكن من الرسول العربي إلا أن استجاب لطلبهم، شريطة أن لا يكون هو الخصم والحكم، ومنحهم حق اختيار مَن يثقون به ليحتكم وإياهم إليه، وكل ذلك ليثبت لهم مدى تمسكه بأهداف العدالة حتى مع من خانوه أكثر من مرة، كما أن موقفه الرائع من عدوه أبي سفيان عند انتصاره على قريش، ما كان إلا ليُذكّر الناس بأن لا انتقام ولا تشفي عن الاستسلام.

أما صرخة عمر بن الخطاب التي أطلقها في وجه قواده ليحد من غلوائهم، والتي قال لهم فيها: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟» هذه الصرخة ما

زالت حتى اليوم تعتبر آية من الآيات في سجل التاريخ، وهي إن دلَّت على شيء، فإنما تدل على ما كان عليه سادة العرب من الاحترام لحقوق الناس، والتقديس لكرامة الإنسان، حتى وإن كانوا من أخصامهم في الأمس، وهذه المواقف الرائعة ومثيلاتها التي يزخر بها التاريخ العربي، وهي التي دفعت بكرام المؤرخين إلى الاعتراف بأن التاريخ لم يشهد فاتحًا أعدل من العرب.

وعلى العموم فإن كافة الأمم والشعوب التي بحث عنها التاريخ القديم، كانت تراعي نسبيًّا هذه التقاليد والأعراف وتعمل بموجبها، اللهم إلا شعب واحد انفرد بين شعوب الأرض في إنكارها، واستنبط سننًا وشرائع خاصة به لم يشهد التاريخ لها مثيلاً من قبل، وهذا الشعب هو الشعب اليهودي الذي يفاخر مؤرخوه بأنه كان يدمر المدن التي يحتلها، ويعذب كل مَن يقع في أسره، ويطبق شريعة القتل العام على جميع سكانها، وهي تعترف بأن اليهود احتلوا الجبال الفلسطينية بفضل تطبيقهم لهذه الأساليب الوحشية التي تستنكرها جميع شعوب الأرض، حتى أن القرون الوسطى وما أعقبها من الأزمان، صقلت نفوس الشعوب أكثر فأكثر، ودفعت بها إلى أحداث قواعد وشروط تحدد العلاقات بين الغالب والمغلوب.

وفي العهود الأخيرة، أضيفت إلى تلك الشروط اتفاقات جنيف الأربعة المشهورة، المحددة لحقوق الأسرى والمصابين، وأسوأ هذه المفاهيم ما كانت لتتعدى حدود فرض استعمار الغالب على المغلوب، وكل ذلك كان بغية إبقاء الشرائع الحربية ضمن نطاق المفاهيم المتجانسة مع تطور الحضارة والثقافة الإنسانية، ولم يكن في تفاصيل هذه الشروط الحربية ما يشير إلى إباحة محاكمة قادة الجيوش المهزومة أو معاقبة الأسرى، وإساءة معاملتهم أو قتلهم والتنكيل بهم، ولهذا رأينا بريطانيا تعامل نابليون بعد انتصارها عليه وأسره في ساحة القتال أكرم معاملة، رغم كل ما أذاقها من الهزائم، كما أن الروس بعد انتصارهم على القائد التركي عثمان باشا، الذي كبَّدهم أعظم الخسائر، عاملوه معاملة الأبطال تقديرًا لشجاعته وصموده في وجههم أمدًا طويلاً، في الحرب الكونية الأولى لم يقع ما يغاير هذه التقاليد العريقة؛ ولهذا كان العالم يظن إبان الحرب الكونية الثانية أن هذه التقاليد هي التي ستنظم الأمور بعد انتهائها، ولكن الناس فوجئوا قبيل انتهاء الحرب بجنوح أمريكا إلى سُنَّة القتل العام، وذلك عندما

ألقت قنابلها الذرية على اليابان، وفتكت بمئات الألوف من العزل الأبرياء في غضون ثوان معدودات، فهالهم الأمر، واستعظموا إقدام الأمريكان على هذه الجريمة النكراء، وقبل أن ينتهوا من التفكير بها، إذا بهم يفاجئون بأخرى أشد هولاً وأكثر خطرًا على مستقبل ومصير الإنسانية، ألا وهي جنوح الحلفاء إلى محاكمة المغلوب، وكأنه مجرم أفاك، وظهرت للوجود ما أسماها الحلفاء بمحكمة بورمبرغ، أو محاكمات نورمبرغ، وعلى أثرها سمع الناس عن الذين أطلق عليهم اسم مجرمي الحرب تأتي بهم هذه المحكمة الغريبة في نوعها، ليمثلوا أمامها مكبلين بالأصفاد كالقتلة، وقطاع الطرق، فتقاضيهم على مسلكهم في جبهات القتال، وعلى الخدمات والتضحيات التي قدموها لأمتهم وبلادهم، وتعتبر كل فضائلهم ومناقبهم جرائم واعتداءات، وتصدر بحقهم الأحكام الجائرة بموجب قوانين ما أنزل بها من سلطان، وتعدم وتشنق، وتعذب وتنكل، وتهدر الكرامة الإنسانية دون وازع أو رادع، كأن قضاتها ومنفذيها زبانية الجحيم انطلقت من سقر لتصب جام غضبها على الشعب الألماني، ومن ورائه على الإنسانية جمعاء.

وإزاء هذه البدعة الجديدة وهذه المحكمة الفريدة، وهذه العدالة الغريبة، وقف العالم طويلاً يتساءل عن الأسباب التي حدت بالحلفاء إلى سلوك هذه المسلك المشين، رغم ما يدعونه من الحضارة والمدنية، والتمسك بالقيم الأخلاقية والإنسانية، وعن الذي دفعهم إلى تبني هذه البدعة الوحشية، ومن استنبطها، وعن الظروف التي جعلتها شريعة يؤخذ بها بين عشية وضحاها، ولكن الجواب على كل هذه الأسئلة ظل مجهولاً، حتى انتهت مهزلة نورمبرغ وسقطت الحجب عن كنه خفاياها، وانجلت الحقائق ناصعة للعالم بعد أن خاض الكثير من الكُتَّاب في البحث عنها، وظهرت أسرارها للعالم عارية مخزية، ومن بين النقاد الذين أوفوا هذا البحث حقه من التدقيق والتفصيل، المؤرخ التركي المعاصر الجنرال أتيلهان مؤلف كتب (أيها التركي اعرف عدوك -الإسلام وبني إسرائيل- جرائم اليهود في الحرب الكونية الأولى) وعشرات سواها، ونظرًا لما في أبحاثه من الدقة والتفصيل عن قضية نورمبرغ، أضع فيما يلي بعض ما جاء في مؤلفاته من المعلومات في متناول يد القارئ الكريم، بغية إيضاح هذه القضية.

يقول أتيلهان[1]: يخطئ مَن يظن أن الحلفاء أوجدوا محكمة نورمبرغ أو فكروا في إيجادها، أو أن هذه المحكمة وجدت فعلاً لمحاكمة مَن خرجوا على التقاليد والأعراف والقوانين الحربية؛ لأن الحلفاء لم يكن لهم مع الألمان أي حساب سوى حساب الغالب مع المغلوب، ولم يكن بين القادة مَن يمكن اعتباره خارجًا على القوانين والتقاليد، أثناء حربه مع الحلفاء، ولكن محكمة نورمبرغ كانت من جملة الأهداف التي حددها مؤتمر عام ١٨٩٧ الصهيوني، وسعى أعضاؤه وحلفائهم أكثر من نصف قرن لبلوغها، أما الأسباب التي دفعتهم إلى السعي لإقامة هذه المحكمة، فتتخلص بأن الصهيونية كانت قد تدارست في هذا المؤتمر جميع الأمور المتعلقة في تحقيق هدفها الأعلى، وهو إقامة الدولة اليهودية العالمية، التي قرر اليهود أن تكون نواتها في فلسطين.

ولقد عمدوا إلى دراسة العقبات الأساسية التي تعترض طريقهم، ومن ثم وضعوا المناهج والمخططات التفصيلية لإزالة تلك العقبات، وحددوا المراحل والأساليب للعمل على تحقيقها، وكانت العقبة الرئيسة بالنسبة لهم هي الدولة العثمانية، التي كانت ترفض مساوماتهم العديدة للاستيلاء على فلسطين، والعقبة الثانية كانت الدولة الروسية زعيمة الكنيسة الأرثوذكسية، التي كانت تدعي الوصاية على البلاد، وتمانع في امتلاك اليهود لها، ولقد تمكن اليهود في مستهل القرن العشرين من إزاحة كل من الدولة العثمانية والروسية، وذلك بعد الإطاحة بالإمبراطورية العثمانية وتقليص ظلها ضمن الحدود الأناضولية، وتمزيق العالم العربي إلى دويلات مستعمرة خاضعة للاستعمار الغربي المهود، ثم القضاء على الكنيسة والقيصرية في الوطن الروسي، وإخضاع شعبة لمشيئتهم حتى الأمس القريب.

والعقبة الثالثة، كانت هي الدولة الألمانية التي سعوا طويلاً للقضاء عليها وتمزيقها، لما كانت تبديه لهم من عدم التقدير والاحترام، بسبب ما كانت تعرفه عن مكائدهم ومراميهم، وفي الوقت الذي تمكنوا فيه من القضاء على الدولتين الكبيرتين تركيا وروسيا (في أعقاب الحرب الكونية الأولى) كادوا أن يتمكنوا من القضاء على ألمانيا أيضًا، ولكن الأقدار حالت دون مقاصدهم، وظهر على المسرح الألماني أدولف هتلر، الذي اشتهر بعدائه لليهود، بعدما شاهد أفعالهم في ثورتي برلين وبافاريا في أعقاب

(1) C. R. Atilhan (islam ve Beni israil) page 279 – 380 – 381.

الحرب العالمية الأولى، فسارع هتلر إلى إنقاذ بلاده من براثنهم، وأقام دولته الاشتراكية الوطنية، التي كانت طيلة حياتها عدوة اليهود اللدودة، والتي قلمت أظافرهم ليس في ألمانيا فحسب، بل في روسيا نفسها (على أثر الاتفاق السوفيتي الألماني عام ١٩٤٠) كما حالت دونهم ودون الهجرة إلى فلسطين طيلة السنين التي فصلت ما بين الحربين العالميتين (راجع فصل أسرار ويلهلمستراس).

ومن جراء هذا الموقف الألماني الصلب، تأخر مشروع إقامة الدويلة الكرتونية اليهودية مدة عشرين عامًا، هذا عدا ما كان يخلقه لهم هتلر من المتاعب السياسية في كافة أنحاء العالم، وعلى الأخص عندما انسحب من إيطاليا من عضوية جمعية الأمم التي أوجدها اليهود والماسون في أعقاب الحرب الكونية الأولى، التي كان اليهود يسمونها (حرب التحرير اليهودية) إشارة لما نالهم منها من المكاسب، وما حققوه من الأهداف، وفي مقدمتها وعد بلفور الذي انتزعوه من بريطانيا وحليفاتها في نهايتها.

وعلى أثر هذا الانسحاب قرر الفوهرر وضع حد للشطط اليهودي، فقرر اليهود الهجرة، ولكن هتلر لم يسمح لهم بذلك إلا على أساس ترك ممتلكاتهم وأموالهم الكثيرة التي اكتنزوها بوسائل الخداع والدسائس على حساب الشعب الألماني الكادح، وهنا قامت قيامة اليهود، وباشروا بالعزف على سمفونياتهم الخالدة، واحدة تلو الأخرى وبدءوها بالسيمفونية رقم واحد، التي توحي بالإكثار من الدموع التمساحية وبث الشائعات عن الاضطهاد الذي يتعرضون له، ومن ثم تعلوا أنغام السيمفونية الثانية، وتباشر الصحافة اليهودية بالتظلم والتشكي، وتطالب بالرحمة والشفقة لهذا الشعب الطريد الشريد من إخوة السيد المسيح، وتهب الصحافة المهودة في أقطار العالم، وعلى الأخص في البلاد الغربية المهودة لتنادي بالويل والثبور، وتحض الشعوب التي تدعي الحرية للسعي إلى إنقاذ اليهود المساكين من جلاديهم، وعندها يسارع الكتاب الماسون واليهود والمهودون أمثال أميل زولا، والفلاسفة المهودون أمثال رسل إلى مطالبة الحكومات بالتدخل، وإنقاذ الشعب الشهيد.

وهذا ما حدث تمامًا في السنين التي سبقت الحرب الكونية الثانية، فقامت الدول الغربية وصحافتها وجمعية الأمم بمطالبة هتلر بالكف عن الأذى المزعوم وإطلاق الحرية لليهود، ولكن هتلر أصم أذنيه عن سماع هذه الأراجيف، وظل على موقفه

من اليهود، ولما تيقن اليهود من عزم هتلر على معارضتهم حتى النهاية لم يكن لهم بد من الإسراع في محاربته، فشرعوا في تحريض الشعوب الأوربية والقارة الجديدة على ألمانيا، كما كان أنصارهم في البلاد الغربية وروسيا يعملون ليل نهار للحيلولة دون حصول ألمانيا على المجال الحيوي الذي كانت تطالب به، وأشاعت الصحافة المهودة بأن ألمانيا تتأهب لاكتساح العالم وفرض سيطرتها على أوربا، فانتشر الرعب والهلع وعاد سباق التسلح إلى الميدان، ويحرضون الشعب الألماني على الثورة عليه، كما عمدوا إلى تأسيس المنظمات، السرية المناوئة لهتلر، وزودها بالمال والتعليمات، وفي الوقت نفسه كانوا يدفعون بأتباعهم الماسون في داخل ألمانيا لاغتيال هتلر، ومع كل هذا ظل هتلر على إصراره بضرورة التخلص منهم، واكتشف بعض مؤامراتهم (مثل مؤامرة الجنرالات الماسون) وقضى على أكثر أتباعهم، ولكنه شعر بالخطر من جراء ما لمسه من تكتل الغرب واليهود ضده، فسارع إلى احتلال البلاد الشرقية التي كانت تعج باليهود، ومن ثم عقد حلفًا مع ستالين ليؤمن مؤخرته.

ولكن أين لهتلر وستالين أن يبلغا في الذكاء والخداع الشيطاني مبلغ اليهود، أو يتمكنا من معرفة ما كانوا يبيتونه؟ ولهذا لم تكن جميع الإجراءات التي اتخذاها ضد اليهود في ألمانيا وروسيا كافية للحد من شرورهم، وظل كثير منهم متغلغلين في أروقة الكرملين، يعملون بهدوء وسكينة لفصم الصداقة بين هتلر وستالين، وبغية تحقيق هذا الغرض عمد يهود روسيا إلى الدس وإشاعة الأخبار الملفقة عن نوايا هتلر في مهاجمة روسيا حال تصفية حساب الغرب، وبالوقت نفسه كانت الأوساط اليهودية في خارج روسيا تشيع أخبار مماثلة، وتزعم أن كلاً من هتلر وستالين يبيت الشر للثاني، وأن كلاً منهما يتحين الفرص للانقضاض على الآخر.

وكانت سفارة كل من البلدين في الخارج تتلقف هذه الإشاعات المتقنة، وترسلها إلى برلين وموسكو وكأنها معلومات وثيقة، كما أن الأوساط الماسونية والأحزاب المهودة السرية في ألمانيا، كانت تنشر أضاليل مماثلة في الداخل، وبسبب هذه الأخبار الملفقة بدهاء خارق، فقد كل من ستالين وهتلر ثقته بالآخر، بينما كان اليهود يضعون البرامج الجديدة لما بعد الحرب مع نبيهم في القرن العشرين (روزفلت رئيس الجمهورية الأمريكية) وكانت من بينها بدعة إيجاد محكمة نورمبرغ، هذه المؤسسة التي

عهد إليها بتصفية المقاومة الألمانية، والقضاء على العقبة الثالثة في طريق أهداف اليهود، ولكي تكون محكمة نورمبرغ جاهزة ومحققة لأغراض إيجادها كلف بوضع مخططاتها اليهودي صامويل روزنمان (Samuel I. Rosenman) الذي كان يشغل وظيفة المستشار القانوني للرئيس روزفلت، فخط لها المنهاج، وانتقى لها القضاة والمنفذين، وكانوا جميعًا حتى الجلاد من اليهود الموثوقين من قبل الرئيس روزفلت بالذات، فلما انهارت ألمانيا بعد أن تورطت في حربها مع الروس التي اندلعت بفضل الدسائس اليهودية، سارع اليهود إلى إقامة محكمتهم التي كانوا قد اشترطوا إقامتها ضمن الشروط التي انبثقت عن مؤتمر يالطا.

ولقد كتب عن هذه المحكمة كثير من الكُتَّاب في البلاد الغربية، وأجمعوا على أن كافة أعضائها كانوا من اليهود.

وقال الكاتب موريس بارديش (Maurice Bardiche) في كتابه المسمي «محاكمات نورمبرغ» بأن رئيسها المدعو روبير جاكسون (Robert g. gacson) كان مزودًا من قبل روزنمان بأسماء مَن يجب عليه محاكمتهم، وبمدد ونوع العقوبات التي كان عليه أن يفرضها بحق كل منهم، وروزنمان هو الذي عينه لرئاسة هذه المحكمة لعلمه الأكيد بحب جاكسون لليهود، باعتباره ابن أشهر مدافع عن اليهود في أمريكا، وعين له كمستشار حقوقي اليهودي شولدن كلوك (Sheldon Gluck) الذي اشتهر بعداوته للألمان، واختار لهما الماسوني ولش (Walsh) كمساعد في أمور التحقيق، ولقد اشتهر هذا الأخير بثرائه الفاحش بعد عودته من ألمانيا، واختير الكولونيل اليهودي أندروز (B. gc. Andros) رئيسًا للهيئة التنفيذية، وهو بدوره اختار جميع مساعديه من بين اليهود، كما أن الأطباء الذين عينوا لمساعدة الدائرة القضائية أمثال الدكتور دوغلاس موردخاي كيلي (Douglas Mardokhay Kelly) وغولدنسوهن (Leon N. Goldensohn) وكاتز (R. Katz) كانوا جميعًا من اليهود الحاقدين على كل ألماني في الوجود، وهكذا أصبح مصير قادة الألمان، بل مصير ألمانيا بأسرها بين أيدي هؤلاء اليهود، ولما كان غرضهم الحقيقي هو الثأر والإذلال وليس التحقيق أو إقامة العدالة، فقد أذاقوا القادة الألمان كل أنواع العذاب، حتى أن أكثر المعتقلين كانوا ينتظرون ساعة الموت بلهفة ليتخلصوا مما كانوا يتعرضون له من الظلم والمهانة على أيدي

جلاديهم من اليهود.

ولقد روى لنا السيد جوليوس ستريش الزعيم الألماني المعروف قصة اعتقاله وتفاصيل معاملته في السجن، وقال: عندما أُعْتُقِلْتُ في ٢٦ نيسان ١٩٤٦ وزُجُجْتُ في السجن، جردني اليهود من كافة ثيابي، وظللت أربعة أيام عاريًا تمامًا، وعندما كنت أروم النوم كان ينهال على اليهود ضربًا بالسياط ليمنعوني من الراحة، وإمعانًا في الإهانة، كانوا يرغمونني على تقبيل أقدام خدمهم من الزنوج، ويقطعون الماء عني، فلما أعطش وأطلب ماء يأتون لي بكاس مليئة بُصاقًا ويقدمونها إليَّ، فكان من البديهي أن تمج نفسي هذا الشراب وأرفضه، فينهالون عليَّ ضربًا وركلاً، ومن ثم يفتحون فمي بقطعة من الحديد ويقذفون بمحتويات الكأس في فمي، وكم من مرة قدموا لي البول بدلاً من الماء، فلما كنت أرفض عطائهم كانوا يقذفونه في وجهي ويقولون لي: إنني لا أستحق شرابًا خيرًا منه.

ولما قرروا إعدامه سيق إلى باحة السجن ورفع إلى منصة الإعدام حيث لف الجلاد اليهودي وودز (Woods) الحبل حول عنقه، وعند ذلك رفع جوليوس قامته الجبارة، واتجه نحو المتفرجين وصاح بصوته الجهوري الذي هز جنبات السجن قائلاً: انظروا كيف ينتقم قضاة نورمبرغ (المثلث اليهودي) مني، وكيف يطبقون تعاليم التلمود، إن حقدهم الأسود هو الذي يدفعهم لقتلي دون حق، فلتكن مشيئة السماء، وكل ما أرجوه هو أن يحفظ الله ألمانيا من كيدهم. ولكن الجلاد اليهودي لم يترك له فرصة لإكمال حديثه، فقذف به في الفراغ.

ومن أغرب الجرائم التي ارتكبها اليهود في ألمانيا هي إعدامهم الجنرال دوستلر (Dostler) في ساحة القتال بعد أسره، بحجة أنه عذب بعض اليهود في أحد المعتقلات عام ١٩٤٣.

والماريشال كيتل (Keitel) القائد الأعلى للجيش الألماني، تعرض أيضًا لأبشع أنواع العذاب في سجنه، حتى أن اليهود كانوا يأمرون الزنوج بضربه ورميه بالأقذار، ولقد شج رأسه عدة مرات قبل أن يعدم، ولم ينقذه من براثنهم إلا هذه الخاتمة المفجعة، وأعمال الضرب والإهانة في سجن نورمبرغ كانت أكثر من أن تحصى، حتى أن الكتاب يعتبرونها إحدى التقاليد اليومية التي كانت سائدة في معتقلات نورمبرغ.

أما معاملة الأسرى الألمان، فلم تكن أحسن من معاملة من أسموهم بمجرمي الحرب، وفي هذا الصد يروي لنا المخبر الصحفي الحربي البريطاني ليونار موسيلي (M. Leonard O. Mosly) الحادثة التالية، فيقول: «عندما كنتُ في شهر نيسان عام ١٩٤٥ في مدينة بلسن (Belsen) طلبتُ زيارة معتقلات الأسرى من جنود الصاعقة (S.S) وكانت هذه المعتقلات تخضع لقيادة الضباط اليهود، وسمح لي بذلك، وصدف أن مات في ذلك اليوم المشئوم بعض الأسرى، على أثر التعذيب الوحشي الذي تعرضوا له من قبل ضباط اليهود، فأمر الضابط الأسرى من رفاقهم الأحياء بأن ينقلونهم إلى حيث يوارون بالجملة، ودعيت لمشاهدة عملية هذا التسخير المفجع، وكان الجنود قد أمروا بأن ينقلوا كل جثتين معًا، ولما كان هؤلاء التعساء منهوكي القوى من أثر الجوع والتعذيب، وغير قادرين على حمل جثتين معًا، فقد عمدوا إلى حمل الجثث على ظهورهم، ورغم ذلك كانت بعض الجثث تفلت من أيديهم وتقع على الأرض، عندها كان اليهود ينهالون عليهم بالسياط والقضبان الحديدية ضربًا ولكزًا، وأحيانًا يطعنونهم بالحراب، ولقد قُتِلَ كثير من هؤلاء الأسرى من جراء هذه المعاملة وأُصيبَ أكثرهم بعاهات مستديمة»[(١)].

ويتضح مما سبق وما رويناه من الأحاديث، أن اليهود كانوا قد صمموا أمر إذلال الشعب الألماني منذ أمد بعيد، ولما حانت الفرصة راحوا يتفننون في أعمال التعذيب والإفناء، تحت ظل محكمة أضفوا عليها الصفة الشرعية بفضل مؤازرة الرئيس روزفلت لهم.

أما الأغراض البعيدة المدى التي توخوا تحقيقها من بدعة محاكمة القواد والحكام، فهي أخطر بكثير من كل ما يخطر على بال، وتتلخص هذه الأغراض بأن اليهود أرادوا أولاً إرهاب القادة العسكريين في المستقبل، حتى لا يعمدوا إلى مناوأة مخططاتهم الرامية إلى استعباد الشعوب، وثانيًا ليسهل عليهم شراء القادة وإخضاعهم لمآربهم، باعتبار أن القادة سوف يفكرون مرارًا قبل أن يقدموا على القتال الذي يعني الموت المؤكد في حالة الانهزام.

ولما كان اليهود في أعقاب الحرب العالمية الثانية قد ضمنوا السيطرة على كافة

---

(1) C. R. Atilhan (islam ve Beni israil) page 202.

الشعوب الغربية وأمريكا، كما كانوا يعتبرون هذه السيطرة مضمونه لهم في روسيا أيضًا، فقد نزعوا إلى تطبيق هذه البدعة ليحدوا من نشاط ما تبقى من قادة الشعوب والأمم، ويخضعوهم لمشيئتهم على حساب الشعب الألماني، الذي قدر له أن يسقط صريع دسائسهم ومناوراتهم الخادعة، ولكن اليهود كانوا على خطأ في تقديرهم هذا لأن بدعتهم هذه هي سلاح ذو حدين، فكما هي أداة إرهاب للجبناء والمتخاذلين، فهي بالوقت ذاته أداة لشحذ الهمم، ودفع المقاتلين للصمود حتى الموت باعتباره المصير المحتوم لكل مهزوم؛ ولذلك سوف يعمد القادة في الحروب المقبلة لاستعمال كافة ما لديهم من أدوات القتل والدمار دون رحمة أو شفقة؛ حتى يضمنوا لأنفسهم النصر الذي أصبح المنقذ الوحيد لقادة الجيوش والأمم الذين سيتورطون في إحدى الحروب، وفي هذه الحالة سيكون مصير الإنسانية بأسرها على كف عفريت، وبفضل هذه البدعة اليهودية القذرة التي تبنتها الشعوب المهودة التي ستكون وقودًا للحروب المقبلة، فعندها سوف يعض اليهود ومن ناصرهم في إيجاد هذه البدعة على النواجذ، حيث لا ينفع العض والندم.

وفيما يتعلق بالبحث عن محاكمات نورمبرغ، نرى أن الكاتب البرتغالي الأستاذ جواس داس راكراس (brof. goas das Ragras) مؤلف كتاب (دعوة) أو قضايا نورمبرغ كان أكثر توفيقًا من سواه في بحثه عنها؛ إذ قال: «وإن كانت الحيثيات التي اعتمدتها محكمة نورمبرغ في إصدار أحكامها، هي من الأمور المستحيلة على الفهم والإدراك، إلا أن الأسباب والأغراض التي تكمن خلف أحكامها ليست من الغموض بالقدر الذي يظنه بعض النقاد، ويقينًا أنها جد واضحة، وهي لا تخرج عن كون العالم الغربي المسمي بالديمقراطي المتحضر، والمتخوم بالثروات الطائلة والمسير من قبل أخس أنواع البشر، ولم يعد يحتمل أن يرى نصب عينيه وجود الدولة الألمانية الشامخة الممثلة لأنبل الأمم تفكيرًا، وأمتنها عقيدة، وأصلبها عودًا في الدفاع عن حقها في الحياة الكريمة، والتي تمردت على سادة الغرب طويلاً، وسارت في دروب العلم والحضارة رافعة الرأس عالية الجبين، لا تنظر إلى مخازي الغرب إلا بكل ازدراء؛ ولذا انقض عليها الغرب المهود بكل ما لديه من إمكانيات مادية، ومع كل ما يجيش في صدر سادته من الحقد والتعطش للدماء، ولما قيض القدر له النصر عليها، ضرب بكل

المفاهيم والمُثل عرض الحائط، وراح يلوغ في الدماء الألمانية بكل لذة وتشفي، ويعدم قادتها وقتل علماؤها، ويمحوا أخيارها ومثقفيها، ليفسح المجال لسادته اليهود أصحاب الظفر الحقيقي في هذا الصراع المحزن[١].

وهكذا قضى اليهود على العقبة الثالثة، ومن ثم فرضوا على العالم إرادتهم وأسسوا نواة دولتهم عام ١٩٤٨ التي يأملون الانطلاق منها إلى ما تبقى لهم من الأهداف التي أقرت في مؤتمر عام ١٨٩٧.

---

(1) C. R. Atilhan (islam ve Beni israil) page 283.

التنظيمات اليهودية عبر التاريخ

بغية تنوير القارئ عن العوامل التي أدّت إلى الإبقاء على وحدة ما يسمى اليوم بالشعب اليهودي، مع افتقاره منذ القدم إلى المقومات الضرورية لتكوين وبقاء الشعوب، ورغم ما تعرض له من النفي والتشريد، لا بد لنا من العودة إلى أقدم عصوره، لنرى معًا ما كان عليه مجتمعه البدائي الذي بحث عنه كتاب التوراة بكل تفصيل ودقة، ووصفه بالمجتمع القبلي الضيق الذي كان أفراده يعيشون حياة البداوة المعهودة.

ومن هنا يتضح أن اليهود (أي العشائر التي اتخذت هذا الاسم فيما بعد رغم اختلاف أصول أفرادها) كانوا يعيشون مثل سواهم من أفراد العشائر الرحل، يدينون فقط بالولاء لزعيم العشيرة ويتبعونه في الحل والترحال، ولم يكن لهم من غرض سوى البحث عن الماء والكلأ، وعندما اكتظت صحراء سيناء بهم، ولم تعد مرابعها تكفي لرعي مواشيهم، أرغموا على البحث عن مجال حيوي آخر يقيهم شر الفاقة والتناحر على المرعى، فلم يجدوا خيرًا من التوجه إلى أرض كنعان التي استضعفوا سكانها، ولتحقيق فكرتهم هذه كان لا بد لهم من توحيد كلمة مختلف العشائر التي كانت تجوب سيناء، ومن ثم إيجاد زعيم يقودهم، ويبدو أن موسى تمكن من توحيد صفوفهم (بعد أربعين عامًا من النضال المرير) وجمع شمل تلك العشائر المختلفة التي أطلق عليها فيما بعد اسم بني إسرائيل، ومن ثم أغار معهم على أرض كنعان واقتطعوا قسمًا منها، واستوطنوا فيه، ولما كانت الغاية الوحيدة التي جمعت هذه الكتل البشرية قد تحققت، عادت كل فئة من بني إسرائيل إلى قبليتها الضيقة، وقطعت صلاتها مع الفئات الأخرى، وهكذا انفرط عقد اليهود واستكانوا مدة من الزمن إلى عيشهم الجديد.

ولما ازداد عليهم الضغط الذي تعرضوا له من قِبَلِ السكان الأصليين ودام عدة قرون، وجدوا أن لا مفر لهم من العودة إلى توحيد صفوفهم، فعمدوا إلى الالتفاف حول شاوول الذي أطلقوا عليه لقب ملك وعلى عهده عهد الملكية، ولكن عمق جذور التفرقة التي كانت تسود صفوفهم، حال دون دوام هذا النظام، فانهار بعد

نصف قرن وانشطرت مملكتهم إلى دويلتين يهودا وإسرائيل: ودام النزاع بينهما إلى أن انتهيا إلى مصيرها المعروف، وشرد أتباعهما في مختلف أقطار الأرض، ومع هذا ظلت فكرة التفوق العنصري وذكرى الأمجاد الغابرة تحتل المكان الأول في مخيلة اليهود، وذلك بفضل مثابرة رجال الدين على ترديد هذه الأفكار والدعوة لها، حتى رسخت في نفوس اليهود وأصبحت جزءًا من كيان ووجود كل فرد منهم حيثما كان، وهذه الأفكار هي التي دفعتهم مرارًا إلى التمرد والعصيان على السلطات التي تعاقبت على حكم العالم القديم، ورغم النكسات التي أصابتهم كانوا يعاودون التجربة كلما وجدوا إليها السبيل، ويبدو أنهم أيقنوا في النهاية أن لا أمل لهم في النجاح، طالما كانت التفرقة تسود أوساطهم، وطالما كانوا يفتقرون إلى وحدة القيادة (إذ أن جميع الثورات اليهودية كانت محلية وغير عامة) فقرروا في العهد الروماني أن يوحدوا صفوفهم وقيادتهم، وبما أنهم لا يملكون من المقومات اللازمة لتحقيق هذا الهدف إلا الدين، فاتخذوه بمثابة منطلق لتحقيق وحدتهم، واعتمدوا رجاله لتكوين القيادة المرجوة باعتبارهم كانوا نواة المقاومة اليهودية منذ عهد المنفى.

وهكذا ظهر للوجود المجلس الكهنوتي الأعلى (Sanhedrin) ولكي يكون نفوذه قويًا على العامة، زعموا أنه ينحدر عن المجلس السبعيني الذي رافق موسى لتلقى الكلمة، والذي كلّفه يهوى بالإشراف على شعبه المختار، وإدارة شئونه الدينية والدنيوية، ولما كان اليهود يعتبرون التوراة وكل ما ينسب لموسى الحَكَم الفَصْل في وجودهم، انطلت عليهم الفرية، وأعلنوا خضوعهم في جميع مستعمراتهم لسلطة المجلس الكهنوتي وبايعوه بالطاعة والولاء، فاعترفت الدولة الرومانية رسميًا بسلطته على شئون اليهود العامة، وساندته في مهامه وحتى أنها عاونته في جباية العشر من اليهود في جميع المستعمرات الرومانية.

ولقد استغل اليهود المجلس اليهودي اعتراف روما بسلطته، وسارع إلى توثيق عرى الوحدة القومية بين اليهود ودرس أوضاع جالياتهم واستعرض الفرضيات المختلفة، ووضع الحلول المناسبة لها، ومن ثم بدأ بكتابة التلمود وتوزيعه على أتباعه باعتباره المنهج الأساسي الذي يجب عليهم السير بموجبه.

وفي أواخر العهد الروماني وسع نشاطه الإداري، وأوجد هيئة الميشنا

(Les Docteurs de Michna) لتابر على كتابة التلمود وتساعده في الإشراف على شئون الشعب، ومن ثم ألحق بها هيئة أخرى سميت بهيئة الكهنة أو الكتاب (Les Scribes) لتساعد حكماء الميشنا في المناطق والأقاليم، ولما أيقن المجلس من اتساع مجال نفوذه وأعماله أوجد مؤسسة أخرى أكثر قدرة على تسيير أمور الشعب اليهودي، وأطلق عليها اسم هيئة الكحال السرية (Kohal) وكلفها في أواخر القرون الوسطى بإدارة الشئون السياسية والعنصرية، وهذه الهيئة السرية تتكون من الأثرياء والعلماء، والفلاسفة، والكهنة، والكتاب، والعمال، والأخصائيين، والسياسيين من مختلف النزعات، ولكن أسماءهم ظلّت مجهولة حتى من قبل اليهود، إلا أن السيد هيبس[(١)] يؤكد أن أبرز أعضائها بعد الحرب العالمية الأولى كانوا من الأثرياء أمثال روتشيلد (Rothschild) وفاربورغ (Warburg) وساسون (Sasson) ويعقوب شيف (Chiff) وولف (Wolf) ولوب (Loeb) ومن هذه الأسماء يظهر لنا جليًّا أن أعضاء هذه الهيئة كانوا خلطًا من أنصار اليمين واليسار.

ويلي مجلس الكحال مجلس آخر يدعى بالهابورا (Haburat) يختص في توثيق الروابط العامة بين اليهود، وله خمسة فروع تضم كافة يهود العالم، وهي فرع إخوة العلماء والمثقفين وإخوة رجال الدين، وإخوة الكادحين، والأُخُوة العامة، وأخيرًا إخوة أبناء العهد القديم (Bnai – Brith) التي أسست عام ١٨٤٣ في نيويورك، من قبل اثنى عشر يهوديًا من أبرز أعضاء المحفل الماسوني، وهذه الأُخُوة يخضع لها كافة يهود العالم الأنكلوساكسوني.

والظاهر أن اليهود لم يكتفوا بكل هذه التنظيمات، فعمد مجلسهم الأعلى إلى إحداث جمعيات أخرى في مختلف أقطار العالم، بغية مراقبة كل ما يجري فيها، ومن الأمور المتعلقة بالمجالات السياسية والاقتصادية، للعمل على ضوء المعلومات التي تصله منها.

وأهم هذه الجمعيات الخاضعة للكحال هي جمعية الماسون، التي استطاعت منذ القرون الوسطى أن تسيطر على أكثر الجمعيات المحلية في كل بلد، مثل جمعيات المثقفين الإنسانيين المنتشرة في البلاد الأوربية، كما أوجد اليهود في بعض البلاد

(1) P. Hepess (La Nouvelle Bible des peoples Martyrs).

منظمات رئيسية وعلنية لإدارة شئون اليهود فيها، مثل المنظمة الكائنة في إنجلترا، والمسماة بالمجلس النيابي اليهودي (gewish Board Debuties) أو الكنغرس اليهودي في أمريكا (American gewish congress) وهذه المنظمات هي بمثابة دول ضمن الدول، لا تجرؤ دولة منها أن تقرر أمرًا ما يتعلق باليهود إلا عنْ طريقها.

وكان لليهود في روسيا جمعية مماثلة أسست عام ١٨٤٥، وكانت تسمى بجمعية حكماء صهيون، ولقد اشتهرت بتحريض اليهود على الهجرة إلى الديار المقدسة، كما كان لهم جمعية سرية عرفت باسم جمعية النهليست (Nihistees) قامت بكثير من الأعمال الإجرامية في عهد القيصر. ولليهود جمعيتان عالميتان، هما الاتحاد الإسرائيلي العالمي (Aliance Israelite Universelle) والجمعية الصهيونية العالمية، التي انبثقت عن المؤتمر اليهودي الذي عقد في مدينة بال السويسرية في ٣٠ آب ١٨٩٧، ولهم منظمات اقتصادية أخرى منتشرة في أكثر البلاد، وكل هذه المنظمات رغم تعددها واختلاف أسمائها تعمل جميعها تحت إشراف الكحال، وكل ما يقال عن وجود خلافات بينها، هو محض افتراء من قبيل ذر الرماد في الأعين؛ لان ليس في دنيا اليهود مَن يجرؤ على الخروج عن إرادة الكحال أبدًا.

الماسونية أو ابنة يهوى البكر

«نحن الماسون ننتسب إلى عائلة كبير الأبالسة (Lucifer) فصليبنا هو المثلث، ومعبدنا هو المحفل». من أقوال الأستاذ الأكبر لمحفل لسينك في مؤلفه عن الماسونية ص (١١٩)
(١): ٠ - هـ ص٢٤٦.

Grandm - Maitre Brockin de la loge "lessing" Bauhuette 1890 -page 119. B: O: du G O: de F 1886.

منذ عدة أجيال والعالم يسمع بالجمعية الماسونية ومحافلها، المنتشرة في أكثر بلاد العالم، والكل يتساءل عن سر وجودها، وعن الغرض من أحداث محافلها، ولكن الأكثرية الساحقة تجهل عنها كل شيء؛ لأنها منذ ظهورها تحيط نفسها ومحافلها والمنتسبين إليها بغيوم كثيفة، تحجب عن الناس كل مقاصدها الحقيقية؛ ولهذا كانت وما زالت موضع تكهن واستنتاج بالنسبة لأكثر المواطنين في كل بلد، فراح كل فرد يروي عنها ما نقل إليه أو ما يظنه هو بها.

فمن قائل أنها جمعية إنسانية ذات أغراض نبيلة، ومن قائل أنها جمعية ملحدة مشركة، أو أنها مؤسسة ذات أغراض سياسية، وأغرب ما في أمرها هو جهل المنتسبين إليها لأغراضها الحقيقة، وعلى الأخص الشرقيين منهم، فهم يزعمون أنها جمعية شبه تعاونية تعمل لخير الإنسانية جمعاء، ولتحرير الإنسان من الظلم والاستعباد، وعلى هذا الأساس يخضعون لتعاليمها، وينفذون أوامرها، ويسيرون في ركابها دون تردد أو تساؤل، فهم ينظرون إليها من زاوية تسميتها ذات الطابع البسيط، وهي جمعية البنائين الأحرار (Feanc – Macon) التي لا توحي إلى الإنسان بما يلفت انتباهه، أو ما يوقظ الشك في نفسه.

ولكن هذه التسمية البسيطة تخفي في طياتها أبشع أنواع المقاصد الخبيثة، كما أن فلسفتها الخاصة التي تبدو في مظهرها العلني، وكأنها عبارة عن نظريات فكرية تعتمد على العقل والمنطق، تنطوي على أخس أنواع التخريب للمفاهيم والأعراف والتقاليد، التي ناضل الإنسان في سبيلها طويلاً.

ومن الأشياء المعروفة عنها، أنها مثلاً تسخر من المعتقدات السماوية، وتدعو أصحابها للتفكير ومناقشة تفصيلاتها قبل اعتناقها، وتبشر بالمادية الملموسة بدلاً عنها،

لما فيها مما يتفق مع العقل والمنطق، بالوقت الذي تزعم فيه أن كل المعتقدات السماوية تناقض العلم وتفتقر إلى القرائن المنطقية والحسية، ومما لا ريب فيه هو أن الماسونية في نقاشها على هذه الأسس المادية لكل ما يتعلق بالمعتقدات الدينية تخرج ظافرة في أكثر الأحيان مع الأكثرية الساحقة من الناس، وحتى مع بعض المثقفين المفتقرين إلى ميزة التوسع في مناقشة الأمور على ضوء المدارك الصحيحة، أو الذين يفتقرون إلى قوة الاستنتاج والمقارعة، أو الفئة المحدودة الذكاء والتي لا رصيد لديها من المثل العليا، أو الجماعات الانتهازية العابدة للمادة، وهي في الواقع لا تروم من دعوتها هذه الإساءة للمعتقدات السماوية، بقدر ما ترمي من ورائها إلى اجتذاب الناس إلى المادية، التي تؤدي بهم إلى اللامبالاة في كل شيء ما عداها.

ومن الأمور التي اشتهرت بها الماسونية أيضًا، دعوتها للحرية والمساواة والأُخُوة، هذه الشعارات التي تعتبر من أقدس أهداف الإنسان منذ فجر الخليقة. ومن البديهي أن يبارك السامع هذه الشعارات، وينظر بعين الرضا والاحترام لكل مَن ينادي بها، ولكن هناك معضلة كبرى تتعلق بهذه الشعارات، وهي أن مفهومها يختلف عند الناس؛ لأنه يرتبط بأوثق الوشائج في نفسية كل فرد من بني البشر؛ لأن لكل إنسان مفهومه الخاص في هذا المضمار، فمثلا أن مفهوم الحرية عند الإنسان الكامل هو أن يكون كل مواطن حُرًّا في إبداء رأيه، وفي عمله، وفي معتقداته وتصرفاته، على أن لا يسيء في كل هذا إلى سواه من المواطنين أو إلى المجتمع، وعلى أن تكون هذه الحرية ضمن نطاق المصلحة الجماعية، ومع مراعاة الواجبات المفروضة على الفرد، نحو كافة المثل العليا المتفق عليها في البيئة والمحيط العام، والمساواة في مفهوم الإنسان الكامل هي أن يكون الجميع متساوين في الحقوق والواجبات العامة، وأن تؤمن للفرد حياة كريمة ضمن إطار إمكانياته الخاصة، ودون شطط أو إسراف، حتى لا يكون على حساب الفرد الآخر أو المجتمع، وأن تؤمن حياة مماثلة لمن أعجزته الطبيعة عن العمل على أن لا تتعدى حدود مفاهيم القدسية الإنسانية، وأن تراعي في كل ذلك مصلحة المجتمع الذي ينتسب إليه الفرد.

كما أن مفهوم الأُخُوة لدى الإنسان الكامل، تعني الأُخُوة الصادقة التي ينظر كل فرد إلى الفرد الآخر من زاويتها، وأن يراعي الجميع القدسية الإنسانية بأجلى

مظاهرها، وبكل ما فيها من المعاني النبيلة كالمحبة الأخوية، والتعاون الأخوي والشعور الأخوي، والتفاعل مع شعور وحس كل إنسان في المجتمع، إما أن تكون الحرية مطلقة دون قيد أو شرط، والمساواة مطلقة دون وازع أو رادع، وأن تكون الأُخُوة خاصة ومنحصرة، فهذا يعني الخروج على العقل والمنطق، واستبدال المفاهيم المتحضرة بمفاهيم حياة الغاب، يظن بعض الناس أن الحرية تعني أن يفعل الإنسان ما يشاء، ولو أدى عمله هذا إلى إيذاء الآخرين، سواء في مصالحهم، أو مفاهيمهم، أو مثلهم، أو معتقداتهم.

وهناك مَن يظن أن المساواة تعني أن يكون الإنسان متساويًا في كل شيء مع الآخرين، فيطالب بما يعجز عن القيام به، أو بما يؤدي إلى الإساءة للغير والمجتمع بحجة أن زيدًا هو كذا، أو له كذا، فلِمَا لا يكون هو مثله، وله مثلما لزيد؟ دون إدراك للفارق في المؤهلات والميزات.

وبعض الناس يفهم الأُخُوة على أنها منة ودلال، فيجنح إلى الشطط حتى يكفر الناس بمفهوم الأُخُوة والقدسية الإنسانية، فهل يعقل مثلاً على أساس الحرية والمساواة والأُخُوة أن نأتي بمجنون ونسلمه مقاليد الأمة بحجة أنه إنسان مثل غيره، وأخ للآخرين؟ وعندما يعمد إلى الفتك بالناس، أن نغفر له ذلك بزعم أنه حر في تصرفاته؟ أو أن نسمح لجاهل بأن يشرف على وزارة التربية، لكونه مساويًا في الحقوق مع أكثر الناس ثقافة وإدراكا؟ وأن نتركه يعلم الناشئة الميسر والفجور، بزعم أنه حر أن يفعل ما يشاء؟ وأن نسمح لجاهل فاجر بإيذاء الناس بأعماله الشاذة اللاأخلاقية؛ لأننا نؤمن بالحرية والمساواة والأُخُوة؟

طبعًا ليس من المنطق أن نقبل بهذه الأمور الغير طبيعية، والطبيعة الخلاقة نفسها لا تقر ببعض هذه الشعارات، فهي مثلاً ليس فيها ما يسمى بالمساواة أو التساوي، فلو أننا راقبنا تطور حبتين متساويتين في الشكل والوزن من القمح زرعتا في نفس الثانية، وفي نفس الأرض ونابهما القدر المتساوي من الرعاية المشروطة، لوجدنا أن نمو كل منهما يختلف عن الأخرى، كما يختلف لون أوراقهما، وعند الحصاد نرى أن لكل واحدة منها نتاجها الخاص، ولكل حبة من حباتها شكلها ووزنها الخاص بها، وإذا أخذنا بيضتين من وزن وشكل واحد، ووضعناهما في وقت واحد في المفرخة

الكهربائية، نرى أنهما أخرجتا فرختين غير متساويتين في الوزن والتكوين، وإذا تابعنا تطورهما في المحضن، لشاهدنا اختلافًا في تطورها ونموهما، رغم الاعتناء المتعادل في نفس الزمن المحدد، ويبدو أن الذرات المكونة للجماد هي أيضًا تختلف في تكوينها الخاص، فلو أخذنا قطعة من الصخر الأصم منتظمة الشكل من حيث المقاييس الهندسية، وعرضناها لضغط متساو حتى تتفتت إلى ذرات، نتبين عندما نضع هذه الذرات تحت المجهر، مقدار الاختلاف الكائن بين هذه الذرات من حيث الشكل والوزن الخاص، وما يقال عن هذه الأمثلة الثلاثة يقال عن كل شيء في هذا الكون إذا أخضع لإحدى هذه التجارب.

وهذا الاختلاف في تكوين كل شيء في هذا الكون، هو السر في تكوين جمال عالمنا وكماله؛ إذ أن هذه الاختلافات التي لا حصر لها، هي التي تكمل الأشياء لتكون مثلما نراها، أما التساوي المطلق فهو معدوم في الوجود، وفي الطبيعة نفسها، وإذا وجد في بعض الحالات فيعتبر شاذًا لا يمكن اعتماده، فكيف يمكننا إذن أن نطبق التساوي المطلق بين البشر؟ اللهم إلا إذا خالفنا سنن الطبيعة، ودون قناعة وجدانية، وأكبر برهان على استحالة تطبيق المساواة المطلقة، وهو ما يجري اليوم في بعض البلاد المتحضرة التي اتخذت المساواة شعارًا لها، فلما عمدت إلى تطبيقها عجزت كل العجز عن تحقيقها، برغم ما بذلته من الجهود في هذا المضمار، ويستحيل تطبيق المساواة حتى بين شخصين نال كل منهما العناية والرعاية المتساوية، وتزودا بالثقافة والتدريب الموحد، وفي النهاية نجد أن كلاً منهما مختلفًا عن الآخر، فبينما أصبح أحدهما فارع الطول، قوى البنية، حاد الذكاء، عبقريًا بكل معنى الكلمة، ظل الآخر ضعيف البنية، محدود الذكاء وفي الميدان العملي غدا الأول موجهًا والآخر تابعًا، أي أن كلاً منهما أصبح في المكان الذي اختارته له الطبيعة.

ومما أوضحناه تظهر صعوبة تحقيق بعض هذه الشعارات إن لم نقل كلها، اللهم إلا بعد محدود ضمن إمكانيات الفرد واحتياجات المجتمع، فهي إذن خاضعة لمقاييس وقواعد علمية واجتماعية خاصة.

وهذا لا يعني أن الماسون يدعون لما يجهلون، والعكس هو الصحيح؛ لأنهم خير مَن يعرف هذه الحقيقة، بدليل أن سادتهم اليهود يسخرون من هذه الشعارات،

ويعترفون بعدم إيمانهم بها، ويدللون على سخافتها في منهاجهم العام (البرتوكولات الصهيونية) ويبررون أسباب نشرها بين سائر البشر بكل جرأة وقحة، فهل يعقل أن يجهل أتباعهم آراء سادتهم فيها؟ ولكن لهذه الشعارات لدى الماسون مفهومًا خاصًا، ولإطلاقها والإصرار على ترديدها أهداف خاصة، فهم عندما يدعون للحرية يرمون من ورائها، أن تعطي الحرية لهم، وأن تهدم العقبات التي كانت قائمة في بعض البلدان بين اليهود والحرية السياسية، باعتبار أنهم أغراب عن تلك البلاد، التي كانوا يمتنعون عن الاختلاط والانصهار مع أهلها، ولكي يتمكنوا مع سادتهم من نشر الحرية التي خصصوها في مناهجهم لغير اليهود، وهي الحرية الإباحية واللاأخلاقية، التي يدفعون إليها الناس بشتى المغريات الفكرية والمادية التي هيئوها مسبقًا، بغية تهديم الكنيسة والأديان بصورة عامة، وجعل البشر قطعانًا كالماشية، لا تفقه ولا تدرك إلا ما يوافق غرائزها البهيمية، وما تطلبه معدها الخاوية، حتى يسهل قيادها بعد أن تجرد من كل ما كان لها من المثل والتقاليد والأعراف، وهم عندما يدعون للتساوي أو المساواة، فهم يرومون منها اعتراف المجتمع بمساواة اليهودي بغيره للحصول على ما يبتغيه من الحقوق دون الواجبات، باعتبار أن الواجبات تفرض على المواطن وليس على الأغراب.

وفي الوقت نفسه يرمون من وراء هذه الدعوة، تشجيع الشطط لدى المواطنين، والمغالاة في المطالب، بقصد تعقيد الأمور والإخلال بميزان المفاهيم، وإرهاب المسئولين، وفقدهم الثقة بأنفسهم، وإرغامهم على التخبط مع ميول ومطالب الشعب المختلفة والمناقضة لمصلحة المجتمع أو الأمة، ليعم الفساد من جراء تردد القادة وشطط المواطنين، فيخلوا لهم الجو (أي للماسون واليهود) ليتسلموا مقاليد الأمور أو ناصية التوجيه، فيدفعوا بالأمة حيث شاءت مناهجهم وأغراضهم.

أما دعوتهم للأُخُوة، فلا علاقة لها بالأُخُوة الإنسانية الحقة؛ لأنها دعوة مادية محضة، أُرِيدَ منها إزالة الفوارق التي كانت تقيد سادتهم اليهود في بعض البلاد، وتحول دون حصولهم على الحقوق السياسية العامة، وتمنعهم من التسلل إلى حرم الفئات الواعية التي كانت تتجنبهم، ولقد نجح الماسون في الترويج لهذه البدعة الخادعة التي مكنت اليهود من تحقيق أغراضهم، وهكذا انطلت أكاذيبهم على هذا العالم الذي ما

زال بعيدًا جدًّا عن إدراك المفاهيم الإنسانية الحقة، لكي يحول دون انتشار المبادئ الماسونية المادية الخادعة التي تجتذب إليها ضعفاء النفوس، الذين فقدوا إيمانهم بإنسانية مجتمعهم المضطرب، والجاهلين لقدسية الأُخُوة الإنسانية الأصلية، مثلما يجتذب النور أسراب الفراشات لتحترق بناره، فمصيرها هذا هو مصير مَن يخدعون بالأُخُوة الماسونية الزائفة، إذ يصبحون وشعبهم وقودًا لنيران نورها المضلل، ويغدوا عبيدًا أرقاء لليهود الباغية.

ويبدو أن سحر شعارات الماسون كان أكثر فاعلية في شرقنا عما كان عليه في الغرب، والفضل في ذلك يعود لما تقدمه الماسونية من العون المادي والأدبي للمنتسبين إليها، ولما توفره لهم من الأساليب الموصلة للمآرب الخاصة، مثل الحكم أو إشباع الغرائز البهيمية، ومن هنا كان خضوع الشرقيين المنتسبين إليها خضوعًا تامًا دون حد أو حدود، حتى أصبحوا عبيدًا لها، لا يفكرون إلا بتنفيذ ما تتطلبه من الأغراض مهما كان نوعها، عملاً بأحد شعاراتهم المشهورة والقائل: انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا.
ومن الأمور التي تبهر الناس في المجتمع الماسوني، هو ما يتميز به أعضاؤها، ومن علو المقام، وسعة الجاه والثروة، ولكنهم جميعهم من الفئة الانتهازية، وهذا المظهر الخارجي هو الذي يوهم الناس بأنها من أرقى الجمعيات، وأن أعضاءها هم خيرة الناس، ومنتسبو الماسونية ينقسمون في الواقع إلى ثلاث فئات: فالأولى هي فئة السادة الموجهين وأكثرهم من اليهود، والفئة الثانية هي فئة الوصوليين والانتهازيين التي تدرك غايات وأهداف الجمعية، ولكنها تتجاهلها مع ما فيها من الإساءة لأوطانها وللإنسانية؛ لأن همها ينحصر في الوصول إلى مآربها الخاصة عن طريقها ضاربة بالمفاهيم الأخرى عرض الحائط. أما الفئة الأخيرة فهي فئة المغرر بهم فعلاً، والتي تجهل كل شيء عن أهداف ومرامي الجمعية الخفية عند انتسابها إليها؛ ولهذا تعامل في البداية ضمن منطق الشعارات العلنية، ومن ثم تشرع الجمعية في تدريبها وتوعيتها لحصر هذه المفاهيم العامة ضمن نطاق أفراد الجمعية، وذلك عن طريق إيهام أفراد هذه الفئة، بعدم جدوى تعميمها على المجتمع فعليًا قبل تطبيقها بين أفراد الجمعية أنفسهم.

ولما كان التأثير على المجتمع ليس من الأمور السهلة، يقتنع هؤلاء الأغرار بأن خير

وسيلة لتعميم هذه الشعارات، هي البدء بتطبيقها في وسطهم الخاص، وعندها تبدأ الجمعية بتوعية جديدة تتلخص في الإيحاء إليهم، بأنه من الطبقة المختارة التي يمكنها وحدها فهم كنه هذه الشعارات، وأن المجتمع ما زال بعيدًا عن مستوى تفهمها، وأن الخير في إبقاء التعامل بها محصورًا بين الماسون وحدهم، إلى أن يصلوا بالتعاون والتساند، إلى السيطرة على الجماهير التي سيعمدون إلى تنظيمها حسب مفهوم هذه المبادئ التي ستصبح مع الزمن مفهومه من قبل العامة، وبهذا تتحقق أمنية الماسون الكبرى، وهذه التوعية الخادعة تؤدي بأغرار الماسون إلى أن يصبحوا أكثر تزمتًا في التمسك بعقائدهم، وأكثر تعصبًا لبعضهم فيعتزلون الناس تدريجيًّا، ويجنحون إلى التعامل السري فيما بينهم، ظنًّا منهم أن قوة تماسكهم وتعاضدهم هي التي ستحقق لهم الأمل المنشود لتحقيق أغراض شعراتهم في المجتمع الإنساني، ومع الزمن تصبح هذه الفئة أخطر الفئات الثلاث، وأكثرها تعلقًا بالماسونية، فتنفذ مراميها ومقاصدها الآثمة دون وعي أو إدراك، وبفضل التدريب والتأهيل الدائم الذي يتلقونه، يغدون كآلات صماء لا ترى إلا بعين الماسونية، ولا تفهم إلا ما دربت عليه وأهلت له، وهكذا يبدأ الفرد الماسوني عمله في هذه الجمعية على أساس المفاهيم الإنسانية الواسعة، وينتهي بأن يصبح عاجزًا عن إدراك كل ما يخرج عن مفهوم الحزبية الماسونية الضيقة.

وللماسون طقوس خاصة، ولهم طريقة معينة لتكريس الأعضاء، ويبدو أن طريقة التكريس هذه، فيها الكثير من التجارب السخيفة والمفزعة، ويحدثنا بصددها السيد أتيلهان[١] ويقول: إن خطاب التكريس الذي يلقيه الأستاذ المكرس للعضو الجديد هو عبارة عن سرد قصة حياة مؤسس هذه الجمعية حيرام، الذي أوفده ملك صور إلى مملكة اليهود ليبني لها هيكلاً في عهد سليمان بن داود.

وقصة حيرام التي حوّلها الماسون إلى خطاب تكريس تتلخص بما يلي[٢]: بعد أن عظم شأن سليمان بن داود، وشملت سطوته كثيرًا من الأصقاع، وذاع صيته واشتهر

---

(1) C. R. Atihan (islam ve Beni israil) page 28- 29.

(٢) هذه قصة مختلقة لإيهام المغفلين ولمعرفة حقيقتها راجع كتاب الماسونية ذلك العالم المجهول. تأليف: صابر طعيمة – بيروت. (دار البشير).

بالحكمة ورجاحة العقل، عمد إلى إقامة معبد كبير لتخليد عظمة ربه يهوى، الذي حباه بكل هذه النعم دون العالمين، فكَلَّف بتحقيق أمنيته هذه المدعو حيرام، الذي أوفده إليه حليفه ملك صور الحاكم بأمر الإله مولوخ (Moloch) وكان حيرام غريب الأطوار عبقريًا فذًا، ذا ذكاء خارق، فرض احترامه على سكان القدس، وكانوا يعتبرونه كائنا فوق البشر؛ إذ كان يعلم كل شيء، ويحل جميع المشاكل المعقدة، والمعضلات العميقة مهما بلغت من الإبهام؛ ولهذا أطلق عليه أهل القدس اسم الأستاذ، وكانت كلمته لديهم لا ترد ويحترمونه، ويطأطئون رءوسهم أمامه، وأحاديثه كانت محيرة للعقول، وعندما يتحدث إلى الناس كان يطفح وجهه بتعابير وعوامل عميقة، تلفت انتباه سامعيه، فيتعلقون بحديثه الحزين المشبع بأحاسيس المروءة والإنسانية، ويشع من جبينه العريض النور، وينعكس الدهاء الشيطاني على صفحة وجهه المرمري.

أما خصاله هذه، فقد اكتسبها حيرام عن طريق التفكير العميق الدائم، الذي كان يتفرغ له عند انزوائه في المقابر الخربة القديمة، وبفضل مزاياه، ولمعرفته لكل الأسرار، التف العمال حوله، وبلغ عددهم أكثر من ثلاث مائة ألف رجل أتوا إليه من مختلف الأقطار، يخضعون لمشيئته، ويعملون بوحيه، رغم اختلاف لغاتهم وتباين أفكارهم، فكان فيهم الليبي، والصيني، والمصري والهندي، وكان حيرام يتحكم بهذه الكتل البشرية وكأنها دمى، فتنصاع لأقل إشارة منه، وتلبي رغباته دون إبطاء.

ولما زارت الملكة بلقيس (ملكة اليمن) مملكة سليمان الذائعة الصيت، أعجبت جدًا بالهيكل وبنائه، فطلبت من سليمان أن تتعرف على بانيه، فلبي سليمان طلبها على مضض، وجاء حيرام لمقابلة الملكة، وبعد أن قدم لها آيات الاحترام، اتجه نحو مخرج المعبد، وصعد على صخرة من الغرانيت، ورفع يده بإشارة خاصة، وإذ بعماله الذين كانوا يعملون كالنحل، يجمدون في أمكنتهم، وتتعلق أنظارهم به وكأن على رءوسهم الطير، عندها رفع حيرام ذراعه ورسم خطًا أفقيًا، ومن ثم خطين عامودين، وهكذا كون في الفضاء شكل حرف التاء السريانية، فهاجت الكتل البشرية وماجت، وفي سرعة البرق اجتمعت واندمجت في ثلاثة صفوف، تكونت منها ثلاثة أرتال منتظمة، يرأس كلا منها قائد خاص، بدأت جميعها بالزحف وكأنها في استعراض

عسكري تتقدمها فئة الأساتذة، تليها فئة الصناع، وأخيرا جموع العمال، وكان الكل يسير بخطى قوية ورصينة، تهتز الأرض تحت وطء أقدامهم، وهكذا تقدمت هذه الكتل البشرية، وكأنها أمواج صاخبة فساد المكان الصمت، ولم يعد يسمع فيه إلا صوت ارتطام الأقدام وجرس اصطدام الأجسام في الهواء، وهيمنت الرهبة على الحاضرين نظرًا لما كان عليه منظر هذه الجموع من العظمة والوقار، فانتابت الأفكار السوداء سليمان بن داود، وخشي أن يعصف الغضب فجأة بهذه الأرتال البشرية وتثابر على زحفها نحوه فتسحقه ومن معه، فلاحظ حيرام ارتباك المليك، وسارع إلى رفع ساعده مشيرًا لأتباعه بالوقوف، فجمدت الأرتال المندفعة في أمكنتها وكأنها قدت من الصخر.

ويعلق أتيلهان على مغزى هذا الخطاب التكرسي فيقول: إن الماسون يتوخون من إلقائه على مسامع المنتسب الغر الإيحاء له بقدسية حيرام، وإيهامه بقوة وسطوة منظمتهم، وتعريفه على هويتها اليهودية وإفهامه ضرورة التعاون مع زملائه الماسون لاستعادة أمجادهم، وفرض سيطرتهم على الشعوب الأخرى وإخضاعها للماسونية، مثلما كان مؤسسها حيرام يخضعها لمشيئته.

ويبدو أن النقاد يجهلون تاريخ ظهور الماسونية، وإن كانوا مجمعين على القول بقدمها، والمعروف عنها أنها جمعية ذات طقوس خاصة، تقدس حيرام وتلقبه بمهندس الكون الأعظم، ولأعضائها مراتب ودرجات وأنظمة خاصة يخضعون لها، ولها شعارات سرية لا يعرف عنها إلا القليل، أما شعاراتها العلنية فهي الحرية والمساواة والأُخُوة.

ولقد اشتهرت منذ القدم بمحالفتها لليهود، والأحداث التاريخية أثبتت هذا التحالف كما أنها متحالفة مع الجمعيات السرية والعلنية التي عرفت بتبعيتها لليهود مثل جمعية الإنسانيين، وجمعية المفكرين الأحرار المنتشرة في أكثر أقطار العالم، والتي تتعاون مع الماسون حيثما وجدت، ويخضع أفرادها لمشيئة المحافل الماسونية رغم عددهم الكبير البالغ ستة ملايين نسمة، والمعروف عن هذه الجمعية أنها مكلفة بنشر الدعايات الصهيونية، وتنفيذ مواد المناهج اليهودية المشهورة ببروتوكولات صهيون (Les brotocoles des Sages de Sion).

وفيما يتعلق بتبعيتها للماسون يحدثنا السيد هيبس ويقول[1]: إن جمعيات المفكرين الأحرار هي جمعيات يهودية قلبًا وقالبًا، وهي مكلفة من قبل الصهيونية العالمية بنشر التعاليم المناوئة للكنيسة، والمشجعة على الإلحاد والإباحية، وجل أعضائها هم من اليهود وأتباع الصهيونية، والذين يرأسونها في الأقطار الأوربية يتممون جميعهم للشعب اليهودي، وعلى سبيل المثال نذكر أن جمعية المفكرين في روسيا كان يرأسها اليهودي جارولافسكي كوبلمان (garolaveskyi Gubelmann) الذي قاد الحملة ضد الكنيسة الأرثوذكسية. وفي سويسرا كان أحد الفنانين اليهود يشرف على هذه الجمعية.

أما في فرنسا فهي مندمجة الإنسانين المعروفة بتبعيتها لليهود، وكان الكاتب اليهودي المعروف بليون فوشنفانجر (Leon Feuchtwanger) يشرف على هذه الجمعيات ويوجه نشاطها. أما في أمريكا التي تعتبر مركز التجمع للمفكرين الأحرار فيرأس جمعيتها اليهودي روبسون (Robson) ويمولها المالي اليهودي أنطوان كوهين (Antoine chohen) الذي اشتهر بتمويل مشاريع التوطين اليهودية في فلسطين.

وتعتبر هذه الجمعيات حيثما وجدت القوة التنفيذيةالتي تعمل تحت إشراف المحافل الماسونية، وهي مكلفة من قبل الماسون للترويج لمبادئهم وفلسفتهم والصحافة المهودة تعتمد أفراد هذه الجمعيات لنشر المبادئ التي تستنبطها الصهيونية العالمية، فهم بمثابة رسلها لدعوة الناس للإباحة واللاقومية.

ومن الأمور المستغربة هو موقف الكنيسة من هذه الجمعية؛ إذ أنها لا تعترض طريقها، ولا تعمل للحد من شرورها رغم حملاتها على المسيحية والمسيح.

وفيما يتعلق بالماسونية يقول هيبس: إن اليهود لا ينكرون أنها حليفتهم وأنهم مؤسسوها، وأكثر أقطاب اليهود صراحة عن وجود صلات وثيقة بينهم وبين الماسون.

ولقد قال الحاخام الأكبر إسحاق وايز (Issac Wise): إن الماسونية هي مؤسسة يهودية خالصة، وإن تقاليدها وأنظمتها وتعاليمها مأخوذة من مصادرنا، فهي منا ولنا من البداية حتى النهاية.

وقال الحاخام الأكبر بن موزيغ (Ben Mozegh) في مقال نشرتها له المجلة اليهودية

---

(1) p. Hepess. (Le nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 252.

الواسعة الانتشار في فرنسا، والمسماة بـ(إسرائيل والإنسانية) (Israel et L, humanite) ردًا على بعض اليهود الذين أنكروا التحالف اليهودي الماسوني، واستغربوا اكتشاف أمره: لماذا الهلع والإنكار، أن الماسونية تنتسب إلينا، ومبادئها مشتقة من مبادئنا، وقواعد اللاهوت (Theologie) وعلم المغالطة (Theosobhie) التي تعتمدها، مأخوذة عن القبال والمصادر اليهودية الأخرى، ونحن نعترف بأننا أوجدناها، ورعينا نموها وتطورها، فلماذا الاستغراب والإنكار إذن؟[1].

والمناهج الصهيونية (Les brotocoles des Sages de Sion) أيضًا تعترف بكل صراحة بأن الماسونية حليفة اليهود ونصيرتهم، وتقول[2]: لماذا أوجدنا أساليبنا السياسية المعقدة، إن لم تكن بغية تلقينها للخوارج الأغبياء الذين لا يدركون من أغراضها الخفية أي شيء، بل يكتفون بالتعلق بظواهرها، لقد اعتمدنا أساليب الغش والخداع في الوصول إلى أهدافنا؛ لأننا أعجز من أن نصل إليها بالقوة، وعندما أحدثنا الماسونية جعلنا معرفة أغراضها الحقيقة وقفًا على أنفسنا؛ ولهذا يظل الأغراب المتنسبون إليها جاهلين لأغراضها الحقيقة، ولقد نجح أسلوبنا أكثر مما كنا نتوقعه، فاجتذب إلى الماسونية، رغم ما يحيطها من الغموض والإبهام، كثيرًا من الخوارج و... الذين أخذوا بظواهرها البراقة، فجعلناهم في خدمتنا، دون أن نشعرهم بأهدافنا الخفية، وهم الآن يعملون بكل حماس، لا يقاد نيران الثورات والحروب التي ستقضي على الدول والأنظمة الحالية قريبًا، عندها سنفرض عليها سلطتنا الكونية العامة، ومن ثم سنسحق كَل مَن يقف في وجهنا دون رحمة أو شفقة، وسيكون جهابذة الماسون في مقدمة قافلة الغير مرغوب فيهم. وريثما يتحقق ذلك سنكثر من المحافل الماسونية، وسنضم إليها أكبر عدد ممكن من الوصوليين والانتهازيين، وسنوصلهم إلى مراكز الجاه والسلطان، ليوفروا لنا بدورهم الفرص المواتية لتنفث جراثيمنا الفتاكة في نفوس شعوبهم، ومن ثم سنفرض عليها سطوتنا ونحقق مآربنا.

أما البراهين على أن الماسونية هي جزء لا يتجزأ من اليهودية العالمية، فهي أكثر من أن تحصى، ولقد رأينا العديد من رجالات العالم يتطرقون للبحث عنها وعن

---

(1) P: Hepess (Le dernier bal du grand soir ou la republique Uneverselle) page 311.
(2) Les protocols des sages de sion. page 83.

مساوئها، ولقد ألقى السيد روبير رادو[١] (Mr. Ropert vallery Rado) كلمة بمناسبة افتتاح نادي جوان (cercle jouin) عام ١٩٣٨ تعرض فيها للتسلط الماسوني في فرنسا وقال: إبان الليالي التي افتتح فيها المعرض الدولي في باريس، شاهد العالم أجمع النجمة السداسية رمز بني إسرائيل وأمير الأبالسة، مثبتة على رأس المثلث الماسوني القابع في قمة عمود الحرية القائم في منتصف ساحة التروكاديرو (Trocadero) تشع منها الأنوار، بزعم أنها ترمز إلى السلام السائد حاليًا في العالم، فأنا أقول: إن هذا السلام الذي يعنيه الماسوني واليهود، ليس إلا سلام مؤتمرات موسكو وجنيف، سلام الماسونية واليهودية أصحاب المثلث الشيطاني والنجمة السداسية. إن رفع هذه الشعارات في أكبر ساحات العاصمة الفرنسية، إن دلَّ على شيء، إنما يدل أولاً على ما لأصحابها من أياد ملوثة بالدماء، هذه الأيادي التي افتعلت أسباب الصراع الدموي القائم بينهم وبين كل من شعوب فرنسا وروسيا وأسبانيا، وكأنني أرى الدماء التي تهدر في تلك البلاد تنبثق حارة مع خيوط النور المنطلقة من تلك النجمة وقاعدتها، وتصارحنا أنه لم يعد بالإمكان الوقوف منها على الحياد، وقريبًا سيجد كل منا نفسه مرغمًا أن يختار طريقة، إن إقامة هذا العمود مع الشعارات التي على قمته ليس سوى تحد صريح للمسلة المسيحية التي أقيمت في ساحة القديس بطرس في روما تخليدًا لصلبه، وبمعنى أصح إنه تحدٍ وقحٍ من قبل اليهودية لكل المشاعر المسيحية.

نحن معشر النصارى لا نفكر بالقدر الكافي لنفهم الماسونية وأغراضها، ولا نحمل أنفسنا مشقة التعمق في أسرارها ومراميها، فلو فكَّرنا فيها جِدِّيًا لرأيناها تعمل لقتل النوازع غير العادية في الإنسان، وتجرده مما اكتسبه من القيم العلوية بفضل إيمانه، وتسمم معتقداته، وتقتل جوهره الإنساني، وغرضها من ذلك هو القضاء على شعلة الإيمان بالله في نفوس الناس، وسوقهم نحو الإلحاد والكفر والمادية القذرة، لتغرق العالم في بحر من الظلمات، يتخبط ففيه دون هدف وبلا أمل، حتى يسقط تحت أقدامها دون حراك.

إن المعنى الحقيقي لما يرمز إليه المثلث الماسوني ليس هو مضمون الشعارات الثلاثة التي اشتهر بها أبدا، والماسون وسادتهم اليهود، هم آخر مَن يفكر في اعتناق المبادئ

(1) Consulter (Le Revue international des Societes secretes) No 1 Paris le 1 er fevrier 1938 ou P. H page 253.

المعنية بهذه الشعارات، ولكنهم أطلقوا تحديًا للثالوث المسيحي الأقدس (الآب والابن وروح القدس) وغرضهم منها هو إحلالها محل هذا الثالوث، وتدنيس قدسيته وإضعاف إيمان الناس به.

والماسونية هي أكثر من حزب سياسي، ولو أنها تسخر بعض الأحزاب لتحقيق قسم من أغراضها، وأهم مقاصدها هو السيطرة على تفكير الناس وضمائرهم، وهي تعمل دائمًا في الخفاء وكأنها قوة علوية ملهمة، وإلهامها هذا لا شك شيطاني المنشأ، وبفضل سرية مخططاتها تمكنت من بث سمومها في كل مكان، وحارت العقول في البحث عن أساليبها، إن هدف الماسونية هو تعرية الإنسان من معتقداته ومبادئه ومثله العليا، ولقد خطت خطوات واسعة في ميدان إضعاف الإيمان لدى المسيحية في أوربا، كما تمكنت من قتل روح القومية الوطنية لدى شباب شعوبها، وقضت على مفهوم الناس في التقاليد والأعراف الموروثة، كالشرف والعرض والأمانة والأخلاق وما شابه ذلك.

وهي الآن في طريقها لإسدال حجاب الكفر والإلحاد والحيوانية المطلقة على العالم أجمع، ليعيش في مهاوى الرذيلة واللاإنسانية، التي حارب مئات القرون ليتخلص منها.

والغريب أن ليس في العالم حاليًا مَن يقف في طريقها، ولا مَن يتنبه لمقاصدها، وكأنني بالعالم مخدر بما امتصته روحه من سمومها؛ ولهذا أصارحكم أن مقاومة هذا العدو الشيطاني الجبار واجب علينا، يقع على عاتقنا نحن النصارى المؤمنين بالله، وعلينا أن نتضافر وأن نتحد لمحاربته وإنقاذ ما يسمى من تراث الإنسانية من شروره.

ومع كل ما يعرفه للناس عن مساوئ الماسونية وتحالفها الوثيق مع اليهود ما زال أتباعها بتكاثر وأنصارها بتزايد، والسبب في ذلك هو ما لها من القوة والنفوذ التي تجذب الوصوليين وضعفاء النفوس، الذين يعللون النفس بتحقيق مآربهم عن طريق الانضمام إليها، والإخلاص في خدمتها، والذي يغيظ حقًا هو أن نرى العالم العربي الذي بينه وبين اليهود ما صنع الحداد، يضم بين أبنائه عددًا محترمًا من أتباع الماسونية اليهودية، وكأنني بهم تماثيل جامدة فقدت كل حس وشعور، وهم في هذا المضمار على قول المثل (لا حياة لمَن تنادي).

اليهود والفاتيكان
وموضوع اعتناق اليهود النصرانية

«حالما يحين الوقت للتخلص من الفاتيكان، سوف يرتفع إصبع يد مجهولة، ويشير إلى الشعوب بالانقضاض على الباحة البابوية، وعند ذلك سنسارع إلى نجدة الفاتيكان، محاولين إيقاف سفك الدماء، وبهذه الوسيلة سندخل الباحة المقدسة، ولن نخرج منها إلا بعد أن ندمرها، ونعلن سيطرة ملكنا عليها، ونسميه حبرًا أعظمًا للكنيسة العالمية».

«مناهج عقلاء صهيون Les protocoles des sages de sion»

من المُسَلَّم به أن بداية الصراع بين الكنيسة الكاثوليكية، والمجلس الأعلى اليهودي كان شاقًا ومريرًا؛ إذ كان كل من الطرفين يجهد لإدخال أكبر عدد ممكن من أفراد الشعوب الأوربية في مذهبه، ولكن عندما انتصرت الكنيسة نهائيًا تطور الخلاف وأصبح ضيقًا جدًا ومحصورًا بين الكنيسة والمجلس الأعلى فقط، دون أن يتأثر اليهود كشعب أو أفراد بهذا الصراع؛ لأن الكنيسة كانت تأمل دائمًا باجتذابهم إلى أحضانها؛ ولهذا كانت تعاملهم بالرفق واللين في كل البلاد الخاضعة لنفوذها، وكانت تتدخل لصالحهم كلما تعرضوا لخطر جماعي من قبل النصارى، بينما المجلس اليهودي كان يسعى بكل قوته للمحافظة على أتباعه وحمايتهم، ولذلك كان يرغمهم على السكنى في أحياء خاصة، ويمنعهم من الاختلاط بالأغراب تمامًا مثل العهد اليهودي الأول، وينظم أمورهم الدنيوية، ويربطها بالأمور الدينية على أدق صورة، وبفضل هذه المراقبة والتنظيم الدقيق، ظلَّ اليهود على مذهبهم لا يقبلون عنه بديلاً.

وهذا التزمت اليهودي أعجز الكنيسة طويلاً، ولكنها كانت تتجمل بالصبر ظنًا منها أنه لا بد وأن يأتي يوم يعتنق فيه اليهود الديانة النصرانية؛ ولهذا كانت تولي اهتمامًا فوق التصور عندما يأتيها من حين لآخر يهودي يطلب اعتناق النصرانية، فتسارع إلى إعلان هذا النصر المبين، وتطلب من الشعب الاحتفال بهذه المناسبة السعيدة، فتزدان المدينة وتقام فيها أقواس النصر وكأنها في عيد عظيم.

وفي هذا الصدد تروي المصادر التاريخية أمورًا غريبة منها أن البابا كان يحضر بنفسه حفلات العمادة وكأنها من الأمور العظيمة، ويذكر الكاتب لوفسكي

(lovesky) أن البابا عمَّد بنفسه أحد اليهود عام ١٥٦٦، وأن روما بأسرها لبست حلل الزينة والأفراح بهذه المناسبة، التي أصبحت فيما بعد تقليدًا كنسيًّا رسميًّا، وأن بعض الملوك والأمراء أمثال إيزابيلا وفرديناند والكونت فرنك البولوني، كانوا يتفاخرون بعدد اليهود الذين عُمِّدوا تحت إشرافهم، أو الذين وقفوا لهم شهودًا أثناء العماد، وكأن الأمر أضحى من الأمور العظيمة التي تشرف الملوك والأمراء[(١)].

ومن هنا يبدو أن عدد اليهود الذين اعتنقوا النصرانية في القرون الميلادية الأولى كان نادرًا جدًّا، ومع كل هذا ظلت الكنيسة تعلل نفسها بالآمال، وتثابر على معاملة اليهود الحسنى، ولكن عندما عمدت أسبانيا إلى إرغام اليهود على اعتناق النصرانية قسرًا، اهتدى اليهود إلى فكرة شيطانية لم يسبقهم إليها أحد، وهي الرضوخ للأمر الواقع، والتظاهر بالمسيحية، وجني ثمرات الفرص التي تسنح لهم باعتناقهم المذهب الجديد لصالح بني قومهم، وهكذا ظهرت في أسبانيا فئة المرتدين التي أطلق عليها اسم الماران (Marranes). وكان أفرادها يتظاهرون بالنصرانية، ويملئون منازلهم بالصلبان والشعائر المسيحية، ويداومون يوميًّا على الكنائس إمعانًا في التضليل، بينما كانوا يمارسون الطقوس الدينية اليهودية سرًّا، ويلقنوها لأولادهم خفية، ولقد تمكنوا بهذه الوسائل من تضليل الأسبان طويلاً حتى أصبح منهم الوزراء وذوو السلطان وحتى كهنة رهبان. ويبدو أن هؤلاء اليهود، لم يقبلوا التظاهر بالمسيحية بناءً على فكرة جماعية طارئة، بل قبلوا بها بعد أن أخذوا رأي مجلسهم الكهنوتي الأعلى، الذي كان يقيم آنذاك في إسطنبول.

ولقد أوضح لنا السيد هيبس[(٢)] تفاصيل هذه الخدعة اليهودية فقال: عندما بدأ الأمير فيرديناند بحملته الشهيرة على اليهود، وخيَّرهم بين الجلاء عن أسبانيا دون مال ومتاع، وبين اعتناق النصرانية، هالهم الأمر وعلى الأخص، أنهم كانوا أغنى أهل أسبانيا بفضل ما كسبوه من المال في عهد الدولة العربية، وبعد تفكير طويل، قرَّ رأيهم على استشارة الرئيس الأعلى للمجلس الكهنوتي (Sanhedrin) فأرسلوا إليه كتابًا يستشيرونه في أمرهم، فسارع الرئيس بالرد عليهم، وكان يتلخص بالترجمة التالية: «إلى

---

(1) Lovesky (Antisemitisme et Mystere d,Israel) page 224 – 225.
(2) P. Hepess. (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 256.

يهود أسبانيا، إخوتي الأعزاء، وصلنا كتابكم الذي تصفون فيه ما أنتم عليه من ضيق، من جراء ما أصابكم من ظلم وحيف، فثقوا أن ألمنا كان عظيمًا، وحزت أحزانكم نفوسنا، ولكن ما الحيلة؟ ونحن أعجز من أن نخرجكم من ورطتكم هذه؛ ولذا ننصحكم بأن تقبلوا عرض الملك، وتتظاهروا باعتناق النصرانية، على أن تظلوا على عقيدتكم وتمارسوا طقوسها خفية، وأن تلقونها لأولادكم وتوصوهم بعدم الجهر بها، أما فيما يتعلق بأموالكم وأملاككم المعرضة لخطر الاستيلاء أو السلب، فإننا نشير عليكم أن تعمدوا منذ الآن لتعليم أولادكم أصول التجارة وإتقانها، حتى إذا أقدم الأسبان على تجريدكم مما تملكون، تمكن أولادكم من تدبير معيشتهم، ومن ثم استرداد ما سلب منكم مع الزمن، ولكي تتمكنوا من الثأر في المستقبل من الذين يعتدون عليكم، عَلِّموا بعض أولادكم مهنة الطب ليثأروا لكم من هؤلاء الأوباش بقتلهم دون أن يشعر أحد بما يفعلونه، وانتقامًا لما أصاب معابدكم على يد النصارى، أدخلوا بعض أولادكم في مدارس الكهنوت المسيحي ليتعلموا فيها، ويتخرجوا منها كهنة ورهبانًا، ليضللوا النصارى ويخرجوهم عن عقائدهم، وليتمكنوا من تدنيس كنائسهم بكل حرية وأمان، ولكي تردوا للنصارى ما يلحقونه بكم من الإهانة، علموا أولادكم القانون، حتى يصبحوا حكامًا لهم الحق بأن يقضوا بين النصارى بما يسمح لهم بإهانتهم عند الحاجة، وليردوا لهم الصاع صاعين، ومن ثم يتوصل أولادكم إلى مراتب الحكم والسيطرة التي تخولهم تأديب مَن يتجرأ عليكم وإرغام الجميع على احترامكم، وأخيرًا نطلب إليكم التقيد بهذه الإرشادات والتجمل بالصبر حتى يتحقق لكم ما أشرنا إليه».

التوقيع: رئيس مجلس الكهنوت في إسطنبول

ويضيف السيد هيبس أن نص الكتاب ورد حرفيًا في المؤلف الأسباني المسمى بسيلفا كوريزا لجوليو دو مدرانو (La Silva Curisa de gulio de Medrano) الذي صدر في القرن السادس عشر والمحفوظ حاليًا في المكتبة الرسمية لبلدية مدينة توليدو الأسبانية.

ويفهم مما جاء في هذا الكتاب، أن المجلس اليهودي لم يكن يحرم على أتباعه التظاهر باعتناق النصرانية، بغية تضليل الكنيسة، وتحقيق أهدافه القومية، يبدو أن اليهود بعد أن تقبلوا فكرة التظاهر بالنصرانية، استفادوا الكثير منها؛ إذ تحدثنا المصادر

التاريخية الأسبانية عن توصل بعض اليهود في أسبانيا إلى المراكز الهامة، حتى أنه كان منهم الوزراء والبطارقة والحكام، كما حدث في العهد العربي الذي استثمره اليهود لصالحهم على أوسع نطاق، وبفضل هذه الخدعة تمكنوا من التسلل إلى الكنيسة، وحماية شعبهم من الاضطهاد في عهد الإصلاح المعاكس الذي تعهده الجيزويت أعداء اليهودية، ومن المؤكد أن اليهود كانوا معرضين لأخطار جسيمة في عهد الجزويت، لو لم يكن بين الكهنة بعض اليهود، ولو لم يكن في قصور الحكام بعض الأطباء والمتنفذين منهم، حتى أن بعض أطباء الكنيسة كانوا أيضًا من اليهود؛ ولهذا رأينا الكنيسة تأخذهم في أكثر الأحيان باللين، وتسبغ عليهم حمايتها.

ولما قامت الحروب الأوربية المذهبية، استغلها اليهود أحسن استغلال، حتى أنهم أصبحوا، كما قلنا في بحثنا عنهم في أوربا، من أقرب الناس إلى الكنيسة وإلى الملوك والأمراء، وعند ذلك انطلقوا على سجيتهم يعيثون في أوربا فسادًا. وعندما قامت الثورة وأعقبها اعتلاء نابليون العرش الفرنسي، أصبح اليهود يمتلكون ناصية الأمور تمامًا. وبفضل القوانين التي أصدرها نابليون وفيليب وسواهما من حكام أوربا، تمكنوا من تنظيم أمورهم على أحسن وجه، وأخضعوا حتى الكنيسة لمآربهم، حتى رأيناها تغير لهجتها التي استعملتها إبان النهضة المعاكسة، وتجنح إلى حمايتهم وتطلق عليهم اسم إخوة السيد المسيح، وتشجب اللاسامية، وتدعو الناس إلى معاملتهم بالحسنى.

وهذا التساهل من قبل الكنيسة بعد القرون الوسطى، جرَّ عليها وعلى الشعوب المسيحية في أوربا أكبر المصائب وأشد النكبات؛ إذ مهد السبيل لليهود بأن يضعوا مناهجهم الشريرة بكل أمان، فأخرجوا للميدان فلسفاتهم المناوئة للكنيسة، والتي كانت مشتقة من الفلسفات الشرقية واليونانية والرومانية، وعلى الأخص التلمودية، فنشرتها جمعياتهم السرية مثل الماسونية وسواها، التي تكاثرت بعد الثورة الفرنسية على أوسع نطاق، فتفاقم أمرها وكثر أتباعها، وكان أشد أنصار هذه المبادئ الملحدة هم اليهود المتظاهرون بالنصرّانية، والذين كانوا يقبعون خلف أسماء مستعارة، اتخذوها بموجب القانون البونابرتي، ومع انتشار هذه المبادئ بدأ ظل الكنيسة يتقلص يومًا بعد يوم، إلى أن أصبحت الكنيسة عاجزة تمامًا عن ردع اليهود ومنظماتهم عن الإساءة لها ولمذهبها، ولقد رأينا الماسون يعقدون مؤتمرًا في مدينة بروكسل في عهد

البابا «بي» الحادي عشر (pie xi) قبل الحرب العالمية الثانية، ويقررون في اجتماعهم مناوأة الكنيسة والقضاء عليها، ويعلنون قراراتهم هذه على العالم أجمع، ولكن البابا وكنيسته لم يحركا ساكنًا، وكان الأمر لا يخصمها، ولقد استغرب العالم هذا الموقف الغريب في حينه من قبل قداسة راعي الكنيسة.

وفي مكان آخر من كتابه يحدثنا هيبس عن البابا «بي» الحادي عشر (pie xi) ويقول[١]: إن قداسته كان ينحدر من صلب السيدة ليبمان (Libmann) اليهودية انتسب منذ الصغر إلى الكنيسة، وتدرج في مناصب الكهنوت، حتى انتخب حبرًا أعظمًا لسبع مائة مليون كاثوليكي، وأنه كان على أوثق الصلات مع كبير الحاخامين في مدينة ميلانو (Milan) الذي علمه العبرانية، وأنه كان يتبادل معه التهاني في المناسبات، وأنه اعترض على فرار الحكومة الإيطالية الذي كان يقضي بمنع الطليان من التزوج بالفتيات اليهوديات، وقال عنه: إنه قرار خاطئ مبني على النظريات الكاذبة الخطرة. وأنه منع الكاهن الأمريكي كوغلن (Couglin) الذي كان يترأس الحزب المسيحي (Christian Front) الأمريكي عن مهاجمة اليهود، وأنه قبل موته أوصى الكرادلة بانتخاب الكردينال باسللي (bacelli) خلفًا له؛ لأنه كان من أنصار اليهود، وأنه كان يهاجم الدولة الإيطالية على لا ساميتها، وامتنع عن الموافقة على القرارات التي كانت تمس مصالح اليهود، وأن هتلر رفض مقابلته عند زيارته لروما لما كان يعرف عن أصله وشدة مناصرته لليهود.

ومن المعلومات التي يقدمها هيبس عن الفاتيكان ويؤكد صحتها، هي وجود خمسة كرادلة بين أتباعها ممن ينحدرون من أصل يهودي (ولكنه مع كل أسف لم يذكر أسماءهم) ويضيف أن هؤلاء الكرادلة لا همَّ لهم إلا العمل لتقريب وجهات النظر بين اليهود والكنيسة الكاثوليكية[٢].

ومن خلال هذه المعلومات ومواقف الكنيسة الغريبة حيال القضايا اليهودية، وعلى الأخص في أيامنا هذه، يخيل لنا أن الكنيسة بدأت فعلاً تتراجع منهزمة أمام النفوذ اليهودي، وأنها على وشك إخلاء الميدان لليهود.

أما الأسباب الحقيقية التي أضعفت الكنيسة، فتكمن في الواقع خلف السماح

---

(1) P. Hepess. (La nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 256.
(2) P. Hepess (La Nouvelle Bible des peoples Martyrs) page 262.

لليهود باعتناق النصرانية، والقوانين التي صدرت إبان الثورة الفرنسية وبعدها، هذه القوانين التي سهلت لليهود أمر التستر وراء الأسماء المسيحية، والتظاهر باعتناق النصرانية، هي التي مكنتهم من التسلل إلى الكنيسة قلب النصرانية النابض، وأن ما كان يعتبره النصارى فوزًا لهم، أصبح وبالاً عليهم وعلى كنيستهم، ونصرًا أكيدًا لليهودية واليهود، وهكذا ثبت صدق قول السيد إدوارد درومونت (Edourd Drumont) القائل: إنه كلما عُمِّدَ يهودي زاد عدد النصارى واحدًا دون أن ينقص من عدد اليهود أحد؛ لأن اليهودي يظل يهوديًا مهما غير مذهبه أو مظهره.

وكل ما ربحته الكنيسة من جراء قبولها اليهود في صفوف أتباعها، لا يتعدى أمر فقدان المراقبة على أعمال هؤلاء الخونة، وتمكنهم من العمل ليهوديتهم بكل حرية وأمان في ظل النصرانية، وجل ما يرجوه العرب، هو أن لا يكون موضوع المجمع المسكوني السائد اليوم، خدعة يهودية ترمي إلى تقويض أسس الكنيسة المقدسة، وجرها إلى الموقف الذي أشارت إليه المناهج اليهودية.

الحرب العالمية الأولى ومكان الصهيونية فيها

عندما يعمد الناقد إلى التعمق في دراسة العوامل التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى، وظروف الدول التي اشتركت فيها، يقف حائرًا أمام الجرأة اللامتناهية التي كان يتصف بها قادة تلك الدول، وأمام الاستهتار الفاضح الذي أظهروه نحو مصير شعوبهم بإقدامهم على زجها في أتون تلك الحرب الضروس.

وإيضاحا لذلك نعود بذاكرة القارئ إلى الظروف الدولية التي كانت سائدة في أواخر القرن التاسع عشر، فالمعروف أن إنجلترا وقفت من حرب السبعين موقف المتفرج الشامت، بينما كانت روسيا تساند ألمانيا، وتدفع بسمارك إلى التضييق على فرنسا، أي أن فرنسا لم تكن حليفة إنجلترا، ومما يؤيد هذه الفكرة استئثار الأخيرة عام ١٨٨٠ بالشئون المصرية وإبعادها فرنسا عن تلك المنطقة، مما أدى إلى احتلال تونس من قبل الفرنسيين، بحجة تقوية الحدود الشرقية للجزائر. الأمر الذي دفع بإيطاليا إلى أن تدخل الحلف الألماني النمساوي عام ١٨٨٢[(١)]، وكان من الطبيعي أن تخشى روسيا مغبة هذا التكتل الوسطي، فسارع الإسكندر إلى طلب التفسير من ألمانيا لموقفها المؤيد للنمسا التي كانت تسعي بكل قواها للتوسع في المناطق السلافية، ولقد أجاب السيد شفينتز (Schweinitz) على هذا الاستفسار، بأن بسمارك لم يعط النمسا إلا حق الحياة، ولكن روسيا كانت تعلم حق العلم بأن هذا التحالف الثلاثي عقد على أساس إطلاق يد النمسا في اتجاه تركيا، تمهيدًا لاحتلال البوسفور، ومن ثم السيطرة على آسيا الصغرى تحت زعامة ألمانيا، التي وعدت بتسوية الخلافات بين إيطاليا وصديقتها النمسا[(٢)]؛ ولذلك عمدت روسيا إلى التقرب من الغرب مرة أخرى، وتحالفت مع فرنسا التي كانت شبه متفاهمة مع بريطانيا على قضايا الساعة، وهكذا قام التحالف الأنجلو - روسو - الفرنسي، ولكن الوقائع فيما بعد أثبتت عدم جدية هذا التحالف، إذ رأينا فرنسا وإنجلترا إبان الصراع الروسي - النمساوي، تتفقان موقف حياد، كما أن الثقة بين فرنسا وإنجلترا كانت مفقودة، أولاً لما كان بينهما من عداء قديم، وثانيًا للنزاع الذي قام بينهما حول القضية المصرية.

---

(1) Ernest Denis (La Guere Documentee) P. H. a la Sorbonne page 236 – 237.
(2) E. D (La Guerre Documentee) page 283.

أما الصلات بين تركيا وألمانيا فهي أيضًا لم تكن قوية؛ إذ تذكر المصادر التركية بأن السلطان عبد الحميد كان يشك في نوايا غليوم الثاني (Guillaume II) وعلى الأخص بعد زيارته لتركيا، التي أصر فيها على البدء بإنشاء خط بغداد[1]، كما أن تركيا كانت تعرف نوايا الروس المتعلقة بقضيتي البوسفور وإسطنبول، ومن خلال هذه المعلومات المقتضبة يظهر جليًّا، أن كلاً من فرنسا وإنجلترا كانتا مختلفتين على قضايا أفريقيا الشمالية، والصداقة بين فرنسا وروسيا يشوبها الشك والحذر، وروسيا غير واثقة من صداقة إنجلترا لعلمها أن مصارفها تتعامل مع اليابان، ولما كانت تعرفه منذ حروب إبراهيم باشا بطمعها في المضايق التركية، كما أن ألمانيا لم تعد على وفاق مع الروس والأتراك بعد أن انكشف أمر إطلاق يد فرانسوا جوزيف (Francois gosebh) في المنطقة السلافية وتركيا الأوربية، الذي أقر أثناء المعاهدة التي وقعها كل من بسمارك (Bismarck) وأندراسي (Andrassy) النمساوي، ومن المُسَلَّم به أيضًا أن إيطاليا فقدت ثقتها بألمانيا بعد أن رأتها مرارًا تساعد النمسا في الاعتداء عليها.

ومن كل هذا نعلم أن الخلاف كان سائدًا بين أكثر الدول الأوربية، وحتى التي كانت تزعم بوجود معاهدات فيما بينها، ولكن مع كل هذا شاهدنا في مستهل هذا القرن ظهور كتلتين خرجتا فجأة من هذه التشكيلة المتنافرة، وأوقدتا نار حرب طاحنة لمدة أربعة أعوام قاسية، ذاق خلالها العالم لأمرين، والشيء الذي يحير الناقد في أمر تلك الحروب، هو إدراك العوامل التي أدت إلى زوال الخلافات بين أعضاء الكتلتين بتلك السرعة، وقيام الثقة بينهما، وكأنها لم تكن في يوم ما مختلفة متنازعة.

وبغية تنوير القارئ بقدر المستطاع، نرى أن نلقي نظرة عابرة على الأحداث التي سبقت ظهور هاتين الكتلتين، لنصل من خلالها إلى بعض الأمور التي كان لها تأثير كبير على خلق الكتلتين المذكورتين، مع أن أكثر النقاد مروا عليها مرور الكرام، وكأنها بعيدة عن الأسباب التي قيل عنها أنها كانت العوامل الأساسية لاندلاع الحرب، ومن هذه الأمور التحول الفجائي الذي طرأ على السياسة الإنجليزية نحو فرنسا، والذي حدث في أعقاب تولى بلفور (Balfour) وزارة الخارجية البريطانية خلفًا للسيد سالسبوري (Salisbury) الذي كان يعتبر مناوئًا للسياسة الفرنسية في

(1) L,hstoire Generale Turque page 422.

أفريقيا الشمالية، فلما استلم بلفور دفة الأمور سارع إلى إنهاء الحرب البويرية (Boers) عام ١٩٠٢، ومن ثم التفت إلى فرنسا وعقد معها معاهدة عسكرية في عام ١٩٠٤، تنازلت بموجبها إنجلترا عن معارضتها لاحتلال فرنسا لمراكش (Maroc) والذي أتمه المارشال ليوتي عام ١٩٠٧[١].

وفي نفس الوقت دخلت روسيا عضوًا في هذه المعاهدة الثنائية، رغم أنها كانت قد خذلت من قبل كل من إنجلترا وفرنسا عام ١٩٠٥ إبان حربها مع اليابان، مع أنهما كانتا متحالفتين معها بموجب معاهدة ١٨٩٤[٢].

وفي عام ١٩٠٨ عقد اجتماع ثنائي في مدينة روفال (Reval) ضم إدوار السابع (Edouard vll) والقيصر نيقولا الثاني أقر فيه مطالبة السلطان عبد الحميد بمنح الاستقلال لثوار مقدونيا، الذين تمردوا على تركيا عام ١٩٠٣ دون أي سبب[٣]، وكان من الطبيعي أن يرفض عبد الحميد هذا التدخل الغريب في شئون بلاده.

وفي ٢٤ تموز ١٩٠٨ أي بعد مرور أربع وأربعين عامًا على اجتماع نيقولا الثاني (Nicolas ll) وإدوار السابع، اندلعت الثورة في اسطنبول وأرغم السلطان عبد الحميد على التخلي عن العرش، واستلم حزب الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة زمام الحكم في البلاد[٤].

وفي تشرين الأول ١٩٠٨ أعلن الأرشيدوق فرانسوا جوزيف (Archiduc gosebh) إلحاق منطقتي بوسني وهيرسك (Bosnie et Herzegovine) اليوغسلافيتين بالدولة النمساوية، وفي نفس الوقت أعلن فيرديناند البلغاري تمرده على تركيا، وبدأت الثورات تشتعل في كافة أنحاء البلاد البلقانية، ودامت حتى اندلعت نيران الحرب الكونية الأولى.

وفي أعقاب هذه الأحداث المفاجئة، ظهرت للوجود كل من الكتلتين ووقفتا وجهًا لوجه متحفزتين للقتال، وكأن زبانية الجحيم كانت تدفعهما، أما الأسباب التي يقدمها كل من الطرفين لتبرير دخوله الحرب، فهي في نظرنا ثانوية؛ لأن أكثرها حدثت

(1) E. Denis (La Guerre Documentee) page 436.
(2) E. Denis (La Guerre Documentee) page 441.
(3) E. Denis (La Guerre Documentee) page 444.
(4) E. Denis (La Guerre Documentee) page 445.

قبل اندلاع الحرب بعدة أعوام واعتبرت منتهية، وهي تتلخص حسب زعم الحلفاء، بأن ألمانيا كانت تريد الحرب للسيطرة على العالم، ولذلك عمدت إلى التحرش بالدول الأوربية لتثيرها وتدخلها في الحرب، فقام عاهلها غليوم عام ١٩٠٥، وأعلن ضمانه لاستقلال مراكش وأمر مناطيده باختراق حرمة الأجواء الفرنسية.

وفي عام ١٩٠٧ عندما انتهت فرنسا من احتلال مراكش دعم ثوارها، وهدد بإرسال بارجة حربية إلى موريتانيا ليشل التجارة البحرية البريطانية، ويطعن الجيش الفرنسي في ظهره، كما أنه فرض سيطرته على تركيا، وانتزع منها حق إنشاء خط بغداد ليتسلل عبره بعد احتلال المضايق إلى الخليج العربي، ومنها إلى فارس ليطرد الإنجليز من الهند. وأنه شجع فرانسوا جوزيف على احتلال ولايتي بوسني وهيرسك، تمهيدًا لاحتلال سالونيك وإسطنبول، ومن ثم دعمه في قتاله مع الروس، حتى أرغمهم على وقف القتال عام ١٩٠٩، وأنه المسئول عن الثورة البلقانية.

أما الألمان فيزعمون أن إنجلترا كانت تروم تطويق ألمانيا والحد من نشاطها التجاري والصناعي، فعمدت إلى إقامة الأحلاف، وحاصرتها من جميع الجهات لتقضي عليها، وأن حلفها مع النمسا لم يكن إلا من نوع التحالف بين دولتين من عرق قومية واحدة، ولم يكن قط موجهًا ضد أي من الدول، ولكن إنجلترا هي التي كانت تروم الحرب، فتتحرش بمصالحها في تركيا والكونغو بشتى الحجج الواهية حتى ترغمها على الحرب، ومن جملة أعمالها العدائية إيعازها إلى صحيفة ديلي تلغراف (Daily Telegrabh) في ٨ تشرين الأول عام ١٩٠٨ بأن تنشر قصة إقدام غليوم على وضع المخطط الحربي لمعركة ترانسفال، وتقديمه لجدته فكتوريا ملكة بريطانيا، هذا الخبر الذي أثار الشعب الألماني على الملك وكاد أن يعصف بعرشه[1].

هذه هي الأسباب التي يقدمها كل من الطرفين، وهي كما نعلم أسباب تعود لأمور حدثت منذ زمن بعيد، مثل قضية مراكش التي وقعت قبل عشر سنين، وسويت بعد فترة وجيزة، ولم تعد موضوع بحث، وقضية إلحاق بوسني وهيرسك هي أيضًا سويت في حينها بين الروس والنمساويين دون أن يتدخل بها الغرب.

أما إذا عمدنا إلى مقارنة هذه الأسباب مع الأسباب التي عودنا التاريخ على

(1) E. Denis (La Guerre Documentee) page 271.

تقديمها لتبرير نشوب الحروب في الماضي، لتبين لنا تناقضًا تامًا فيما بينها؛ إذ المعروف أن الحروب كانت تقع في الماضي لأسباب دينية أو اقتصادية، وقلما وقعت بسبب اعتداء مباشر من قبل دولة على دولة أخرى. إما أن تحدث بين دولتين متجاورتين لأن إحداهما اعتدت على دولة ثالثة دون أن يكون للثانية مصالح دينية، أو اقتصادية مشتركة في الدولة المعتدى عليها، فهو أمر قلما ذكر التاريخ حدوثه، وقضية اشتراك عدة دول في حرب طاحنة لأسباب لا علاقة لأكثرها بها، فلم تحدث تقريبًا قط.

والدول التي اشتركت في الحروب عام ١٩١٤ لم يكن بينها خلاف ديني معين، ولم يكن لأي منها مبرر قومي أو اقتصادي يجيز لها دخول هذه المغامرة الرهيبة؛ إذ ليس بخافٍ على أحد أن الاقتصاد البريطاني كان قبل الحرب العالمية الأولى على أحسن حال، بدليل أنها كانت تستنجد بالصناعة الألمانية لسد العجز في تموين مستعمراتها الواسعة بالآلات والأدوات، والصناعة الفرنسية كانت بدورها رائجة جدًا، باعتبارها صناعة زينة وزخارف تتلقفها الأسواق الأوربية بدون مساومة، والاقتصاد الألماني كان أيضًا في أوج عظمته، بدليل الأرقام الكبيرة التي سجلها في جدول الميزان الاقتصادي للأعوام التي سبقت الحرب.

أما روسيا فكانت أحوالها الاقتصادية على نقيض ذلك، إذ كانت الحرب اليابانية قد هدَّت قواها العسكرية والاقتصادية معًا، وثورة عام ١٩٠٥ مزقت شعبها شر ممزق، وصراعها مع النمسا عام ١٩٠٩ أتي على ما تبقى لها من القوى، وباعتبار أنها دولة زراعية وبعيدة عن المجالات الصناعية، فلم يكن لها مصالح اقتصادية خارج حدودها؛ ولهذا لم تكن لها أية مصلحة في دخول الحرب، وكان الأجدر بها أن تبادر إلى لَمِّ شعثها، وتضميد جراحاتها وتنظيم أمورها الداخلية.

وأوضاع تركيا الداخلية لم تكن بأحسن من وضع روسيا، إذ أن ثورة عام ١٩٠٨ قضت على وحدتها القومية، وأضرم فيها الصراع ما بين مختلف فئاتها، وكانت الثورات البلقانية قد مزقت قواها العسكرية، والشطط الطوراني أبعد عنها كافة الشعوب التي كانت تخضع لها، أما اقتصادها فكان منهارًا منذ أمد بعيد من جراء كثرة الحروب التي دخلتها، والتي شلت اليد العاملة الزراعية، وقضت على المحاصيل السنوية التي كانت المورد الأساسي للدولة العثمانية؛ إذن فهي أيضًا لم تكن بحاجة إلى

دخول تلك الحرب وكان الأجدر بها، أن تظل بعيدة عنها، وتهتم بتسوية أمورها الداخلية، وعلى الأخص أنها كانت تعلم أن كلاً من بريطانيا وروسيا وألمانيا تطمع في بلادها، أي أنها كانت تلقى بكيانها ووجودها بين فكي أحد الوحشين المتصارعين بمجرد دخولها الحرب. ومع كل هذا وقعت الحرب وخاضتها أكثر الدول الأوربية، التي لم تكن لها أية علاقة بالأسباب التي قدمتها الدول الكبرى لتبرير نشوب هذه الحرب.

أفلا يحق بعد هذا أن يتساءل الناقد عما دفع بزعماء تلك الدول إلى المجازفة بمقدرات شعوبهم ومصير بلادهم لأسباب واهية كالتي قدموها عند كشف الحساب؟ كما أن أحدًا منهم لم يسطر للتاريخ شيئًا عن الأسباب التي حَدَت ببريطانيا إلى التحول المفاجئ نحو الصداقة الفرنسية بعدما كان بينهما من العداوة والجفاء (في الحروب الأمريكية والطمع في أفريقيا الشمالية).

هذا التحول الذي تحقق في ظروف خاصة تلفت الانتباه، وكذلك أسباب الصداقة العفوية التي قامت بين إدوار ونيقولا ظلَّت أيضًا مجهولة، كما أن الروح الإنسانية التي هبطت عليهما فجأة ودفعتهما إلى مطالبة تركيا بمنح الاستقلال لثوار مقدونيا بعد عدة سنين من قيام تلك الثورة، كانت أيضًا مدار استغراب العالم، وقيام الثورة المفاجئة بتركيا والإطاحة بعبد الحميد عن العرش العثماني، بمجرد رفضه لطلب العاهلين كانت أيضًا من الأمور التي ظلت أسبابها مجهولة مدة طويلة، ودوافع انجراف تركيا في ركاب غليوم مع علمها بمطامعه ونواياه، وانحياز روسيا ودخولها الحرب في صف بريطانيا مع كل ما كانت تعرفه عن المؤامرات التي يحكيها سفراؤها في موسكو ضد آل رومانوف، هي أيضًا من المسائل التي لم تتضح أسرارها حتى اليوم، وخروج فرانسوا المباغت على النصائح الألمانية، وإقدامه على احتلال المناطق السلافية، ووقوف ألمانيا معه رغم ضربه بنصائحها عرض الحائط، هو أيضًا من الشئون الغريبة.

وإزاء كل هذه المعميات التي تتجمع في ذاكرة الباحث التاريخي، والأسئلة التي تتزاحم في مخيلته، يقف حائر في العثور على أجوبة مقنعة لها في طيات الوثائق الرسمية.

إما إذ تحرى الأحداث التي وقعت في أوربا منذ ١٨٦٢ دون استثناء، وربط بين

بعض الأحداث الخاصة الغير دولية والأحداث الدولية الرسمية، وتحرى شخصيات أبطالها جميعًا، لوجد أن الأحداث الرسمية كانت تدور حول محور الأحداث الغير رسمية، وتستمد قوتها واتجاهها منها، وعندما يربط الأحداث ونتائجها في أغراض مدبريها، تنكشف له أكثر الأسباب الغامضة المتعلقة بخفايا الحرب العالمية الأولى.

وبغية إيضاح ذلك لنعد إلى عام ١٨٦٢، ونبحث عن الحوادث التي وقعت في أوربا في ذلك العام والأعوام التي تلته حتى قيام الحرب الكونية الأولى، ومن المُسَلَّم به أن القرن التاسع عشر كان عهد السيطرة اليهودية المالية والسياسية على كافة الأقطار الأوربية، إذ كان اليهود فيه مسيطرون على فرنسا وإنجلترا، كما كانت أمورهم في كل من ألمانيا والنمسا روسيا تسير على أحسن حال، وهذه السيطرة دفعت بهم إلى المجاهرة بأحلامهم القديمة وبدأ كُتَّابهم أمثال دزرائيلي (Disraeli) وجوزيف سلفادور (gosebh Salvador) وموسى هس (Moise Hess) مؤلف كتاب روما والقدس (Rome et gerusalem) يقومون بدعاية واسعة لنشر الفكرة أو البدعة الصهيونية في أنحاء أوربا، ولقد لاقت دعايتهم هذه بعض التشجيع من قبل مشاهير كتاب الغرب أمثال هانري دونان (Henri Dounan) وجورج إليوت (George Eliot) وانتشرت الفكرة بسرعة، وعمت أكثر الأقطار الأوربية دون أن يحاول أحد مناهضتها، مما أدى إلى جعلها المحور الذي يلتف حوله اليهود في كل بلد، وأن يبنوا عليه آمالهم الواسعة، وبدأت أحلام الدوق ناكسون وساباتاي سيفي (Sabbatai Sevi) تتجسد لهم من جديد، ولكنهم بُوغِتُوا بأحداث حدثت عام ١٨٨٠ في ألمانيا و ١٨٨١ في المناطق الجنوبية الروسية كييف وأودسا) هذه الأحداث التي أدت إلى مقتل بعض اليهود من قبل أهل البلاد، فهالهم الأمر، وانبرى أحد زعمائهم المدعو ليليان بلوم (Lilien Blum) ودعا كافة اليهود إلى الهجرة لفلسطين، وأعقب نداء ليليان بلوم، نداء آخر أطلقه عام ١٨٨٢ الزعيم اليهودي ليون بنسكر (Leon binsker) ودعا فيه اليهود أيضًا إلى الهجرة.

وعلى أثر ذلك تكونت في خاركوف (Kharkov) جمعية بيلو (Bilu) التي دعت إلى إقامة مستعمرات زراعية يهودية في فلسطين، وفي أوديسا تشكلت جمعية عشاق صهيون (Amants de Sion) لتمويل المستعمرات المزمع تكوينها، وهكذا بدأت

الصهيونية تنتشر بسرعة وبكل حرية. وفي عام ١٨٨٤ تنادت المحافل الصهيونية وأقامت مؤتمرها الأول في مدينة كاتوفيس (Katowice) البولونية وانبثقت عنه مبادئ جمعية عمومية يهودية برئاسة ليون بنسكر وعضوية ليليان بلوم وروتشيلد ومن مونتفيورز (Sir Moise Montefiors) ورئيس الاتحاد الإسرائيلي العام، ورئيس جمعية عشاق صهيون، وهذه الجمعية هي التي أقامت سبعة عشر مستعمرة يهودية في فلسطين بين عام ١٨٧٠ و ١٨٩٦، وكان غرضها هو تهجير اليهود تدريجيًا إلى فلسطين، بزعم أنها وطنهم الأول(١).

ولكن شاءت الأقدار أن يتنبه السلطان عبد الحميد إلى أغراض اليهود ويصدر أمره بإيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فلم يكن أمام اليهود إلا الصبر مؤقتًا، وعلى الأخص وأنهم في فرنسا في مأزق رهيب من جرَّاء انكشاف خيانة دريفوس (Dreyfus) عام ١٨٩٤، فوجهوا كافة قواهم إلى هذه القضية، وحالما شعروا بقرب انتصارهم فيها، عادوا إلى نشاطهم السابق، فبادر أحد كتابهم تيودور هرزل إلى نشر مقالات سياسية تحرض اليهود على إيجاد كيان لهم متخذًا من قضية دريفوس ذريعة لتبرير سياسته هذه.

ولقد أثمرت دعاية هرزل (Theodor Herzl) سريعًا وأقيم عام ١٨٩٧ مؤتمر صهيوني في مدينة بال السويسرية، حضره مائتا شخصية من أكبر أثرياء العالم اليهودي، وتداولوا فيه موضوع إيجاد وطن قومي لليهود، وبعد ثلاثة أيام أعلنوا على العالم أجمع أنهم قرروا اتخاذ فلسطين ملجأ لليهود، على أن توفر لهم فيها كافة الحقوق العامة، ويبدو أن المؤتمرين اتخذوا مقررات سرية أخرى، ظلت في طي الكتمان حتى ظهرت بروتوكولات صهيون واكتشف أمرها. وفي العام الثاني عاد اليهود إلى الاجتماع في بال مرة أخرى، وأقروا فيها تسوية كافة خلافاتهم المذهبية، وأعلنوا تحالفهم العام لتحقيق سياسة هزرل، ووضعوا تحت تصرفه الأموال اللازمة لإنجاح مساعيه، وأسندوا أمر تمويله إلى بنك المستعمرات اليهودية ومصرف الودائع القومية اليهودية (Les Fonds Nationaux guifs) وفي غضون عام واحد انضم إلى الحركة الصهيونية مائة ألف نسمة من أثرياء اليهود، أمثال البارون هيرش (Hirsch) والبارون

---

(1) A. chouraqui: (Israel) page 17.

إدموند روتشيلد (E. Rothschild) هذا عدا عن أقطاب الماسون الذين انضموا إليهم أمثال الدوق فريديريك الكبير، الذي توسط لهرزل عام ١٩٠١ لدى السلطان عبد الحميد، ومرة أخرى عام ١٩٠٢ لدى الصدر الأعظم ليبحث معهما في موضوع الديار المقدسة، ولما تمت المقابلة بين هرزل والسلطان عام ١٩٠١، ولم تسفر عن نتائج مرضية كما هو معلوم، عمد هرزل إلى ملاقاة الصدر الأعظم، ولما خيب هذا آماله مرة أخرى، عاد هرزل وأعلم المجلس الصهيوني بالأمر.

فأيقن اليهود أن لا مناص لهم إلا بالتخلص من الكنيسة الأرثوذكسية والقيصرية في روسيا، ومن ثم سحق تركيا التام أن هم أرادوا التوصل إلى تحقيق أهدافهم في فلسطين، إذ كانوا يعلمون بعد أن أخضعوا الكنيسة الغربية لإرادتهم، أن الكنيسة الشرقية سوف تعترض طريقهم وستكون القيصرية خلفها، وأن تركيا طالما ظلت على قوتها، لن تمكنهم من احتلال فلسطين، وربما أن البيئة التركية لم تكن صالحة لتقبل بدعتهم التي اعتمدوها للقضاء على الكنيسة الشرقية والقيصرية في روسيا، قرروا اتباع منهاج خاص بها وهي نشر المبادئ الماسونية والتعصب للطورانية، لخلق الخلاف بين مختلف شعوبها، وإشعال نيران الثورات في المناطق الأوربية الخاضعة لنفوذها، ومن ثم زجها في حرب مع الدول المناصرة لهم لسحقها نهائيًا وتحقيق أحلامهم على أنقاضها.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف شرعوا في العمل كما ذكرنا في روسيا وتركيا، فكان لهم ما أرادوا في البلاد القيصرية عن طريق نشر المبادئ التي توافق البيئة الروسية، أما في تركيا، فركزوا جهدهم على مناوأة الملكية عن طريق خلق حزب تركيا الفتاة الذي كانوا يمولونه، وجندوا له الأنصار من الطلاب الأتراك الذين كانوا يدرسون في المعاهدة الأوربية، وزرعوا بذور التعصب القومي في نفوسهم، واحتقار الشعوب غير التركية في الدولة العثمانية، مما أدى إلى قيام خلاف عميق الأثر بين الأتراك والشعوب الإسلامية التي كانوا يحكمونها.

ومن الناحية الثانية أوجدوا في سونلونيك حزب السيونو - كومينيست مثلما أوضحنا تفاصيله في بحثنا عن تركيا، ولقد تمكن هذا الحزب فيما بعد من إشعال نيران الفتن في ماكدونيا وسواها من المناطق البلقانية، هذه الفتن التي هدّت قوى السلطنة

العثمانية، ولكن مع كل هذا ظل السلطان عبد الحميد على إصراره في عدم منح اليهود أي امتياز خاص في فلسطين، وهنا لم يكن لليهود مخرج سوى العمل السريع لخلق ظروف الحرب، ولما كانت قواعد قواتهم متمركزة في البلاد الغربية، بادروا إلى تهيئة الجو فيها قبل سواها، وفي هذا الوقت بالذات تم لهم النصر في فرنسا، وتسلم رئاسة الجمهورية السيد لوبه (Loubet) الجمهوري وعهدت بوزارة الخارجية إلى دلكاسه (Delcasse) الماسوني وبوزارة الحربية إلى الجنرال كاليفه اليهودي (Galliffet).

وعلى أثر ذلك ظهرت المفاجئة الأولى من المفاجآت التي سبق وأن أشرنا إليها، وحدثت المعجزة وقامت المعاهدة بين إنجلترا وفرنسا عام ١٩٠٤، ومنحت فرنسا بموجبها حق احتلال المراكش، ولما احتجت ألمانيا على هذا الاعتداء، وقفت الدولتان في وجهها وكأنهما كانتا دائمًا متفقتين.

وتلت هذه المفاجأة واحدة أخرى عام ١٩٠٨، بتحالف القيصر مع إدوار السابع، رغم معارضة الأكثرية الساحقة من أعضاء الدوما لهذا التحالف(١)، ولكن إصرار الكونت وايت زوج الراقصة اليهودية وصديق روزفلت واليهود أرجح الكفة، وتم التوقيع على التحالف الثلاثي.

ومن ثم حدثت المفاجأة الثالثة باندلاع الثورة على السلطان عبد الحميد من سالونيك قاعدة اليهود القوية، بزعامة الجنرال محمود شوكت الذي غرر به كل من اليهودي المتر سالم، وقره صو، والدونما جاويد، وبهذا سيطر اليهود على تركيا أيضا، وأوفدوا أنصارهم عام ١٩٠٩ إلى باريس لخطب ودها، بينما كانوا بالوقت نفسه يتفاوضون مع ألمانيا باسم تركيا لينتقوا لها الظرف الذي سيؤدي بها إلى المصير التي أقروه لها.

والمفاجأة الرابعة كانت إقدام فرانسوا جوزيف على مغامرة احتلال بوسني وهرسك والتحرش بالصرب، رغم كل ما كان يعرفه عن خطورة هذا العمل، وهذه المغامرة أيضًا كانت من نسج الأيدي اليهودية القذرة، التي كان كل همها إشعال نار الحرب مهما كان الثمن، والأثر اليهودي هنا وإن لم يكن بارزًا تمامًا، غير أن الظروف الخاصة لحياة فرانسوا جوزيف تدمغه بالاتهام من طرف خفي؛ إذ المعروف عن

(1) N. Brian Chaninov (Histoire de Russie) page 472.

فرانسوا أنه كان يعاشر النبلاء والأثرياء اليهود الذين كانت تعج بهم فيينا آنذاك، ولقد اشتهر بمقاسمتهم لعبة الطاروق (Tarok) في منزل السيدة شارت (Mme Schartt) التي كان الأرشيدوق مولعًا بها(١).

ومما سبق يتضح لنا أن هذه المفاجآت التي خلقت الكتل والأحداث لم تكن بريئة من مسئولية وقوع الكارثة، ومع العلم أن ظهورها على المسرح السياسي لم يكن له أي مبرر منطقي، بدليل أن المعاهدة التي قامت بين فرنسا وإنجلترا، والتي تجلي فيها الكرم البريطاني على حساب مراكش العربية لم يقدم لقيامها أي مبرر، سوى القول بأنها حدثت للتعويض على الدولة الفرنسية عما أصابها من الغبن قبل أربعة عشرة عامًا عند تصفية المسألة المصرية أي أنها قامت؛ لأن الضمير الإنجليزي استيقظ بعد تلك المدة الطويلة، فعوض على فرنسا بعض ما فقدته من المكاسب في البلاد المصرية.

كما أن تدخل إدوار السابع ونقولا الثاني في شئون الماكيدونية بعد ستة أعوام، برر أيضًا بأنه محض تدخل إنساني أريد منه الدماء أي أنه كان من الأمور الإنسانية التي يهتم الضمير البريطاني بها.

والتحالف الروسي البريطاني الذي تعهدت فيه بريطانيا، ومن ثم فرنسا بمساعدة القيصر الذي طعنتاه أكثر من مرة، قام هو أيضًا على سبيل التكفير عن إساءات الماضي.

ومن خلال هذه المبررات الضعيفة التي ليس لها أي معني جوهري، يظهر بجلاء أن بريطانيا كانت تقصد من ترضياتها وكفاراتها غير ما تدعيه، والجدير بالذكر هو أن الضمير البريطاني لم يصح من سباته العميق إلا عندما استيقظت الصهيونية، واشتد عودها في كل من فرنسا وروسيا وبدأت أصابعها القذرة تعيث فسادًا بمقدرات الشعوب البلقانية وتركيا.

وظاهرة استيقاظ الضمير البريطاني مع الأحداث اليهودية ليست بغريبة على العالم، بعد أن جعلها كروميل وقفًا على الإرادة اليهودية، ولقد لمسها العالم إبان الثورة الفرنسية لمس اليد، ولهذا ظل هذا الضمير الحي يغط في نومه العميق إلى أن استتب الأمر في فرنسا لليهود من جديد بعد كارثة دريفوس، وأينعت ثمار مستنبطاتهم في

(1) E. Denis (La Guerre Documente) page 271.

الزبوع الروسية بعد ثورة عام ١٩٠٥، ولكن عناد السلطان عبد الحميد أفقدهم الصبر، وقرروا تنفيذ مخططاتهم التي كانت تقضي في حالة رفض عبد الحميد تسليمهم فلسطين، بأن يسرعوا في سحق تركيا، وتدمير الكنيسة الأرثوذكسية مع أنصارها، وإذلال ألمانيا التي كانت تشكل خطرًا عليهم وتزاحمهم في بدعة العرق أو الجنس المتفوقة وخرافة الشعب المختار، فلما اصطدموا بإصرار عبد الحميد، لم يعد لهم مندوحة من تحريك بيادقهم التي كانت تتحكم في مصائر بريطانيا، وفرنسا، وروسيا، فسارع إدوارد السابع عميد الماسونية ووزير خارجيته اليهودي بلفور، بناءً على طلب السير موسى مونتفيورز مؤسس الصهيونية (الذي كان ملوك بريطانيا يعتبرونه أعظم شخصية في إمبراطوريتهم) إلى خطب ود فرنسا والتقيا مع لوبه الجمهوري ودلكاسه الماسوني وكاليفه اليهودي، الذين حركهم البارون روتشيلد (الذي تعترف المصادر الفرنسية بأنه كان قابضًا على زمام كافة الأمور السياسية في فرنسا) وتم التفاهم السريع بين الطرفين، وقام التحالف الذي انضمت إليه روسيا فيما بعد، تحت تأثير الكونت وايت صهر الصهيونية العزيز، والسفير الفرنسي اليهودي موريس بوليولوغ (Maurice boleolgue).

وبعد أن تم لهم تشكيل الجبهة الغربية أطلقوا العنان لصحافتهم التي بدأت بالتمهيد للحرب، فكانت تذيع في الغرب أن ألمانيا وحليفتها النمسا تريدان السيطرة على العالم، وفي ألمانيا والنمسا كانت تروج لفكرة تطويق الغرب لألمانيا وخنقها في قوقعتها، وفي روسيا تشيع أن الألمان يعملون للسيطرة على المناطق السلافية، وتدلل على ذلك بأقدام النمسا على احتلال هيرسك وبوسني، وفي تركيا تزعم أن الروس والإنجليز اتفقوا على احتلال المضايق والممتلكات العثمانية الأخرى، وفي البلاد العربية عمد أنصارهم إلى الدس والوقيعة، وشيعوا أن حزب تركيا الفتاة سيفرض قانون التتريك على شعوبها، مثلما أذاعوا في الأوساط التركية نزوع العرب إلى الانقضاض عليهم.

ومن ثم أوعزوا إلى مصارفهم وبنوكهم في كل دولة أن تضع مواردها تحت تصرف حكوماتها، لتشجيعها على خوض الحرب دون خشية الافتقار إلى المال، حتى أن ألمانيا وقعت مثل سواها في الفخ بفضل الصداقة التي كانت تربط اليهودي الثري

بارفوس (parvus H elphand) بالمستشار الألماني بيثمان هالفيك (Bethman Hallweg) فلم تـضن على اليهـود بتلبيـة بعـض مطـالبهم مقابـل حـصولها على قـروض مـن مصارفهم.

وهكذا هيأ اليهود العالم بأسره لخوض المعركة، فلمـا أيقنـوا أن الوقـت قـد حـان كلفوا اليهودي برنزيب (princip) باغتيـال الأرشـيدوق فرانـسوا، وانـدلعت الـنيران الحرب التي عملوا لها، وظلت شرورها جاثمة على صدر البـشرية مـدة أربعـة أعـوام عـصيبة، ولمـا انحسر الغبـار عـن سـاحات المعـارك، تـبين للعـالم أجمـع أن الطـرفين المتخاصمين خرجا منها بأعظم الخسائر، ولم يستفد منها إلا اليهود وحدهم؛ إذ قويت شوكتهم في جميع أنحاء العالم، وانتزعوا من أتباعهم الوعد المشئوم على يـد وزيـرهم بلفور الذي تعامى قصدًا عن إنذار الخطر الذي وجهه إليه وزير خارجية هولندا، هذا الإنذار الذي طلب منه فيه أن يوقف الحرب، ليواجه العالم خطر الصهيونية الذي بـدأ بتهديم الشعوب، ولكن بلفور تجاهل الأمر؛ لأنه كان خير مَن يعلم أسرار المـؤامرات اليهودية؛ إذ كان مشتركًا فيها فعلاً وقولاً؛ ولذا قدم الملايين من أبناء الشعوب قـرابين لتحقيق مآربهم وخدمة مصالحهم فكان ما كان.

ومن الأدلة التي تدمغ اليهود بافتعال الحرب الأولى، ومشاركة الحكومة البريطانيـة لهم، هي تلك القصة التي روتها مجلة المـواطن البريطانيـة (The patriot) والـتي قالـت فيها: إن أحد الكهنة أَسَرَّ لمديرها عام ١٨٩٨ بأن أحد اليهود الإنجليز قال له: إننا نحن اليهود سنحتل قريبًا فلسطين ونجعلها وطنًا لنا، ولما سأله الكاهن الانجليزي عن سبب تفاؤله هذا، وعن العوامل التي يعتمد عليها لتحقيق روايته هذه. أجابه اليهودي قائلاً: أنتم تتخيلون أن الملوك والجيوش هي التي تفتعل الحروب، ولكن الواقـع هـو عكـس ذلك، إذ أن الأموال والصحافة هي التي تشعل نيران الحرب، ولما كنا نحن اليهود نملك المصارف والصحافة، سوف نوعز إليها في الوقت اللازم لتخلـق الأسـباب الآيلـة إلى حرب عالمية، وإذا أوجب الأمر لعدة حروب عالمية، وسنعمل على إطالـة الحـرب أو الحروب، حتى نتأكد من أن الطرفين قد هلكا، ولم يعد بإمكانهمـا معارضـتنا، عنـدها سـنفرض الـصلح مثلمـا نكـون قـد فرضـنا الحـرب، فيـضطر كـل مـن الطـرفين إلى الاستجابة لرغبتنا؛ لأن المغلوب سيكون عليـه أن يـدفع التعويـضات الحربيـة المترتبـة

عليه، بينما سيحاول الغالب الحصول على تلك التعويضات بأسرع ما يمكن، وبما أننا سنكون الطرف القادم وحده على مد المغلوب بالمال لكي يحصل الغالب عليه، فسيضطر كلاهما لإرضائنا، عند ذلك سنفرض عليهما شروطنا، وفي مقدمتها احتلال فلسطين، وأمام الأمر الواقع سيتنازل لنا العالم عنها، وهكذا سنحقق آمالنا.

ولقد نشرت المجلة هذه القصة وتحققت السلطات من صحتها، ولكن ظنها الجميع نوعًا من التخرصات اليهودية، حتى وقعت الواقعة وظهر صدقها بعد الحرب العالمية الأولى.

ورغم كل هذه الأدلة التي تدين اليهود بافتعالهم الحرب ظلت الوثائق الرسمية على إصرارها في إلقاء تبعتها على الألمان، والسبب في ذلك هو النفوذ اليهودي الذي سيطر على جمعية الأمم التي أوجدها اليهود بعد الحرب، وفرضوا بواسطتها كل ما أرادوه من التبديل والتزوير على الوثائق التاريخية، وهكذا طمسوا الحقائق التي كانت تدينهم بشكل واضح، وانتهى الأمر.

الجريمة الأخيرة أو قيام إسرائيل(١)

بينما كانت الصهيونية العالمية وحليفاتها من الدول الغربية تتأهب لتنفيذ مخططاتها السرية الرامية إلى توطين اليهود في الديار المقدسة، كان العرب ينتظرون بفارغ الصبر انتهاء الحرب العالمية الأولى (التي ساهمت الصهيونية بقسط وافر في إشعال نارها) آملين بأن يبر الغرب بوعوده التي قطعها على نفسه، مقابل العون الكبير الذي تلقاه إبان محنته مع ألمانيا وحليفاتها، وفيما كان العرب يعللون النفس بالآمال الكبيرة، إذا بإنجلترا تفاجئهم في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ بإعلان وعدها المشئوم لليهود، فاستفظع العرب نكث بريطانيا بعهودها، وارتفعت أصوات الاحتجاج من كل حدب وصوب، ولكن بريطانيا أصمت آذانها عن سماعها، وردت عليها بأن اعتقلت الأمير الهاشمي، ونفته من الجزيرة العربية، وسلت سيف التعسف والإرهاب على رءوس العرب، فساد الوجوم دنياهم من هول الصدمة وخيبة الأمل، فاستغلت الصهيونية استكانتهم وتمكنت في غفلة منهم من انتزاع موافقة فرنسا على الإجراء البريطاني (في ١٤ شباط ١٩١٨) ومن ثم عمدت إلى إدخال قرار الوعد في صلب المعاهدة التي انبثقت عن مؤتمر (سان ريمو) الذي أسفر عن تمزيق الوطن العربي، وتقسيمه إلى دويلات تخضع لمختلف أنواع الاستعمار كالانتداب والحماية.

وفي الفترة الواقعة بين إعلان الوعد وصدور مقررات سان ريمو (أي من ٢/ ١١/ ١٩١٧ إلى ١٦/ ٩/ ١٩٢٢) لم تقف إنجلترا مكتوفة الأيدي، بل سارعت منذ ١٩٢٠ إلى تعيين اليهودي هربت صمويل (sir samuel Herpert) مفوضًا ساميًا في فلسطين، ليمهد الطريق أمام المهاجرين اليهود، وينسق الأعمال الضرورية لتهويد البلاد بأقصى سرعة ممكنة، ولقد استهل هربرت عمله بإحداث الوكالة اليهودية وأشركها في حكم البلاد، كي تعاونه في توطين اليهود، ولما أيقن أن الوقت قد حان أوعز إلى اليهود بالهجرة إلى فلسطين، فتدفقت جموعهم على الربوع المقدسة، وشرعوا بسلب الممتلكات العربية وطرد أصحابها منها، تساندهم السلطات الإدارية وحراب الجيش البريطاني المحتل.

---

(١) إنها ليست الأخيرة، بل تلاها الكثير من الجرائم القذرة التي لا يفعلها إلا أهل القذارة. (دار البشير).

وهكذا انصبت المصائب على الشعب العربي في فلسطين جزاء وفائه ومساعدته لبريطانيا في محنتها، ولم يعد يطيق تحمل هذا الظلم الفاضح، فهب بعض رجالاته للدفاع عن أرضهم وحقوقهم التي كانت تسلب وتنهب تحت سمع وبصر العالم، وكان في طليعة المدافعين المجاهد الكبير الشيخ أمين الحسيني، الذي أعلن تشكيل اللجنة العربية العليا، فالتف حوله نخبة من شباب العرب، وجاهر بمعارضته للإجراءات البريطانية، فعمدت السلطات المنتدبة إلى الإرهاب والتنكيل، واصطدمت مع أنصار الشيخ المجاهد عام ١٩٢٠ في مدينة القدس، حيث وقعت عدة حوادث مفجعة انتهت مؤقتًا على أثر الوعود المعسولة الكاذبة التي قدمتها سلطات الانتداب للمعارضين، والتي أصلاً لم تنطل على المجاهد الكبير الشيخ أمين الحسيني، فثابر على المطالبة بإيقاف الهجرة اليهودية وإنصاف العرب، فعمدت السلطات إلى التسويف، مما أدي إلى اصطدام جديد عام ١٩٢١، وأيقنت السلطات على أثره بعدم جدوى سياسة البطش والإرهاب، فسلكت طرق الخداع السياسي مع العرب كسبًا للوقت، حتى تتمكن من جعل اليهود أكثرية ساحقة في البلاد، لكي تتخذها ذريعة لتحقيق بنود وعدها المشئوم.

وبموجب هذه الخطة أصدرت عام ١٩٢٣ قرارًا يقضي بتشكيل مجلس تشريعي مشترك بين العرب واليهود، يكلف بوضع ميثاق مشترك لتقرير مصير البلاد، فرفض العرب الاشتراك في هذا المجلس الذي أرادت بريطانيا أن تجعله مخلب قط للتسويف والمماطلة، فاشتد الخلاف مرة أخرى، واضطر العرب لحمل السلاح للدفاع عن حقوقهم.

واندلعت ثورة عام ١٩٢٩ التي أعجزت الانتداب عن فرض سيطرته بالقوة، فعاد مجددًا إلى المراوغة، وأدخل على مشروع المجلس التشريعي القديم بعض التعديلات التي طلبها العرب، شريطة أن تقترن بموافقة مجلس اللوردات البريطاني، الذي كانت أكثريته من اليهود.

ومن البديهي أن لا يوافق المجلس عليها طالما كانت في صالح العرب، ولكنه كان يتوخى التسويف وإضاعة الوقت، أملاً بأن يمل العرب وينزعون إلى الرضوخ والاستكانة. ولقد فشل في مبتغاه؛ لأن الشيخ مجاهد ورفاقه كانوا يعرفون مصير

مشروع المجلس المقترح مسبقًا، فأبوا إلقاء السلاح، وقد صدق ظنهم وأهمل مجلس اللوردات أمر القرار المرفوع إليه وظل معلقًا، فبادر العرب إلى تدويل قضيتهم، ونجحوا في أسماع صوتهم وإيصاله إلى جمعية الأمم، حيث ظهرت للوجود كتلة معارضة للمخططات الصهيونية تزعمتها ألمانيا وإيطاليا اللتان أبديتا معارضتهما لقيام الدولة اليهودية، فجزعت بريطانيا من مغبة هذه المعارضة، واتجهت إلى الغدر والخداع مرة أخرى، ووعدت بتسوية القضية وأصدرت كتابها الأبيض الشهير، وتظاهرت بتشكيل لجان حيادية صورية لدراسة المسألة الفلسطينية، وخرجت على العالم بلجنة شو (shaw) وادعت بتكليفها في النظر بإيجاد الحلول المناسبة لإنهاء المعضلة، ودامت هذه التمثيليات الهزيلة حتى عام ١٩٣٦، وظهر للعالم أجمع بطلان المزاعم الإنجليزية، وفقد العرب الأمل في إنهاء قضيتهم بالطرق السلمية، وأعلنوا الثورة على بريطانيا، فعمت الاضطرابات جميع أنحاء البلاد، وتعددت المعارك بين العرب والإنجليز الذين استعملوا فيها أشد أنواع الأسلحة الفتاكة، وأقسى أساليب القمع، ومع هذا باءوا بالفشل، فضجت المحافل الدولية من قسوة الأساليب البريطانية، وطالبت ألمانيا بوقف الإجراءات التعسفية الإنجليزية، وأعلنت مرة أخرى معارضتها لقيام الكيان الإسرائيلي، ومنعت يهود بلادها من الهجرة إلى فلسطين.

وانبرت بعض الصحف الأوربية الشريفة للدفاع عن العرب، فاضطرت بريطانيا مرة أخرى إلى المماطلة والتسويف، ووعدت بتشكيل لجنة جديدة لإيجاد الحل المناسب للقضية الفلسطينية، وفعلاً شُكلت اللجنة وأسندت رئاستها إلى اللورد بيل (peel) فباشرت هذه اللجنة عملها الذي دام طويلاً، ومن ثم قدمت تقريرها الذي نص على تقسيم البلاد إلى ثلاث دويلات إحداها عربية والأخرى يهودية والأخيرة تخضع للانتداب البريطاني [(١)].

وهنا توضحت نوايا بريطانيا، وأيقنت المحافل الدولية أنها تتعمد عرقلة سير القضية كسبا للوقت لتتمكن من تحقيق أهدافها الأصلية، فانبرت ألمانيا لتعلن رفضها لمقترحات بيل، ولكل مشروع يرمي إلى إيجاد كيان سياسي لليهود، وبررت معارضتها بأن بريطانيا استنبطت هذه الحلول الغريبة، لتقيم الدولة اليهودية التي ستعادي ألمانيا

(1) (Archives secretes de la Wilhelmstrasse) Document No 422.

في المجال السياسي، ومن ثم لتحقق لنفسها قاعدة عسكرية في شرق البحر الأبيض المتوسط لتكون بمثابة رأس حربة تهدد المصالح الألمانية في الشرق، وحذت إيطاليا حذوها، وأعلنت تضامنها مع العرب، كما أن الحكومتان العراقية والمصرية اتفقتا على إثارة القضية في جمعية الأمم، وطالبتا بمنح فلسطين استقلالها التام، على أن يعيش فيها اليهود كمواطنين عاديين، أسوة بالطوائف والأقليات الأخرى وأن تتوقف هجرتهم إليها حالاً.

وهذا الاتجاه الدولي الجديد أرعب الصهيونية، فسارعت إلى العمل لدى الدول الاسكندنافية لتضمن مؤازرتها في جمعية الأمم، وأوعزت إلى اليهود في أمريكا ليشددوا الضغط على حكومتها لتتدخل في الأمر، وأمرت صحافتها المنتشرة في أقطار العالم لتلح في المطالبة بإنشاء الدولة اليهودية، فنجحت مساعيهم إلى حد بعيد وكثر أنصارهم في المحافل الدولية، وتدخل أمريكا لصالحهم وطالبت بريطانيا بأن تسرع في تحقيق وعدها[(١)].

ولكن بريطانيا التي كانت تعرف مدى معارضة العرب للأمر، فضلت سلوك طريق الإقناع والتغرير، بعد أن عجزت جيوشها الجرارة من فرض إرادتها بالقوة، فاتصلت سرًا ببعض المحافل السياسية العربية في فلسطين، وبالمغفور له الملك عبد الله بغية إقناعهم بحسنات مشروع اللورد بيل، ولكنها اصطدمت برفضهم التام للمساومة بحقوق العرب المقدسة، وفي نفس الوقت أعلن الشيخ أمين الحسيني معارضة العرب لكل حل لا يعترف بعروبة فلسطين الكاملة، وأيدته الحكومة العراقية والمصرية والسعودية، رغم النفوذ البريطاني الذي كان يخيم على بلادها.

وانبرت الصحافة العربية للدفاع عن القضية، وألهبت الحماس في الأوساط الشعبية، فبادرت فئة من الشباب العربي المؤمن إلى الالتحاق بالثورة واتسع النشاط السياسي العربي، واتصلت الدولة السعودية والهيئات السياسية في سورسة بكل من ألمانيا وإيطاليا لتعملا للحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

وعلى الأثر فرضت ألمانيا شروطًا قاسية على هجرة اليهود من بلادها، فتضاءل عدد النازحين منهم إلى فلسطين، فقامت قيامة الصحافة اليهودية، وطالبت الدول

(1) (Archives secretes de la Wilhelmstrasse) Document No 423.

الغربية بالتوسط لدى ألمانيا لتسمح لليهود بمتابعة الهجرة، فلبت الدول الغربية كعادتها رغبة اليهود، وتوسطت لدى ألمانيا، ولكن هتلر أبى الرجوع عن قراره، وأعلن أنه لن يسمح بهجرة اليهود، إلا إذا تخلوا عن ثرواتهم التي نهبوها عبر الأزمان من الشعب الألماني بشتى الأساليب الملتوية، والتي تضاعفت بعد الحرب العالمية التي افتعلها اليهود لتحقيق أغراضهم، والتي دفع الشعب الألماني الغرامات عنها، دون أن يشترك اليهود بنس واحد من هذه الغرامات، رغم ما جنوه من الأموال أثناء الحرب، هذا عدا عن أن خروج هذه الثروات سيؤدي إلى انهيار الاقتصاد الألماني باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من الثورة الوطنية، كما أن ألمانيا اشترطت شرطًا آخر في حال قبول اليهود بالشرط الأول، وهو أن ينزح إلى فلسطين واحد من كل أربعين يهوديًا يخرجون من ألمانيا، وأن تمتص البلاد الغربية ما تبقى منهم[(١)].

وهذا الموقف الألماني الصلب، أجبر الدول الغربية على عقد مؤتمر في مدينة إيفيان (Evian) عام ١٩٣٨ لتتداول في الأمر بغية إيجاد حل للمسألة اليهودية، فرفضت ألمانيا حضور المؤتمر، واعتبرته تدخلاً في شئونها الداخلية. ففشل المؤتمر؛ لأن ممثلي الدول الغربية كانوا غير راغبين في احتضان اليهود المفلسين في بلادهم، كما أن اليهود كانوا يأملون بإيجاد حل أنسب لهم، فانفض المؤتمر دون توصل إلى نتيجة ما، اللهم إلا إقرار تكليف السيد روبله (Rublee) الأمريكي (ممثل لجنة مساعدة اليهود التي شكلت في لندن) بالاتصال بالدولة الألمانية السعي لإقناعها بضرورة الإفراج عن الأموال اليهودية. ولقد اتصل السيد روبله عشرات المرات بالدولة الألمانية، ولكنه كان في كل مرة يعود بخفي حنين.

وهنا أيقن اليهود أن لا أمل لهم بإخراج ثرواتهم، فاستكان أغنياؤهم، بينما عمد الفقراء إلى الهجرة خلسة من ألمانيا، ويبدو أن السلطات الألمانية أهملت مراقبتهم، فتدفقوا على البلاد المجاورة، حتى شعرت تلك البلاد بوطأتهم؛ لأنهم كانوا يصبحون عالة عليها بمجرد اجتيازهم لحدودها، حتى أن سويسرا وجدت نفسها عاجزة عن امتصاص سيل المهاجرين اليهود فاحتجت على ألمانيا لتساهلها في الهجرة اليهودية، مما أدى إلى إصدار قرار إلى سلطات الحدود بالتشدد في مراقبة التسلل اليهودي[(٢)]. ولما

(1) (Archives secretes de la Wilhelmstrasse) Document No 471- 482.
(2) (Archives secretes de la Wilhelmstrasse) Document No 490.

علم اليهود بالقرار الجديد انتابهم اليأس، فأقدم أحد اليهود الفرنسيين في مستهل شهر تشرين الثاني ١٩٣٨ على اغتيال السيد إرنست رات (Ernest Rath) أمين سر المفوضية الألمانية في باريس، ولما شاع الخبر في ألمانيا هاج الشعب الألماني، ووقعت أحداث جسيمة في برلين، أسفرت عن إصابة مئات المحلات التجارية بخسائر فادحة (في ٩ - ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٨). فتدخلت السلطات في الأمر وأعادت الأمن إلى نصابه، ولكن الشعب أصر على طرد اليهود من البلاد، وتغريمهم الخسائر التي أصابت المحلات التجارية، فاضطرت الدول إلى تغريم اليهود بالخسائر المذكورة، فسارعت الدول الغربية لنجدة اليهود، كما هبت الصحافة المهودة لمناصرتهم، مطالبة دولها بإنقاذ اليهود من براثن هتلر.

عندها قررت ألمانيا التخلص من اليهود، واستدعى المارشال غورنغ المندوب الأمريكي روبله موافقة ألمانيا على هجرة اليهود من بلادها، شريطة أن تقبلهم الدول الغربية في بلادها، كما أفهمه أن حكومة ألمانيا مستعدة للدخول في مباحثات مع الغرب لإيجاد الحلول المناسبة للقضايا المالية اليهودية، ومن ثم عين الدكتور شاخت للتداول مع الدول الغربية، ومع لجنة إنقاذ اليهود في بريطانيا، ودامت المباحثات عدة أشهر، ولكنها فشلت في النهاية لأن الدول الغربية تمنعت عن قبول اليهود في بلادها، دون أن يصطحبوا معهم أموالهم، إذ كانت جميعها تدرك أن دخول اليهود إلى بلادها تعني تعريض اقتصادياتها للنهب والسلب وتجويع مواطنيها، حتى أن فرنسا طالبت عام ١٩٣٨ بالحد من الهجرة اليهودية إلى بلادها، كما احتجت هولندا والنرويج والمجر على الهجرة اليهودية لبلادها، أما في اليونان فكادت أن تحدث فيها مذابح مروعة بين اليهود والمواطنين.

وإزاء التذمر الذي ساد البلاد الأوربية، قررت أمريكا أن تتفق مع بريطانيا وألمانيا لإيجاد حل للقضية اليهودية، واتصلت بهما، واتفقوا على تشكيل أربع لجان لدراسة أحوال اليهود في ألمانيا والنظر بإمكانية نقلهم إلى الفيليبين وروديسيا أو غينيا، وفي نفس الوقت تظاهرت بريطانيا بمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين ذرًا للرماد في العيون؛ لأنها كانت واثقة من قرب اندلاع الحرب الكونية الثانية، فعمدت إلى التغرير بالعرب وكسب ودهم وتظاهرت بمناوأة الهجرة، وفعلاً أثمرت خدعتها واستكان

العرب نسبيًا، أما اللجان الأربع، فلم تقم بأي عمل إيجابي، اللهم إلا نشر التصريحات ونثر الوعود والحلول الكاذبة.

ولكن الشيخ مجاهد كان قد تمرس على أساليب الخداع البريطاني، ورأى بثاقب نظره ما كانت تبيته للعرب، ففر من فلسطين إلى العراق، حيث جدد النضال حين اندلاع الحرب، ولكن أبت الأقدار إلا أن تفشل ثورة رشيد عالي الكيلاني، فاضطر الشيخ مجاهد الذي حمل لواء النضال مدة ربع قرن، أن يلتجئ إلى ألمانيا ليثابر فيها مع رفاقه على محاربة اليهود وأنصارهم بقدر المستطاع، وهكذا جمدت القضية الفلسطينية نسبة للعرب طيلة مدة الحرب.

ولقد استفاد اليهود من ظروف الحرب، ومما نالهم من العطف العام بفضل دعاياتهم الخادعة، فأغرقوا فلسطين بالمهاجرين الذين وفدوا إليها من كل حدب وصوب، وتضاعف عددهم عشرات المرات عن ذي قبل، واستولوا على التخوم العربية التي كانت خالية من السكان، فأنشئوا فيها القرى والمزارع المسلحة أحسن تسليح، وشرعوا يتأهبون لجولتهم القادمة مع العرب، بينما كان العرب ينتظرون ما ستحمله الأيام لهم دون أن ينتبهوا لما كان يعده اليهود، ومع الزمن انحلت منظماتهم في فلسطين وانفرط عقد تجمعهم السابق.

فلما وضعت الحرب أوزارها، سارعت الوكالة اليهودية إلى احتضان أفراد الفيلق اليهودي، الذي ساهم في الحرب العالمية الثانية، كما استدعت كل اليهود الذين تمرسوا على أساليب القتال، وفي فترة وجيزة تمكنت من جمع أكثر من مائة ألف مقاتل، عدا ما كان تحت إمرتها من القوى الحربية التي سبق تركيزها في المستعمرات، وهكذا تأهب اليهود لتحقيق أغراضهم تحت سمع وبصر بريطانيا، التي وثق العرب للمرة الثانية بعهودها ووعودها.

ولما أيقن اليهود وأنصارهم بقرب انهيار المحور، سارعوا إلى عقد المؤتمر الصهيوني الواحد والعشرين، حيث اتخذوا فيه القرارات اللازمة لتحقيق أهدافهم في فلسطين، وكان من بينها التمثيلية التي فوجئ بها العالم في أواخر عام ١٩٤٣، وهي أن حوادث العنف اندلعت فجأة بين الإنجليز واليهود في فلسطين، وتعددت المعارك بينهما والتي وصفت بالضارية، ودامت أكثر من عامين، ظهرت إبانها بريطانيا العظمي التي قهرت

ألمانيا بمظهر العاجزة عن تأديب قبضة من صنائعها اليهود، وإذ بأمريكا تتدخل بالموضوع وتقترح على المتخاصمين الحل الذي أطلق عليه اسم مشروع موريسون (Morrison) فيرفضه العرب واليهود معًا، فيعود الإنجليز إلى خدعة جديدة، ويدعون العرب واليهود إلى ما أسموه بمؤتمر الطاولة المستديرة الذي رفضه العرب، فترفع القضية مرة أخرى (إلى هيكل سليمان) إلى الأمم المتحدة للنظر في أمر الخلاف الذي تجدد بين العرب العُزَّل، الذين كانوا ما زالوا يصارعون الاستعمار في أكثر أقطارهم، وبين اليهود الذين كانوا منذ أمد بعيد قد تأهبوا لدخول الصراع المنتظر.

ولما أصبح الأمر منوطًا بقرار الجمعية العمومية (المجلس الكهنوتي اليهودي الأعلى) تقدمت بريطانيا بقرارها بالتخلي عن الانتداب، لتسهل للجمعية مهمتها في إقرار التقسيم، وهكذا أكملت تمثيليتها التي مثلتها قرابة ربع قرن، وأقر التقسيم وانسحبت بريطانيا من الميدان بعد أن سلحت اليهود بكل ما كان لديها من أسلحة، فسارعت قوات الهاغانا إلى احتلال البلاد، وفرض سيطرتها على كافة الربوع الفلسطينية في غفلة عن العرب، وحدث ما حدث وأسفرت الخيانة الغربية عن وجهها، وإذا به ملطخ بدماء عشرات الألوف من الأطفال والنساء العرب، الذين قتلهم اليهود بوحشية ضارية، وموشوم بلعنات مليون متشرد، ولم يكن لهم من ذنب إلا الوفاء لبريطانيا وحليفاتها، وهكذا أُسْدِلَ الستار على أقذر جريمة إنسانية عرفها التاريخ.

أقوال في اليهود واليهودية

زعموا أن المصادر التاريخية تزخر بمعجزات أسلاف اليهود، فبحثت عنها في بطون المصادر والكتب، فلم أعثر فيها على أثر تلك المعجزات المزعومة، حتى أن كتاب التوراة الذي يعتبر مرجعًا وحجة لكل ما يتعلق بالشعب اليهودي، لا يروى هو الآخر عنهم إلا كل ما يخزي ويعيب، بدليل أنه يذكر أن يهوى كان يحرض أتباعه على اغتراف مباذل الحياة، وإشباع الغرائز الحيوانية واحتقار القيم والمثل الأخلاقية، ويحضهم على تطبيق شريعة القتل العام عند المقدرة، وينسب لمشاهير أسلافهم اعتماد الخداع وبذل الأعراض في سبيل الكسب الحرام، ويتهم ملوكهم بالاعتداء على أموال أتباعهم واستباحة أعراضهم، ويصم نسائهم اللواتي لُقِّبْنَ بالقديسات بتعاطي الفسق والفجور مع أعداء قومهن، فأين هي إذن المعجزات التي يبحث عنها الناس؟ أتراهم يعتبرون هذه الآثام مع كل ما فيها مما يندى له الجبين، من المناقب والمعجزات؟

A. ussenel L Auteur de (Les Juifs Rois de L Epodue).

عن التلمود

«كان عن المسيحيين أن يزيلوا من الوجود منهاج أبالسة الجحيم المسمى التلمود، والشبيه بالصخرة الملساء التي تخفي تحتها وكر الثعابين القاتلة، قبل أن ترسخ تعاليمه السامة في عقول اليهود، وتحولهم إلى أفاعٍ تربص للانقضاض على العالم كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً».

من أقوال القس لومان مؤلف كتاب نابليون واليهود.

L Abb. J. Lamann auteur de (Napoleon et lsraelites)

عن الإجرام اليهودي

«بينما كان الناس يتكهنون عن أسباب الثورة الروسية، فاجأ الدكتور أوسكار ليفي اليهودي (Dr oscar Levy) العالم بالتصريح التالي: لقد زعمنا أننا خلقنا لإنقاذ العالم من الهلاك، وفاخرنا على الإنسانية بأننا من الشعب المختار، وادعينا بأن المسيح وجميع الأنبياء هم منا، مع أننا منذ فجر التاريخ نسعى دون هوادة لنشر الخراب والدمار في العالم، وشل تقدم الإنسانية بكل السبل والوسائل، ولقد قضينا بفلسفاتنا ومبادئنا الهدامة على منجزات البشرية الأدبية والمادية، ودمرنا حضارتها، وحلنا دون

انتشار الأفكار البناءة مجتمعاتها، حتى أوصلناها إلى هذا الوضع المؤسف الذي يبكي ضميري ويدمي جوارحي، وعندما يخطر لي أنني أعرف هوية الذين سببوا هذه الكوارث التي حلّت بالعالم، يأخذني الغضب على نفسي، وينتابني الخجل والتقزز من نفسي لأنني انتسب إلى هؤلاء المجرمين».

نشر التصريح من قبل السيد بيت (M. G. pitt oxford) من أوكسفورد تحت عنوان التفسير العالمي للثورة الروسية. World significance of the Russian Revolution.

عن التوراة

«يذكر كتاب التوراة أن الرب يحرم على الجيل العاشر المنحدر من نسل السفاح دخول بيته، وعملاً بهذا القول يمتنع اليهود عن الزواج بغير اليهوديات، حفظًا على نقاء دمائهم، فهم يعتبرون مَن يولد من أم غير يهودية لقيطًا، ولكنهم يسعون في نفس الوقت على تلقيح الشعوب الأخرى بدمائهم عن طريق تشجيع بناتهم على الاقتران بالأغراب، ويقدمون للأغراب المغريات المادية الطائلة ليتزوجوا من بناتهم، بغية تلويث دماء الشعوب الأخرى، وإرغامها على التقرب منهم بحجة القرابة والصلة العرقية، ليغرروا بأفرادها، ومن العدل أن نعترف بأنهم قطعوا شوطًا بعيدًا في المضمار، وإذا ثابروا على خطتهم هذه، فلن يبقى في المستقبل القريب شعب واحد في كل أوربا، دون أن يفقد خصائصه وتقاليده، وسيصبح أفراد كافة الشعوب ملوثين بالدماء اليهودية، ومتأثرين بالأفكار والمبادئ الساخرة من المثل العليا كالوطنية والقومية، عندها سيقودونهم حيث أرادوا لهم بكل يسر وسهولة، ويجعلونهم عبيدًا للمآرب اليهودية.

إن هذا الشعب الذي كنا نعتبره منذ قرن واحد،شعبًا متأخرًا ومجردًا من الذكاء والإدراك، أصبح اليوم أرقى جميع الشعوب الأوربية بفضل تساهل الشعوب الآرية معه، والسماح له بالدخول إلى بلادها، في الوقت الذي ظل اليهود فيه محافظين على انعزاليتهم، وحرموا على الآخرين تخطي حرماتهم، لكي تبقى أسرار مؤامراتهم ودسائسهم الرامية إلى تدمير الشعوب، خافية عن الجميع».

من الأقوال الواردة في كتاب (سفر التكوين للقرن ١٩) الصادر عام ١٩١٣ لمؤلفه هـ س. شامبرلين. H. S. Chamberlain – Auteur de (Genese de 19ene siecle).

عن مخاوف اليهود

«لا يخشى اليهود شيئًا كما يخشون النزعات الوطنية والقومية؛ ولذا يعملون حيثما وجدوا للقضاء عليها، ولتحقيق هذا الهدف ينشرون في الأوساط الشعبية حياة التهتك والإباحية، ليقوضوا بها وحدة العائلة التي تعتبر أساس المجتمع والأمة، ويبشرون بالمبادئ المادية المناوئة للقيم والمثل العليا، ليجردوا المواطنين من تقاليدهم وتراثهم، ويروجون الأضاليل المسفهة لأمجاد الأمة، ويشككون الناس بصحة الوقائع التاريخية العائدة لماضيهم، ليفقدوهم الثقة بكل ما يعتزون به من المفاخر القومية والوطنية ليتطلعوا إلى المادية فقط، والاستهتار بكل شيء ما عداها، حتى تهون قيادتهم، بينما اليهود يظلون على تعصبهم القومي الذي يستمدون منه وحدتهم وقوتهم».

عن صحيفة الحارس الأمريكية التي تصدر في مدينة شيكاغو (عدد ٢٤ أيلول ١٩٣٦).

عن الذكاء اليهودي

«زعموا أن نجاح اليهود عود لذكائهم الخارق، وأنا أقول: إنهم يدينون بنجاحهم إلى إصرارهم الذي لا يعرف الفتور، وبفضل هذا التصميم والإصرار نغصوا عيشنا طويلاً، ولما اكتشفت سرهم عزلتهم عن مجتمعنا، ووضعتهم حيث يجب أن يكونوا، وهكذا أعدت السلام لربوع ألمانيا». من أقوال هتلر في كتابه كفاحي

تخرصات يهودية

«من العار على هتلر أن يسعى لإفنائنا بعد أن تبنى شعاراتنا الداعية للتطرف العنصري، والتي يتغنى بها وكأنها من مبتكراته الخاصة، فهل غاب عنه أن دعوة العرق الممتاز والعنصر المختار هي من صميم تقاليدنا ومعتقداتنا المعروفة».

من أقوال بنيامين كاردوغا (M. Benjamin Cardoga) عضو الكونغرس الأمريكي السابق.

«يزعم بعض السخفاء من أبناء قومنا أنهم إنجليز وألمان، أو ما شابه ذلك بحكم إقامتهم في بلاد تلك الأقوام، مع أن إقامتهم في بلاد معينة أو انتسابهم بجنسية معينة، لا يخولهم قطعًا أن يصبحوا من مواطنيها طالما يعتنقون الموسوية المبنية على العنصرية والقومية المتطرفة، التي لا تقبل أي انصهار واندماج؛ ولذا فهم يهود قبل كل شيء، وسيظلون يهودًا مهما زعموا وحيثما كانوا».

من أقوال الزعيم الصهيوني المعروف نعوم سوكولوف (N. Soklov).

«ليست القضية اليهودية قضية اجتماعية أو أدبية مثلما يدعي بعض الأغبياء، بل هي قضية قومية واضحة يجب الاعتراف بها، وأن تدرس على صعيد السياسة الدولية كقضية مسلم بها. من أقوال تؤدور هيرزل (T. Herzl) مؤلف كتاب الدولة اليهودية.

«نحن يهود، ولنا ملء الحق في أن يكون كذلك، وعلينا أن نصر على إعلانه الآن أكثر من أي يوم مضى، ونقول بكل فخر واعتزاز: إننا أمة رغم أنف العالم».

من أقوال الصهيوني المعروف روخوموفيسكي (S. Rokhomovesky) التي نشرت في صحيفة الشعب اليهودي (Le peuple Juif) الفرنسية.

«نحن لسنا ألمانًا ولا إنجليزًا ولا فرنسيين، فهويتنا معروفة ونحن يهود بكل صراحة، فمعتقداتكم ليست من معتقداتنا، نحن أمة خاصة، ولقد أكدها لكم هرزل، فعليه نحن نرفض الانصهار». من أقوال الصهيوني ماكس نوردو (Max Nordau) التي نشرت في صحيفة الشعب اليهودي الفرنسية.

وأدلى الزعيم الصهيوني المعروف برنارد لازار (Bernard lazare) بتصريح في المؤتمر اليهودي الذي عقد في ٧ آذار ١٨٩٧ بمدينة موسكو قال فيه: «إن الوشائج القومية هي التي دفعت بنا إلى الالتقاء بكم، ووحده الدم والعنصر التي تربطنا بكم، هي التي تجعلنا نبحث عن كل يهودي حيثما كان وبفضلها فقط يمكننا أن نصبح أمة يعترف بها العالم».

وكتبت صحيفة جويش كرونيكل (Jewish chronicle) في عددها الذي صدر في ٢٨ نيسان ١٩١١ تصريحًا للحاخام الأكبر م. شندلر (M. Schindler) يقول فيه: «ظللتُ خمسين عامًا من أنصار الانصهار، وكنت أعتقد بإمكانية توحيد اليهود والنصارى، ولكن تبين لي الآن أن البوتقة الأمريكية غير أهل لصهر يهودي واحد فيها».

ومن أقوال الزعيم الصهيوني ليفي بنك (Levy Bing): «إن الدين اليهودي مبني بأكمله على أغراض قومية».

ومن التصريحات اليهودية الشهيرة التي كان لها صدى مزعج في بعض الأوساط الفرنسية، هو قول الحاخام موريس جوزيف (Maurice joseoh): لكي يتمكن الإنسان من تجاهل القومية اليهودية، ينبغي عليه أولاً أن ينكر وجود اليهود على الأرض.

«إن زعم كون اليهودية عبارة عن فكرة دينية فقط، هو باطل بقدر زعم عدم

وجود الكاثوليكية والبروتستانتية في هذا العالم».

من أقوال الزعيم الصهيوني الفرنسي ليون سيمون (Leon Simon).

ومن أقوال الكاتب الصهيوني جس سمبتر (Jesse E. Sempter): إن كلمة يهودية التي تعني الديانة الخاصة بهم، مأخوذة من التعريف القومي؛ ولهذا إن كل اليهود حتى الملحد أو المرتد هو يهودي مثل غيره وقبل كل شيء آخر.

وكتب لودفيك لوفيسون (Ludwig Lewisohn) مؤلف إسرائيل (Israel) يقول: «اليهودي يظل يهوديًا، وانصهاره أو انسجامه مع الغير هو من الأمور المستحيلة التحقيق؛ لأن اليهودي لا يقبل عن تقاليده بديلاً، مهما كان الأمر يظل متمسكًا بها؛ لأنه يهودي فحسب، إن هذه الحقيقة الراهنة اكتشفها الجميع ولم يعد بعدها إمكان لإنكارها، وليس للأمر مخرج آخر، سوى الاعتراف بوجودنا، والتسليم بكياننا.

وقال الكاتب اليهودي ج. ب. ستيرن (G. B. Stern) مؤلف (Debatable Ground): «نحن أمة خاصة، حتى ولو لم يكن بيننا وبين النصارى خلافات مذهبية ودينية، إن إبدال الكنيس بالكنيسة لن يغير تقاليدنا أو أعرافنا ونزعاتنا الخاصة، التي تخالف أعراف ونزعات الأمم الأخرى؛ ولذا سنظل أمة خاصة، إن مظهرنا وتكويننا الجسماني، والأنف الأقنى الذي نتميز به دون سائر الناس، هي أدلة كافية لإثبات كوننا من عنصر آخر، ولقد برهنا عبر القرون رغم تشردنا على أننا أكثر الأمم تمسكًا بوحدتنا القومية، وأكثرها تعصبًا لعنصرنا الخاص».

وكتب السياسي جيرالد سومان (S. Gerald Soman) في صحيفة العالم اليهودي الإنجليزية يقول: «نحن لا يمكن أن نكون إنجليزا؛ لأننا ننتسب لعنصر خاص، وعقليتنا اليهودية تختلف عن عقليتهم، كفانا خداعًا، لنعلن صراحة أننا يهود، قبل كل شيء.

وكتبت صحيفة البريد اليهودي (jewish Courrier) في عددها الصادر في ١٧ كانون الثاني ١٩٤٢ تقول: «نعم لقد قبلنا زي ولغة البلاد التي أقمنا فيها، ولكن لن نقبل قطعًا أن نكون جزءًا من أهلها».

وفي ١١ آيار ١٩٢٢ كتبت المجلة اليهودية (jewish chronicle) تقول: «إن من أهم الواجبات القومية والوطنية هي الحفاظ على العرق والعنصر، فعلى اليهود أن يظلوا حريصين عليهما».

وفي ١٤ كانون أول ١٩٢٤ كتبت جريدة العالم اليهودي (jewish world) تقول: «اليهودي يظل يهوديًا حتى ولو اعتنق النصرانية، تمامًا مثل الإنجليزي الذي يعتنق الموسوية فهو يظل إنجليزيًا دائمًا، إن الصفات الخاصة التي يمتلكها اليهود لا علاقة لها بالشريعة الموسوية؛ لأنها والشريعة من صميم مشتقات القومية؛ ولهذا لا معنى من الاعتراف بأن اليهودي الملحد أو الحر التفكير، هو يهودي بقدر أكبر حاخام يهودي».

وفي ٢٢ أيلول ١٩١٥ كتبت نفس الصحيفة تقول: «ليس من المنطق أن نسمي الهندي الذي ولد في بريطانيا من أبوين هنديين إنجليزيا لأنه ولد فيها، ولذا لا يمكن أن نزعم بأن اليهودي الذي يولد في إنجلترا هو إنجليزي، فهو يهودي وسيظل إلى الأبد كذلك».

وفي نفس المجلة كتب اليهودي ج. ووديسلوسكي (J. wadislawski) في ١/١/١٩٥٠ يقول: «لننزع أقنعتنا، ولنقف موقف أسد يهوذا، ولنغير أسالينا القديمة، ولنرمي بعيدًا بجنسياتنا المزيفة، ولنعلن للعالم أننا يهود، ولا وطن لنا سوى فلسطين ولا نعترف بوطن سواها».

وفي ٢٦ أيلول كتبت صحيفة الصهيونية (zionist) تقول: «سواء كنا نحمل الجنسية الإنجليزية أو لا نحملها، فلن نكون قط إنجليز، نحن ننتسب للأمة اليهودية، لنا عرقنا ومذهبنا وشعورنا الخاص ولذا لسنا سوى يهود».

وفي الملفات اليهودية (Archives Israelites) المؤرخة في ٢٤ آذار سنة ١٨٦٤ جاء ما يلي: «إنها معجزة حقًا، هذه الأمة التي تدعى اليهودية والتي شردت في كافة أنحاء العالم منذ ألفي عام؛ لأنها ظلت تحتفظ بوحدتها وكيانها دون أن تنصهر في الآخرين، وذلك بفضل تمسك أفرادها بتقاليدهم وعنصريتهم ومذهبهم».

وفي ٧ شباط ١٩٣٠ كتبت الصحيفة اليهودية (Israel Messenger) التي كانت تصدر في شانغهاي تقول: «إن اليهودية (judaisme) والقومية يسيران جنبًا إلى جنب؛ لأنهما تشكلان وحدة كاملة؛ ولهذا ظل اليهود متماسكين رغم تشردهم، إن العرق اليهودي هو عرق أصيل لا يقبل الامتزاج، وتقاليده متينة لم تتصدع قط، وكل يهودي يتمسك بعضويته في صفوف الأمة مهما كانت نزعته. وهنا يمكن سر بقاء هذا الشعب وسر استحالة انهزامه، رغم كل ما تألبت عليه من القوى».

وفي ١٥ أيار عام ١٩١٨ كتبت صحيفة دنيا اليهود (Univers Israelites) تقول:
«يزعم بعض المغفلين أن الشريعة اليهودية ليست سوى رباط ديني، مع العلم أنها كانت دائمًا وأبدا رباطًا قوميًّا وعنصريًّا محضًا؛ ولهذا تطالب اليهودية بحقوقها القومية التي تنبع من أصالتها العنصرية؛ إن يهود روسيا، أو فرنسا، أو إنجلترا، ليسوا روسًا أو فرنسيين أو إنجليز، بل هم يهود ويهود فحسب».

المصادر المعتمدة:

١ - كتاب التوراة - النسخة الكاثوليكية.

٢ - التوراة - النسخة البروتستانتية باللغة التركية.

٣ - تطور البشرية (إسرائيل من البداية حتى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد) أدولف لودس.

Evolution de L , humanite (Israel des origines au milieu du 8eme Siecle) bar Adolbhe Lods.

٤ - أنبياء إسرائيل وبداية الشريعة الموسوية ـ لمؤلفه أدولف لودس.

Les brobhetes d , Israel et les débuts du gudaisme bar Adolbhe lods.

٥- العالم اليهودي في عهد ظهور المسيح ـ لمؤلفه كينيو بير.

Le Monde guif vers le tembs de gersus barch. Guignebert.

٦ - تاريخ سوريا ـ لمؤلفه المطران يوسف الدبس.

٧ - اللاسامية وسر إسرائيل ـ لمؤلفه لوفسكي.

Antisemitisme et Mystere d,israel – bar F.Lovsky.

٨ - طريق إسرائيل - لمؤلفه ج. تارود. .Le chemin d,israel – bar j.j.Tharaud

٩ - الزواج - لمؤلفه ليون بلوم. Le Mariage – bar Leon Blum.

١٠ - العام القادم في القدس - لمؤلفه ج . تارود.

L,an brochain ajerusalem. bar j. j.tharaud.

١١ - تاريخ أسبانيا - لمؤلفه ب. فيلار. . Histoire de L,Esbogne. bar b. vikar

١٢ - تاريخ اليهودية - لمؤلفه شوراكي. .Histore du judaisme. bar A. Chouraqui

١٣ - تاريخ بريطانيا - لمؤلفه أندره موروا. Histoire d,Angleterre. bar A. Maurois.

١٤ - الحفلة الأخيرة للأمسية الكبرى - لمؤلفه ب. هيبس.

Le Derner Bal du grand soir. bar. b Hebess.

١٥ - عندما لم تعد إسرائيل مالكة - ج. تارود.

Quand israel n,est blus Roi – j.j. Tharaud.

١٦ - الإسلام وبني إسرائيل - ج. أتيلهان. Islam ve Beni israil – bar C.R. Atilhan.

١٧ - التاريخ العام. Histoire Generale.

١٨ - تاريخ روسيا - لمؤلفه ن. بريان شانينوف.

Histoire de Russie – bar N. Brian Chaninov.

١٩ - إسرائيل مفتاح الشرق - لمؤلفه جورج دوهاميل.

Israel Clef de l,orient – bar Georges Duhamel.

٢٠ - دولة إسرائيل - لمؤلفه أ. شوراكي. L,etat d,israel – bar A. Chouraqui.

٢١ - قضية دريفوس - لمؤلفه ب. ميكل. L,Affair Dreyfus – bar bierre Miquel.

٢٢ - أسرار الويلهلمستراس - الجزء الثاني.

Les Archives Secretes de la Wilhelmstrasse. Livre

٢٣ - سيرة سليمان كما تحكيها الشعوب - لمؤلفه أ. فليغ.

Salomon raconte bar les beubles – bar E. Fleg.

٢٤ - لايوناني ولا يهودي - لمؤلفه رونه شووب. Ni Grec ni Juif – bar Rene Schwob.

٢٥ - سيرة موسى كما يرويها الحكماء - لمؤلفه أ. فليغ.

Moise Raconte bar les sages.bar E. Fleg.

٢٦ - بروتوكولات حكماء صهيون - الطبعة السويسرية.

Les brotocoles des sages de Sion – Editions C.E. A .

٢٧ - اليهودي ملوك العصر - لمؤلفه أ. توسونيل.

Les Juifs rois de L,ebodue – bar A. toussenel.

٢٨ - نابليون واليهود - لمؤلفه القس ج. ليمان.

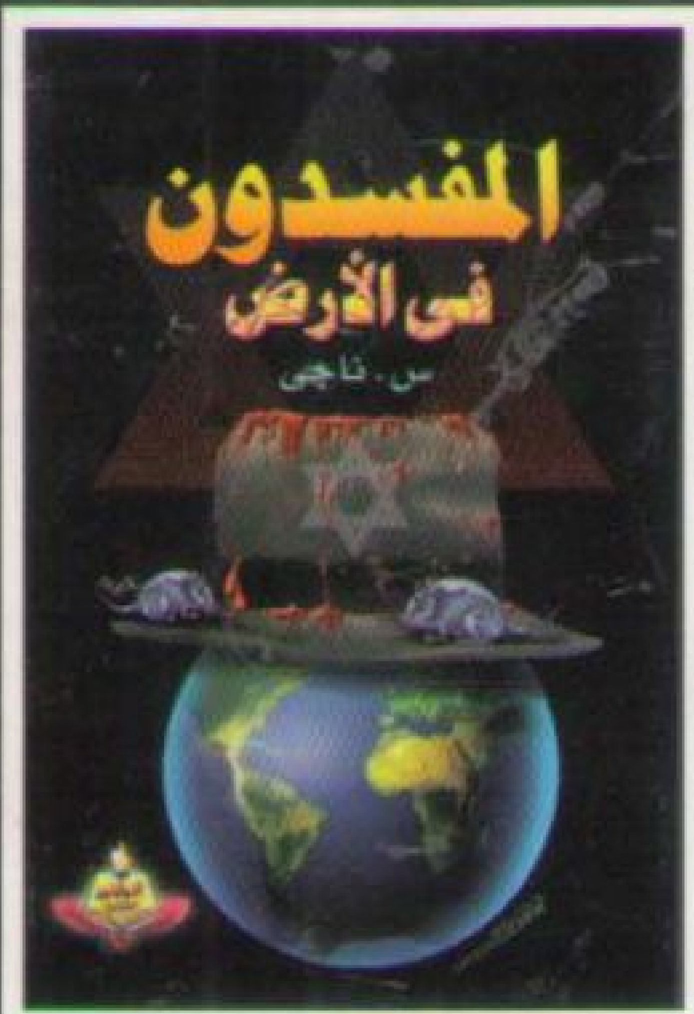
Naboleon et les israelites – bar L,Abbe J. Lemann.

٢٩ - الحرب من الوثائق الرسمية - لمؤلفه أرنست دونيز.

La guerre documentee – bar Ernest Denis.

الفهرس

تم بحمد الله



هـــذا الكتـــاب

قال الله تعالى فى كتابه العزيز :

وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين (٦٤) (المائدة)

هـذا إخبـار من الله عز وجل بفسـاد اليهـود في عقـيدتهم وفي عبادتهم وفي معاملـتهم ، وقـد بيّنت لنا أيضاً السنة النبـوية فسـادهم في عهد رسول الله ﷺ ، ودون إطـالة فهذا الكتـاب الذي بين أيدينا يبين لنا فسادهم في العصر القديم و العصر الحديث في العـالم أجمع ، وكيفية أساليبهم في السيـطرة على الأمـوال و الاقتصـاديات العالـمية ، التي من خلالهـا يمكنهم السيطرة على العالم .

يوسف سرحان
دار البشير ـ القاهرة



دار البشير ـ القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٤٥ طريق المعادى الزراعى ص . ب ١٦٩ المعادى . ت : ٢٥٢٥٢٣٩٠ ٢٥٢٤٢٦٨٧

